المزمار

مجلة ثقافية رياضية جامعة
العدد السادس «فبراير» - شباط 2025

هدى النعيمي:
المرأة الخليجية
تحررت من الوصايا

حكمة أن تعيش

الكَوَّالات" والبحث عن جنازة

بنغازي .. حديقة التفاح

وسواس قهري

أم كلثوم
نصف قرن من الخلود الفني

محمد جابر الأنصاري.. مسيرة
أكاديمي وإبداع فكري خالد

ثروات المشاهير..
مفارقات مذهلة

فواز اليونس: الفن التشكيلي
لا يمكن تأطيره بمدرسة بعينها

مرموش التاسع عشر يغزو مانشستر

المزمار

العدد السادس «فبراير» ـ شباط 2025

مجلة ثقافية رياضية جامعة
تصدر عن "المركز العربي للإعلام والثقافة"
فيينا ـ النمسا

المركز العربي للإعلام والثقافة
Arabisches Zentrum für Medien und Kultur
فيينا - النمسا

رئيس التحرير:

عبد الكريم البليخ

مدير التحرير

محمـــد رضـــوان

هيئة التحرير:

د. حمدي موصللي — عبد الله العجمي
د. موسى رحوم عباس — إبراهيم النمر
عيسى الشيخ حسن — إياد حسن
فهـد الحســن — عيد فؤاد

المدير الفني:

عمـار الشـيخ عـلي

www.Almzmar.com

المراسلات باسم رئيس التحرير

على البريد الإلكتروني:
Almzmar024@gmail.com

00436763901842

موقع المجلة على فيسبوك:
https://www.facebook.com/groups/arabischeszentrumfrmedienundkultur

موقع المجلة على انستغرام:
https://www.instagram.com/almizmarmagazin/

ـ الآراء التي تطرح في المجلة، والمقالات التي يعاد نشرها، هو الاطلاع على الرأي الآخر مهما انطوى على اختلاف.

ـ ترتيب نشر المواد وفقاً لضرورات فنية.

ـ المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

ـ المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر سواء نشرت أم لم تنشر.

ـ آخر موعد إرسال المواد قبل 20 من كل شهر.

بصراحة

إعلام عربي مأزوم

منذ بدايات الإعلام العربي المرئي، ظلّت التحديات تحيط به من كل جانب، سواء على مستوى المحتوى أو السياسة التحريرية. ومع ذلك، هناك أمثلة مشرقة تبرز في المشهد الإعلامي، وأبرزها قناة "الجزيرة"، التي استطاعت أن تُحدث ثورةً في الإعلام العربي وتصل بصوتها إلى آفاق بعيدة، متجاوزة الحدود الجغرافية والثقافية. هذا النجاح المذهل ليس مجرد صدفة، بل هو نتيجة نهج حرّ وجريء، جعل المتابع العربي يجد فيها ما يفتقدهُ في الكثير من المحطات الأخرى.

لكن مع كل هذه النجاحات، تبرز مشكلة مزمنة تعاني منها وسائل الإعلام العربية: نقص المساحات الحقيقية للحرية الإعلامية والانفتاح الفكري. في ظل عالم يشهد ثورة رقمية وتكنولوجية هائلة، من المؤسف أن نجد بعض الأنظمة تسعى إلى تقييد حرية التعبير والابتكار الإعلامي، مما يعرقل جهود الفضائيات الطموحة لإحداث تغيير نوعي في هذا المجال الحيوي.

واقع الإعلام العربي اليوم يحمل في طياته تناقضات صارخة. ففي الوقت الذي تزداد فيه الحاجة إلى إعلام تنويري يساهم في تثقيف الشعوب وإثراء عقولهم، نجد الكثير من المحطات تتوجه إلى بث محتوى يفتقر إلى الجودة، ويكرّس أنماطاً سلبية تؤثر على العقل والمزاج العربي. المشاهد اليوم يشعر بحيرة كبيرة أمام شاشة التلفاز، إذ يجد نفسه محاطاً بكم هائل من البرامج التي تسعى إلى تمييع الهوية الثقافية وتغريب العادات الأصيلة.

الأمر لا يقتصر على بث المحتوى التافه فقط، بل يمتد إلى استثمار هذه المحطات في الكسب المادي السريع على حساب القيم والمبادئ. وما زاد الطين بلة هو غياب الرقابة الفاعلة، بل وأحياناً تأييد المسؤولين لاستمرار هذه الممارسات، متجاهلين تأثيرها السلبي على الأجيال الصاعدة التي تقضي ساعات طويلة أمام هذه الشاشات.

في ظل هذا الواقع، يصبح الدور المناط بوزراء الإعلام والثقافة العرب أكثر أهمية من أي وقت مضى. عليهم أن يكونوا على دراية عميقة بما يجري في فضائهم الإعلامي، وأن يتحملوا مسؤوليتهم في توجيه هذا الفضاء نحو ما يليق بالمجتمع العربي من رقي وتحضر. بدلاً من ترك الشباب يتعرضون للتشويه الفكري والأخلاقي، يجب أن يكون هناك جهد مشترك لتطوير محتوى إعلامي يرتقي بالذوق العام، ويعزز القيم الإنسانية النبيلة.

من المؤسف أن نجد الكثير من البرامج التلفزيونية اليوم تعتمد على تقديم مشاهد مبتذلة، وتسويقها على أنها "تسلية" أو "فن"، بينما هي في الواقع تُسهم في نشر الفساد وإفساد الذوق العام. هذه الظاهرة تحتاج إلى معالجة جذرية، تبدأ من القوانين والتشريعات، وتمر عبر الرقابة المسؤولة، وصولاً إلى إعداد جيل إعلامي مثقف وواعٍ.

الإعلام هو أحد أقوى الأدوات التي يمكن استخدامها لإحداث تغيير إيجابي في المجتمعات. إذا تم توظيفه بشكل صحيح، يمكن أن يصبح أداة للتنوير ونشر المعرفة، وتعزيز قيم التسامح والاحترام المتبادل. وهذا يتطلب من القائمين على الإعلام أن يتبنوا سياسات تحريرية تعكس احتياجات المجتمع وتطلعاته، بعيداً عن البحث عن الربح السريع على حساب الأخلاق.

علينا أن ندرك أن الإعلام ليس مجرد منصة لنقل الأخبار أو الترفيه، بل هو مسؤولية ثقافية وأخلاقية تجاه المجتمع. إنّ تعزيز الإنتاج الإعلامي الإيجابي، والمبني على المصداقية والجودة، يجب أن يكون هدفاً رئيسياً لكل وسيلة إعلامية تسعى للنجاح والتأثير.

الإعلام العربي بحاجة إلى ثورة حقيقية تعيد له دوره الريادي كمنبر للوعي والمعرفة. يجب على الجميع، من مسؤولين ومثقفين وإعلاميين، أن يتكاتفوا لمواجهة هذا الانحدار، والعمل على بناء إعلام يحترم عقل المشاهد، ويعكس طموحاته وهمومه. لا يمكننا أن نبقى مكتوفي الأيدي أمام هذا الواقع المحزن. يجب أن نتحرك الآن، لأن كل يوم يمر دون تغيير يزيد الفجوة بيننا وبين العالم المتقدم في هذا المجال. فهل نكون على قدر التحدي؟

رئيس التحرير

فهرس العدد

إعلام مرئي مأزوم 3
في ذكرى الرحيل .. أم كلثوم خمسون عاماً من الخلود الفني 10
الإعلامية الدكتورة سهام جبريل. المرأة المصرية تاج على الرؤوس. محمد عاصم..... 14
في سوريا .. المناهج المدرسية مقدمة التغيير أم نهايته؟ سميرة المسالمة 20
هل ينهض الإعلام السوري من كبوته؟ 24
بعد عقود من الرقابة.. عودة الكتب المحظورة إلى دمشق..... 26
في ذكرى توقفها .. "السفير" أيقونة صحفية لا تنسى 36
الإعلام اللبناني نقمة أم نعمة؟ فيفيان حداد 38
الجمعية القطرية.. قصة نجاح ملهمة. د. ميرفت إبراهيم 44
باسم ياخور: أنا مع العدالة الشفافة والعلنية..... 46
هدى النعيمي: المرأة الخليجية تحررت من الوصايا. عبد الكريم البليخ 48
محمد جابر الأنصاري.. مسيرة أكاديمي وإبداع فكري خالد..... 54
اعترافات. إبراهيم النمر 56
مرفأ الذاكرة. حياتي .. كتاب مفتوح. دريد لحام..... 64
بيت العز.. حنان الأجداد زاد لمدى الحياة. سعاد البياتي 86
إحسان عباس.. اسطورة الأدب والجرأة الصحفية. عمر إبراهيم محمد..... 98
بشير الديك.. يكتب للسينما البديلة والسائدة معاً. محمد رضا 108
في ذكراه الـ 60. العقاد وأربع نساء. سليمان بختي 124
كيف شكلت ألحان بليغ حمدي ذائقة العصر؟ حمزة الشماري 138
فواز يونس: الفن التشكيلي لا يمكن تأطيره بمدرسة بعينها. عبد الكريم البليخ 144
جمانة الحسيني .. أيقونة القدس المسكونة بالحلم والأمل. وفيق صفوت 150
الصورة الفوتوغرافية لغة تشكيلية عابرة للمفاهيم. بشرى بن فاطمة 154
التشكيلية اللبنانية زينة الخليل.. الألم خط المسار. فاطمة عبد الله 176
السبع فساتين.. رموز الأناقة والتراث في أعراس الجزائر. حسينة بوغندورة... 156
بنغازي.. حديقة التفاح. زكريا عبد الجواد..... 158
رشيد.. مدينة المليون نخلة وحاضنة التاريخ. أحمد سليم عوض 166
وجوه الراحلين. نجيب الريس جهاد في ميدان الأخلاق. عبد السلام العجيلي 180
ثروات المشاهير.. مفارقات مذهلة. عبد الكريم البليخ 200
ريال مدريد يتوج بكأس السوبر الإسباني. 202
الترجي التونسي قصة دولة لا تكف عن اسعاد عشاقها. كريمة دغراش 224
الورقة الأخيرة. فساد الأطفال. عبد الكريم البليخ 238

إضافة إلى عدد من المقالات والدراسات التي تتعلق بالأدب والثقافة والشعر والفن والمرأة والرياضة

الخطاط عبيدة البنكي.. رحلة إبداع في كتابة المصحف القطري

28

عيسى الشيخ حسن.. شاعر وروائي ينسج الحنين والإنسانية في أدبه

58

صلاح السعدني.. حضور لا يعرف الغياب

104

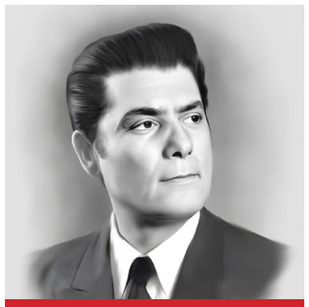

مئة عام على ميلاد شكري سرحان "ابن الجنايني"

112

حلمي بكر.. لم يكن مجرد ملحن بل كان حارساً أميناً على هوية الموسيقى

134

خنشلة.. عبق التاريخ وشموخ الجبال

172

البحرين تتوج بـ "خليجي 26"

194

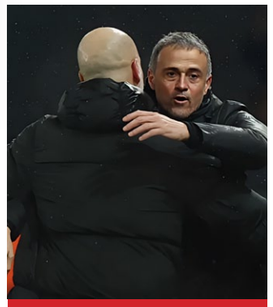

إنريكي.. العقلية التكتيكية التي لم تنصفها الأندية؟

216

من كتّاب العدد

فواصل منقوطة | عبد الكريم البليخ..... 6
ذكريات من الماضي الجميل | سعد الرميحي..... 8
وسواس قهري | عبد الله العجمي..... 16
في صناعة المباهج | طالب عبد العزيز..... 35
تعفن الدماغ | د. أكرم عثمان... 40
حديث الموهبة | عبد الحفيظ العمر..... 41
متسول على مستوى | جعفر عباس 42
قصة. "قسمة ونصيب" | تركي رمضان..... 43
ارفعوا أيديكم عن الكرواسون | إنعام كجة جي 53
قصة قصيرة. دفء حصة الرياضيات | زهير رمضان 61
في الطريق إلى المقبرة "حفار القبور.. سماوي الأعرج" | د. حمدي موصللي 62
رسائل الحمام. فيه قولان | محمد رضوان 71
تراتيل إلى جدتي | هدى المهتدي الريس..... 72
اللباس قضية ثورية | سلوى زكزك..... 73
دم الكلام | شعر إبراهيم النمر... 74
وهم "الزمن الجميل" | عزيز أشيبان 75
الهيبيون يكتبون شعراً | نزار قباني..... 76
حكايا من أرض الشوايا. مسدسات العظام وجور الكهاريز | د. محمد الحاج صالح 78
أيام لن أنساها في سوريا | د. فيصل القاسم..... 80
من دهاليز القضاء. التعدي على كرامة الآخرين | فواز عويد خليل..... 82
باليت المزمار. تماثيل القرية النائمة | ستار كاووش..... 84
الوقت كالسيف | د. لطيفة شاهين النعيمي..... 89
حكايا من الواقع. عمتي حصة | عبد الكريم البليخ 90
من حكايا قريتنا. لقاء الشتيتين | عبد الحميد الخلف الإبراهيم..... 92
بكائها تبعث الدفء | عبد السادة البصري..... 94
هكذا خرقوا وصية حنا مينا | عماد نداف..... 95
"شجيج عتيج". اللوكس والشوايا "الفاكطين" | عيسى الشيخ حسن..... 96
لعنة العواصم | د. عبد السلام العجيلي 104
من أجل حجابك | خطيب بدلة 111
حكمة أن تعيش | ياس خضير البياتي..... 117
لفائف لا مجلد | سمير عطا الله..... 121
"الكوّالت".. والبحث عن جنازة. د | موسى رحوم عباس..... 122
هل الحمير تشبهنا؟ | محمود الرحبي..... 127
خواطر قد لا تسر الخاطر | فيصل أبو شادي..... 128
أخلاقيات الكتابة | فوزية أحمد 131
طاعون الفشل والنجاح | علي حسين..... 137
قرارات العام الجديد | شعر روضة الحاج..... 148
المرأة الحرة | حنان مبروك..... 165
حرية زائدة .. أم تشويه للهوية؟ | عيد فؤاد..... 193
وداعاً محمد صلاح.. أهلا مرموش | خلدون الشيخ..... 209
ورحل الشربيني كروان التعليق العربي | محمد رضوان 223

كلمة حق

حرد الزوجة غير المبرر

في أحيان كثيرة، نجد أنفسنا عاجزين عن البوح بما يعتمل في داخلنا من مشاعر ورغبات، ربما نتيجة القيود الاجتماعية أو خوفاً من ردود الفعل. وهذا ليس بالأمر الجديد، لكنه يبرز بشكل خاص في المواقف التي يتمُّ فيها تجاهل الحقيقة أو تشويهها، لتصبح مادة للنقاش والاهتمام.

عندما تحدث مشكلة بين طرفين، قد لا يدرك أحد الأطراف ـ الذي كان جزءاً من هذا الخلاف ـ أسباب هذه المشكلة ونتائجها، فضلاً عن مدى تأثيرها في محيطه الأسري والاجتماعي. مثل هذه المواقف، التي تبدو صغيرة وغير مهمة، قد تصبح مثار دهشة واستغراب من الأشخاص المحيطين، الذين يرون أن هذه المشكلات لا تستحق كل هذا التوتر والتشنج.

الزوجة، في كثير من الحالات، قد تتخذ موقف الحرد بشكل مفاجئ، محاولةً لفت الانتباه والحصول على التعاطف والدعم، حتى لو لم تكن قادرة على تحديد السبب الحقيقي وراء موقفها. قد تتحول الأمور إلى اتهامات غير مبررة وغير مفهومة، هدفها فقط خلق شعور بالزعل الذي لا أساس له.

على سبيل المثال، قد تنزعج الزوجة بشكل مبالغ فيه تجاه موقف بسيط، مثل تعليق أحد أفراد الأسرة على نظافة المنزل أو طريقة ترتيبه، وهو موقف قد لا يستحق الوقوف عنده أصلاً. لكن الزوجة قد ترى فيه انتقاداً شخصياً يثير مشاعرها، ويدفعها لاتخاذ موقف سلبي يصل إلى حد مقاطعة الزوج أو الأبناء، وربما ترك المنزل مؤقتاً.

مثل هذه السلوكيات، التي قد تبدو غير مبررة، أصبحت شائعة بين بعض الزوجات اللواتي يلجأن إلى الحرد كوسيلة للتعبير عن الغضب أو الإحباط. ففي أحيان كثيرة، قد تتبنى الزوجة هذا الموقف نتيجة سوء فهم بسيط، أو لرغبتها في إثبات وجودها وفرض شخصيتها.

لكن السؤال الأهم هنا: هل الزوجة تكون راضية حقاً عن هذه التصرفات؟ ولماذا تلجأ إلى اختلاق الأعذار وترك بيتها وأبنائها لأسباب قد لا تكون واقعية؟

الحرد، في مثل هذه الحالات، قد يكون وسيلة للتنفيس عن مشاعر مكبوتة، لكنه غالباً ما يؤدي إلى تفاقم المشكلات بدلاً من حلها. فبدلاً من إيجاد حل بناء، يتحول الحرد إلى أداة لتوسيع الفجوة بين الزوجة وأفراد أسرتها.

من الضروري أن تدرك الزوجة أن التفاهم والحوار هما الطريق الأفضل لحل الخلافات، بدلاً من المبالغة في ردود الفعل. كما أن الأسرة ـ الزوج والأبناء ـ بحاجة إلى تفهّم هذه التصرفات ومحاولة التعامل معها بحكمة، من خلال تعزيز الحوار الإيجابي وإظهار الدعم النفسي.

في النهاية، حرد الزوجة غير المبرر يعكس أحياناً حاجة داخلية للتعبير عن مشاعر غير مفهومة، لكنه في الوقت ذاته قد يؤدي إلى خلق أجواء من التوتر داخل الأسرة. من المهم أن يدرك الجميع ـ الزوجة وأفراد الأسرة ـ أن التفاهم والتواصل هما السبيل الأمثل لحل أي مشكلة، مهما كانت صغيرة أو كبيرة.

عبد الكريم البليخ

عبد الكريم البليخ
رئيـــس التـــحرير

ما زال التلفزيون، الوسيلة الرسمية الأكثر تأثيراً، ومسؤوليته تتجاوز حدود الترفيه إلى حماية القيم المجتمعية وصيانة الهوية الثقافية. ومع ذلك، شهدت السنوات الأخيرة تراجعاً ملحوظاً في مستوى المحتوى المقدم، حيث بات التلفزيون في كثير من الأحيان وسيلة لتعزيز النفوذ التجاري بدلاً من تقديم محتوى هادف ومثري.. كما لا يمكن إنكار أن الفيديو أصبح أحد أهم وسائل الترفيه في العالم العربي، لكنه أيضاً يحمل إشكاليات عديدة ترتبط بطريقة استخدامه وانتشار محتواه. تساهم العقلية التجارية السائدة في إغراق الأسواق بأعمال تهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق أرباح مالية، دون النظر إلى الأثر الاجتماعي والثقافي الذي تخلّفه. وأن هذه الأعمال غالباً ما تستغل نقاط الضعف في المجتمع وتستدرج الأذواق لتبني أنماط استهلاكية سطحية.

مع كل هذا ترافق ظهور طبقة جديدة في العالم العربي، تنادي بالانفتاح الاقتصادي على العالم الغربي، مع تغييرات كبيرة في أنماط الإنتاج الفني. هذه الطبقة أخذت تروّج لبضائع الغرب، غالباً ما تنجذب إلى الأعمال التي تعكس أنماط حياة غريبة عن بيئتنا، وتشجعها. ولعل أخطر ما في هذه الظاهرة هو التشويه المتعمد لقيم المجتمع الأصيلة، وتسليط الضوء على النماذج المنحرفة باعتبارها أبطالاً، مع تبرير سقوطها الأخلاقي تحت شعارات الحرية الفردية أو الانفتاح.

ومع سيطرة أصحاب رؤوس الأموال على أدوات الإنتاج، بات من المعتاد أن تظهر أفلام ومسلسلات تسعى فقط لاستغلال نجومية شخصيات أو قصص مثيرة، دون أن تحمل رسالة هادفة أو تضيف قيمة فنية حقيقية. هذه الأعمال لا تعكس سوى اهتمامات منتجيها وتجاريتهم، بينما تؤثر بشكل سلبي على عقول المشاهدين، وخاصة الشباب.

تحوّلت المؤسسات الثقافية، مثل دور السينما والمسرح والتلفزيون، إلى أدوات تسويقية بدلاً من كونها منابر للإبداع والتنوير. ولم تعد كثير من هذه المؤسسات تقدم محتوى يليق بقيم المجتمع أو يرتقي بفكر أفراده. على العكس، أصبحت شريكاً في الترويج لبضاعة متدنية تسعى فقط إلى تحقيق أرباح مالية على حساب الذوق العام.

وما يزيد من حدة المشكلة هو لجوء التلفزيونات العربية إلى شراء محتوى سبق أن رُفض بسبب ضعف مستواه أو تفاهة مضمونه، وذلك لمجرد ملء ساعات البث الطويلة. هذا النهج يعكس غياب رؤية واضحة لدى القائمين على هذه المؤسسات، وافتقارهم إلى الوعي بأهمية الدور الثقافي والتنويري للتلفزيون.

يتطلب الواقع الراهن من أجهزة التلفزيون العربية إعادة النظر في سياستها الإنتاجية والشرائية، والالتزام بدورها التثقيفي كوسيلة لتعزيز الوعي وبناء الأذواق السليمة. يجب أن تبتعد هذه الأجهزة عن السباق التجاري المحموم الذي تفرضه شركات الإنتاج، وأن تسعى بدلاً من ذلك إلى تبني أعمال فنية جادة تساهم في تطوير المجتمع وتنمية قيمه.

يظل التلفزيون وسيلة لبناء المجتمع وليس لتدميره، في ما لو ترك المجال مفتوحاً للمصادفة، ولقانون السوق، فإنّ قيم الناس ستصبح في تقهقر وتذبذب ستظل تحت رحمة شبّاك العرض!.

**

صدق الشاعر أبو الطيب المتنبي حين قال: "لكل داء دواء يستطب به... إلا الحماقة أعيت من يداويها". بهذه العبارة الخالدة، لخّص المتنبي عجز البشر عن علاج بعض الصفات البشرية التي تتجاوز حدود المنطق. وإن كانت الحماقة عصيّة على العلاج، فإن المصلحة الشخصية تمثل وجهًا آخر لهذه الحماقة، فهي تنكشف بوضوح حين تسقط الأقنعة الزائفة. عندها، تبدو العلاقات التي بُنيت على النفاق بلا قيمة، وتظهر معادن البشر الحقيقية عندما تغيب المكاسب، ولا تبقى هناك حاجة متبادلة.

الحياة مليئة بالمواقف التي تسلط الضوء على الفرق بين أصدقاء المصالح والأصدقاء الحقيقيين. يمكننا وصف أصدقاء المصلحة بكرات البلياردو التي تتفرق في كل اتجاه بمجرد ضربة واحدة. أما الأصدقاء الحقيقيون، فهم ككرات البولينغ التي، مهما تباعدت، تعود في النهاية لتجتمع بحفرة واحدة. هذا التشبيه العميق يُجسد بوضوح الفارق الجوهري بين أولئك الذين تربطهم علاقات بالمصالح العابرة، وأولئك الذين يتمسكون بروابط الصداقة الحقيقية التي تصمد أمام اختبار الزمن.

من المفارقات المؤلمة في مجتمعاتنا أن النفاق، رغم بشاعته، قد يكون سببًا في تحقيق السعادة لبعض الناس، بينما الحقيقة، رغم صفائها، تكون أحيانًا مصدرًا للحزن. كم من الأشخاص تظاهروا باللطف والتقدير فقط لتحقيق مصلحة شخصية، وما أن انتهت تلك المصلحة، حتى اختفوا تمامًا كما يذوب الملح في الماء. لقد وصف شكسبير هذا الواقع بقوله: "عندما تنتهي مصالحهم، تنقطع أخبارهم".

هذا الواقع هو ما يعاني منه الكثيرون اليوم. لقد أصبح النفاق قاعدة سائدة في كثير من العلاقات، ولم يعد هناك أي حلّ وسط يغير هذه الصورة المؤلمة التي أصابت كبد الحقيقة. صارت هذه الظاهرة مثالًا يُضرب في كل مكان، وأصبحت ملاذًا لكل صديق مخادع يعرف جيدًا ما يرمي إليه في هذه المتاهة التي نعيشها.

**

يفاجئك بعض الناس بابتسامة عريضة، مرسومة بعناية فائقة، تُظهر نقاءً وصفاءً مزيفين، وتحاول إقناعك بمودتهم واحترامهم لك. لكن في الخفاء، يتحدثون عنك بأحاديث بغيضة، تسيء إلى سمعتك ومكانتك. يبدأون بتشويه صورتك، ويصفونك بصفات تنقص من قيمتك، معتبرين أنك شخص غير مرغوب فيه، وأفكارك لا تتناسب مع تطلعاتهم.

يخوضون في خلقك وأنفاسك، يطالبون بإعادة "غربلتك" وتصحيحك، ويطلقون عليك أوصافاً لا تليق، ويحاولون جاهدين تشويه صورتك أمام الآخرين. أصواتهم تنادي بالمحبة الكاذبة، في حين أنك، وبكل طيبة، تمنحهم التقدير والاحترام.

إن أمثال هذه الشريحة من الناس لا يشغلهم سوى الإساءة للآخرين، ورميهم بحجارة الكراهية والانتقام. يفعلون ذلك بكل تفاخر، غير مدركين أن الحياة أوسع وأعمق من تصوراتهم الصغيرة، وأن ما يكنزونه من مال ومكائد سيزول بلا شك، كما زال من قبلهم الكثير.

**

لا يمكن للعلاقة الزوجية أن تنمو وتزدهر دون وجود قيم الوفاء والاحترام. الوفاء يعني الالتزام بالعهد الذي قطعه الزوجان على نفسيهما بأن يكونا سنداً لبعضهما في السراء والضراء. أما الاحترام، فهو الأساس الذي يحمي العلاقة من الانهيار، إذ يضمن لكل طرف تقديراً لمشاعر الآخر وأفكاره ومساهماته في الحياة المشتركة.

الحرية داخل العلاقة الزوجية ليست نقيضاً للالتزام، بل هي جزءٌ أساسي منه. يمكن أن تتحقق الحرية عندما يشعر الطرفان بالأمان والتقدير داخل العلاقة. ومع ذلك، قد تتعرض الحرية في بعض الأحيان إلى سوء الفهم، فتتحول إلى مساحات من الاستقلالية المطلقة التي تضعف أواصر العلاقة بدلاً من تقويتها.

مع مرور الزمن، قد تفقد العلاقة الزوجية بريقها إذا لم يتم الاعتناء بها كما يجب. تكرار الأعذار، والتبريرات الواهية، والإهمال العاطفي، كلها عوامل تُضعف الروابط بين الزوجين. ومن المؤسف أن تتحول العلاقة، التي كان من المفترض أن تكون ملاذاً آمناً للطرفين، إلى ميدان للشد والجذب أو حتى الخداع المتبادل.

يجبُ على كل من الزوج والزوجة أن يدركا أن الحفاظ على العلاقة يتطلب جهداً مشتركاً. فبدلاً من إلقاء اللوم على الآخر أو البحث عن أعذار، يجب أن يسعى كلاهما إلى التواصل الصادق وإعادة بناء جسور التفاهم.

**

إلى أي مدى يمكن أن تكون العلاقة بين الزوج وزوجته صادقة في ظل التأثير المتزايد لمواقع التواصل الاجتماعي؟ قد تلجأ الزوجة أحياناً إلى استغلالها لتبعدها عن زوجها، وتتركه غارقاً في بحر من التساؤلات والحيرة. في كثير من الحالات، قد يشير هذا التصرف إلى وجود طرف آخر في حياتها، منافس يمنحها وعوداً كاذبة ويُظهر لها الاحترام والتقدير بغرض جذبها إليه.

قد تجد الزوجة في هذا "العاشق الجديد" ما يطفئ رغبتها، ويشبع احتياجاتها من خلال حوارات سرية على مواقع التواصل، محمية بأرقام سرية مخفية لا يمكن لأحد أن يصل إليها. وقد يتطور الأمر إلى لقاءات سرية تُشبع رغبات الطرفين في ظل رغبة متبادلة وتفاعل خفي لا يمكن لأحد أن يكشفه بسهولة.

هذه الصور بلا شك باتت تحمل مخاطر كبيرة إذا ما استُخدمت لتحقيق أهداف شخصية على حساب القيم والعلاقات الأسرية.

من الماضي الجميل

وأنا أغادر بلدي الثاني «الكويت»، لا بد لي أن أسجل كلمة شكر وتقدير للكويت قيادةً وشعباً، وأخص بالشكر وزير الإعلام والثقافة ووزير الدولة لشؤون الشباب عبدالرحمن المطيري، والوكيل المساعد لشؤون التلفزيون تركي المطيري، وفريق العمل الذي عمل معه، على ما حظينا به جميعاً من حسن استقبال وكرم الضيافة طوال مدة إقامتنا، للمشاركة في تغطية مسيرة دورة كأس الخليج العربي رقم 26.

وكل ما أتمناه أن نكون عند حسن الظن بنا، وأن نكون قد قدمنا للمشاهد ما يسعده ويفيده.

كما أشكر أخي العزيز ومقدم البرامج الشهير الأستاذ محمد المسند على جهوده الكبيرة في تقديم برنامج «رواد الخليج».

لقد كان «بو مشعل» هو الدينامو الذي أدار الحوار في البرنامج مستنداً إلى تجربة طويلة استمدّها عبر مشواره الجميل في مسيرة الإعلام الرياضي الكويتي.

لقد أتاح لي البرنامج فرصة اللقاء مع نجوم الكرة الكويتية، الذين ما زالت أسماؤهم محفورة في الذاكرة ولم تطوها صفحات النسيان. والشيء بالشيء يُذكر، فقد كانت لي فرصة مشاركة نجوم الخليج الذين أطلوا على المشهد في السنوات السابقة مثل محمد عبدالجواد، وخليل شويعر، وعبدالرحمن محمد، الذين تشرفت بمعيتهم في البرنامج.

كما كانت إطلالة المؤرّخين «راشد الحيان» و«معن الرشيد» إضافة مميزة للبرنامج، لما يملكان من معلومات جميلة وأرشيف ذهني رائع لمسيرة كرة القدم الكويتية والخليجية على وجه الخصوص.

لقد أمتعتنا دورة الخليج، بجمال تنظيم الكويت لها، ثم بمبارياتها الشيقة وسط الأجواء الباردة.

والتهنئة لجمهور كرة القدم في مملكة البحرين ومنتخبها الوطني الذي نال شرف الفوز باللقب عن جدارة، لمستواه الثابت في المباريات التي لعبها، ولمنتخب سلطنة عُمان الذي حصد لقب الوصيف.

وإن كانت هناك من كلمة فهي لأهل الكويت، أهل الجود والكرم، الذين أتحفونا بكرمهم وحسن تعاملهم. فلهم كل الشكر والتقدير والاحترام، داعياً المولى عز وجل أن يحفظ الكويت وأهلها من كل شر، ويديم عليها نعمة الأمن والأمان.

والفيلم المرفق هو لكلمتي في الحلقة الأخيرة لبرنامج «رواد الخليج»، الذي كنت ضيفاً فيه طوال أيام دورة كأس الخليج العربي. وكان يبث عبر القناة الرياضية الكويتية ما بين الساعة الثانية عشرة حتى الثانية ظهراً كل يوم.

**

احتفلت سلطنة عُمان بالعيد الوطني الرابع والخمسين، الذي يوافق 18 نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام.

في عام 1940، وبالتحديد في تاريخ 18 نوفمبر، رُزق السلطان سعيد بن تيمور بن فيصل بن تركي آل سعيد – رحمه الله – بابنه البكر «قابوس». يُروى أن بعض أصحابه اقترحوا عليه، أي على السلطان سعيد، أن يُسمي ابنه باسم «أحمد» ليكون «أحمد بن سعيد الثاني»، تيمناً بأحمد بن سعيد، أول سلطان من أسرة

سعد الرميحي

«آل سعيد» الكريمة التي تحكم عُمان منذ سبعينيات القرن الثامن عشر. لكن السلطان سعيد اختار لابنه اسم «قابوس»، وهو من الأسماء التاريخية النادرة عند العرب، مما يدل على ثقافة السلطان سعيد واطلاعه على التاريخ العربي القديم. وهذا ما تم.

في عام 1970، وبالتحديد يوم 23 يوليو، أعلن في عُمان عن تولي الشاب «قابوس بن سعيد» مقاليد السلطة، لتبدأ هذه البلاد مرحلة من التطور والبناء، وقفزات سريعة نحو المستقبل المشرق الذي تستحقه هذه البلاد الكبيرة بتاريخها العريق وحضارتها المتجذرة على مر السنين. وقد حققت عُمان في سنوات قليلة ما عجزت دول كبيرة عن تحقيقه.

زرت سلطنة عُمان مرات عدة، وفي كل مرة تفاجئني هذه النهضة وهذا التطور الذي يتحقق في هذا البلد. ولكن الشيء الذي أبهرني هو ما شاهدته في «دار الأوبرا السلطانية العمانية»، التي يقال إن السلطان قابوس – رحمه الله – هو الذي أشرف عليها وتابع خطوات بنائها حتى اكتملت بهذه الصورة البديعة، فأصبحت إحدى معالم السلطنة التي تستحق الزيارة. ولا يقتصر الأمر على جمال المبنى وروعة تصميمه، بل يمتد إلى وجود فرقة عُمانية تؤدي العروض بقيادة مايسترو عُماني.

لقد زرت هذه الدار واستمتعت بما شاهدته من جمال وروعة التصميم، وحضرت إحدى أمسياتها الموسيقية.

إنني أدعو الله أن يحفظ سلطنة عُمان، ويحفظ صاحب الجلالة السلطان «هيثم بن طارق» وشعبه الطيب الكريم، وأن يعيد عليهم هذه المناسبة المباركة وهم في تطور ونماء وازدهار.

وكل عام وعُمان وأهلها بخير.

والصور المرفقة وأنا في دار الأوبرا السلطانية في مسقط، خلال زيارتي لها في شهر مايو 2022م.

**

مع انطلاقة الموسم الرياضي في قطر لهذا العام، تكون أغلب فرق الأندية قد استعدت الاستعداد المناسب، لعلنا نشاهد هذا العام موسماً استثنائياً بين الفرق المشاركة. ما أتمناه أن يكون التوفيق حليف فريقنا الكبير «الغرافة»، الذي يشهد له القاصي والداني بما قدمه للكرة القطرية من إنجازات ولاعبين وإداريين خدموا الكرة القطرية. ويشهد للغرافة سجله الجميل في لوحة الشرف للأندية التي نالت شرف الفوز بالبطولات الكبيرة.

ومن الأشياء الجميلة التي أسعدتني جداً هو عودة ملاعب المونديال لتتزين بمباريات الدوري، وتشهد صراع الأندية من أجل الفوز.

لحظات أستذكر فيها تلك البدايات المتواضعة، عندما شرعنا في

تأسيس نادينا، وكيف كانت الملاعب وقتها وكيف أصبحت اليوم! إنها مرحلة جميلة لرحلة شاهدنا فيها كيف كنا وكيف أصبحنا.

فالحمد والثناء لله عز وجل، الذي أنعم على هذا البلد بالخيرات، والتي جعلته، بحسن إدارته، واحداً من أفضل دول العالم استثماراً في الرياضة كقوة ناعمة أدخلتنا في ميدان كان حكراً على الآخرين. وها نحن نشاهد أشقاءنا في المملكة العربية السعودية ينهجون نفس المنوال، بإدخال الرياضة وكرة القدم على وجه الخصوص لتكون بوابة دخول كرة القدم العربية إلى الساحة العالمية.

الصورة هذه أُخذت في مايو 1979م، على ما أعتقد، بعد نهاية دورة الخليج الخامسة في بغداد، لحصة تدريب الفريق الأول لنادينا «الاتحاد» (الغرافة حالياً) على أحد الملاعب الرملية، وقبل قرار إشهار النادي رسمياً. وقد خاض الفريق بعض المباريات الودية من أجل الوصول إلى التشكيلة المناسبة التي ستمثل فريق النادي عند إشهاره. ويظهر في الصورة الكابتن زكي، مدرب الفريق ولاعب النادي الإسماعيلي المصري، ومعه مساعده الكابتن عبدالرازق ضاحي، والإداري شخبط المري، وبعض اللاعبين مثل زعل النعيمي، راشد الأنصاري، عبدالواحد وعلي لعبيدلي، ومانع سعود، لاعب منتخب قطر سابقاً.

في ذكـــرى الرحيـــــل

أم كلثوم

خمسون عاماً من الخلود الفني

بحضور كوكب الشرق الراحلة، تفوح رائحة الكلمات بعطرها، وباتساقها، وبزهوها.
صوتٌ مختلف، وحضورٌ آسر، وإطلالة تلفت الأنظار من كل حدبٍ وصوب.
مع أم كلثوم وغنائها، وإبداعها الذي تعجز عن وصفه الكلمات، تمضي القلوب، التي يؤطرها الحب، بعيداً إلى عوالم الإدهاش والروعة، إلى الإيقاع الأجمل، والكلمة الصادقة، وإلى وقفتها المتزنة على خشبة المسرح، وثقتها بنفسها، وطريقتها الفريدة في مخاطبة عشاقها ومحبيها ـ ذلك الجمهور الغفير الذي يتابع همساتها، ويحاكي نجمةً متألقة بحضورها، ورقتها، وعفويتها، وأنوثتها الدافئة.
نعم، إنها أم كلثوم، سحر الشرق، التي أتحفتنا باختيار كلمات أغانيها، وفجرت قنابل الإبداع في أدائها الذي لا يمكن أن يتكرر.
في «عودت عيني على رؤياك»، «يا مسهرني»، «كل ليلة وليلة»، «فكروني»، «فات الميعاد»، «أنت عمري»، «الحلم»، «سيرة الحب»، «أنساك»، «الأطلال»، «حكم علينا الهوى»... وغيرها الكثير، كلها أغنيات طربية أمتعتنا بها النجمة التي تبقى دائماً الاستثناء في كل الفصول.
أم كلثوم، المبهرة بعطائها، في حضورها يحلو الطرب، وتسرح فينا الألفة، والمحبة، والشوق إلى إرثها الفني العظيم.
نعم، إنها أم كلثوم، وما رسخته وأثرته من مكانة وتحفة فنية خالدة في هذا العالم، تستحق منا كلمة حب، ووفاء، وإخلاص... ورحمةً على روحها الطاهرة.

عبد الكريم البليخ

● الرئيس المصري جمال عبد الناصر «وسط» وخلفه أنور السادات «يمين» مع المطربة أم كلثوم والملحن محمد الموجي في القاهرة أواخر الستينيات

تحل الذكرى الخمسون لرحيل سيدة الغناء العربي وكوكب الشرق، أم كلثوم، ولا يزال صوتها يتردد في سماء الطرب العربي، شاهداً على مجد لم يتكرر وشخصية استثنائية حفرت اسمها في وجدان الشعوب العربية. فقد كانت أم كلثوم أكثر من مجرد مطربة، كانت رمزاً ثقافياً وحضارياً للعالم العربي، جمعت بصوتها الفريد بين العاطفة القوية والتعبير الفني الراقي، ما جعلها تتجاوز حدود الزمن لتظل أيقونة خالدة في وجدان الملايين.

النشأة والبدايات

وُلدت فاطمة إبراهيم السيد البلتاجي، الشهيرة بأم كلثوم، عام 1898 في قرية طماي الزهايرة بمحافظة الدقهلية المصرية. نشأت في بيئة ريفية متواضعة حيث كان والدها إمام مسجد وقارئاً للقرآن. منذ طفولتها، ظهرت موهبتها الغنائية الفريدة، حيث كانت ترافق والدها في الإنشاد الديني، متنقلة بين القرى مع فرقة صغيرة تؤدي التواشيح الدينية. ولأن المجتمع الريفي لم يكن يتقبل غناء الفتيات علناً، كانت ترتدي عباءة وعقالاً حتى تبدو كصبي.

في أوائل العشرينيات، قررت الانتقال إلى القاهرة، حيث بدأت رحلتها الحقيقية نحو النجومية. كانت القاهرة آنذاك مركزاً للحركة الثقافية والفنية، وشكّلت هذه النقلة نقطة تحول في حياتها. التقت بأهم الملحنين والشعراء، مثل الشيخ أبو العلا محمد وزكريا أحمد، واللذين كان لهما تأثير كبير في تطوير أدائها الفني. كما بدأت تعاونها مع الشاعر أحمد رامي، الذي كتب لها عدداً كبيراً من الأغاني التي شكلت وجدان المستمعين، وكان حباً لم يتحقق بينهما، لكنه أثرى مسيرتها الفنية.

الصعود إلى القمة

لم يكن الطريق إلى المجد سهلاً، فقد واجهت أم كلثوم منافسة شديدة في الساحة الفنية، لكنها استطاعت فرض نفسها بفضل صوتها الفريد وإتقانها لأداء المقامات الموسيقية الصعبة. كان صوتها يتمتع بقدرة استثنائية على نقل المشاعر والتأثير العميق في جمهورها، ما جعلها تحتل مكانة استثنائية في عالم الغناء العربي.

في ثلاثينيات القرن الماضي، بدأت إذاعة القاهرة في بث حفلاتها الغنائية، ما زاد من شهرتها. كانت حفلاتها الشهرية حدثاً ينتظره الملايين في مصر والعالم العربي، حيث كان المستمعون يحجزون أماكنهم أمام أجهزة الراديو قبل ساعات من بدء الحفل، وكأنهم يستعدون لموعد مقدس. ارتبطت أم كلثوم بأغانٍ خالدة أصبحت جزءاً من التراث الموسيقي العربي، مثل «أنت عمري»، «سيرة الحب»، «الأطلال»، «فكروني»، «فات الميعاد»، و«حكم علينا الهوى». لم تكن مجرد مؤدية للأغاني، بل كانت تشارك في اختيار الكلمات والألحان، وتسعى إلى تقديم عمل فني متكامل يرقى إلى مستوى عالٍ من الجودة.

صوت الأمة

لم يكن تأثير أم كلثوم مقتصراً على المجال الفني فقط، بل امتد إلى الحياة السياسية والاجتماعية. خلال فترة المد القومي في الخمسينيات والستينيات، أصبحت «حنجرة العرب» التي تغني لانتصاراتهم وأحزانهم. دعمت ثورة 1952 وغنّت للقائد جمال عبد الناصر، وأصبحت أغانيها الوطنية رمزاً للفخر القومي.

● أم كلثوم خلال حفلها في قاعة الأولمبيا في باريس

أصبح صوت أم كلثوم مصدراً للإلهام والقوة، مما جعلها تتخطى كونها مجرد مطربة لتصبح رمزاً للأمل والصمود

في أعقاب نكسة 1967، لم تقف أم كلثوم مكتوفة الأيدي، بل نظمت جولات غنائية في عدة عواصم عربية، وجمعت ملايين الجنيهات لدعم الجيش المصري. كانت هذه المبادرة تعبيراً عن وطنيتها العميقة ودورها المحوري في وجدان الأمة. كانت مصر تمر بمرحلة صعبة، وأصبح صوت أم كلثوم مصدراً للإلهام والقوة، مما جعلها تتخطى كونها مجرد مطربة لتصبح رمزاً للأمل والصمود.

كانت أم كلثوم شخصية صارمة ودقيقة في عملها، تهتم بكل تفاصيل الأداء، مما أكسبها احترام جمهورها وزملائها في الوسط الفني. كانت تحرص على تقديم نفسها بأسلوب راق، فلم تكن تظهر كثيرًا في وسائل الإعلام، وكان ظهورها مقتصراً على حفلاتها الغنائية. هذه الهالة الغامضة زادت من سحرها وجاذبيتها.

قال عنها الأديب عباس محمود العقاد: «المؤرخون سيجدون أنفسهم بعد ألف عام مضطرين إلى العودة إلى صوت أم كلثوم كأحد أهم المراجع التاريخية عندما يكتبون تاريخ العرب». أما طه حسين، عميد الأدب العربي، فقد وصف صوتها بأنه «ساهم في إثبات جمال اللغة العربية وطواعية موسيقاها حتى في أصعب الكلمات».

كانت أم كلثوم شخصية صارمة ودقيقة في عملها، تهتم بكل تفاصيل الأداء، مما أكسبها احترام جمهورها وزملائها في الوسط الفني

الرحيل والبقاء

في 3 فبراير 1975، رحلت أم كلثوم عن عالمنا بعد صراع مع المرض، لكن رحيلها لم يكن مجرد حدث عابر، بل كان فاجعة هزت العالم العربي. خرجت الملايين في جنازتها في مشهد مهيب لم تشهد له مصر مثيلاً، وبدت شوارع القاهرة وكأنها تغرق في الحزن.

لكن رغم مرور خمسين عاماً على رحيلها، لم يبهت حضورها. لا تزال أغانيها تُعاد تقديمها بأصوات حديثة، وتدرس موسيقاها في المعاهد الموسيقية. أعمالها تبث عبر الإذاعات والقنوات، وصورتها لا تزال تحتفظ بمكانة مميزة في الوجدان العربي.

لم يكن إرث أم كلثوم مجرد مجموعة من الأغاني، بل كان تجربة ثقافية وإنسانية متكاملة. استطاعت أن تحافظ على مكانتها كرمز ثقافي لا يتكرر، بصوتها الذي عبر الزمان والمكان، وحمل معه تاريخاً من المشاعر والتجارب. صوتها لم يكن مجرد وسيلة للطرب، بل كان سجلاً للحظات الفرح والحزن والانتصار والانكسار في تاريخ العرب.

لم تكن أم كلثوم مفكرة أو سياسية، لكنها كانت الصوت الذي وحد العرب حين فرقتهم السياسة، وجعلتهم يجتمعون حولها في لحظات نادرة من الانسجام. لم يكن هناك صوت آخر استطاع أن يترك هذا الأثر العميق الذي تركته أم كلثوم، صوتٌ حمل تاريخاً وشعوراً جمع بين الطرب والوجدان، وجعلها أيقونة لا تمحى من صفحات الزمن.

بعد خمسين عاماً، لا يزال كوكب الشرق يشع نوره، ويظل صداها يتردد في وجدان عشاقها، لتبقى أم كلثوم، المرأة التي غنّت بحنجرتها ما لم يستطع الآخرون كتابته بأقلامهم، سيدة الغناء العربي التي لا تموت.

الإعلامية الدكتورة سهام جبريل:

المرأة المصرية تاج على الرؤوس

المرمار محمد عاصم

** جزيرة سيناء المصرية، بوابة مصر الشرقية، شهدت على مر التاريخ سلسلة من الأحداث البطولية التي جعلتها رمزاً للصمود والنضال. من حرب 1948 مروراً بحرب الاستنزاف (1967 - 1973) وحتى نصر أكتوبر العظيم عام 1973، كانت سيناء ساحة لملحمة وطنية خالدة أثبت فيها الجيش المصري قدرته على دحر أسطورة الجيش الإسرائيلي واستعادة أرض الفيروز.

** في قلب هذه الأرض التاريخية، وتحديداً في مدينة العريش، وُلدت الإعلامية الدكتورة سهام عز الدين جبريل، ابنة سيناء التي أصبحت واحدة من أبرز الشخصيات الوطنية والاجتماعية في مصر. لم تكن مجرد إعلامية، بل رمزاً للنضال من أجل حقوق المرأة والتنمية المستدامة.

** نشأت الدكتورة سهام جبريل في بيت يعكس قيم الوطنية والانتماء. كان والدها، الشيخ محمد عز الدين جبريل، أحد أبطال حرب أكتوبر 1973، الذين أسهموا في تحقيق النصر واستعادة الأرض المحتلة. حصل والدها على نوط الامتياز من الرئيس الراحل أنور السادات تقديراً لدوره البطولي، ليصبح مثالاً يُحتذى به في العطاء والتضحية.

** بعد أن أنهت دراستها الثانوية، التحقت بكلية الإعلام في جامعة القاهرة، وتخرجت فيها لتبدأ مسيرة أكاديمية حافلة. حصلت على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها حول الإعلام المصري وعلاقته بدول حوض النيل وقضايا الأمن القومي.

** لم تقتصر إنجازاتها على الجانب الأكاديمي، بل امتدت إلى العمل المؤسسي، حيث كانت عضواً بارزاً في المجلس القومي للمرأة، وشغلت منصب مقررة لجنة المحافظات لعدة سنوات. كما انتُخبت عضواً في مجلس الشيوخ المصري لدورتين متتاليتين، ما يعكس ثقة المجتمع في كفاءتها وقدرتها على القيادة.

** كرست الدكتورة سهام حياتها لتعزيز دور المرأة في المجتمع المصري، وكانت دائماً في طليعة المدافعات عن حقوقها. نظمت عشرات الندوات والحلقات النقاشية التي تناولت قضايا المرأة، وأسهمت في رفع الوعي بأهمية المشروعات الصغيرة التي تناسب طبيعة البيئة السيناوية، حيث دعمت السيدات لخلق فرص عمل مستدامة لهن.

** أسهمت أيضاً في تأسيس جامعة سيناء لتكون منارة تعليمية لأبناء المنطقة، كما أنشأت العديد من المراكز الصحية لتوفير الرعاية الطبية للأسر السيناوية. بفضل جهودها، أصبحت المرأة السيناوية أكثر وعياً بمسؤولياتها الاجتماعية والاقتصادية، ما ساعدها على المشاركة الفعّالة في بناء مجتمعها.

** في 21 مارس 2024، خلال احتفال الرئيس عبد الفتاح السيسي بعيد الأم وتكريم المرأة المصرية المثالية، تم عرض فيديو توثيقي يبرز إحدى مبادرات الدكتورة سهام. أشرفت على مشروع لدعم الأسر السيناوية من خلال إنتاج أكثر من 1600 كيس مزين بالزخارف السيناوية التقليدية. هذه المنتجات اليدوية، التي شملت زيت الزيتون، التين المجفف، الأعشاب البدوية، وغيرها، كانت نموذجاً ناجحاً لصناعات تراثية صديقة للبيئة.

** تقول الدكتورة سهام جبريل إنه خلال شهر واحد تم تنفيذ أربع دورات تدريبية لإنتاج مشغولات يدوية بالتعاون مع مركز تنمية المهارات التابع للمجلس القومي للمرأة. هذه الدورات تُعد ترجمة حقيقية لفكرة تمكين المرأة اقتصادياً، لا سيما في المحافظات الحدودية، حيث يُستثمر المنتج الحرفي والبيئي. تضيف الدكتورة أن هذه المشروعات تُصنف كمشروعات خضراء صديقة للبيئة، تسهم في تنمية صناعات مستدامة، وتعزز قيم المنتج التراثي من خلال توثيقه وضمان استمراريته.

** ترى الدكتورة سهام أن الهدف لا يقتصر فقط على تحقيق التوازن بين التراث التقليدي ومتطلبات العصر، بل يسعى أيضاً إلى الإضافة الإيجابية للتراث بما يواكب أهداف التنمية المستدامة.

** تؤكد الدكتورة سهام جبريل أن المرأة المصرية تعيش حالياً عصرها الذهبي، مستشهدةً بوجود العديد من النساء في مواقع قيادية ومؤثرة. فاليوم، لدينا وزيرات في الحكومة، وعضوات في مجلس البرلمان والشيوخ، كما التحقت المرأة بالعمل القضائي وتولت مناصب المحافظ والسفيرة.

> **تؤكد الدكتورة سهام جبريل أن المرأة المصرية تعيش حالياً عصرها الذهبي، مستشهدةً بوجود العديد من النساء في مواقع قيادية ومؤثرة وأحرزت نجاحات بارزة في مختلف المجالات، من العمل كقاضية ومحافظة ووزيرة، إلى أدوارها كباحثة في علوم الفضاء، وفقهية في علوم الدين، وعالمة في التكنولوجيا**

إضافة
إلى ذلك،
هناك برامج مثل معاش
«كرامة» الذي يدعم
المرأة التي ليس لها عائل، ما يعكس التقدم الكبير في دعم حقوقها وتمكينها.

** تشير الدكتورة سهام إلى التاريخ المشرف الذي صنعته المرأة المصرية في الحياة العامة، والقضايا الوطنية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية. وتضيف أن المرأة أحرزت نجاحات بارزة في مختلف المجالات، من العمل كقاضية ومحافظة ووزيرة، إلى أدوارها كباحثة في علوم الفضاء، وفقهية في علوم الدين، وعالمة في التكنولوجيا.

** ترى الدكتورة سهام أن هناك حراكاً اجتماعياً يسعى للنهوض بمكانة المرأة، مشددةً على أهمية الوعي باستخدام منصات التواصل الاجتماعي، التي رغم فوائدها، أسفرت عن سلبيات عديدة. تؤكد ضرورة التركيز على التوعية بحقوق المرأة، مثل حقها في الميراث والتعليم، ومحاربة التحرش اللفظي والجسدي، ودعم حقها في السفر، والترشح، والتصويت في الانتخابات، والمشاركة الاقتصادية. وتؤكد على أن المرأة المصرية بخير، وهي قادرة على النهوض بمسؤولياتها الاجتماعية والاقتصادية، وتحقيق النجاح في مختلف المجالات، لتظل رمزاً للتضحية والعطاء، وعنواناً للقيم النبيلة.

** تصف الدكتورة سهام المرأة المصرية بأنها «تاج على رؤوس الجميع»، مشيرةً إلى تضحياتها الكبيرة من أجل الأسرة والأبناء. تؤكد أن المرأة المصرية تدرك مكانة الأب والأم في الأسرة، وتحافظ على القيم النبيلة. كما تسلط الضوء على المرأة في الريف، التي تعمل بجد لتربية الأجيال، وتأمين المعيشة، مع قدرة مدهشة على تحقيق التوازن بين متطلبات الحياة والدخل الاقتصادي.

وسواس قهري

يكتبها عبد الله العجمي

يقول المتنبي:
فطَعمُ الموتِ في أمرٍ صغيرٍ
كَطَعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ
لم يخَبرنا أَحد، وهوَ يحتضر عن طعم الموت، ولا عن نكهته، إن كان سُكّر زيادة أم "سادة"، أيها السادة...
ويقول في موضع آخر:
لولا المشقّةُ سادَ الناسُ كُلُّهمُ
ألجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قَتّالُ
الجود لم يُفقر حاتم الطائي، والإقدام لم يقتل خالد بن الوليد، الذي مات ميتة العير حتف أنفه!
ويبقى المتنبي "مالئ الدنيا وشاغل الناس"، في الأولين والآخرين...
يحكي الجواهري، شاعر العراق، عن موقف جاء فيه إليه شاب يعرض عليه شيئاً من شعره، فوجد الجواهري أنَّ هذا الشاب تافه، وشعره أتفه منه، لكنه أصرَّ بإلحاح أن يعرف رأي الجواهري فيما ألقى عليه، فوقع عليه الرد كالصاعقة!

قال الجواهري بحكمة:
"يا بُني، الشعراء ثلاثة: شاعرٌ كبير، وشاعر، وحمار!".
ثم أردف:
"أما الشاعر... فهو أنا!
بقي الشاعر الكبير والحمار، وهما بينك وبين المتنبي... فاختر لنفسك ما يُناسبك!"
وطبعاً، الشاب اختار لنفسه صفة "الشاعر الكبير"!

**

كل مجلات الموضة في عام 1982 رشحت اللاعب البرازيلي إيدير آنذاك كأجمل لاعب في البطولة. لم يكن الترشيح سهلاً على خبراء الموضة والوجوه "الفوتوجينيك"، فاحتاروا حيرة الكلبة "لايكا" عندما صعدوا بها إلى القمر! احتاروا بين "الخيار والطماط الخايس"، وبين لاعب منتخب الكويت محمد كرم!

فاز إيدير باللقب، بسبب مواصفاته التي "زي بتوع السينما"، بعد منافسة مريرة مع محمد كرم، الذي كانت مواصفاته أقرب إلى مواصفات "مطيرجية الحمام"!
اللاعب المدفعجي الوسيم إيدير، يبدو أن الزمن هو ألدّ أعداء الشباب!
وهو الذي جعل ذلك الأعرابي الدميم يقول: "ألا ليت الشبابَ يعودُ يوماً...".
شُيّابُنا اعتادوا الكذب علينا... كلهم يقولون: "عندما كنا شباباً، كانت وسامتنا يُضرَب بها المثل، وكنا نعذّب قلوب العذارى عند موارد الماء!".
أي جمال كان سيكون في تلك البيئة الصحراوية، التي لا يقدر على مجابهتها إلا الضب، و"شُيّابُنا" الذين يشتركون مع الضب في الجلد والملامح؟!

**

النمس الذي لا يمكن استخراج الدبس من ذيله!
كرّ مرجزاً برائعة علي بن الجهم:
"عيونُ المها بين الرصافة والجسر
جلبنَ الهوى من حيث أدري ولا أَدري".
عقله الكامن في مؤخرته أوحى له بأنه قادر على التهام البقرة الوحشية، والتي اسمها الفني "المها" (أخت المها)!
اسم هذا الكائن الشرس هو "غرير العَسل"، لكنه كالنمس، لا يمكن استخراج العسل من ذيله!

**

الحاكم المسخ، الذي لولا فرنسا وبريطانيا العظمى، ما حكم "عشّة دجاج"، يملك عنجهية نابليون، وغطرسة هتلر، ونذالة موسوليني! يرى الشعب على أنه دجاج، ويُنصِّب عليهم ديكة عقيمة، تصدر الجعجعة بلا طحين، والديك "يُدّن ولا يصلي"!
لو اختلفت دجاجة مع هذا المَسخ حول حالة

وسواس قهري

الطقس، لسلّط عليها عاصفة الغضب الساطع، وجعلها مكعب مرقة ماجي تحتسيها كلاب الأثر!
قالت للشعب الذي طالب بالخبز: "كلوا كيك!"، ولم تقل: "كلوا تبن!"...
فوضعها الشعب تحت المقصلة.
أنا لا أحب شوربة ماجي... وأخاف شوربة العدس!

**

ليفربول متصدر الدوري الإنجليزي، يغرد خارج (الصرب)، أضف إلى أنه متصدر دوري أبطال أوروبا...
لولا وجود المصري ـ فخر العرب ـ محمد صلاح بين صفوف "الريدز"، لما كان هذا سيحدث هذا الموسم!
صلاح لا يزال يجعل غول الأهداف هالاند يلهثُ خلفه!. صلاح الآن، بكل تجرد، أبرز وأفضل لاعب في العالم!
كاد أن ينتحر كروياً وينتقل إلى دوري العواجيز، ويلعب للهلال مع البليهي!
"يا نهار إسود... يا نهار مش فايت!".
ما جعل صلاح محبوباً جداً هو أنه ليس أهلاوياً ولا زملكاوياً، فأحبّه الأهلاوي والزملكاوي معاً.
لو ذهب للهلال، لاكتسب كرهاً مجانياً من النصراويين والاتحاديين!
لا تذهب للهلال يا صلاح، أصلحك الله، حتى لو أصبحت تمشي بعكازات...
اذهب إلى النصر!

**

قبل أيام، اكتشفت أنني أحب برشلونة من منطلق "الغش التجاري"!
أحب برشلونة، ويحب ثوري بقرتها! فريق يفرض حبه على الجميع، حتى الحكام يحبونه، ويُغدقون عليه من عدالتهم التي تنافي عدالة السماء!
ضربة جزاء لـبنفيكا تتحول بسرعة البرق إلى هدف خامس لـ البرشا...
ثم يقولون: ريمونتادا!
غالباً، إن أحدث فريق إسباني ريمونتادا، ففتش عن "الغش التجاري"!
أنظف ريمونتادا حدثت، هي تلك التي أنجزها ليفربول على البرشا و"طريقها" على رأس البرشا... وميسي معهم!

**

أنا أشك، إذن أنا موجود (في البيت). باتت شكوكي اليوم أكبر من الأمس. هذا العالم يُدار من حجرة تحت الأرض، تلك الحجرة فيها كهنة وحاخامات وجن، يلعبون الورق والشطرنج، ويأكلون حلوى الخطمي. هم المخ المتطور جداً.
الذراع اليمنى لهم هي أمريكا، تنفّذ ما يأمرون به من مكائد: إسقاط الأنظمة، الحروب، الاقتصاد، نشر الأوبئة، رفع وخفض سعر الدولار...
هذه الحجرة، أسميها تفخيماً "الحجيرة". مثل إيماني بوجود الجن، أجزم بأنها موجودة تحت نيويورك، ولا شك عندي في ذلك. ولا أحتاج إلى سؤال أبي بكر سالم: "حدّ في الحجيرة؟".
لأنها، كما أسلفت، تعجُّ بالكَهَنة والحاخامات والجن، يلعبون القمار، يقامرون بالعالم العربي!
لا نملك ردعهم إلا بالدعاء الصادق، وهنا أحتاج أبا بكر سالم، وأحتاج قوله: "يا رب الأرباب، ساعدني وكن عوني!"
ما تبقى من عقلٍ عندي يقول إنني مصاب بداء الشك، وبعضٍ من الوسواس القهري... والرباط الصليبي!. (ركّز على الصليبي).

**

"يا قاع ترابك كافور"... الأغنية الأشهر إبّان الحرب العراقية ـ الإيرانية، التي كنا نرددها في الكويت أكثر من ترديدنا أغنية "آه يا الأسمر يا زين" لـ عبد الكريم عبد القادر!
يقول مطلعها:
"يا قاع ترابك كافور / عَ الساتر هلهل شاجور".
عَ الساتر (على الخندق)، هلهل شاجور (زغردَ رصاص شرشور الرصاص).
كنا في الكويت مع العراق قلباً وقالباً... عند تحرير "الفاو" من الإيرانيين، فرحنا، وعند تعمير "الفاو" من الخراب، انطلقت حملات التبرع الرمزية لإعادة الإعمار، من المدارس والجمعيات والمؤسسات. ولا أنسى مبادرة نساء الكويت بالتبرع بحليّهن الذهبية...
كنا في الكويت ننام على القومية العربية ونصحو عليها، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي نمنا فيه وصحونا على... قادسية صدام تحتل قادسية جاسم يعقوب!.
مُلحن الأغنية الحربية ومغنيها، مغمورٍ اسمه علي عبد الله، والذي يظهر في الفيديو واقفاً خلف الميكروفون بلباسه العسكري. لحنه الحماسي هذا كان كـ "بيضة الديك"... باض ولم يبض بعدها!.
في آخر أيام قادسية صدام، هرب من العراق، ولجأ إلى الأردن... وهو الآن دكتور في إحدى جامعات الأردن، يدرّس فن العمارة.

**

في زمنٍ كانت فيه الإذاعة عبر الأثير تبعث الأوكسجين في صدورنا، ماتت الإذاعة... وما زلنا نعيش بلا أوكسجين!
كنت مسحوراً بالراديو وأنا بعمر "زهور الشوك".
هوايتي كانت ركوب موجات الأثير، أبحث عن أغنية، فأجد فيروز في الصباح الباكر قد نهضت من النوم قبل الجميع...
إذاعة الكويت كانت ساحرة آسرة ببرامجها البديعة، وأذكر البرنامج الأشهر "أخبار جهينة".
وأذكر إذاعة صوت الجماهير من بغداد، التي كانت تمتلئ بالأغاني العسكرية أيام الحرب العراقية الإيرانية: "عونج يا قاع"، و"إحنا مشينا للحرب"، و"منصورة يا بغداد". وعلى الموجة الطويلة، صوت العرب من القاهرة، برامج منوعة هادفة ومفيدة.
ومن السعودية، إذاعة القرآن الكريم، وفي الصباح برنامج الزراعة وأغنيته الشهيرة: "ازرع أرضك".
ارتبط صوت طلال مداح في وجداني بأغنيته "وطني الحبيب" عبر الإذاعة السعودية في جدة والرياض.
في أوائل الثمانينيات، كنت أتابع الدوري الإنجليزي عبر إذاعة لندن، بصوت المعلق افتيم قريطم، وأسمع الأخبار بصوت ماجد سرحان الرخيم.
الإذاعة كانت هي: "مالئة الدنيا وشاغلة الناس".
وكانت هي: "والأذن تعشق قبل العين أحياناً".
لا أستطيع أن أكمل... أخشى أن أدخل في نوبة بكاء "ولا أحد درى عني".
أما وإن علم أبو جلال بأني أذرف الدمع الهتون، فحتماً سيرسل لي قنابل مسيلة للدموع!
سأضطر أن أقطع الإرسال...

**

في هذه الليلة الباردة، ريحٌ عاتية تعزف على النافذة بأنين الناي...
نايُ راعٍ يعزف لحناً حزيناً للنعجة التي أكل الذئب صَغيرها، أو كأنه عواء ذئب جائع لم يتسنَّ له أكل صغير النعجة، التي تستمع إلى عزف الراعي المنفرد على الناي. وأنا جالس القرفصاء، متدثراً بالفروة، أشاهد فيلماً على التلفاز.
كاميرون دياز تميس بقوامها الرشيق، وشعرها المُذهّب، جميلة، كأنها ذئبة أرملة قتل الثعلبُ ذئبها في كمين محكم بمكر...
أغيّر المحطة بأطراف أصابعي الباردة، فأجد سلمى حايك، تحيك الفتنة في كل مشهد. أغلق التلفاز، وأهمّ بالنوم... راجياً أن تلاقيني سلمى حايك في الحلم!

● كاتب كويتي

في سورية

المناهج المدرسية مقدمة التغيير أم نهايته ؟

المرمار سميرة المسالمة

تُعد المناهج الدراسية من أهم الأدوات التي تُستخدم لتشكيل وعي الأجيال القادمة، فهي ليست مجرد وسيلة لنقل المعرفة، بل هي أيضاً وسيلة لتوجيه الفكر وإرساء القيم، ما يفترض ذلك أن عملية تغيير المناهج الدراسية سواء كان ذلك بهدف تحديثها أو تنقيتها، تكون مدروسة بعناية، لضمان عدم استخدامها كسلطة رقابية فكرية لفرض رؤى أو أفكار معينة، حيث يُستخدم التعليم عند السلطات المستبدة، كأداة لتوجيه العقول نحو اتجاهات محددة تخدم مصالح سياسية أو أيديولوجية محددة، بما يخرجه عن مهمته الأساسية في فتح أبواب المعرفة الشاملة أمام التلاميذ، وبناء ذواتهم المستقلة والفاعلة.

في سورية، ربما يمكن القول إن حكومة تسيير الأعمال كانت محقة في الإسراع بإجراء سريع طاول المناهج الدراسية بعد انتصار الثورة (2024/12/8)، وهروب رئيس النظام من البلاد بعد حربه المدمرة على شعبه، وهنا أقصد ما أعلن عنه من تحرير المناهج من تمجيد النظام السابق، وهذا حق، وهو مطلب شعبي غايته إزالة المواد التي كانت تُكرّس لسلطة الحزب الواحد، وتروج لأفكار النظام الحاكم، وبخاصة أنها في الأساس بدون أي قيمة تاريخية أو علمية.

إلا أن عملية التغيير هذه، سرعان ما تحولت إلى ساحة للصراع الأيديولوجي –السياسي، بسبب أنها امتدت إلى ما هو أبعد من مجرد إزالة محتوى دعائي للنظام السابق، لتطاول تغييرات علمية واجتماعية في محتوى المناهج، فمع أهمية حذف الدروس المتعلقة بتمجيد نظام الأسدين (الأب والابن) لكن في المقابل، تم التعاطي مع نواح أخرى بخلفيات أيديولوجية أو تعتيم على معلومات علمية، وهو ما أدى إلى اعتبار أنه تم إدخال محتوى يخدم التوجهات السياسية للحكم القائم الحالي، ما جعل العملية تبدو وكأنها أداة للرقابة الفكرية أكثر منها عملية تنقية للتعليم.

فالمناهج الدراسية هي أكثر من مجرد كتب دراسية، لأنها تشكّل الأساس الذي يُبنى عليه وعي الطلاب، وأي تحول بهذه المناهج عن طبيعته التعليمية، يُؤثر على طريقة تفكيرهم وتقييمهم للعالم من حولهم، وعليه، فإن التدخل في المناهج الدراسية لتوجيه الفكر أو حذفه أو تغييره بما يتناسب مع رؤية معينة يُعد نوعاً من الرقابة الفكرية التي تقيّد حرية التفكير والنقد.

التدخل في المناهج الدراسية يُعد نوعاً من الرقابة الفكرية التي تقيّد حرية التفكير والنقد

ولعل من المهم التأكيد على أن تدخل الرقابة الفكرية في التعليم لا يقتصر فقط على حذف أو إضافة مواد دراسية، بل يمتد إلى كيفية تقديم المحتوى، وطريقة تدريس المواد. فالرقابة على المناهج قد تشمل أيضًا التدخل في اختيار الكتب الثقافية، والتأثير على طريقة تقديم المعلومات في الفصول الدراسية، بل قد تصل إلى فرض قيود على المعلمين في كيفية مناقشة الموضوعات الحساسة، حيث تؤثر كل هذه الممارسات في قدرة الطلاب على التفكير النقدي وتكوين آرائهم المستقلة.

وعلى رغم أنه في عصر العولمة والانفتاح الرقمي، من الصعب على الحكومات فرض رقابة شاملة على الفكر من خلال المناهج الدراسية أو غيرها، حيث أتاح الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي للطلاب والمهتمين بالمعلومات الوصول إلى مصادر تعليمية متعددة ومتنوعة، والخشية من أن تكون تلك المصادر من الناحية العلمية، أكثر دقة وشفافية من المناهج التعليمية، ما قد يفقد العملية التعليمية ثقة الطلاب وأهاليهم، لأن التعليم الرسمي والمناهج الدراسية هو المصدر الأساسي لتشكيل الفكر الجمعي، مما يجعل من مسؤولية التدقيق في المناهج وصدقيتها وانفتاحها على العلوم والنظريات العلمية ضرورة، حيث ينظر لها أنها هي المجال الأكثر تأثيراً في

يجب أن تكون عملية تعديل المناهج شفافة ومدروسة، بعيدًا عن الأجندات السياسية أو الأيديولوجية

بناء وعي الأجيال الجديدة.
من هنا، تبرز أهمية القول، بضرورة أن تكون عملية تعديل المناهج شفافة ومدروسة، بعيداً عن الأجندات السياسية أو الأيديولوجية، فالمناهج أداة لبناء الفكر النقدي وتشجيع التفكير المستقل، وضمان أن التعليم يُعزز من قيم الحرية، والمساواة، والتسامح، والعدالة، ويُتيح للطلاب فرصة التعبير عن آرائهم والتفاعل مع أفكار متنوعة.
إلى جانب المناهج الدراسية، تلعب هيئة التدريس دوراً رئيسياً في تشكيل البيئة التعليمية، أي أن هذه الهيئة قد تتعرض أيضًا للتغيير ضمنًا حيث يمكن لضغوط اجتماعية وسياسية أن تؤثر على استقلاليتها وحتى على خياراتها الشخصية، في بعض السياقات، مثلًا قد تجد المعلمات أنفسهن مضطرات لارتداء الحجاب أو التظاهر بارتدائه كوسيلة لضمان بقائهن في وظائفهن، خاصة في ظل بيئات تُفرض فيها معايير اجتماعية أو أيديولوجية صارمة، هذا التوجه لا يقتصر على كونه قيداً على حرية الأفراد، بل يمتد ليؤثر على طبيعة التعليم نفسه، حيث يعتبر هذا إحدى وسائل المنهج الخفي في التغيير.
ولتوضيح ذلك، أستعين بما دلل عليه الكاتب أنس غنايم في مقال له منشور في موقع الجزيرة في 2017/7/18 في معرض حديثه عن تغيير المناهج في الأردن من تأثير المنهج الخفي على التلاميذ أيضًا حيث يرى الباحث جان مارتن بأنّ المنهج الخفي هو «التعلم العرضي غير المقصود الذي يؤدي إلى تحقيق أهداف غير مخطط لها بالإضافة إلى تلك الأهداف المخطط لها»، ومن ذلك العرض أمكن تحديد المفهوم الإجرائي للمنهج الخفي بأنه «القيم والمعايير والمعتقدات المنقولة للتلاميذ بدرجة كبيرة من خلال اللاوعي والعمليات اللا نظامية في بيئة وبنية المدرسة».
بمعنى أن المعلمين يصبحون أدوات لنقل قيم معينة تعكس رؤية السلطة أو المجتمع المهيمن، بدلاً من أن يكونوا وسطاء للتفكير الحرّ والنقدي، وعندما تُفرض مثل هذه المعايير، فإنها تُرسل رسالة ضمنية للطلاب بأن الامتثال هو الخيار الوحيد، مما يُضعف من قدرتهم على استيعاب قيم التنوع والتعددية.
إن خيارات التعديل والتغيير تبقى دائما في أيدي السلطات الحاكمة عندما تغيب سلطة الشعب عليها، ولذا فإن الجمهورية (السورية) الثالثة التي تتشكل معالمها اليوم تحتاج، بعد النصر الكبير الذي تحقق، إلى النهوض بالعملية التعليمية لأنها إحدى أهم الركائز التي تُبنى عليها المجتمعات، وإن أي تدخل غير مسؤول في المناهج قد يؤدي إلى تكريس الانقسامات الفكرية والاجتماعية، في وقت سورية أحوج ما تكون فيه إلى توحيد الجهود للنهوض بها في كل المسارات، وأولها التعليم لأنه أساس بناء مجتمع أكثر نضوجًا وتسامحًا وابتكارا.

إن خيارات التعديل والتغيير تبقى دائما في أيدي السلطات الحاكمة عندما تغيب سلطة الشعب عليها، ولذا فإن الجمهورية (السورية) الثالثة التي تتشكل معالمها اليوم تحتاج، بعد النصر الكبير الذي تحقق، إلى النهوض بالعملية التعليمية لأنها إحدى أهم الركائز التي تُبنى عليها المجتمعات

كاتبة سورية

ما مبرر قمع الصحفيين في سوريا؟

عبد الكريم البليخ

لطالما كانت الصحافة تُعتبر صوت الشعوب وصانع التحولات، فهي السلطة الرابعة التي تلعب دوراً محورياً في كشف الحقائق ومساءلة السلطة. إلا أن هذا الدور النبيل تلاشى تحت حكم النظام البائد في سوريا، حيث تم تقييد الصحفيين وتحويلهم إلى أدوات دعائية تُكرّس سياسات النظام بدلاً من أن تُسائلها.
في ظل النظام البائد، أحكمت السيطرة على الصحافة عبر منظومة متكاملة من التقييد والترهيب، حيث لم يكن للصحفي حرية في اختيار موضوعاته أو صياغة كلماته. فقد جُرّد الإعلام من وظيفته الأساسية كمراقب ومستقل ليصبح خاضعاً تماماً لتوجيه السلطة، لا يعكس سوى روايتها المزعومة للواقع.
كانت الأجهزة الأمنية تمسك بمفاتيح العمل الإعلامي، حيث قامت بفرض رقابة صارمة على الصحف والقنوات والمواقع الإخبارية. كان هناك ما يُعرف بـ»الخطوط الحمراء» التي لا يمكن الاقتراب منها. هذه الخطوط شملت كل ما يتعلق بالفساد المستشري داخل مؤسسات الدولة، أو إخفاقات النظام في إدارة الاقتصاد، أو انتهاكات حقوق الإنسان.
أي محاولة للخروج عن هذا الإطار كانت تُعتبر «تجاوزاً خطيراً»، يُقابل بالاعتقال، الإيقاف عن العمل، أو حتى النفي. كان الصحفي يعلم جيداً أن أي كلمة قد تزعج السلطة قد تكلفه حريته أو حياته. وهذا خلق مناخاً من الرقابة الذاتية، حيث كان الصحفي يضطر إلى الابتعاد عن أي موضوع قد يُفسّر كمعارضة للنظام، مُفضلاً السلامة الشخصية على البحث عن الحقيقة.
اختفت في تلك الحقبة الصحافة الاستقصائية التي تُعتبر ركيزة أساسية لأي إعلام حر. لم يكن بإمكان الصحفيين إجراء تحقيقات تكشف الفساد أو تُظهر التناقضات بين الخطاب الرسمي والواقع المعيشي. وإن ظهرت بعض التحقيقات الجريئة، فقد كانت موجهة لخدمة أجندات داخلية أو صراعات بين أجنحة النظام.
تحوّلت الصحافة إلى ممارسة سطحية، حيث اكتفى الصحفيون بنقل البيانات الرسمية وتلميع صورة السلطة، فيما غابت القضايا الجوهرية التي تمس حياة المواطنين. بهذا الشكل، أصبح الإعلام أداة تضليل، يخلق صورة زائفة تُطمئن الشعب بينما تتفاقم الأزمات الحقيقية في الخفاء.
لم تقتصر آثار هذه السيطرة على الصحفيين وحدهم، بل امتدت لتشمل الجمهور الذي فقد ثقته في وسائل الإعلام المحلية. مع مرور الوقت، بات المواطنون ينظرون إلى الصحافة كوسيلة تضليل بدلاً من أن تكون مصدراً للمعلومات الموثوقة. وقد أدى هذا الانهيار في المصداقية إلى لجوء الناس إلى مصادر إعلامية خارجية أو وسائل غير رسمية للحصول على المعلومات.
أما الصحفيون، فقد عاشوا حالة من الإحباط المهني. كثيرون اضطروا لمغادرة المهنة أو العمل تحت مظلة الخوف الدائم من الخطأ، فيما لجأ آخرون إلى الخارج ليجدوا مساحة أكبر للتعبير.
بسقوط النظام البائد، بدأت تظهر ملامح التغيير في المشهد الصحفي. أزيلت بعض القيود، وأصبح من الممكن الحديث عن قضايا كانت تُعد محظورة في الماضي. مع ذلك، فإن إعادة بناء الإعلام الحر ليست مهمة سهلة. فبعد سنوات طويلة من السيطرة والتحكم، يحتاج الصحفيون والمؤسسات الإعلامية إلى استعادة ثقة الجمهور من خلال تقديم محتوى صادق، مهني، ومستقل.
تحديات المرحلة الجديدة ليست أقل تعقيداً. فرغم توفر مساحة أكبر للحرية، لا تزال هناك محاولات من أطراف مختلفة للتأثير على الصحافة لتحقيق مصالحها. لهذا، يحتاج الإعلاميون إلى تطوير أدواتهم وتعزيز قدراتهم على العمل بمهنية بعيداً عن أي ضغوط سياسية أو اقتصادية.
إن وجود صحافة حرة ليس مجرد حق يُمنح للصحفيين، بل هو شرط أساسي لبناء مجتمع ديمقراطي. فالإعلام الحر يُسهم في تعزيز الشفافية، مكافحة الفساد، ودفع عجلة التغيير نحو الأفضل.
ومع انبلاج فجر جديد، تقع على عاتق الصحفيين مسؤولية ضخمة: إعادة تعريف دورهم كمرآة تعكس قضايا المجتمع بدقة وموضوعية. عليهم أن يعملوا على تقديم تحقيقات جريئة تكشف الحقيقة دون تحيّز، وأن يصبحوا صوتاً للمواطنين بدلاً من أداة لأي سلطة أو جهة.
ما حدث للصحافة في ظل النظام الأسدي البائد يذكّرنا بمدى خطورة قمع الإعلام، فهو ليس مجرد اعتداء على حرية الصحفيين، بل محاولة لقمع الحقيقة نفسها. ومع تحرر الإعلام من قبضة النظام، هناك فرصة حقيقية لإعادة بناء هذه المهنة النبيلة.
لكن الحرية وحدها لا تكفي. يحتاج الإعلام إلى استثمار في التعليم، التدريب، والتوعية بمبادئ الصحافة الأخلاقية. يحتاج إلى جمهور يُقدّر أهمية الإعلام الحر ويُدافع عنه كجزء من نضال أوسع لتحقيق العدالة والشفافية.
في النهاية، يبقى الإعلام الحر حجر الزاوية لأي مجتمع ينشد الديمقراطية. وما ضاع دوره في الماضي إلا ليعود أقوى، حاملاً راية الحقيقة ومتطلعاً نحو مستقبل يُحترم فيه القلم والكلمة.

من الجمود إلى التغيير

هل ينهض الإعلام السوري من كبوته؟

كتب - رئيس التحرير:

وزارة الإعـــلام
Ministry of information

الإعلام السوري يقف اليوم على مفترق طرق، محاولاً النهوض من واقع متردٍ عاشه لعقود طويلة. فمنذ سنوات، تحوّل الإعلام السوري الرسمي إلى مرآة تعكس الأزمات التي تعيشها البلاد بدلاً من أن يكون صوت الشعب وأداة لنقل الحقيقة وتحليل الأحداث بموضوعية. وبينما يشهد الإعلام العربي انفتاحاً وتطوراً ملحوظاً، يبقى الإعلام السوري عالقاً في عصور بائدة تتسم بالجمود والفساد وضعف الإمكانات.

الواقع الإعلامي في سوريا يُعاني من مشاكل بنيوية عميقة، بدءاً من الفساد المالي والإداري الذي يستنزف المؤسسات الإعلامية، وصولاً إلى ضعف الكوادر والتجهيزات التقنية التي لم تعد تواكب العصر. الأرقام التي كشفها وزير الإعلام في لقائه الأخير مع عدد من الصحفيين ترسم صورة قاتمة: آلاف الموظفين بلا عمل حقيقي، معدات تقنية تعود لأكثر من عقدين، ومطابع متوقفة عن العمل. هذا كله يعكس حالة من الترهل الإداري والتقني الذي يجعل مهمة إنقاذ الإعلام السوري شبه مستحيلة.

إضافة إلى ذلك، تعاني المؤسسات الإعلامية من فقدان المصداقية والثقة لدى الجمهور. الإعلام السوري الرسمي، الذي كان يفترض أن يكون منبراً للشعب، أصبح رمزاً للجمود والمغالطات، ما دفع المواطنين للبحث عن مصادر إعلامية أخرى أكثر موضوعية وشفافية.

جهود الوزارة.. هل تكفي؟

في ظل هذا الواقع، تحاول وزارة الإعلام السورية إعادة الحياة إلى هذه المؤسسات من خلال مبادرات جديدة. الإعلان عن إصدار صحيفة «الحرية»، كبديل عن صحيفة «تشرين»، وعودة إصدار صحيفة «الثورة» الرسمية، قد يكونان خطوة إيجابية إذا ما تم تطبيقهما بشكل يراعي معايير الشفافية والمهنية. لكن التحدي الأكبر يكمن في بناء الثقة مع الجمهور، وهو ما يحتاج إلى جهود أكبر من مجرد تغيير الأسماء أو إعادة إصدار الصحف.

ومن أولى خطوات الاصلاح القضاء على الفساد الإداري والمالي المستشري داخل المؤسسات الإعلامية هو الخطوة الأولى للنهوض بالإعلام. لا يمكن لأي مؤسسة أن تكون فعالة إذا كانت غارقة في الفساد والمحسوبيات. ناهيك بتحديث شامل للمعدات القديمة والبنية التحتية المتهالكة.

الإعلام اليوم يعتمد على التكنولوجيا بشكل كبير، ولا يمكن منافسة الإعلام العربي والدولي بمعدات تعود للعام 2005، أضف إلى غياب الكفاءات، لا سيما في ظل غياب الكثير من الكوادر الإعلامية السورية المؤهلة التي هاجرت أو تركت العمل بسبب الأوضاع. إعادة تأهيل الكوادر الموجودة واستقطاب كفاءات جديدة أمر ضروري. بالإضافة إلى أنه يجب أن يكون هناك بناء الثقة مع الجمهور وهذا يحتاج إلى تغييرات جذرية في السياسة التحريرية، بحيث يتم التركيز على نقل الحقيقة بكل حيادية وموضوعية. فضلاً عن إعادة هيكلة المؤسسات الإعلامية الحالية، سواء من حيث الإدارات أو البنية التحتية. يمكن التفكير في دمج بعض المؤسسات أو إلغاء بعضها واستبدالها بأخرى جديدة، وفتح المجال أمام القطاع الخاص للاستثمار في الإعلام يمكن أن يكون خطوة مهمة لخلق تنوع إعلامي ودعم التنافسية، أضف إلى تنظيم ورش عمل ودورات تدريبية للكوادر الإعلامية الحالية وتوفير فرص للشباب لدخول المجال الإعلامي. وفي عصر السوشيال ميديا والإعلام الرقمي، يجب أن تكون الأولوية لتطوير منصات رقمية قادرة على الوصول إلى جمهور واسع وبناء الثقة معهم، بحيث يتم العمل على نقل الصورة الحقيقية للأوضاع بدون تهويل أو إنكار يعزز من مصداقية الإعلام السوري. فالإعلام يجب أن يكون صوتاً للمواطن وليس مجرد أداة للترويج الرسمي.

الإعلام ليس مجرد وسيلة لنقل الأخبار؛ هو أداة للتغيير والتأثير. إذا أرادت سوريا النهوض بإعلامها، فعليها أن تعيد النظر في الأسس التي بني عليها هذا القطاع. الإصلاحات قد تكون صعبة ومكلفة، لكنها ليست مستحيلة إذا ما توفرت الإرادة السياسية والدعم الشعبي. الإعلام السوري يستطيع أن يعود إلى الساحة كلاعب مؤثر، لكن ذلك يتطلب خطوات جادة تتجاوز الشعارات إلى العمل الملموس.

في النهاية، الإعلام هو مرآة المجتمع، وأي تطور فيه سينعكس إيجاباً على كل قطاعات الحياة في البلاد.

الأرقام التي كشفها وزير الإعلام في لقائه الأخير مع عدد من الصحفيين ترسم صورة قاتمة: آلاف الموظفين بلا عمل حقيقي، معدات تقنية تعود لأكثر من عقدين، ومطابع متوقفة عن العمل. هذا كله يعكس حالة من الترهل الإداري والتقني الذي يجعل مهمة إنقاذ الإعلام السوري شبه مستحيلة

إذا أرادت سوريا النهوض بإعلامها، فعليها أن تعيد النظر في الأسس التي بني عليها هذا القطاع. الإصلاحات قد تكون صعبة ومكلفة، لكنها ليست مستحيلة إذا ما توفرت الإرادة السياسية والدعم الشعبي.

الإعلام السوري يستطيع أن يعود إلى الساحة كلاعب مؤثر، لكن ذلك يتطلب خطوات جادة تتجاوز الشعارات إلى العمل الملموس

بعد عقود من الرقابة

عودة الكتب المحظورة إلى دمشق

تداول الكتب في سوريا كان محكوماً بنظام رقابة مخيف

منع الكتب ظاهرة تتكرر في الأنظمة الدكتاتورية، لكن الأمر في سوريا كان أشد تعقيداً من مجرد المنع، إذ كانت الرقابة شديدة على ما يتم تداوله من كتب، ويكفي تداول أي عنوان لا ترغب فيه السلطة ليزج بمن تداولوه في غياهب السجون، وهو ما تغير اليوم في ظل أمل أن تنفتح سوق الكتب أكثر فأكثر في البلاد.

في مكتبات دمشق خرجت الكتب التي كانت تُقرأ وتباع في الخفاء على مدى عقود إلى العلن، وباتت روايات معاناة السجناء السياسيين تجاور نصوصاً عن فكر ابن تيمية، وهو ما كان غير قابل للتصور قبل أسابيع معدودة.

عثر الطالب عمرو اللحام (25 عاماً) على كتاب كان يبحث عنه منذ فترة طويلة، وهو "المعبر"، تصف فيه المؤلفة معارك مدينة حلب من نقطة عبور كانت تربط خلال أعوام النزاع السوري، الأحياء الشرقية التي كانت تحت سيطرة مسلحي المعارضة، بتلك الغربية الخاضعة لسيطرة القوات الحكومية.

كتب محظورة

يجول اللحام مع شقيقه في المكتبات المجاورة لجامعة دمشق، حيث تتوافر حالياً كتب كانت محظورة لأسابيع خلت.

ويقول الشاب "قبل ستين يوماً لو سألت عن كتاب لربما كنت اختفيت في سجن صيدنايا" سيء السمعة قرب دمشق.

ويضيف "كنا نخاف سابقاً من التصنيف، في فروع المخابرات كانت هناك تصنيفات، أنت كشخص مثلاً تشتري كتاباً ما، فتكون صوفياً، سلفياً، اشتراكياً، يسارياً».

وطوت الإطاحة ببشار الأسد من قبل فصائل مسلحة تقودها هيئة تحرير الشام ذات التوجه الإسلامي في الثامن من ديسمبر صفحة أكثر من نصف قرن من حكم العائلة الواحدة، حيث كان القمع الشديد مصير أي معارضة، وخضعت الحريات العامة للتكميم من قبل عدد كبير من الأجهزة الأمنية التي أرعبت السكان وعذّبت المعارضين في السجون.

لكن القلق لا يزال يراود العديد من السوريين حول مستقبلهم الذي يأملون أن يكون ديمقراطياً. وعلى الرغم من ذلك ارتاحت دمشق الآن من قبضة الوجود الأمني القائم عند كل زاوية، في بلد غرق في نزاع دامٍ منذ عام 2011.

على مدى العقود الثلاثة الماضية من الرقابة تعلّم المكتبيون التمييز بين المخبِرين والطلاب الباحثين عن الكتب

أدب السجون

على الرفوف والجدران الممتدة على الأرصفة وفي المتاجر تتكرر العناوين نفسها التي لم تكن متوفرة سابقاً إلا بنسخ مقرصنة على الإنترنت. من بينها رواية «بيت خالتي»، وهي العبارة التي يستخدمها السوريون للإشارة إلى السجن، للروائي العراقي أحمد خيري العمري، وكذلك رواية «القوقعة» للسوري مصطفى خليفة الذي يسرد قصة اعتقال شاب علماني في سجن تدمر بتهمة أنه إسلامي متشدّد.

ويقول بائع الكتب الخمسيني أبو يامن إنّ روايات «أدب السجون» تلك «كانت ممنوعة نهائياً»، مضيفاً «في السابق لم يكن الناس يجرأون حتى على السؤال».

ووافق صاحب دار نشر معروفة على روْي مخاطر المهنة بشرط عدم كشف هويته. ومنذ الثمانينات أزال الرجل كلّ الكتب السياسية من جداوله، باستثناء تلك التي تتناول «فكراً سياسياً عاماً، وليس مرتبطاً بمنطقة أو دولة».

ويضيف «لكن مع ذلك كنا نطلب كل عام إلى الفروع الأمنية، يسألوننا عن عملنا ومبيعاتنا، من جاء إلينا ومن غادر، ماذا اشترى، ماذا يطلب الناس، علماً أنهم أجهل الناس بهذه الكتب».

ويروي أن أحد المحققين طلب إحضار ابن تيمية، العالِم المعروف بـ«شيخ الإسلام» وتوفّيَ في القرن الرابع عشر، للتحقيق.

وعلى الرفوف عند مدخل مكتبته، وضع عبد الرحمن سروجي كتباً ذات أغلفة جلدية وعناوين مكتوبة بحروف ذهبية: مؤلفات لابن قيّم الجوزية، وهو فقيه مسلم من العصور الوسطى وأحد كبار منظري الفكر السلفي، وأخرى لسيد قطب، أحد أبرز منظّري فكر الإخوان المسلمين.

نبيع في السر

يقول البائع البالغ من العمر 62 عاما كانت «كتب هؤلاء كلها محظورة، كنا نبيعها في السر لمن نثق بهم، من طلاب العلم والباحثين». لكن اليوم بات هناك «إقبال شديد جداً» عليها. ومن زبائنه الجدد سكان من دمشق وسوريون عائدون من الخارج وآخرون جاءوا من معاقل المعارضة في شمال سوريا.

وعلى مدى العقود الثلاثة الماضية تعلّم الرجل الستيني التمييز بين المخبرين والطلاب الباحثين عن كتاب. وفي عام 2010 قامت مجموعة مكونة من حوالي عشرة عناصر أمن بتفتيش مكتبته بشكل دقيق، وفي النهاية "صادروا أكثر من 600 كتاب».

جاء مصطفى القاني، الذي يعدّ لماجستير في الفكر الإسلامي، ليسأل عن أسعار كتب سيد قطب. ويقول «خلال فترة الثورة، بتنا نخاف كثيراً، لم نكن نستطيع أن نقتني بعض الكتب، كنا نبحث عنها على الإنترنت».

ويضيف «من كان ينشر أي شيء من أقوال سيد قطب أو اقتباساته، كان يُرمى به في السجون».

في صالون الإعلامي سعد الرميحي..

عبيدة البنكي رحلة إبداع في كتابة المصحف القطري

المرمار الدوحة - محمد عاصم

الإعلان عن مسابقة قطرية لكتابة القرآن شارك فيها 129 خطاطاً حصد البنكي بطولتها

*تعهد الله – سبحانه وتعالى – بحفظ القرآن الكريم وحفظه من الضياع أو النسيان أو التبديل. يقول الله في الآية 9 من سورة الحجر: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ». والذكر هو القرآن، وقد تكفّل الله بالتيسير والفهم لآيات القرآن للناس عند قراءته وتدبر معانيه وتعلمه وحفظه على الألسنة، رغم أن غالبية العرب كانت أميّة حينئذ، لا تقرأ ولا تكتب.

*تدوين القرآن كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وجمعه كان في عهد أبي بكر الصديق، أما استنساخه فكان في عهد عثمان بن عفان. ثم أسس عثمان بن عفان كتاتيب خاصة لتعليم كتابة وقراءة القرآن بصورة صحيحة، وفي عهد الخليفة علي بن أبي طالب تم تنقيط الحروف. وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان تم وضع علامات التشكيل.

*القرآن الكريم محفوظ من الله سبحانه وتعالى. وفي كل دولة عربية أو إسلامية توجد وزارة للأوقاف والشؤون الإسلامية للإشراف على كتابة القرآن الكريم وطباعته.

*في مصر، يوجد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف التابع لجمهورية مصر العربية، وهو هيئة مستقلة، ويعد المرجع الديني في كثير من الأمور التي تتعلق بالإسلام بالنسبة لكثير من دول العالم أيضاً.

*في عام 2009، قرر سمو الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة بن حمد آل ثاني، سمو أمير دولة قطر السابق – متعه الله بالصحة والعافية – أن تقوم دولة قطر بطباعة المصحف الشريف. وتمت الموافقة بموافقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، وبموافقة إدارة المصاحف بالأزهر الشريف.

*قام بكتابة آيات القرآن الكريم الخطاط

الأزهر الشريف أجاز المصحف القطري كما أجاز كتابة الخطاط السوري

القرآن محفوظ بإعجاز اللّه

كتابة الآيات القرآنية استمرت 3 سنوات ونصف بمعدل 8 ساعات يومياً

المسابقة القطرية لكتابة القرآن الكريم؟ والرحلة الزمنية اليومية مع كتابة 114 سورة داخل المصحف الشريف؟ هذه الأمور وغيرها يرويها الخطاط السوري أبو عبيدة بن صالح البنكي في هذا الحوار.

السوري عبيدة محمد صالح البنكي، بعد أن تمت مراجعته من فضيلة الشيخ أحمد عيسى المعصراوي، شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة مراجعة المصحف بمجمع البحوثٍ الإسلامية بالأزهر الشريف سابقاً، ومعه 6 من شيوخ الأزهر، وتمت إجازة الطبع.

*بدأت رحلة دولة قطر لكتابة المصحف الشريف في أغسطس من العام 1991، عندما كانت فكرة تداولها القائمون على الشؤون الإسلامية في أروقة المحاكم الشرعية، حتى قبل إنشاء وزارة للأوقاف والشؤون الإسلامية، عندما رفع الدكتور خليفة بن جاسم الكواري، مدير إدارة الشؤون الإسلامية آنذاك، مذكرة إلى سعادة وكيل المحاكم الشرعية، تتضمن مقترح كتابة مصحف باسم دولة قطر. وهو المقترح الذي ظل محط بحث ودراسة في ذلك الوقت، ولكن دون الإقدام على أي خطوات ملموسة، وذلك حتى العام 1999، عندما طفت الفكرة على السطح مرة أخرى.

*لاقت الفكرة كل تشجيع ومساندة واستحسان من حضرة صاحب السمو الأمير الوالد حمد بن خليفة آل ثاني – حفظه الله ورعاه – ثم عُرضت الفكرة على مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إسطنبول.

*لتلقى هناك الرغبة في التعاون والمشاركة في الفضل. وبعد اجتماعات ومداولات تم الاتفاق على عقد مسابقة دولية للخط العربي، كانت الأولى من نوعها في تاريخ الخط العربي وتاريخ كتابة المصحف، فاجتمع لها أمهر الخطاطين، وانتهت تصفياتها بفوز الخطاط السوري عبيدة محمد صالح البنكي.

*في الصالون الثقافي الجميل للإعلامي الأستاذ سعد بن محمد الرميحي، رئيس المركز القطري للصحافة، المتواجد في قلب مدينة الدوحة، تحدث الأستاذ أبو عبيدة صالح البنكي عن تجربته مع خط المصحف الشريف لدولة قطر.

***كيف بدأت الرحلة مع هذا الخطاط السوري العالمي الأستاذ عبيدة البنكي؟ وكيف دخل**

هواية الخط

***كيف كانت بدايات الخط مع السوري عبيدة البنكي؟**

يقول الخطاط عبيدة البنكي إنه اكتسب الخط بالوراثة، من الوالد وكل أفراد الأسرة، والهواية بدأت تنمو بعد مرحلة الابتدائي. منذ الطفولة كان لدي شغف بفن الخط، وقبل أن أجلس على مقاعد الدراسة في مدينتي دير الزور في سوريا، كنت أدخل المدرسة مع والدي المدير في المدرسة، وأشاهد حركة أيدي أحد المعلمين الذي يتقن الخط، وكيف يمسك القلم من زوايا مختلفة، كيف ينظر إلى الورق، كيف يدرك المساحات بين الكلمات، وكيف يستخدم القلم والحبر، وكيف تخرج من بين يديه لوحات حروفية فنية جميلة. يضيف: وجود المكتبات في البيوت يغري

● الخطاط عبيدة البنكي يتوسط الإعلامي سعد الرميحي والزميل الصحافي محمد عاصم

ختام الآية لا بد أن يكون في نفس السطر

الأبناء ويفتح شهية المطالعة والقراءة. كان لدى والدي مكتبة ضخمة مليئة بالكتب والمراجع المختلفة، تحوي عناوين موقّعة باسم كبار الخطاطين، أمثال محمد بدوي الديراني وهاشم محمد البغدادي وسيد إبراهيم، وكنت أحاول كثيراً تقليد تلك العناوين.

ويقول: هذا الإنجاز الحضاري القطري الذي توّج به حضرة صاحب السمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى – حفظه الله ورعاه – حيث أريد له أن يكون عملاً استثنائياً يليق بكتاب الله الكريم، ويلبي طموح دولة قطر التي أصبح اسمها مرادفاً للإنجازات العظيمة. مصحف قطر مشروع أشرفت عليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، بدأت فكرته عام 1991 ومرّ بمراحل كثيرة انتهت بعد 19 عاماً تقريباً، من التدقيق والإشراف بالأزهر الشريف وتركيا.

ويقول الأستاذ البنكي إنه تمت طباعة المصحف القطري في تركيا، ثم توزيعه عالمياً. اختير خط النسخ ليكون الرسم المعتمد في مصحف قطر، وذلك للتآلف بين الحرف وحركته (التي تأتي فوقه تماماً) وشكله ورسمه وزخرفته الجميلة التي تجعله واضحاً، فضلاً عن تميز حروف خط النسخ بمرونتها وقابليتها للتشكيل، من دون أي لبس أو تزاحم بينها.

***ولماذا تم اختيار خط النسخ للمصحف الشريف؟**

يرد الأستاذ البنكي: اختير خط النسخ ليكون الرسم المعتمد في مصحف قطر، وذلك للتآلف بين الحرف وحركته (التي تأتي فوقه تماما) وشكله ورسمه وزخرفته الجميلة التي تجعله واضحا، فضلا عن تميز حروف خط النسخ بمرونتها وقابليتها للتشكيل، من دون أي لبس أو تزاحم بينها.

مسابقة قطرية للخطاط الأول

*كيف تم اختيار الأستاذ البنكي لكتابة المصحف الشريف؟

يقول: كنت أقيم في السعودية، وجاءتني دعوة من قطر للاشتراك في مسابقة عالمية لخط مصحف قطر في أغسطس 2001. وتم توجيه الدعوة إلى 21 خطاطاً للمشاركة في المسابقة لكتابة 5 صفحات من القرآن للوقوف على مهارة الخط. ثم تم فتح باب المشاركة للعامة، فاستقطبت 120 من أمهر الخطاطين في العالم الإسلامي، وهي المسابقة الأضخم في تاريخ كتابة المصاحف.

يضيف: ثم قررت هيئة التحكيم في أول اجتماع لها بالدوحة في مايو 2002 تحويل المسابقة إلى 3 مراحل، بعدما كانت من مرحلتين فقط. اختير 35 متأهلاً لدخول المسابقة، ثم تمت المفاضلة بين 14 متأهلاً لخوض المرحلة الثانية. اجتاز المرحلة الأولى 7 متسابقين من 4 دول، وتم استبعاد واحد فقط لعدم استطاعته استكمال أعماله في الموعد المطلوب، ثم اجتاز اثنان لدخول المرحلة الثالثة، هما عبيدة البنكي وصباح مغيدي الأربيلي، اللذان يُعدّان من أشهر خطاطي الخط العربي في القرن الـ21. وطلب منهما الانتقال إلى قطر.

وكان المركز الأول من نصيبي أنا، الخطاط عبيدة البنكي، من خلال لجنة كانت تتسم بالسرية في العمل. وأقيمت مسابقة مشابهة خاصة بزخارف المصحف، وتم اختيار أفضل ثلاثة من المزخرفين، كلفوا بتصاميم عدة للصفحات، وعلامات الأجزاء والأحزاب والأرباع والسجدات والوقفات وغيرها.

3 سنوات ونصف و8 ساعات يومياً

ويقول الأستاذ الخطاط البنكي: إن رحلته الزمنية اليومية لكتابة المصحف الشريف استمرت 3 سنوات ونصف من العمل اليومي الجاد، بواقع 8 ساعات يومياً، مع التركيز والهدوء، والتأكد من الحرف في المد والإطالة والإدغام والوصل والقطع وترقيم الآيات والتشكيل اللغوي لكل كلمة.

وأنه كان يقوم بدراسة الصفحة من المصحف، ثم يكتب الصفحة بالقلم العادي كمسودة، وبعدها يكتبها بالشكل النهائي، ثم يبدأ مرحلة تصحيح الحروف وتنظيفها ووضع علامات الشكل والضبط على الحروف.

يضيف: بعد إعلان النسخة الفائزة واستكمال كافة المتطلبات الفنية، والاتفاق على الشكل النهائي لمصحف قطر، كانت هناك مهمة أساسية وجوهرية تنتظر القائمين على المشروع، وتتمثل في مراجعة المصحف قبل إجازة الطبع. وهي المهمة التي تتطلب حكمة وبصيرة وخبرة لأن الأمر يتعلق بكتاب الله، وبمشروع تاريخي لدولة قطر. وكان القائمون على المشروع يدركون أهمية هذه المرحلة من مشروع إنجاز المصحف، فتشكلت لجنة لهذا الغرض، وتولت لجنة محلية هذه المهمة المقدسة، وشاركتها في ذلك لجنة من الأزهر الشريف برئاسة الشيخ أحمد عيسى المعصراوي شيخ عموم المقارئ المصرية.

عقد أعضاء هذه اللجان جولات من الاجتماعات واللقاءات المكثفة ليحظى مصحف قطر بمراجعة وتدقيق وفحص بواقع 14 مرة قبل إجازته للطبع، وهي الإجازة التي صدرت عن إدارة المصاحف بالأزهر الشريف في يناير من العام 2009، إضافة إلى ما تم من مراجعة وتدقيق بعد مرحلة الطباعة.

الورق من فنلندا

ويقول الخطاط عبيدة البنكي: إن أفضل طريقة للتقرب إلى الله مع كبار السن هي قراءة القرآن، فكل حرف له حسنة، والله يضاعف الحسنة إلى 700 ضعف وأكثر. الحمد لله، مصحف قطر متوفر بكميات كبيرة في كل مساجد قطر بالأحجام الكبيرة والصغيرة. مساجد قطر صورة مشرفة في الرعاية والاهتمام، من حيث اختيار الإمام، والنظافة، والتهوية، وفرش المسجد، وراحة الجلوس، والاعتكاف في الداخل متاح للجميع.

وكشف الخطاط البنكي أن ورق المصحف الشريف الذي قامت دولة قطر بطباعته كان يأتي من فنلندا خصيصاً لهذا الغرض، ويتم تصنيعه هناك فقط للمصحف الشريف. وهو من صناعة خاصة يستطيع الصمود أمام كثرة الاستعمال وعدم التلف.

الزخرفة لتركيا والمراجعة للأزهر

حول التصميم الفني داخل المصحف الشريف والزخارف والرسومات، يقول الأستاذ البنكي: تولى 3 من أمهر المزخرفين الأتراك عملية تصميم زخارف مصحف قطر في مسابقة خاصة، وكان الانتهاء خلال 3 أشهر. أعلنت اللجنة المشرفة على متابعة المشروع مسابقة مغلقة لتذهيب المصحف وزخرفته

ضوابط الخط بالمصحف القطري

وحول الضوابط التي أقرتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر لكتابة المصحف القطري، قال البنكي: وضعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية شروطًا صارمة لكتابة مصحف قطر وغيرها من الأمور الفنية. يقول الخطاط البنكي: «كان لا بد على الخطاط الالتزام بهذه الشروط والضوابط التي طرحتها الوزارة، لا سيما فيما يتعلق بنهايات الآيات والمسافات بين الكلمات وتوزيع الكثافة الخطية، ومراعاة الانسجام في الصفحة الواحدة وفي صفحات المصحف ككل، مع التأكيد على أن تبدأ الصفحة بآية وتنتهي بآية، وكل جزء في عشرين صفحة».

وكان الإصرار على إخراج المصحف بشكل أكثر جمالاً وإبداعاً قد دفع اللجنة المعنية بمتابعة المشروع إلى الإعلان عن مسابقة مغلقة لتذهيب المصحف وزخرفته. واختيرت تركيا لهذه المسابقة نظراً لخبرتها المشهودة في الزخارف الإسلامية وزخرفة المصاحف تحديداً.

وأوضح البنكي أنه تم وضع شروط صارمة من قبل لجنة التحكيم لكتابة مصحف قطر من الناحية الفنية والجمالية، منها: المحافظة على الرسم وضبطه في كل صفحات المصحف، وعدم تغيير شكل الحروف، توزيع الكثافة الخطية في كل صفحة، حتى لا يوجد ازدحام أو فراغ بين الكلمات والسطور، ابتداء الصفحة بآية وإنهاؤها بآية التزاماً بطريقة الحفاظ، وضبط كل جزء بـ20 صفحة. تنتهي الآية بعلامتها في سطرها، ولا توضع نهايتها في بداية سطر جديد، حيث تخلو بداية الطرف الأيمن في الصفحة من علامات الترقيم تماماً، دمج علامتي بداية ربع الحزب والحزب مع علامة ترقيم الآية، والتمييز بينها بألوان مختلفة، ليكون متميزاً بين كل المصاحف المطبوعة من حيث الخط وتوزيع الأسطر.

الإعلامي سعد الرميحي: عبيدة البنكي أبدع في كتابة المصحف

قال الإعلامي سعد الرميحي، رئيس المركز القطري للصحافة، إن دولة قطر حريصة على أن تكون مصاحف القرآن الكريم متوافرة في كل مكان، خاصة في المساجد. وهذا يتضح من اختيار خطاط مبدع في فن الخط العربي، ومن هنا كان اختيار الخطاط السوري عبيدة البنكي ليتولى هذه المهمة.

وأضاف أن هناك الصيانة الدورية للمساجد، وتزيينها بالفرش الفاخر، والتكييف، وتوفير المداخل إليها بسهولة ويسر، والنظافة اليومية، وتوفير خطباء على درجة عالية من التفقه في الإسلام.

ثم جاءت كتابة المصحف القطري من خلال الخطاط المبدع عبيدة بن صالح البنكي، ليقوم بخط هذا المصحف بيده. مجهود جبار يومي، حرص فيه على التدقيق اللغوي والنحوي وضبط التوازن في الآيات والكلمات والأجزاء بقلم سلس. وهو مبدع وعلى خلق رفيع، له كل التقدير.

ويضيف الأستاذ سعد الرميحي: «في شهر رمضان الكريم تبدو كل المساجد عامرة بذكر الله، والاعتكاف فيها طوال اليوم لمن يريد. قطر تقوم بجهد جبار من أجل نشر الإسلام في كثير من الدول. ولدينا الكثير من المؤسسات الخيرية في العمل الإنساني التطوعي التي تقوم بالأعمال الخيرية في كثير من الدول، والعمل على نشر الإسلام».

الصفحة الواحدة بالمصحف تحتوي على 15 سطراً والورق استورد خصيصاً من فنلندا

بالتزامن مع مسابقة الكتابة. ولأن تركيا اشتهرت بخبرتها في الزخارف الإسلامية والمصاحف تحديدًا، اختير 3 من أمهر المزخرفين الأتراك. كُلّف هؤلاء المزخرفون بتصميم إطار لصفحات المصحف، مع تصاميم لعلامات أرباع الأحزاب، والأحزاب، والأجزاء، والسجدات، والوقفات، وتصاميم لبدايات السور ونهاياتها، وبداية المصحف الشريف ونهايته، مع غلاف للمصحف والكعب. وكان الانتهاء من التصاميم كلها خلال 3 أشهر.

ثم تشكلت لجنة محلية مع الخطاط عبيدة البنكي للتعاون مع لجنة من الأزهر الشريف برئاسة الشيخ أحمد المعصراوي من أجل تدقيق وفحص النسخة النهائية من مصحف قطر وإجازتها من الأزهر الشريف. وقبل أن ترسل المخطوطة إلى الأزهر، راجعتها اللجنة المحلية، ثم مرت على 300 حافظ لكتاب الله. عقدت لجنة المراجعة بالتعاون مع لجنة من الأزهر الشريف 3 جولات من الاجتماعات واللقاءات. دُقّق فيها المصحف وروجع 14 مرة، من أجل ختم النسخة الأصلية لـ«مصحف قطر» حماية لحقوق النشر ومنعاً للتلاعب فيها في المستقبل، وللحصول على التصحيحات والتصويبات النهائية على النسخة الأصلية. ثم أُجيزت النسخة النهائية في يناير 2009.

خطوط العملة القطرية

وحول قيامه بخط العملة القطرية الجديدة، قال: نعم، هي التجربة الأولى التي أقوم فيها بكتابة الخطوط على العملات النقدية الورقية، وهو الإصدار الخامس من العملة القطرية. أعرب عن سعادته بكتابة خطوط العملة الورقية القطرية الجديدة، مشيراً إلى أن مساهمته في الإصدار الجديد للعملة إنجاز جديد يُضاف إلى إنجازه السابق المتمثل في كتابة مصحف قطر.

ويضيف: «استخدمت في كتابة العملة الجديدة 4 خطوط، هي الثلث، والمحقق، والإجازة، والنسخ». مشيراً إلى أنه اختار خط الثلث على سبيل المثال باعتباره أساس الخطوط ويدل على الاحتشام والوقار، بينما يعتبر الخط المحقق من أجمل الخطوط. وهو خط يتسم بالرزانة، وغير متداخل الحروف، ويُكتب على إيقاع واحد. وكان قديماً يُعد مقياساً لبقية الخطوط ونشأتها.

الخطاط البنكي في سطور

* وُلد عبيدة البنكي في مدينة دير الزور السورية عام 1964.
*الخطّاط العالمي السوري عبيدة محمد صالح البنكي من أشهر الخطاطين في العالم.
*شارك في كثير من معارض الخطوط على مستوى العالم العربي والإسلامي.
*فاز بالعديد من الجوائز العالمية في الخط العربي، وقام بخط مصحف قطر.
*قام بكتابة الخط على الإصدار الخامس والأخير من العملة القطرية.
*يحمل إجازة في الهندسة الزراعية، متزوج ولديه 4 أطفال.
*عضو مؤسس لجمعية الخطاطين السوريين، وعضو مؤسس لجماعة الخط العربي في السعودية.
*تنقّل بين عدة بلدان، فصقل الموهبة وحصّل الإجازة وأتقن مهارة الخط.
*من بواكير أعماله: خط لكتاب الأمثال الفراتية العراقية.
*أدرك أن كتابة الخط العربي وتعلمه يحتاج شيوخاً وأساتذة، فاهتدى إلى أستاذيه أحمد الباري ومحمد القاضي، وأخذ عنهما الأصول في فن الخط، قبل أن يشد الرحال إلى إسطنبول التركية ليزداد معرفة وخبرة.
*حصل «البنكي» على إجازة من شيخ الخطاطين في تركيا الشيخ حسن جلبي، الذي تتلمذ على يديه في مدينة إسطنبول، حيث شارك عام 1986 في مسابقة مركز «أرسيكا» للخط، وأحرز المركز الثاني في خط النسخ. ومن أشهر تلامذة البنكي الأستاذ حسام المطر.

خـــــط النســـــخ.. جمـــــال ووضـــــوح

قناطر

في صناعة المباهج

طالب عبد العزيز

للذين يقولون إنَّ الحياة قبيحة، أقول: ليست كذلك. نعم، هي مرهقة، وقد تكون جاحدةً أحيانا، لكننا نحن من نرسمها بالصورة التي نتخيلها. بالأمس، حين ودّعتُ أصدقائي الذين عبروا النهر وحلوا في بيتي ـ بيتهم ـ قادمين من عبادان والفلاحية والأحواز، محمّلين بالشوق العربي وأجمل الهدايا، تمنيت لو أن إقامتهم القصيرة طالت أكثر. حديثنا انساب حول الشعر، السينما، السفر، الطعام، والأشربة، سواء منها ما يُسكر أو ما لا يُسكر. سهرنا في ليلة شتوية طويلة، تبادلنا العناق مرات عديدة، واحتضَنا بعضنا بعضاً حتى تلاقت القلوب والأرواح. ثم غادرونا عائدين، وما أن ذهبوا حتى اتصل بي الصديق الباحث في الشأن التاريخي، د. مشتاق عيدان، ليخبرني بموعد زيارتنا إلى معلمي الأول، الشاعر والمربي عبد العزيز عسير، برفقة الفنان طالب غالي، الموسيقي والملحن والشاعر، الذي يزور البصرة قادماً من مهجره في الدنمارك.

في بيت بضاحية جديدة شمال غرب البصرة، ليست بعيدة عن مركز المدينة، وفي غرفة علوية هادئة، يسكن الأستاذ عسير. كان علينا أن نصعد إليه، فهو لا يستطيع النزول بسبب حالته الصحية ـ ليتني كنت قد تحدثت مع الدكتور لؤي حمزة عباس، الذي أنجز أخيراً كتاباً عن السلالم، وطلبت منه أن يكتب شيئاً عن سلّم المريض الدائري! لم تكن هذه زيارتي الأولى لأستاذي عبد العزيز عسير، وآمل أن لا تكون الأخيرة. عند رأسه وقفتُ مستعيداً الساعات الطوال التي أمضيتها في حضرته، عندما كنت طالباً في كلية الآداب بجامعة البصرة. هناك، عند نازك الملائكة، التي دار حديث كثير في الآونة الأخيرة عن ريادتها وفحولتها الشعرية.

شعري شابَ، نعم، حتى صار يشبه شعر رأسه ولحيته. صرت أعاني من صعود السلالم كما يُعاني هو، وربما لم يَهبطُ السلم منذ سنة. جلست على الأريكة مستريحاً أكثر مما أجدني صاعداً ومُجهداً. لكن، رغم ذلك، ما زلت أرى نفسي طالباً في حضرته، أتقدّم إليه بهذه القصيدة وتلك، ليضع مشرطه على هذا البيت وذاك، راضياً مرةً، مصوِّباً أخرى. يرشدني إلى كتاب فأهرع لاقتنائه، أو يسمعني تقطيع البحر فأعيده على لساني. هكذا كنتُ بالأمس في حضرته، لا أجرؤ على أن أنسب لنفسي شيئاً لا يعرفه، ولم أجد في خبيئتي ما ليس لديه. هذا الشاعر اللغوي، الذي حاجَّ الملائكة في العروض يوم لم يجرؤ أحدٌ على ذلك، ظل ممدداً على سريره، يُتعبه الحديث، وترهقه الحركة. تمنيت أن تطول زيارتي له، علّني أقتنص بقطرتي الصغيرة شيئاً من بئر علمه ومعرفته العميقة.

صباح الأمس كان مؤنقاً أكثر من صباح يوم قبله. مطر البارحة زانه، وأضفى عليه طهارةً وعفة. وقبل أن أكمل فنجان قهوتي، اتصل بي الكاتب والروائي الأكاديمي لؤي حمزة عباس ليقول: «هذا الصباح لا يليق إلا برجل اسمه طالب عبد العزيز». يا سلام، قلتُ، ثم خطوتُ إلى النافذة. وحين تكشفت لي الفضاءات من حولي، هالني جمالها. نعم، كان صباحاً قد أفرده لي حقاً، ولنا جميعاً، لكل البصريين على شط العرب الآن، ولمن سيصلونه بعد ساعة أو ساعتين. إذْ لا يكون الصباح الشتوي الماطر في ليله جميلاً إلا عند شط العرب، روح البصرة الخالد.

أنا الآن أستوي على ظهر هذه الورقة البيضاء، أكتب يوميات شخصية قد لا ترضي رئيس التحرير. فما شأن الجريدة بالهذر الذي أكتبه؟ أعلم أنَّ العالم يمور ويخور في أماكن كثيرة، وأنّ هناك أكثر من مفصل أمني واقتصادي وسياسي يمكنني تناوله أو يتوجّب عليّ متابعته. لكن، ما شأني إن كان العالم لا يريد أن يهدأ؟ ولماذا أتعقب أحداثاً لا تنتهي؟ هي تدركني بآلاتها، وأنا لا أدركها إلا بآلة الصفح والمحبة. أنا رجل أعزل، إلا من قلبٍ يحب، وعين ترى الجمال في كل ما حولها. أنا لا أهدد أحداً، ولا أريد أن أكون فاعلاً في عالم يعجُّ بالصخب. أرى أن وظيفتي هي تأطير الجمال حيثما وجدته. سأخبر لؤي بذلك، وأطلب منه أن يكتب فصلاً جديداً عن سلالم الجمال.

كاتب عراقي

في ذكرى توقفها..

السفير

صوت الذين لا صوت لهم

أيقونة صحفية لا تُنسى

المرمار | عبد الكريم البليخ

قبل ثماني سنوات من الآن، توقفت صحيفة «السفير» اللبنانية عن الصدور، في الحادي والثلاثين من ديسمبر ـ كانون الأول لعام ألفين وستة عشر، بعد مسيرة استمرت اثنتين وأربعين عاماً منذ تأسيسها في 26 مارس 1974. جاء هذا الإغلاق نتيجة مصاعب مالية واجهتها الصحيفة، في ظل تفاقم أزمة الإعلام في لبنان وتراجع عائدات الإعلانات والمبيعات. تظل صحيفة «السفير» رمزاً خالداً في عالم الصحافة العربية، تحمل في طياتها روح الإعلام الملتزم والرسالة الصادقة التي جعلتها واحدة من أهم الصحف التي شهدتها المنطقة. بغيابها، خسرنا منبراً كان يجسد قيم الحرية الفكرية والمهنية العالية، تاركاً فراغاً كبيراً في قلوب عشاق الكلمة الصادقة والمتابعين الذين وجدوا فيها نافذة تطل على أبعاد أوسع من الأخبار والتقارير.

مع توقف «السفير»، افتقدت الساحة الإعلامية مصدراً ثرياً كانت صفحاته تحمل عمقاً فكرياً وتنوعاً ثقافياً لا مثيل له. لقد كانت هذه الصحيفة منبراً للنخب الثقافية والفكرية، وملاذاً لأولئك الذين يبحثون عن التحليل العميق والرؤية الواضحة للأحداث. هذا الغياب لم يكن مجرد غياب جريدة؛ بل كان خسارة لرؤية إعلامية متفردة ارتبطت بذاكرة الأمة وقضاياها المصيرية.

كانت «السفير» بقيادة الأستاذ الكبير الراحل طلال سلمان، أكثر من مجرد صحيفة يومية. لقد كانت مدرسة صحفية قدمت نموذجاً للإعلام المسؤول الذي يضع القارئ في قلب الحقيقة. نهجها التحريري المتوازن، وتركيزها على القضايا العربية والإقليمية الكبرى، جعلها في طليعة الصحف التي تتمتع بالمصداقية والثقة. لقد كانت بحقّ نافذة تعكس صوت الشعوب وآمالهم وتطلعاتهم، وفي الوقت ذاته، تسلط الضوء على مكامن الخلل وتنتقد الواقع بجرأة ورقي.

إلى صاحب الامتياز، وإلى الأستاذ طلال سلمان، نقول: ستظل «السفير» جزءاً لا يتجزأ من ذاكرة الإعلام العربي. لقد نجحتم في تقديم نموذج صحفي نادر يجمع بين المهنية العالية والالتزام بقضايا الأمة، وتركتم بصمة لا يمكن محوها. كان قلم «السفير» حاداً عندما يتطلب الأمر، ولطيفاً عندما يناقش قضايا إنسانية واجتماعية، مما جعلها محل انتظار قراءها من كل الفئات، صغيرهم وكبيرهم. لم تكن «السفير» مجرد صحيفة لبنانية؛ بل تخطت بسمعتها وتأثيرها حدود الوطن، لتصبح صوتاً عربياً مسموعاً في كل الأرجاء. من خلال مقالاتها، وتقاريرها، وتحقيقاتها، وصلت إلى القارئ العربي حتى في المناطق التي لم توزع فيها بشكل مباشر. صدى كلماتها كان يُسمع في البرامج الإذاعية، وينتقل عبر القنوات الفضائية، ويُقتبس في الصحف الأخرى التي وجدت في محتواها مادة تستحق التكرار والانتشار.

في ظل التحولات التي يشهدها الإعلام العربي، يبقى الأمل معقوداً على عودة «السفير» إلى الساحة الإعلامية. عودتها ليست مجرد حلم، بل ضرورة تحتاجها الصحافة العربية لتستعيد بعضاً من وهجها المفقود. فـ«السفير» ليست فقط صحيفة متميزة؛ بل هي إرث ثقافي وإعلامي يفتخر به الجميع.

ما ميز «السفير» عن غيرها هو التزامها برسالة الإعلام كأداة تنويرية وتثقيفية. في زمن تتحول فيه الصحافة أحياناً إلى منصات لتضخيم التفاهة أو لتصفية الحسابات، كانت «السفير» مثالاً ناصعاً على أن الإعلام يمكن أن يكون مسؤولاً وواعياً دون أن يفقد شعبيته. إنها الصحيفة التي أثبتت أن القلم يمكن أن يكون سلاحًا في وجه الظلم، وأن الكلمة الحرة يمكن أن تغيّر الواقع.

في عالم الصحافة، نادراً ما تجد صحيفة تمتلك هذا الكم من التأثير والاحترام الذي امتلكته «السفير». لذلك، نحن كقراء وعشاق للكلمة الصادقة، نأمل أن تعود هذه الصحيفة لتكمل رسالتها النبيلة. فعودتها ليست فقط ضرورة لمحبيها، بل هي حاجة لكل من يؤمن بأن الإعلام يمكن أن يكون قوة إيجابية تصنع الفرق في حياة الناس.

كانت «السفير» بقيادة الأستاذ الكبير الراحل طلال سلمان، أكثر من مجرد صحيفة يومية. لقد كانت مدرسة صحفية قدمت نموذجاً للإعلام المسؤول الذي يضع القارئ في قلب الحقيقة. نهجها التحريري المتوازن، وتركيزها على القضايا العربية والإقليمية الكبرى، جعلها في طليعة الصحف التي تتمتع بالمصداقية والثقة

السفير
مع هذا العدد
LE SAFIR FRANCOPHONE
الوطن.. بلا «السفير»
لبنان ينجو من مخطط إرهابي

إلى «السفير»، وإلى كل من ساهم في نجاحها واستمرارها عبر العقود الماضية، نقول:

نحن ننتظركم. لأن الإعلام العربي يحتاج إلى منابر تحمل الروح التي حملتموها، وتُعيد إلى الصحافة مكانتها كمرآة صادقة تعكس أحلام الشعوب وتطلعاتها.

الإعلام اللبناني الموروث أباً عن جد

نقمة أم نعمة؟

المرمار | بيروت: فيفيان حداد

يعود تاريخ الإعلام الموروث أباً عن جد في لبنان إلى منتصف القرن الـ19 الميلادي، وجرت العادة توريث هذه الحرفة، النابعة من حب صاحبها لها، إلى البنين والأحفاد... من جيل إلى آخر.

وصحيح أن من الصعوبة بمكان توريث «مهنة المتاعب»، لكونها تتطلّب عامل الشغف في ممارستها، ولكن، في بعض الأحيان، نجح الأجداد في توريث حتى هذه المشاعر إلى الأبناء.

لائحة المؤسسات الصحافية التي تحولت إلى «بيزنس» عائلي تتوارثه الأجيال في لبنان طويلة. وفي الغالب، كان مؤسسوها أدباء وشعراء ومفكرين، مارسوا الصحافة ضمن المؤسسة لتغدو منابر إعلامية يسوقون عبرها مبادئهم وأفكارهم السياسية.

من جهة ثانية، اعتاد أولاد أصحاب هذه المؤسسات معاونة آبائهم في مجالات مختلفة. فكانوا يساعدون في تحرير المواد وتدبيج المقالات والتسويق للصحيفة. وإذا ما قمنا بجولة سريعة على تلك المؤسسات، يستوقفنا مثال صحيفة «النهار» والدار التي تصدرها. أسّست «النهار» على يد جبران تويني عام 1933. وتابع نشرها بعده ابنه غسان، الذي أورثها وهو لا يزال حياً، إلى ابنه جبران. ومن ثم، بعد اغتيال جبران في عملية تفجير طالت سيارته خلال عام 2005، تولت ابنتاه نايلة وميشيل إكمال مشواره.

سعيد فريحة مؤسس دار الصياد

الخلافات العائلية والخسائر المادية

وكما «النهار» نذكر «دار الصياد» التي أسّسها سعيد فريحة عام 1943. وانتقلت إلى هذه الدار بعض أشهر المطبوعات في لبنان حتى منتصف الألفية الثانية. وبعد وفاة المؤسس تولى أولاده إلهام وعصام وبسام إكمال مشوار والدهم. ولكن، بدءاً من أواخر عام 2018، توقفت معظم إصدارات الدار الورقية لأسباب مختلفة، وأرجعت الدار قرار إغلاقها بعد 75 سنة على تأسيسها إلى خسائر مالية، وعزوف الجيل الجديد في إكمال المشوار.

أيضاً، من المؤسسات الصحافية التي لاقت شهرة واسعة في لبنان لفترة غير قصيرة «دار ألف ليلة وليلة» التي أسّسها الأديب والصحافي كرم ملحم كرم في منتصف العشرينات. وبعده أكمل المشوار نجله نقيب المحررين الراحل ملحم كرم، الذي توفي عام 1995. ولكن خلافات عائلية حصلت بين أولاده أدت إلى إغلاق الدار.

ينتهي زمنها بخلافات عائلية أو بإفلاسات علنية

ومثل آل كرم، برز آل مروة، مع تأسيس الناشر والصحافي الكبير كامل مروة جريدتَي «الحياة» بالعربية و«ديلي ستار» بالإنجليزية، وسمعان فرح سيف صاحب مطبوعة «الأحوال»، وأكمل مشواره لفترة أولاده وفي مقدمهم أنطوان. أما جريدة «الهدى» لصاحبها أحمد السبع، فتسلمها ابنه الصحافي والوزير الأسبق باسم السبع. وهنا، يتمحور السؤال الأهم حول التوريث الإعلامي... وهل يمكن لهذه المهنة أن تُورّث؟

حالة دار النهار

قد تكون «دار النهار» من المؤسسات الإعلامية الوحيدة، الموروثة أباً عن جد، التي استطاعت إكمال مشوار مؤسسيها. فبعد اغتيال مديرها جبران تويني في عام 2005 تسلمت ابنتاه نايلة وميشيل الدفة. وصارت نايلة بعد اغتيال والدها تعمل في إدارتها. أما ميشيل، التي ورثت حب الصحافة عن والدها جبران وجدها غسان، فتقدّم اليوم على شاشة تلفزيون «الجديد» برنامجها «بيت الشاعر»، وتستقبل فيه ضيوفها داخل منزل جدها الإعلامي والسياسي اللامع الراحل.

قد يعتقد البعض أن الإرث الإعلامي هو نوع من الـ«بيزنس» يخوضه الأبناء وفقاً لهذه الفكرة، كما يعدّه آخرون تجربة تستأهل منهم خوضها، لتنتهي عندما يملون منها. لكن نسبة أخرى تدافع عن إرثها وتعد أنه يسري في جيناتها.

يستحيل توريث الصحافة

يتمتع جوزيف القصيفي، نقيب محرري الصحافة اللبنانية، بتاريخ طويل مع المهنة؛ إذ عايش عدة عهود إعلامية في مؤسساتها. وكانت النتيجة خبرة متراكمة مع الصحافة تعزّزت بمرافقة أهم رجالها والتعرف إليهم عن قرب.

يرى النقيب القصيفي «أن مهنة الصحافة لا يمكن توريثها. وهذا الأمر يكون متاحاً فقط عند الأبناء الذين يملكون شغف آبائهم نفسه». ويضيف: «هناك أمثلة كثيرة عن أبناء صحافيين عمالقة رفضوا دخول عالم الصحافة، فلم يكملوا ما بدأه أسلافهم؛ لأنهم لا يكترثون لهذه المهنة. كذلك فإن المهنة تبدلت كثيراً مع الوقت، وتسبّب ذلك في تراجع كبير للصحف بطبعتها الورقية؛ ما اضطر أصحابها إلى إقفال أبوابها، تحت وطأة الخسائر المادية الكبيرة».

ميشيل تويني

ليست «بيزنس»

ترفض ميشيل جبران تويني أن تعدّ انتماءها إلى عالم الصحافة أتى من باب الـ «بيزنس» العائلي. وتوضح قائلة: «هذه المهنة لا يمكن عدّها كذلك، كونها لا توفّر الملايين لصاحبها، بل ممارسة الصحافة في رأيي لا تنبع إلا من شغف صاحبها. وأنا شخصياً، تأثرت بمسيرتي الراحلَيْن والدي جبران وجدي غسان من دون شك. لكنني كنت منذ صغري أحب الكتابة. كنت أمسك بقلمي وأعبر عن مشاعري، وأذكر عندما اغتيل والدي أقفلت باب غرفتي، ورحت أفرغ مشاعري الحزينة على الورق».

ميشيل تويني تؤكد أنها من خلال برنامجها اكتشفت مدى تأثر ضيوفها بأجواء عائلاتهم، «فالفنان كما الموسيقي والشاعر يرث حب هذه الفنون من أحد والديه». وتختم: «كنت أطرح على نفسي مرات ومرات السؤال حول المجال المهني الذي بإمكاني العمل فيه لولا قدَري الصحافي. وصرت أتأكد يوماً بعد يوم، أنني وُلدت من أجل ممارسة هذه المهنة. أنا أعدّها نعمة ورثتها عن عائلتي، واليوم أعيش أجمل لحظات حياتي المهنية من خلال تقديمي برنامجي التلفزيوني (بيت الشاعر)».

المرئي والمسموع والإرث

عماد الخازن

مثل حال الإعلام المكتوب، الإعلامان المرئي والمسموع. إذ يميل أصحاب مؤسساتهما إلى توريثها لأبنائهم وهم على قيد الحياة. ونختصر هذه النماذج بمحطات تلفزيونية محلية. فقناة «إم تي في» التي أسّسها غبريال المر ورثها عنه ابنه ميشال. وبعد خلافات عدة ودعاوى قضائية بينهما، ثبت الابن رئاسة مجلس إدارتها له. أما المؤسسة اللبنانية للإرسال «إل بي سي آي» فقد عمد رئيس مجلس إدارتها بيار الضاهر إلى تسليم قيادتها إلى ابنه جوي.

ووضع تحسين خياط، صاحب تلفزيون «الجديد»، ابنته كرمى في واجهة المحطة. وفي مجال الإعلام المسموع، يُعدّ عماد الخازن من أهم النماذج الناجحة فيه. فهو أكمل مشوار والده الراحل سيمون الخازن في إدارة إذاعة «صوت لبنان». وأصبح اسمها في عام 2020 «صوت كل لبنان»، وهي اليوم تابعة للشركة العصرية للإعلام.

والدي لم يشجعني

يدير عماد الخازن إذاعة «صوت كل لبنان» بنجاح رغم تحديات كثيرة واجهها في أثناء أزمات شهدها لبنان، وكان الإرث الإعلامي بالنسبة إليه نعمة حضّته على التطوير والتوسع.

رافق عماد والده الراحل سيمون لنحو 6 سنوات متتالية، وتعلّم منه الكثير ما صقل شغفه للإعلام. وعلى هذا يعلّق: «لطالما أحببت هذه المهنة ولا سيما المتعلقة بالمسموع. حاول والدي أكثر من مرة إقناعي بالابتعاد عنها، لكنني في أعماقي كنت أدرك مدى حبي لها. كان عليّ بعد رحيله إيجاد رؤية مستقبلية توفّر لي الاستمرارية، فاتجهت نحو التعاون مع الإذاعات الأجنبية. الإعلام المرئي تبدّلت ملامحه اليوم، كما أنه لا يُعد (بيزنس) مربحاً... فليس هناك من مؤسسة لا تواجه المشكلات، ولكن الأهم عندي المواجهة بإرادة صلبة».

تعفن الدماغ

د. أكرم عثمان

مع قدوم شبكة الإنترنت وتعاظم تدفق المعلومات وتنوع مواقع التواصل والمواقع الإلكترونية، تعددت المصادر وأصبحت تشكل ضغطاً على كاهل المتابع والمشاهد لها، وظهر في العام 2024 مصطلحاً غريباً ومثيراً للاهتمام والملاحظة، عرف بـ «تعفن الدماغ Brainrot وهو التدهور المتوقع للحالة الذهنية أو الفكرية للشخص" الناتج عن الاستهلاك الزائد عن الحد والمفرط "للمواد التافهة قليلة الفائدة التي يشاهدها ويتابعها على الإنترنت. وقال (كاسبر جراثوهل)، رئيس لغات أكسفورد: "أن تعفن الدماغ» يتحدث عن إحدى المخاطر المتوقعة للحياة الافتراضية، وكيف نستثمر وقت فراغنا بطريقة فعالة ومجدية". وأن مؤشرات معدل استخدام التعبير عن هذه المشكلة ارتفع بنسبة 230 بالمائة بين عامي 2023 و2024، وكان شائعاً بشكل خاص هذا العام على TikTok. لقد تفوقت على خمس كلمات أخرى من تأليف لغويين في أكسفورد وتم تقديمها للتصويت العام، الذي شارك فيه 37000 شخص.

يعتبر تعفن الدماغ هو حالة من التشويش العقلي والتدهور المعرفي الناتج عن التفاعل المفرط والزائد عن الحد في شبكة المعلومات الإنترنت. فهو مصطلح ليست طبياً، ولكنها ظاهرة حقيقية يعيشها من يدمن استخدامها. فعندما يقضي ساعات في المتابعة والتصفح، فإنه يستهلك كميات معلومات هائلة لا قيمة لها، وتمثل الأخبار السلبية والمحبطة، والصور المعدة باحترافية للمعارف والمشاهير وأصحاب التأثير على الشبكة، مما يشعر من يشاهده بضعف الكفاءة وقلة الحيلة. ويصاب بالإرهاق الذهني من جراء المشاهدة الحثيثة والمبالغ فيها دون فعل إرادي، وهذا بدوره يؤدي لضعف في التركيز والانتباه وتراجع في الطاقة الإيجابية ويضعف العمل والإنجاز والإنتاجية وخاصة لدى اليافعين والشباب.

وقد دعا الجراح العام الأمريكي "مورثي" إلى وضع ملصقات تحذيرية على منصات التواصل الاجتماعي لتفادي ذلك التهديد، فمن المؤكد أن تعفن الدماغ كان مصطلحاً موجوداً منذ سنوات. وقد تتبعت أكسفورد استخدام هذا المصطلح في كتاب عام 1854 الذي ألفه هنري ديفيد ثورو. الذي أشار فيه "بينما تسعى إنجلترا إلى علاج تعفن البطاطس، لن تسعى أي دولة إلى علاج تعفن الدماغ، الذي ينتشر على نطاق أوسع بكثير وبشكل مميت وقاتل؟".

وقد أكدت الدكتورة إيلينا توروني، استشارية علم النفس المؤسسة المشاركة لعيادة تشيلسي لعلم النفس أن "تعفن الدماغ مصطلح يستخدمه الناس لوصف ذلك الشعور الضبابي الذي ينتاب الشخص عندما يستهلك كثيراً من المحتوى المكرَّر منخفض الإيجابية والجودة". وأن ذلك الشعور بالاستنزاف العقلي أو البلادة الذهنية الذي يحدث بعد ساعات من تصفح وسائل التواصل الاجتماعي، أو مشاهدة البرامج، أو الانخراط في مواد لا تحفز العقل ولا تستثيره نحو التفكير والتحليل والاستنتاج.

ويحدث تعفن الدماغ بسبب الاستخدام المفرط للتكنولوجيا من مشاهدة مقاطع الفيديو على YouTube، أو تصفح وسائل التواصل الاجتماعي، أو التبديل الزائد المتصفح المتعددة الصور والمعاني والموضوعات المختلفة.

ناهيك عن استخدام المقالب في الناس وإضحاكهم وتجد الملايين يتابعون ويحاكون هذه النماذج التي تقدم مثل هذه التصرفات الفجة التي تفتقد للمحتوى الجاد والهادف وقد تجد أن ألعاب الفيديو تتسبب في الإدمان، فيلاحظ أن بعض اللاعبين يلعبون بشكل قهري ويصابون باضطراب الألعاب والإلحاح في المتابعة.

إن التهديد مؤثر ووشيك من جراء إدمان مشاهدة مواقع التواصل الاجتماعي وقضاء ساعات طويلة من اليوم أمام التعرض للكم الهائل من تدفق المعلومات والأحداث غير السارة والمبالغ فيها، فيقع الشخص فريسة المقارنات بين نفسه ولآخرين في مهاراته ونجاحاته وحياة الآخرين، فتجعله في حالة من التخبط والعشوائية في السيطرة على تفكيره الذي هو في الأساس متلقي دون حراك فتجده معرض لتعطيل ملكات الذهن والتفكير، فهو معرض للإصابة بتعفن الدماغ الذي لا يستخدمه بطريقة جيدة أو فعالة، فالمطلوب العمل على تحديد الأوقات الملائمة التي تجعله يستفيد من الإنترنت بطريقة أكثر إيجابية والعمل على إيجاد بدائل حياتية من تفعيل قدراته وتشكيل عادات سلوكية ترقى للممارسة الإيجابية لممارسة الهوايات والمواهب بدل الانغماس في مشاهدة الإنترنت دون حراك.

حديث الموهبة

عبد الحفيظ العمري

الموهبة لا تُكتسب بل تُمنح أولاً؛ إذ يولد البشر بمواهب كامنة فيهم، ثم تعمل الظروف المحيطة بهم على إظهارها أو تدميرها. وهذه المواهب هي محلّ التفاوت بين الناس، كما يقول الشاعر أحمد شوقي:

لَولا مَواهِبُ في بَعضِ الأَنامِ لَما / تَفاوَتَ الناسُ في الأَقدارِ وَالقِيَمِ

الأمر المهم في الموضوع هوَ أن يكتشف المرء منا موهبته الحقيقية، ويا حبذا أن يكون هذا الاكتشاف في وقت مبكر، حتى يصقلها ويبرزها، لا أن يضيّع الوقت في اكتساب موهبة ليست ثوبه الحقيقي، فلا هو وجد موهبته ولا هو أجاد ما يلهث وراءه.

عندما تكتشف موهبتك الحقيقية، تبدأ في صقلها كما يُصقل السيفُ المُعدّ للنزال، وما الدنيا إلا قتال نحن فيه مقاصدُ للحسام وللقناة.

لكن لا تقل لي: ليس عندي موهبة، لأن هذا الكلام غير صحيح؛ فأنت عندما تخيب في ناحية من نواحي الحياة حاولت المغامرة فيها، فلا يعني هذا أنك فاشل، بل يعني أنك لست مؤهلاً لهذا المنحى الذي سلكته في الحياة، فابحث عن طريقك الصحيح الذي يُسِّرَ لك. فقد يعجبك كاتب معيّن، فتقرّر أن تصبح كاتباً، جميل... لكن مَنْ قال إنّ لك موهبة الكاتب؟ جرّبت ولم تفلح، إذن أنت لم تولد كاتباً ولا هذه موهبتك... وعلى ذلك فقسْ في كلّ نواحي الحياة.

هكذا حياتنا يا صاحبي، تعدّد وتنوّع في مواهب الخلق، حتى لا يصير الناس صبغةً واحدةً من اللون نفسه فيملّها الناظرون، بل أزواج من نباتات شتى، وكذلك مواهب البشر.

وللظروف المحيطة من المجتمع والأسرة الدور الكبير في صقل أو طمر هذه المواهب. ونحن في شرقنا التعيس، نقبر الكثير من المواهب الطموحة والنفوس توّاقة للأعالي تحت ركام البيروقراطية المستفحلة فينا، والتجاهل المقيت استجابةً لظروف سوق العمل أو التقاليد أو غيرها. وذلك لأننا ألفنا أنّ الابن امتداد أبيه وأسرته؛ فابن المزارع سيصير مزارعا، وابن الشيخ سيصير شيخا، وابن الموظف موظّفا، أو كما يقول الشاعر:

وينشأ ناشئُ الفتيانِ فينا / على ما كان عوّدُه أبوهُ

حتى مَنْ كان مخاتلاً محتالاً، ترى أولاده كذلك!

الاستثناءات قليلة، بيد أنّ هذه الحتمية الغريبة صنعتها تقاليد مجتمعية في لحظة منسيّة من تاريخ طويل لا يستطيع أن يقتنصها حتى المؤرخ الحصيف. فصارت دستوراً غير مكتوب مثل الأعراف القَبَلِيّة المتداولة منذ سبأ الأولى حتى اليوم.

لكني أرى أن هذه الأعراف ليست حتمية، حتى نستمسك بها، ونستكين لحكمها الجائر، وفي نهاية المطاف، تذكرْ أنها حياتك يا صاحبي، فكنْ ما شئتْ، المهم أن تكون مع موهبتك التي تجد نفسك فيها.

يحدثنا الدكتور مصطفى محمود عن طفولته، ونحن نعرف ما أصبح، فيقول: «كانت طفولتي كلها أحلام وخيال وانطواء. وكنت دائما أحلم وأنا طفل بأن أكون مخترعا عظيما أو مكتشفا أو رحالا أو عالما مشهورا... وكانت النماذج التي أحلم بها هي كريستوفر كولمبس وأديسون وماركوني وباستير. اخترتُ دراسة الطب وشعرتُ ساعتها أنها تُرضي فضولي وتطلعي إلى العلم ومعرفة الأسرار، وكانت الدراسة صعبة وتحتاج إلى إرادة وتركيز ونوع من الانقطاع والرهبانية... واحتاج الأمر مني إلى عزم وترويض ومعاناة... وكان حبي للعلم وطموحي يساعدني، وكانت صحتي الضعيفة تخذلني... وبدني المعتل يضطرني إلى الاعتكاف من وقت لآخر في الفراش. وفي السنة الثالثة طب احتاج الأمر إلى علاج بالمستشفى سنتين، وأدى هذا الانقطاع الطويل إلى تطور إيجابي في شخصيتي؛ إذ عكفت طول هذه المدة على القراءة والتفكير في موضوعات أدبية. وفي هاتين السنتين تكونت في داخلي شخصية المفكر المتأمل وولد الكاتب الأديب. وحينما عدتُ إلى دراسة الطب بعد شفائي كنتُ قد أصبحتُ شخصاً آخر؛ أصبحتُ الفنان الذي يفكر ويحلم ويقرأ ويطالع بانتظام أمهات كتب الأدب والمسرح والرواية. وبسبب هذه الهواية الجديدة التي ما لبثْتُ أن تحولتْ إلى احتراف وكتابة منتظمة في الصحف في السنوات النهائية بكلية الطب، أستطيع أن أقول إن المرض والمعاناة والعزلة الطويلة في غرف المستشفيات قد فجّرتا مواهبي. والألم كان الأب الحقيقي والباعث لكل هذه الإيجابيات والمكاسب التي كسبتها كإنسان وفنان وأديب ومفكر».

وهنا أسرد أيضاً قصة أستاذنا الكبير مجدي سعيد، الكاتب العلمي وأول رئيس تحرير لمجلة Nature العلمية بنسختها العربية، والتي عرضها في مذكراته "المفاتيح المكسورة": "التحق الدكتور مجدي سعيد بكلية الطب عام 1979 تحت ضغط المجموع والأهل، بالرغم من حلمه الذي راوده منذ الصغر بدراسة الصحافة، وهناك عرف الحركة الطلابية وانضم إليها والتي كان لها الأثر الأعظم في تكوين شخصيته وتوسيع مداركه في كل مناحي الحياة. وعلى الرغم من دراسته للطب وعمله به لعدة سنوات إلا أنه لم ينسَ حلمه القديم، وقام بمحاولات عديدة للعمل في مجال الصحافة ودراستها، ثم أتيحت له الفرصة بعد بضع سنوات للالتحاق بمعهد الدراسات الأفريقية بالقاهرة بين عامي 1994 - 1996. وهنا كانت نقطة التحول في حياة الدكتور مجدي سعيد؛ فقد درس هناك الأنثروبولوجيا التي أتاحت له العمل على بعض البحوث في مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، وبعدها حصل على بعثة تدريبية في بنك جرامين، ثم عاد لينغمس بعد ذلك في عدة تجارب إعلامية هامة، كما ساهم بتأسيس وعضوية مجلس إدارة ورئاسة الرابطة العربية للإعلاميين العلميين، وهي مبادرة كان الهدف منها محاولة الارتقاء بالإعلام العلمي العربي، كما شارك بصفة مشرف تدريبي في برنامج الاتحاد الدولي للإعلاميين العلميين، بالإضافة إلى عمله لبضع سنوات مشرفاً على وحدة البحوث لإحدى شركات الأفلام الوثائقية".

وأظن أنّ في هذا الحديث رسالة واضحة لمَنْ كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

متسول على مستوى

جعفر عباس

بيني وبين مدينة الدمام السعودية ود قديم، مما يجعلها قريبة إلى قلبي، فقد كانت مستقري عندما التحقت بشركة أرامكو مترجماً قبل سنوات بعيدة، وفيها مارست الحبو الصحفي، فقد كانت جريدة اليوم هي مسقط رأسي الصحفي، أي انني مارست الكتابة الصحفية الراتبة فيها لأول مرة، ومن ثم سعدت بتلقي دعوة من صديق سعودي ميسور الحال جدا بقضاء أمسية في الشاليه الخاص به في قرية النخيل التي تتمدد في دلال على شاطئ الخليج، وفي جلسة على ذلك الشاطئ، كان بين الحضور شخص طاعن في السن وحسن الملبس ويعقب على ما يقال شعراً أو استشهاداً بآية قرآنية أو حديث شريف، وبعد الانتهاء من تناول وجبة العشاء، تسلل ذلك الرجل خارجاً، وانفجر مضيفي ضاحكا. ثم أجرى اتصالاً هاتفياً قصيراً مع طرف ما، وضحك مجددا وقال: الشيخ راح يتعشى مع جماعة الأمن في مدخل القرية. ثم شرح كيف أن ذلك الشيخ الوقور مدمن تسول، وعندما عاد صاحبنا همس لي مضيفي: اطلب من الشيخ مساعدة مالية ثم انظر رد فعله.. فقلت: يا شيخ فلان أنا من شمال السودان وقد شتت الحروب أفراد عائلتي فاستقر بعضهم في الصومال وأفغانستان، وجزاك الله خيراً يا شيخ لو أعطيتني بعض المال، و.. لم يدعني أكمل، لأنه انفجر باكياً. نعم بكى بحرقة وبصوت مسموع، فأحسست بالحرج الشديد لأن كذبتي جعلت الرجل يحزن لحال أهلي، ولكن طبطب مضيفي على كتف الشيخ وسأله عما يبكيه فتحول بكاؤه الى نشيج جعل جسمه كله يهتز. وبصوت متهدج قال ما معناه: توسمت فيك الخير يا جعفر وحسبت أنه أكيد عندك فلوس وبطلع منك بعطية طيبة.. تقوم تشحت مني؟ حسبي الله ونعم الوكيل. وشرع في البكاء مجدداً. بكاء حقيقي بدموع وبلاوي تنزل من فتحتي الأنف. والله العظيم هذا ما حصل. ثم نهض وتركنا وهو يلعن حظه الأغبر الذي جمعه بجعفر. ثم شرح صديقي كيف أنه عندما يذهب هذا الرجل إلى البنك فإن المدير شخصياً يخرج لاستقباله لأن رصيده يتراوح بين 300 مليون و400 مليون ريال. صحت: تتكلم جد؟ أكد لي أن الرجل جمع مئات الملايين من التسول فسألته: ما عنده بنت عانس فاتها قطار الزواج؟ أجاب: وهل تعتقد ان شخصاً مثله يفكر قط في الزواج والإنفاق على الزوجة والأطفال.

كانت بداية العلاقة بينهما عندما كان صديقي يتجول ذات عام في الحرم المكي بحثاً عن مكان يصلي فيه، عندما أتاه «الشيخ» وقال له: تفضل، أنا حاجز لك مكان في الصف الأول، واتضح أنه لا يكتفي فقط بالتسول، بل يحجز مكاناً في الصف الأول في الفروض الخمسة في الحرم ثم يتنازل عنه لمن يعرف أنهم أثرياء ثم يطاردهم طالبا «البقشيش»، وبعد منع التسول في الحرم حاول صديقي ذاك كفالته وخصص له سكناً وراتباً معلوماً، ولكنه ظل يأتيه ثم «يزوغ» بضعة أشهر. ثم شنت السلطات في مكة حملة على من يحجزون أماكن للصلاة حول الكعبة ويبيعون المكان الواحد بما يعادل 300 دولار، فنقل نشاطه خارج مكة.

من نوادر شيخنا هذا أنه استوقف سيارة مليونير معروف في المنطقة الشرقية في السعودية، ولم يكن مع المليونير مال فتناول من سائقه 500 ريال وأعطاها إياه، وعينك ما تشوف إلا النور.. صار الشيخ يصيح بأعلى صوته: وش أقول للناس؟ فلان بن فلان ما يعطي فقيراً مثلي إلا مثل هذا المبلغ الهزيل.. أين أنت من أخيك فلان الذي لا يمكن أن يعطي السائل أقل من 20 ألف ريال؟ طلب منه المليونير أن يهدأ ويركب معه سيارته واصطحبه إلى متجر واستدان منه 20 ألف ريال لإسكات المتسول الأرستقراطي.

قصة قصيرة

قسمة ونصيب

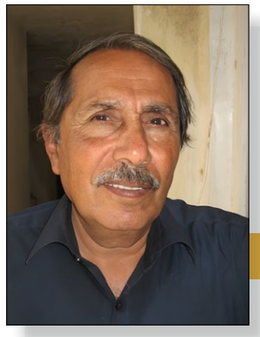

تركي رمضان

غادر حمد جبال لبنان بعد أن مستها البرودة. كان يعمل في قطاف الرمان، يعتصره شوق لرؤية الحبيبة ريم، التي ما زالت حرارة يدها في كفه حين أمسك بها في الدبكة، وتملأ روحه رائحة الخضيرة، حين كانت تُحلّق جدائلها لتهامس أنفه بشذاها.

لقد عانى منذ الأمس حين سقطت رمانة من يده أثناء القطاف، لتنفرط حباتها كالياقوت على الأرض الصلبة، رمانة كنهد الحبيبة حين يختلس ملامسته بكتفه أثناء الدبكة. نزل عن الشجرة، وتناول حبة رمان وقذفها في فمه، لكن الحبة وقفت في حلقه وكاد يعاني من الاختناق؛ لا هي نزلت ولا هي خرجت رغم سعاله. عزا ذلك إلى وساوسه الشيطانية، فاستغفر ربه.

في طريقه إلى الرقة، وقفت الحافلة للتفتيش عند حاجز قرب السلمية. أخبره المعاون بأنهم صادروا علبة الحلويات «حتى يتحلى الشباب». أراد أن ينهض لاستعادتها، لكن صرخات الركاب ونصيحة المعاون أثنته عن ذلك. حملها من لبنان لذويه، لكنها صارت نصيباً لغيرهم.

بعد حين، أوقفت الحافلة حاجز آخر قبل مفرق الطبقة. تفحص المسلح الملتحي هاتفه النقال، ووجد فيه عتاباً ومولية و«مندل يا كريم الغربي»، و«أبو الخديد الورد». وبعد استجواب سريع، اكتفى بأخذ هويته الشخصية، طالباً منه مراجعة «الحسبة» في الرّقة بعد يومين من أجل دورة شرعية لمدة شهر. أخبروه أنه سيجد الهاتف هناك. لعن حظه ومضى كظيماً يطبق الأسى على صدره كالظلام الذي حل بعد المساء.

عند طلعة قرية السحل، طالعته أنوار الرّقة تتراقص من بعيد كقلائد من نور. وعند الجسر، بعدما شمّ رائحة الفرات، عادت إليه روحه. اشترى حلويات من محال ابن الوليد لإخوته الصغار ولمن سيحضر للسلام عليه.

بعد وصوله إلى قريته وتقبيل يدي أمه وجدته، شكا علته في وقوف حبة الرمان في حلقه، التي لم تُنزلها اللقيمات ولا الوصفات التي أمضى أغلب ليله في تجربتها.

في الضحى، جلس في المشراقة يستمتع بدفء الشمس، حين أحضرت أمه سفرة ضمّت أطباق مجلى البيض يسبح في السمن العربي، وأطباق الزبدة والقشدة والخاثر. وأمام إلحاح أمه بأن يشفق على روحه بتناول الفطور لأن لبنان سلبته عافيته، تناول لقمة بيده وتابع بنظراته الديك الذي يتبختر حوله، وكان قد تركه صوصاً صغيراً.

سأل أمه عنه، وكذا سألها عن ريم. أكدت له أنه ذات الديك، وهي تضحك. ضحك معها وهو يرفع رأسه إلى الشمس، فانتابه عطاس حاد. خرجت حبّة الرمان المتوقفة في حلقه لتسقط بعيداً. أشار إليها وإلى أمه وهو يتابعها بنظراته، بينما ركض الديك نحو حبة الرمان التي سقطت قربه، والتقطها بمنقاره وهو ينظر إليه.

قالت أمه وهي تضحك: «قسمة ونصيب».

● كاتب وصحافي سوري راحل

الجمعية القطرية لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة
Qatar Society for Rehabilitation of Special Needs

الجمعية القطرية لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة

قصة نجاح ملهمة في دعم ذوي الإعاقة

المرمار د. ميرفت إبراهيم

منذ تأسيسها في عام 1994، استطاعت الجمعية القطرية لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة أن ترسخ مكانتها كواحدة من أبرز المؤسسات الوطنية الرائدة في تمكين ودمج الأشخاص ذوي الإعاقة. تمثل الجمعية نموذجاً حياً للعمل الإنساني الهادف إلى تعزيز المساواة والشمولية، في ظل رؤية قطر 2030 التي تهدف إلى بناء مجتمع لا يُترك فيه أحد خلف الركب.

تعمل الجمعية وفق رؤية طموحة تستند إلى مبدأ أن ذوي الإعاقة ليسوا فئة تحتاج إلى العطف فقط، بل قوة كامنة تمتلك إمكانيات هائلة يمكن استثمارها لصالح المجتمع ككل. رسالتها تتمثل في توفير الدعم اللازم لذوي الإعاقة لتمكينهم من تجاوز التحديات وتحقيق تطلعاتهم، مع التركيز على التوعية المجتمعية بضرورة تقبلهم كشركاء فاعلين في بناء الوطن.

طريق النجاح

تُقدم الجمعية القطرية لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة مجموعة واسعة من الخدمات المتكاملة التي تغطي مختلف الجوانب الحياتية لذوي الإعاقة، بدءاً من التأهيل النفسي والاجتماعي، مروراً بالدعم المهني والاقتصادي، وصولاً إلى الأنشطة الرياضية والثقافية. ومن أبرز هذه الخدمات برامج التدريب المهني التي تقدمها الجمعية لا سيما أنها البوابة الرئيسة لتأهيل ذوي الإعاقة لسوق العمل.

تشمل هذه البرامج مجالات متعددة مثل الحرف اليدوية، التصميم، تكنولوجيا المعلومات، وتعلم اللغات. إضافة إلى ذلك، تعمل الجمعية على إيجاد فرص عمل مناسبة للأفراد، ودعمهم في إطلاق مشاريع صغيرة تسهم في تحقيق استقلالهم الاقتصادي.

تولي الجمعية أهمية كبرى للصحة النفسية لذوي الإعاقة، حيث تقدم جلسات استشارية فردية وجماعية تهدف إلى تعزيز التكيف مع الإعاقة ومواجهة التحديات النفسية. كما تُسهم هذه الجلسات في بناء ثقتهم بأنفسهم وتشجيعهم على تحقيق أهدافهم.

تمثل الأنشطة الرياضية والثقافية ركيزة أساسية في عمل الجمعية، حيث تنظم بطولات رياضية في مجالات مثل ألعاب القوى، السباحة، وكرة القدم. كما تُقام ورش عمل فنية لتعليم الرسم، الموسيقى، والمسرح، إلى جانب ندوات ثقافية تناقش موضوعات متعددة مثل التنمر، التعليم، التكنولوجيا، والاستدامة.

لم تتوقف جهود الجمعية عند الخدمات التقليدية، بل تبنت تقنيات الاصطناعي لتقديم حلول مبتكرة تلبي احتياجات ذوي الإعاقة، و من بين هذه الابتكارات تطبيقات تحويل النص إلى كلام بحيث أنها تساعد الأشخاص ذوي صعوبات القراءة أو البصر على التواصل بشكل فعال، ناهيك بتطبيقات التعرف على الصوت التي تسهّل التفاعل مع الأجهزة الإلكترونية. إضافة إلى استخدام أدوات مساعدة للأنشطة اليومية، مثل ارتداء الملابس وتناول الطعام، وكذلك الاهتمام بالتطبيقات التعليمية المبتكرة التي تجعل عملية التعلم أكثر سهولة وإمتاعاً.

من جهة أخر ى تمثل رؤية قطر 2030 الأساس الذي ترتكز عليه أنشطة الجمعية، التي تسعى إلى ضمان فرص متساوية للتعليم والعمل لذوي الإعاقة، وتوفير خدمات صحية واجتماعية شاملة، بالاضافة إلى خلق بيئة داعمة وشاملة تمكّنهم من تجاوز العقبات وتحقيق إمكاناتهم.

رسالة أمل وتفاؤل

تحت قيادة مخلصة من شخصيات مثل سعادة الشيخ ثاني بن عبد الله آل ثاني، السيد أمير الملا، السيد طالب عفيفة، والمستشار الدكتور طارق العيسوي، تستمر الجمعية في تقديم خدماتها الرائدة. إنها ليست مجرد مؤسسة، بل منصة للتغيير، توفر لذوي الإعاقة الأدوات والإمكانات اللازمة ليكونوا جزءاً فاعلاً في بناء وطننا الغالي قطر.

الجمعية القطرية لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة نموذج يُحتذى به في التمكين والشمولية، حيث تسهم في بناء مجتمع أكثر شمولاً وعدالة.

الجمعية القطرية لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة تمثل رسالة أمل لكل فرد من ذوي الإعاقة. فهي ليست مجرد مؤسسة تقدم خدمات، بل كيان يسعى إلى خلق واقع أفضل، يؤمن بأن التمكين والشمولية هما المفتاح لتحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة.

بقي أن أشير إلى أن دور الجمعية لا يقتصر على الخدمات التي تقدمها، بل تمتد لتشمل الدور الثقافي والإنساني الذي تلعبه في تعزيز وعي المجتمع بقدرات ذوي الإعاقة. إنها قصة نجاح مستمرة تؤكد أن التحديات ليست إلا فرصة لتحقيق التميز والابتكار.

تُقدم الجمعية مجموعة واسعة من الخدمات المتكاملة التي تغطي مختلف الجوانب الحياتية لذوي الإعاقة

تولي الجمعية أهمية كبرى للصحة النفسية لذوي الإعاقة، حيث تقدم جلسات استشارية فردية وجماعية تهدف إلى تعزيز التكيف مع الإعاقة ومواجهة التحديات النفسية

لم تتوقف جهود الجمعية عند الخدمات التقليدية، بل تبنت تقنيات الذكاء الاصطناعي لتقديم حلول مبتكرة تلبي احتياجات ذوي الإعا

دور الجمعية لا يقتصر على الخدمات التي تقدمها، بل تمتد لتشمل الدور الثقافي والإنساني الذي تلعبه في تعزيز وعي المجتمع بقدرات ذوي الإعاقة. إنها قصة نجاح مستمرة تؤكد أن التحديات ليست إلا فرصة لتحقيق التميز والابتكار

باسم ياخور:

أنا مع العدالة الشفافة والعلنية

رفض الممثل السوري باسم ياخور الظهور الإعلامي على عكس بعض زملائه الذين جلسوا في كراسي الاعتراف والاعتذار وتلاوة أفعال الندامة على الشاشات، رغم نسب تصريحات مزورة إليه، حتى أطل أمام مستضيفته الإعلامية نايلة تويني، رئيسة تحرير جريدة النهار اللبنانية، مؤكداً أنه فضّل الركون إلى لحظة هدوء وسط العاصفة، لرفضه أن يوضع في خانة التبرير أو نفي التهم أو رد الفعل، فكان اللقاء الذي أجاب فيه بصراحة على أسئلة حساسة على الأصعدة الوطنية والفنية والشخصية.

شكراً فارس الحلو

***ما هو تعليقك على الحملة التي تعرضت لها بسبب حديث سابق لك عن انجاب اللاجئ 16 ولداً؟**

أشكر زميلي (فارس الحلو/ لم يسمه) صاحب هذا المنشور، وهو من المعارضين الذين يعيشون في فرنسا منذ اندلاع الأزمة، قاصداً أن هؤلاء الأولاد هم من أسقطوا النظام، علماً أن أكبرهم يبلغ من العمر 11 عاماً تقريباً. لكن الفكرة الرهيبة هي أنه لا ينظر إلى أطفال اللاجئين ككائنات بشرية. أنا لم أكن أقصد أبداً إهانة اللاجئين. على العكس، كنت أتحدث عن الأوضاع التي لا تناسب عدداً كبيراً من الأطفال، هذا يتعلق باحترام الطفل، وحقه في طفولة كريمة، وفي التعليم. ولكن زميلي صنّف هؤلاء الأطفال كقوة لشن الحروب، حتى لو مات نصفهم. هو لا يراهم حتى كأطفال أو كأشخاص يستحقون الحياة. هو فقط يراهم كأداة، لكنه بالطبع لا يفكر بالطريقة ذاتها تجاه أولاده في فرنسا من أصحاب الجنسيات. هذه الازدواجية هي نفاق رهيب (...) لا أريد أن يصفق لي الناس، ولا أريد إعجاباتهم على غرار ما توخى في منشوره، هذا رأيي، وهذه قناعتي.

ضد الاعتقال التعسفي

***اليوم، هناك مشاهد في سوريا بين أشخاص سعداء وآخرين لا يزالون يبكون أو خائفين ويبحثون في السجون، ماذا تشعر أمام كل هذه المشاهد؟**

لطالما أكّدت في جميع مقابلاتي السابقة أني ضد الاعتقال التعسفي وضد العنف بغض النظر عمن يمارسه، سواء كان من السلطة أو من المعارضة. ولكن المشكلة اليوم هي خروج مجرمين بينهم مغتصبون وقتلة، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل ستظل هذه السجون فارغة، أم سيتم ملؤها مرة أخرى؟ يقول "المرصد السوري لحقوق الإنسان"، والذي كان رأس حربة في مواجهة النظام، إنه منذ أن تولت السلطة الجديدة زمام الأمور، هناك أكثر من 30,000 سجين جديد، لا أحد يعرف شيئاً عنهم. وهناك أكثر من 9,000 مجند معتقل. أنا أدعو إلى محاسبة كل مجرم يده ملوثة بالدم، ولكن لا بشكل تعسفي وعشوائي. هناك من يتوصل إلى تسوية الآن مع السلطة، وفي اليوم التالي يتم إيجاد جثثهم على الطرقات. المحاكمة يجب أن تكون عادلة وشفافة وعلنية على أساس المواطنة فقط، برأيي، يجب أن يعرف من هم في السلطة أنهم لم يعودوا فصائل معارضة، بل أصبحوا الدولة.

امتيازات واغراءات

***ماذا استفدت من النظام القديم، وماذا عن الاتهامات بفرضك من قبله على شركات الإنتاج الفني؟**

كان النظام يعطي عدداً كبيراً من مؤيديه امتيازات ويشاركهم في أعمالهم، وأنا لست منهم. ومنح النظام بعض الفنانين منازل وسيارات، وأيضاً رفضت أن أكون منهم، لم أحصل على أي امتياز إلا على راحة البال وحسن المعاملة. وأما بخصوص فرضي بتوجيهات من النظام في الأعمال، فاسمي لا يحتاج إلى ذلك. أعمل في هذه المهنة لأنني درست في المعهد العالي وكنت أستاذاً فيه أيضاً، وأجتهد في أدواري كلها. أنا ممثل نجم وذلك لا يمكن أن يصنعه النظام ولا غيره. يمكن أن يصنع نجومية لفترة محدودة، ثم يسقط صاحبها مثلما سقط النظام. والسؤال هو إلى من تأتي التوجيهات؟ إلى شركات تبيع أعمالها إلى محطات عربية وخليجية تتمتع بعلاقة سيئة مع النظام؟ يا له من اتهام سخيف! (...) ومن الشركات التي عملت معها على الأغلب، "غولدن لاين" صاحبة العداء القوي للنظام، إذ تم اعتقال مالكها بتهمة التعامل بالعملات الأجنبية والدولار. وتم سجنه لمدة 22 يوماً، وتم تصويره مكبلاً بشكل مهين ونشر صوره على الـ"سوشيال ميديا"، وبعد إخلاء سبيله بناءً على وساطتي، حجزوا على جميع أملاكه، وفرضوا عليه غرامة قدرها 21 مليون دولار، إذ أرادوا القضاء عليه.

التكويع.. وأسبابه الموجبه

***كيف تفسر ما عُرف بـ"التكويع"... وهل أنت "كوّعت"؟**

لا أرى نفسي ضمن هذه الحالة التي تم العمل عليها بطريقة منهجية من قبل عدد كبير من وسائل الإعلام والسلطة الحاكمة حالياً بأسلوب ظالم لعدد كبير من السوريين، علماً أن هناك عدداً من أشرس المعارضين ممن يمكن وصفهم بـ"المكوعين"، على غرار زميل رأى في منشوراته على "فيسبوك" أن "الجولاني شيطاني"، والآن يصفه بـ"الفاتح العظيم". والاتهام بـ"التكويع" لا يقتصر على الفنانين، بل يشمل نحو نصف الشعب السوري، وهذا المصطلح بمثابة إهانة لهم، لأن لهؤلاء أسبابهم الموجبة التي لم يراعها أحد. كانوا يعيشون دون الحد الأدنى من ضروريات الحياة لأنهم يعيشون تحت جناح نظام استبدادي وطاغ، ألا يحق لهؤلاء الناس أن يُحترمَ خوفهم؟ ولنقل إن بعضهم ليس خائفاً، بعضهم كان مقتنعاً مثلي، بأن ما تبقى من مؤسسات الدولة كان الضمان الأخير قبل الفوضى الكبرى. الناس لهم الحق في تغيير وجهات نظرهم، إذا اليوم كان لشخص صديق اتخذ مواقف سيئة، ألا يغير رأيه به؟ هل يصبح "مكوعاً"؟ هناك أشخاص تحوّلوا من الجاهلية إلى الإسلام، هل "كوّعوا"؟ وأخيراً هناك من غيّر مواقفه خوفاً على رزقه وعائلته ومصلحته، وهذا حق مشروع، من أنتم حتى تسلبوه هذا الحق، أو تسخروا من خوفه؟

هدى النعيمي لـ « المزمار »:

المرأة الخليجية تحررت من الوصاية

حوار - رئيس التحرير

استفادت الكاتبة القطرية هدى النعيمي من مراوحتها بين عالمي العلم والأدب، فهي تحمل الدكتوراه في مجال الفيزياء الحيوية الطبية، لكنها تؤلف أدباً في مختلف الأجناس من الرواية إلى القصص إلى الشعر، وفي مزيج العوالم هذا ثراء كبير. «المزمار» كان لها مع الكاتبة هذا الحوار حول تجربتها ورؤاها الثقافية.

هدى النعيمي كاتبة قطرية يتمتع إبداعها بالصدق والتعبير عن تحولات الإنسان العربي على مدى السنوات العديدة، حيث تتنوع أعمالها بين الرواية والسيرة الذاتية والقصة القصيرة والنقد ومسرح الطفل.

في روايتها الجديدة "زعفرانة"، عادت هدى إلى التاريخ من خلال مسلطة الضوء على حرب ظفار والفترة الزمنية الطويلة التي شهدتها المنطقة. وهي ترى أنَّ التاريخ يحمل الكثير من الأسرار والغموض، ومن واجب الروائيين إلقاء الضوء على هذه الجوانب لإثراء القارئ بمعرفته بتاريخ منطقته.

● رئيس تحرير المزمار يحاور الدكتورة هدى النعيمي

روايات وروائيات

تعتبر أنَّ الرواية تمثل شكلاً أدبياً جاذباً للقرّاء، وبخصوص النساء في الرواية على الساحة الخليجية، استطاعت المرأة التحرر من غيوم الوصاية والتعبير عن قصصها بحرية شديدة. وتعزو النعيمي تأخر ظهور الرواية على الساحة القطرية إلى عدم توافر دور نشر محلية، ومع ظهورها ساهمت في تدعيم الإنتاج الأدبي، وبدأ الإبداع الروائي القطري بالازدهار.

عن الرواية تقول الدكتورة هدى النعيمي في بداية حديثها أنه «في عام 2000 صدر للكاتب المصري صنع الله إبراهيم رواية بعنوان «وردة» تحكي عن امرأة من عمان. هذه المرأة عاشت في القاهرة في فترة الخمسينات من القرن الماضي، وتأثرت بأفكار الماركسية أو الاشتراكية في ذلك الزمن، وعادت أدراجها فيما بعد إلى عمان بعد انضمامها إلى الثوار».

وتؤكد النعيمي إلى أن رواية «زعفرانة» تناولت في مضمونها الكثير عن حرب «ظفار» العمانية، وكان ذلك بعد الانتهاء من حصولها على شهادة الدكتوراه في الفيزياء الطبية، ولم تكن تعلم أي شيء عن تلك الثورة أو حرب «ظفار» لا سيما أن المناهج التعليمية أو وسائل الإعلام لم تشر إلى ذلك وهذا الموضوع أثارها كثيراً ما استدعى منها الكتابة عنه.

تعرّف النعيمي نفسها لـ «المزمار» قائلة «أنا امرأة عربية، عرفت أنَّ الطريق يبدأ من القراءة، فأخذت الطريق من أوله».

أما عن دافعها إلى الكتابة، فتقول: «حاول الكثيرون قبلي الإجابة عن هذا السؤال، ولا توجد إجابة محددة، وأعتقد أن الكتابة تفرض نفسها على الكاتب المبدع، عندما يكون هناك ما يقال. أعتقد أن الكتابة تحمل سراً للتشافي، قرأت هذا العنوان لإصدار أدبي قريب، لا أختلف مع صاحب المقولة، لكنني لا أحصر الكتابة لغرض التشافي، ولكنها من أغراضها السامية.

الروائية القطرية تشعر بالفرح والفخر لما وصلت إليه الرواية العربية اليوم

للكتابة شغف خاص وسحر خاص، ولحن يلاحق الكاتب أينما ذهب. الكتابة فعل مستمر، سواء خرجت الكلمات مرسومة على الورق، أو تجمهرت على حافة الصفحات تنتظر الخروج، كلماتي كثيراً ما تتجمهر أمامي في انتظار السكب على شاشة الحاسوب، أكتب كي أكون أنا، وكي أحيا بالشكل الذي أريد من خلال كلماتي».

سبق لهدى النعيمي أن كتبت القصة والرواية والمقالة، والنقد الأدبي وغيرها، نسألها أي من هذه الأجناس أقرب إليها، فتجيبنا «لكل جنس أدبي روح خاصة به، وامتزاج خاص بالتعبير، كتبت بالفعل في عدّة أجناس أدبية، حتى الشعر، خرجت الكلمات يوماً في شكل قالب شعري، لم أحاول أن أدخل هذا العالم، لكن الشعر يتداخل مع السرد، وكثيراً ما يصير السرد شعرياً، يصير معي هذا كثيراً،

ويبقى السرد عندي سيداً سواء للقصة القصيرة أو الرواية»
وتضيف «بالتأكيد، لا بد أن تتكاتف المؤسسات الإعلامية من أجل عودة الكتاب إلى ألقه لدى الأجيال الجديدة. لم تعد المدرسة، ولا حتى الأسرة هي المربي الوحيد، ولم يعد العبء يلقى على كتف المعلم فقط، أو الوالدين في البيت، لكن تداخلا خطيرا من قبل التكنولوجيا، ومواقع التواصل صار يتسلل نحو الطفل، والمراهق وحتى البالغين، لا بد من التصدي لهذا المتسلل الخطر، ولا بد من مواجهته إذا ما أردنا أن نعود بالقراءة إلى مكانها، وبالكتاب إلى المكان الجدير به».

الجوائز ليست ترفاً

نسألها إن كانت الجوائز الأدبية حافزاً للإبداع فتقول «أتذكر جيداً في تسعينيات القرن الماضي، كان الحديث عن عدم وجود حافز للمبدع للمنافسة، وبالتحديد كان الحديث حول غياب الجوائز الأدبية هو الحديث السائد والشكوى لا تمل من التكرار، ثم أنها بدأت تظهر هذه الجوائز، جائزة بعد أخرى، حتى لا يكاد يمر شهر، دون أن نسمع عن مسابقة في الكتابة الإبداعية، سواء كانت في إطار الرواية أو القصة القصيرة، أو حتى في مجال النقد أو الشعر».
.وتضيف «كثرت الجوائز، وتعددت المسابقات حتى صار الإعلان عن رواية ما أو ديوان شعر، هو حول المبدع الحاصل أو المتقدم على جائزة ما، وليس النقد الموضوعي من النقاد الكبار كما كان في السابق، وهنا تكمن الخطورة، فالجائزة لا شك تشكل حافزاً للتنافس بين المبدعين، وإن اعْتُمِد على الجوائز فقط لتقييم ما يصدر من كتابات إبداعية، فسوف نظلم المبدع الذي لا يضع نفسه في هذا الموضع، الجوائز ليست ترفاً، ولكنها سلاح ذو حدين».
أما عن المواضع والقضايا التي تعالجها كتاباتها، فتقول النعيمي «لم أتبن جانباً معيناً وحيداً من القضايا، ولكن قضايا الأمة قضاياي، وكل موضوع يهم المواطن العربي يهمني، في البدء والختام، فإن هموم الإنسان تتشابه، والكاتب الجيد هو من يلتقط الهم الإنساني ليقدمه للإنسان في كل مكان».
تتحدث الكاتبة القطرية لـ «المزمار» عن نظرتها إلى الرواية العربية اليوم، تقول «أشعر بالفرح لما وصلت إليه الرواية العربية اليوم، مما يمكنها من المنافسة عالمياً إذا أتيح للجيد منها أن يأخذ حظه من الترجمة، وهذه قضية كبيرة، فالكثير من الروايات العربية الرائعة لم تجد حظها من الترجمة حتى اليوم، وهذا يدعو إلى الحزن».
أما عن النقد والنقاد ومدى إنصافهم لها فتقول «كان لي حظ جميل مع النقد والنقاد منذ صدور مجموعتي القصصية الأولى «المكحلة» عام 1997، حتى إنَّ البعض تنبأ حينها بولادة كاتبة عربية جيدة، لكن حظوظ بعض الإصدارات من النقد لا تتشابه. فكتابي «قمط» وهو مجموعة قصص تدور حول مجلات الطفل التي صدرت في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وقد صدر عام 2021 لم يلق حظاً جيداً من النقد كما توقعت له، وهو الذي أخذ من وقتي الكثير من البحث والتنقيب عن المجلات القديمة، لكنه الحظ، ففي الفن أيضاً يوجد من هو «ذو حظ كبير»، أو العكس».
وتتطرق إلى الحديث عن دور المثقف في

التاريخ يحمل الكثير من الأسرار والغموض.. ومن واجب الروائيين إلقاء الضوء على هذه الجوانب لإثراء معارف القارئ

الاعتماد على الجوائز فقط لتقييم ما يصدر من كتابات إبداعية يظلم المبدع الذي لا يضع نفسه في هذا الموضع

التغييرات السياسية والاجتماعية، تقول «مع الأسف، هو دور متواضع لا يليق بحجم المثقف العربي، لكن عصا السلطة تعلو على صوت المثقف في عالمنا اليوم».
ونختم بسؤالها هل تنازل الشعر عن عرشه للرواية؟ لتجيبنا هدى النعيمي «للشعر مكانته الخاصة التي لن يتنازل عنها الشعراء، ولكل من الشعر والرواية جمهور خاص يتلذذ بهذا النوع من الإبداع أو ذلك».
وتضيف «مشاريع كثيرة، وكل النوافذ مفتوحة بانتظار القرار بهذا الاتجاه، أو ذاك، والقرار قيد الدرس إلى أجل غير مسمى».
وتضيف «أخذتني الرواية مآخذ كثيرة، أدخلتني تاريخاً وعرفتني على شخصيات، وعاشت معي تلك الشخصيات شهوراً طويلة، حتى أنَّ البعض منها ما يزال يُطالب بدوره في الحكي داخل الرواية، حتى بعد صدورها، هذا الأمر لم أعتد عليه مع كتابة القصة القصيرة، أما المقال، فهو ما أراه وما أود طرحه بطريقة مباشرة دون وسيط كشخصيات روائية، أو قصصية أو خيالات مروية، لكل جنس من هذه الأجناس متعة خاصة في الكتابة، ومتعة خاصة عند النشر، وعندما يأتي رد الفعل جميلاً من المتلقي، ويبقى السرد الأدبي بالنسبة لي سيد الموقف».
حول موقعها اليوم بصفتها أديبة مما يجري حولنا، تقول النعيمي «ما يجري حولنا في العالم العربي، وما يجري في غزة بالتحديد، لا يعنيني كأديبة أو ككاتبة فقط، إنما يعنيني كإنسان عربي من هذا الأرض، يعنيني كجزء من الجيل الذي نشأ على كلمة «فلسطين بلادنا، وفلسطين قضيتنا الأولى، يعنيني كما يعني كل ذي ضمير حي، وذي إحساس بالعدالة، أو القضايا العادلة، نرى حولنا من كان على الضفة الأخرى من القضية ثم أن أرواح الشهداء، و دماء الأطفال أيقظت في نفوسهم الحقيقة، وتعددت المواقف الإيجابية التي نراها في الغرب».
تسألها «المزمار» ماذا يعني لها الإفراج عن رواية «زعفرانة»، التي تعد باكورة أعمالها الروائية، والتي جاءت بعد صدور كتاب «حين يبوح النخيل»، الذي يرصد السيرة الذاتية لمسيرتها العلمية والأدبية؟
فتجيبنا «سبقت كتابة «زعفرانه» عدّة محاولات روائية، على مدى سنوات ماضية بدأت في كتابة رواية، ثم أخرى، ثم أخرى، كادت بعضها أن تنتهي لكنها لم تصل إلى سطرها الأخير كما فعلت زعفرانه، عندما بدأتها كانت قد أخذت وقتا طويلاً بداخلي، ثم إنها خرجت لتعبّر عن نفسها بقوة، لذلك كان خروجها كروايةٍ مطبوعة فرحة كبيرة، وإحساساً جميلاً لم أشعر بهما مع الكتابات السابقة، حتى إنها فتحت شهية الكتابة أمامي، وساعدتني كثيراً على التمسّك بالكتابة الإبداعية».
وعن أسباب تأخر ظهور الرواية على الساحة القطرية، تقول الكاتبة «لطالما تساءلت فعلاً لماذا تأخرت الرواية في الظهور في قطر، حتى صارت آخر دول الخليج العربي في إصدار الرواية، فقد صدرت أول روايتين قطريتين على يد الأختين دلال وشعاع خليفة في العام 1994، وقد تجشّمت دلال وشعاع مشقة السفر إلى بيروت لطباعة روايتيهما، وربما كان السبب في هذا التأخر هو عدم وجود دور نشر في قطر لسنوات عديدة، وقام بدور الناشر المؤسسات الإعلامية الصحفية، مثل العروبة والثقافة وغيرها في ذلك الحين، حتى إنّ تلك

المؤسسات قامت بطباعة مجموعات قصصية لبعض الكتاب ممن نشر فيها قصصه القصيرة بما يكفي أن تقدم في كتاب، و ربما اكتفى الكاتب القطري بهذا الدور، فلم يحاول كتابة الرواية حتى التسعينات، وعندما فتحت دلال وشعاع باب الرواية القطرية، بدأ كم كبير من الكتّاب القطريين في نشر رواياتهم، وخاصة وقد وجدت عدداً كبيراً وتنافسياً من الناشرين المحليين في الدوحة اليوم».

أما عن تقييمها للأدب النسائي في قطر فهي تحبذ لو نبتعد عن تسمية «الأدب النسائي» ونطلق مسمى «الأدب الذي تكتبه النساء»،

وتتابع «في قطر، بالفعل لدينا أسماء كثيرة من النساء من أجيال مختلفة، لا أستطيع أن أتكهن ماذا يلوح في أفق الرواية القطرية، ولكنني أظن أن رواية المرأة الخليجية بشكل عام تبشر بخير كثير وبمستقبل جميل، أسماء كثيرة اليوم مثل كلثم جبر، ونورة آل سعد في قطر، ورجاء عالم في السعودية، وبثينة العيسى في الكويت، وبشرى خلفان في عمان، وغيرها من الأسماء الروائية الجادة والمخلصة للفن الروائي. كل هذه الأسماء النسائية، وغيرها ستجعل الرواية الخليجية تنافس بقوة على الساحة العربية».

أغلب الناس في وقتنا الحالي بعيدون عن القراءة وطقوسها، على الرغم من أهميتها، وتر ى النعيمي أن علاج ذلك يكمن في النظام التعليمي في بلادنا العربية، فالاهتمام بالقراءة يبدأ من المدرسة، والمناهج التعليمية، هكذا نشأنا مع نظام يجعل من حصة المكتبة الأسبوعية مجالاً للاطلاع على كتب من خارج المنهج الدراسي، تعرضه علينا أمينة المكتبة التي كان يقع عليها عبء كبير في اختيار قصص تناسب المرحلة العمرية، من هنا صار الكتاب جزءاً من الشخصية التي نقابل بها العالم اليوم».

النعيمي في سطور

كاتبة قطرية، حاصلة على الدكتوراه في مجال الفيزياء الحيوية الطبية، وسبق لها أن عملت لسنوات داخل المؤسسة الطبية في قطر، من خلال تخصصها العلمي.
نشرت العديد من أوراق العمل في دوريات عالمية، وشاركت في العديد من المؤتمرات العالمية كباحثة في مجال التخصص. حاصلة على عضوية عدد من المنظمات الدولية في مجالها، كما حصلت على عدد من الشهادات التقديرية، والجوائز العالمية لجهودها ترسيخ علم الفيزياء الطبية في قطر، وحصلت على جائزة الدولة التشجيعية عام 2018.
في المجال الأدبي، بدأت بالنشر خلال المرحلة الجامعية، تركزت كتاباتها الأولى على الخاطرة الأدبية، والقصة القصيرة، ثم كتبت المقال الأدبي والنقدي في عدد من الصحف القطرية والعربية الصادرة داخل وخارج الوطن العربي، وحرصت على المشاركة في الحياة الثقافية في العالم العربي كافة، فحضرت وشاركت في عدد كبير من المؤتمرات والمهرجانات الثقافية على امتداد الوطن العربي.
أصدرت مجموعتها القصصية الأولى «المكحلة» عام 1997، ومجموعتها الثانية «أنثى» عام 1998 ثم المجموعة الثالثة «أباطيل» عام 2000. تبعها إصدارها الرابع، وهو مجموعة من مقالاتها الأدبية والنقدية «عين ترى» عام 2022، وفي العام 2010، وتزامنا مع احتفالات الدوحة كعاصمة للثقافة العربية، أصدرت مجموعة قصصية «حالة تشبهنا»،
أتبعتها بعمل مسرحي في أدب الطفل «النبع الذهبي» عام 2012، ثم أصدرت كتاب «قمط» عام 2021 عن دار كتارا في قطر، وهو عبارة عن قصص مجلات الأطفال في مرحلة الستينات والسبعينات من القرن الماضي، وفي عام 2023 صدر لها كتاب «حين يبوح النخيل»، وهو سيرة روائية لمسيرتها العلمية والأدبية، عن دار جامعة حمد بن خليفة، فضلاً عن كونها ناشطة في العمل الثقافي داخل وخارج قطر. عضو لجنة التحكيم لجائزة الرواية العالمية، والمسماة بـ «البوكر العربي» عام 2014، وعضو لجنة تحكيم لجائزة كتارا للرواية العربية عام 2014.

ارفعوا أيديكم عن الكرواسون

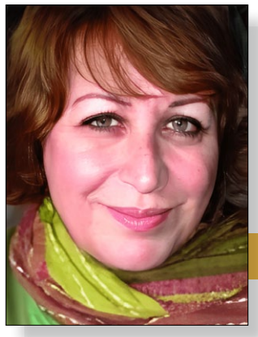

إنعام كجة جي

هو ألذ ما يتناوله القوم هنا في فطور الصباح مع القهوة بالحليب. يحب الفرنسيون فطيرة الكرواسون ويقصدون خبّاز الحي خصيصاً لشرائها ساخنة مع الشعاع الأول. هذا إذا تكرمت الشمس وأشرقت في الصقيع الحالي. يحافظون على هذا التقليد ويتوارثونه وينافحون عنه مثل رمز قومي.
وخبازو فرنسا ممتعضون هذه الأيام. وهم يقفون صفاً واحداً ضد العبث بهذه العجينة وبمذاقاتها. وتزداد الغضبة ضراوة حين يأتي العدوان من الإنجليز، جيرانهم الألداء. ففي الضفة المقابلة من بحر المانش يتعرض الكرواسون لتحويرات كأنها مؤامرة. هذا ما سجله الخبراء في تقاريرهم. ذلك أن للمعجنات خبراء وطهاة ومتحدثين بلابل في قنوات التلفزيون. يقولون إن خصومهم المتطفلين على الكرواسون يجعلونه مالحاً حيناً، أو محشواً بالخضراوات، أو ملفوفاً على شرائح من سمك السالمون والمقانق. وهذا، لعمري، تلاعب يظنه الإنجليز تجديداً وابتكاراً بينما هو في عرف الفرنسيين هرطقة واعتداء على الهلال الهش المعجون بالزبدة والمفرود بنشابة الولع.
في مقال يحتل نصف صفحة من صحيفة يومية باريسية، تتساءل المحررة: «ماذا يحدث بحق الجحيم للكرواسون في إنجلترا؟» والمقال مملوء بأوصاف مثل: هجين، مُتحوّل، مسخ، مُفكك، بدعة، حتى يكاد يعجز القاموس عن ضخّ مزيد من المترادفات. إنها تعيب على مرتادي مواقع التواصل ترويجهم لتلك النسخ المشوهة من فخر الفطور الفرنسي وتهافت الشباب على الإبداعات الهجينة الآتية من وراء الحدود. لا تنقم المحررة على الإنجليز وحدهم، بل تكيل التهم لطاهٍ فرنسي يدعى دومينيك أنسل، افتتح في حي «سوهو» مخبزاً يقدم أنواعاً مُحورَة من الكرواسون. يقف الزبائن طوابير لكي يتذوقوا «إبداعاته»، أي «جرائمه» في حق تراث بلاده. تلك خيانة عظمى. ومن لندن انتقلت التقليعة إلى نيويورك وصار لها مريدوها هناك. هي إذن حرب عالمية، لا سيما وأن الهنود دخلوا على الخط وافتتح أحدهم مطعماً يقدم الشاي مع عجينة تخلط بين الكرواسون والسمبوسة اللاذعة المحشوة بالخضراوات. ثم جاء آخر وراح يقدم الكرواسون بالآيس كريم، وثالث يقترحه مربع الشكل، أو بحجم مضاعف، وضاعت الطاسة.
كل هذه المعمعة وهذه المخبوزة ليست فرنسية في الأساس، بل جاءت من النمسا. عجينة مورقة اسمها الأصلي «كيبفيرل». اتخذت شكل الهلال بعد حصار العثمانيين لفيينا في عام 1683. وتقول الأسطورة إن خبازاً يدعى آدم سبيل استيقظ قبل الفجر لتهيئة العجين وهو من أعطى الإنذار بأن الأتراك قادمون. استعد أهل المدينة لهم وجرى صدّهم. وتكريماً له صنعوا هذه الفطائر الصغيرة. ومن فيينا انتقلت إلى باريس وظهرت المخابز التي تدعى «فيينوازري»، نسبة إلى فيينا. وما زالت التسمية موجودة. أما الكرواسون بنسخته الحالية فقد رأى النور على يد الخباز سيلفان كلوديوس غوي عام 1915. وسارت الأمور على ما يرام حتى مد الإنجليز أنوفهم المدببة وتورطوا فيما لا يعنيهم.

كاتبة عراقية مقيمة في فرنسا

محمد جابر الأنصاري

مسيرة أكاديمية وإبداع فكري خالد

«المرّار»

برحيل الدكتور محمد جابر الأنصاري عن عمر يناهز 85 عاماً، فقدت البحرين والعالم العربي أحد أبرز المفكرين الذين أثروا الساحة الثقافية والفكرية لعقود طويلة. ترك الأنصاري خلفه إرثاً فكرياً وأدبياً يليق بمكانته كمثقف رائد ومجدد في الفكر العربي، سعى إلى فهم الواقع العربي وتشخيص تحدياته، مع التركيز على تجديد الفكر وإحياء مشروع النهضة.

ولد الدكتور محمد جابر الأنصاري عام 1939 في مدينة المحرّق، العاصمة الثقافية السابقة للبحرين، التي شكّلت مهداً لكثير من الكتاب والشعراء. تلقى تعليمه الأولي هناك، متأثراً بنخبة من المعلمين العرب ذوي الخلفيات الفكرية المتنوعة. كان الأنصاري قارئاً نهماً منذ صغره، متردداً على مكتبة المحرق التي وُصفت بأنها تضاهي مكتبات الجامعات الكبرى، حيث نهل من كنوزها الثقافية والعلمية. وقد أتاح له هذا المناخ التعليمي فرصة بناء قاعدة فكرية قوية.

المسيرة الأكاديمية

انتقل الأنصاري بعد ذلك إلى المنامة، حيث تخرج من مدرسة الهداية الخليفية عام 1958 كأفضل طالب في دفعته. بعدها، توجه إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، ليبدأ رحلة أكاديمية زاخرة. حصل على درجة البكالوريوس في الأدب العربي عام 1963، ثم الماجستير في الأدب الأندلسي عام 1966، ليكون أول بحريني ينال هذه الدرجة. ولم يتوقف طموحه عند هذا الحد؛ إذ واصل دراسته ليحصل على درجة الدكتوراه في الفكر العربي والإسلامي الحديث عام 1979.

كانت بيروت محطة فارقة في حياة الأنصاري، حيث التقى بأبرز أعلام الفكر مثل إحسان عباس، قسطنطين زريق، ويوسف عيش. كما كون علاقات وثيقة مع الشاعر خليل حاوي وغيرهم من الشخصيات الفكرية البارزة. لم تقتصر دراساته على بيروت، بل شملت جامعات عالمية مثل كامبريدج والسوربون، مما أضاف إلى رؤيته الفكرية بعداً عالمياً.

حياة مهنية زاخرة

بدأ الأنصاري مسيرته المهنية عام 1964 كمدرس للغة العربية، وفي عام 1966 أصبح أستاذاً لدراسات الحضارة الإسلامية والفكر المعاصر في المعهد العالي للمعلمين. تدرج في المناصب الأكاديمية حتى تولى عمادة كلية الدراسات العليا بجامعة الخليج العربي. كما شغل منصب مستشار جلالة ملك البحرين للشؤون الثقافية والعلمية، حيث ساهم في صياغة السياسات الثقافية للبحرين.

لم يقتصر دور الأنصاري على التعليم فحسب، بل كان أيضاً من مؤسسي جمعية "أسرة الأدباء والكتّاب"، وشغل منصب أول رئيس لها عام 1969، مما أسهم في تعزيز النشاط الثقافي في البحرين.

الإسهامات الفكرية

ترك الأنصاري بصمة عميقة في الفكر العربي من خلال مؤلفاته التي تجاوزت العشرين كتاباً، تناولت قضايا محورية في الفكر العربي والإسلامي. من أبرز أعماله:

- تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (1930–1970)
- الفكر العربي وصراع الأضداد
- التكوين السياسي للعرب ومغزى الدولة القطرية
- مساءلة الهزيمة
- العالم والعرب سنة 2000
- الأزمة السياسية عند العرب وموقف الإسلام

تميزت كتاباته بالجمع بين الأصالة والحداثة، حيث سعى إلى فهم جذور الأزمات العربية وتشخيصها بطريقة موضوعية ومعمقة. كما استفاد من فكر ابن خلدون، الذي كان أحد أبرز مصادر إلهامه، داعيًا إلى إعادة تقييم الذات العربية وفق منهجية خلدونية تحلل الواقع وتستشرف المستقبل.

رؤية خلدونية للواقع العربي

أبرز الأنصاري في كتاباته أهمية استلهام فكر ابن خلدون لفهم التحديات المعاصرة. في كتابه «التقاء التاريخ مع العصر»، دعا إلى إدماج الفكر الخلدوني في الوعي المعاصر، بهدف تأسيس ثقافة عربية قادرة على مواجهة متطلبات العصر. رفض الأنصاري النظرة الرومانسية للتراث العربي، داعياً إلى قراءة نقدية واعية تسهم في إعادة بناء الهوية الثقافية العربية.

● الأنصاري يتسلم جائزة سلطان بن علي العويس

الجوائز والتكريمات

حصل الأنصاري على العديد من الجوائز المرموقة تقديراً لإسهاماته الفكرية والثقافية، منها:

- جائزة الدولة التقديرية في البحرين (1989).
- الميدالية الذهبية الكبرى للثقافة العربية من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية للدراسات الوطنية والمستقبلية (1996–1997).
- جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي (1981).
- وسام قادة دول مجلس التعاون الخليجي (1989).

في كتابه "مساءلة الهزيمة"، تطرق الأنصاري إلى آثار هزيمة 1967 على العقل العربي، محللاً تداعياتها السياسية والاجتماعية والثقافية. رأى الأنصاري أن التخلف العربي هو النكبة الحقيقية التي تقف عائقاً أمام أي نهضة، مؤكداً أن التحرر من قيود التخلف هو السبيل الوحيد لاستعادة الوجود العربي الفاعل في العالم.

رحل الدكتور محمد جابر الأنصاري تاركاً إرثاً فكرياً سيبقى حاضراً في المكتبة العربية. كان مفكراً موسوعياً جمع بين النقد والبناء، وبين الأصالة والحداثة، وبين الرؤية المحلية والأفق العالمي. ستظل أعماله مصدر إلهام للباحثين والمثقفين، وشاهداً على عظمة العقل العربي حين يتجه إلى التحليل والتجديد.

اعترافات

تنبع الكلمات من أعماق الروح، مثل نهر لا يعرفُ التوقف، يحمل في جريانه اعترافات تتأرجح بين البوح والصمت، بين الصخب والهدوء، وبين الماضي الذي يزهر فيه الشعر، والحاضر الذي يتطلب الصدق مع الذات.
في هذا النص، يعانق الشاعر إبراهيم النمر مفرداته بروح شجية، مستعرضاً حكايته مع الملهمات، تلك الأرواح التي صاغت قصائده وأنارت دروبه في الأدب والحياة.
يتحدث النمر عن الشعر، ذلك «القنديل الأخضر» كما وصفه نزار قباني، ويمزج بين العاطفة والإبداع، بين الواقع والتأمل، ليقدم صورة عن مسيرة الشاعر التي تبدأ بالصخب الجريء وتنضج مع التأمل العميق. من الرّقة والفرات إلى الغزالات المبدعات، ومن النقد إلى المقارنة بين الشِعر والشعر، تتجلى رحلته في عالمٍ من الجمال، حيث الكلمات ليست مجرد تعبير، بل نبضٌ يتردد صداه في كل روح تقرأ.
هنا، تتماهى المشاعر مع الحروف، لتصنع نصاً يعبّر عن مكنونات الذات، ويشعل شموع التأمل في طريق الشعراء والقرّاء على حدٍ سواء.

المرّمار

المرّمار إبراهيم النمر

(1)

لستُ أدري الدوافع التي دفعتني لاختيار هذه الكلمة المفردة التي ينطوي تحتها وفوقها ألف استفسار، عنواناً لمادة أكتبها الآن وأنا بكامل براعتي وصدق مشاعري.
لست أدري بالضبط الموقع الأنسب لمفردة تصلح لأشياء وأشياء...
ربما هي في التحقيق مقتلة، وفي العمل إشارة إلى تقصير، وفي الكتابة نقل مشاعر فيّاضة ناء القلب بحملها فأسرع بالاعتراف.
ما يعنيني من عنواني هو العلاقة بين هذه المفردة الصارخة وبين الشعر.
ما يعنيني هو الحديث عن الملهمات ودورهن الكبير في تجميل وجه القصائد، ورش العطور على أجساد الكلمات لتُصبح بطعم الكيوي وبنكهة حبّ الهال.
ما يعنيني أن تساهم هذه الغزالات المبدعات في جعل الشاعر أكثر جنوناً، وبالتالي أكثر إبداعاً.
أعترف بأني لم أكتفِ بملهمة واحدة؛ فملهماتي أكثر وأكبر من أن يُحصين.
الرّقة الحبيبة، مدينتي ومُلهمتي، هي التي ألبستني ثوب الشعر وأحسنت تطريزه وزركشته، فكان ما كان من تبادل نظرات ودمعات وقُبل.
الفرات العذب، الذي تحمّل مُشاغباتنا وطفولتنا العابثة وثقل دمنا، ونحن لا نترك له فرصة للشوق لأن حضورنا يوميٌّ وغيابنا نادر.
الأصدقاء الأنقياء، الذين شكّلوا معنا ولنا حقول خضرة، وكانوا يتابعون إبداعاتنا بكل شغف، ويتجرؤون على نقد قصائدنا حتى تستقيم.
أسرتي العزيزة، التي صبرت على تهوّري وصخبي ونزقي، الذي كاد أن يكون بركاناً ناشطاً في أغلب الأوقات.
وأخيراً، الغزالات المبدعات، اللواتي يدخلن مدينة الشعر بكامل بهائهن، وكأنهنّ معنيّات بالقصيدة.
لن أسترسل في تعداد مُلهماتي والثناء عليهن؛ فهنّ رأس مال القصيدة، وهنّ خبزها وماؤها وهواؤها العليل.
وأختم ببيت حفظته للشاعر المرحوم وجيه البارودي يقول فيه:

لكل فاتنةٍ سحرٌ وإغراءُ
فلا تنوبُ عن السمراء شقراءُ
دمتم بخير، وهذه أول اعترافاتي.

(2)

تأتي القصيدة على جنح طائر، ويأتي معها الفرح والسعادة، فتورق الحروف وتطلق سهام إبداعها كأنها صيّاد ماهر.
من لم يفرح بولادة قصائده ليس شاعراً، ومن لم تلهمه ملهمة مدهشة ليس شاعراً، ومن حدّث أنثى عن مشاعره وشاركته المشاعر ولم يكتب لها شعراً، فهو بارد وبليد ومتجمّد.
الأنثى زاد الشعر، وقوام قوافيه وموسيقاه.
الأنثى سرّ السعادة لمن خبر أشواقها، وتعلّم أبجدية التعامل الأنيس معها، وشكّلها وردة في بستانه، ودمعة في عيونه، وبسمة على شفتيه.
المرأة هي حياة الشعر وأكسيره. بحوره وقوافيه، أشكاله المختلفة وصيغته الخالدة.
أذكر أنني قلت ذات يوم في لقاء صحفي أجراه صديق عزيز:
«المرأة نصف عيوننا ونصف برتقالتنا... من لم يكتب للمرأة ليس شاعراً، وإنْ أهداه المتنبي ديوانه».
هي مقدمة اعترافات جعلتها تمهيداً لمقطوعة شعرية كتبتها البارحة على جناح وردة، وخفتُ أن تفرّ من بين يدي قبل أن أنقلها بأمانة إليكم:

ظننتُكِ أنثى وما خاب ظنّي
كأنكِ أنثى حرير التمنّي
فلا تبعدي عن فؤادٍ مُحبٍّ
ولا تمنعي القلب منَ أن يُغنّي
فأنتِ التي عطرها مغربيٌّ
تنقّلَ بين رُباكِ وبيني
أحبكِ أنتِ الوَداعة لمّا
يفيضُ هواكِ ليغسل حُزني.

(3)

حين أسمع هسيس كلماتها كجدول، وتداهمني صباحاتها الملوّنة كالمناديل المعطّرة، أكتشف أن الكون كله ضاحك مستبشر. وحين تغيب رائحة أنوثتها دقائقَ معدوداتٍ، أرى أن الحياة تسلبني شيئاً ثميناً، غالياً، ونفيساً.
هي وطني في غربتي، ونافذتي في غرفتي، ودمي في شراييني، ودمعتي في عيوني، وحلمي حين نومي، وسعادتي في صباحي، وهدوئي في مسائي.
هي كل الأشياء معاً... وأنا، المولع بالحسن، أنهضُ كطائرٍ ملوّن الجناح خبّأ في منقاره وردةً حمراء.
بدأت حكايتي حين حكم الشّعر عليّ بالعشق!
طاوعته، فكانت القصيدة قاب قوسين من الإبداع، وكنت كمن يغرف بيمناه ماء الفرات، فيتحول الماء إلى غزالة.
بدأت حكايتي حين سرق مني الجِسر القديم صباحاتي، وأحالني طيراً في سماء النقاء. ورحت أهذي بالشّعر، أساور محبتي الفضية من مائه، ودمعتي من مائه، وفرحي من ندى موجاته.
كانت للنهر حكايات خبّأتها مساءاتنا العابقة بالفن والشعر والحكايا.
كان الأصدقاء المميزون يتجاذبون أطراف الشعر المؤنسة، وكان للفن التشكيلي حضوره الفريد.
أعود الآن فارغ الحلم، بارد الكلمات، موجوع الدمعة، وأنا أتذكرهم واحداً واحدا.
خطف الموت منهم من خطف، وجرّع السفر والهجرة والغياب المُر من جرّع.
وصارت مساءات النهر موجعة، باردة، وصرتُ، وأنا بكامل براعتي، أسير الشوق لأيام قتلها الغياب، وكسرت أجنحتها عجلة الموت المرعبة.
على نهر الفرات أذبتُ روحي
كما ذابت شموعٌ في الظلام
شراييني على الشطّين وردٌ
وأوردتي سلالٌ من غرام
أجمّع من ضفاف النهر لحمي
وأجعل من حوائجه عظامي
كأني صغتُ من جسدي فراتاً
وهذا الماء يجري بانتظامِ

(4)

لم أدرِ كيف ساقتني عباراتي إلى الحديث عن شيئين لا يربط بينهما أي رابط.
فالشِعر لغة شفافة مدهشة، تنقلنا من بديع إلى أبدع، ومن قارة إلى أخرى بجناحين من ألق وفن وموسيقى وعذوبة.
والشعر الذي لا يرتقي ليصبح حديثاً على الألسن، أو فكرة جديدة ومفيدة نحتاجها للاستشهاد، لا يُعد شعراً.
لكنني، ذات جنون، عاينتُ سيرة الشِعر، وعلمتُ أن الشاعر في بداياته جريء، متدفق، لا يأبه بما يقال عن قصائده، ولا يلتفت إلى رأي النقاد.
يرى أن شعره أكبر من النقد والمدارس النقدية، وأكبر حتى من محمود درويش والسيّاب ونزار قباني.
وعندما ينعم الشاعر بالرَّوية والحسّ النقدي الناضج، يبدأ بقصّ أجنحة قصائده، لتخليصها من التطويل الممل والرتابة القاتلة.
ويفعل بالقصيدة ما فعله زهير بن أبي سلمى، الذي عاين قصيدته عاماً قبل أن يطلقها، وقبل أن يضع شراييننا في قبضة النقاد والمتابعين.
وهذا ما أعادني إلى المقارنة بين الشِّعر والشَّعر.
فالشاب العشريني في شَعره يشبه الشاعر العشريني في شِعره:
شعر أسود طويل، قويّ، مظهره يشبه إلى حدّ بعيد ليلاً دامساً بكثافته المعهودة، لا يُلقي بالاً لمن يكيل له سيول النقد، ولا يلتفت إلى أنهار المعارضة التي لا تعجبه غالباً.
وحين يُداهمه الشيب على حين غفلة، ويزرع الأقمار في ليل شعره، كما غنّى الغزالي رحمه الله، يبدأ رحلة البحث عن مثبتات للشَعر تخفي صلعاً جائراً.
يرى حينها أن الشيب ليس وقاراً في يوم من الأيام، ويتمنى لو يعود شَعره إلى سواده وكثافته بعيداً عن الوقار وأهله.
أعود إلى الشِّعر، الذي يقول عنه نزار قباني إنه قنديل أخضر، وأحييه وأرحّب به:

شاباً عشرينياً ورجلاً ستينياً
بنزق الشباب وأناة الرجال
بصخبه وهدوئه
بتدفّقه كشلال وانسيابه كجدول
بصوره الغارقة في الغزل
وعفته التي تناسب عمر شاعره
فيا مرحباً بالشِعر والشَعر أسودُ
ويا ألف أهلاً بالوقار من القصيد
ويا فرحتي بالشِعر ضيفٌ مقرّبٌ
ويا فرحتي بالشَعر دون حدودِ

● شاعر سوري مقيم في تركيا

شاعرٌ وروائيٌ ينسج الحنين والإنسانية في أدبه

المرمار | عبد الكريم البليخ

عيسى الشيخ حسن، اسمٌ يتردد في فضاء الأدب العربي الحديث، يجمع بين موهبة أدبية متقدة وحس إنساني نادر. نشأ في مدينة الرّقّة السورية، حيث كانت ضفاف الفرات شاهدةً على ولادة شاعريته وشغفه بالكلمة، لينتقل لاحقاً إلى الحسكة ومنها إلى الغربة الطويلة في قطر. يتجلّى في أعماله الأدبية ذلك التفاعل الحميم مع الماضي والحاضر، مع الناس والأماكن، مما جعله أحد أبرز الأسماء الأدبية في العالم العربي.

بدأ عيسى الشيخ حسن مسيرته كمعلم في سوريا، متنقلاً بين الرّقة والحسكة، حيث لم يكنّ التدريس بالنسبة له مجرد وظيفة، بل رسالة سامية. سعى إلى غرس حب اللغة العربية في قلوب طلابه وتحفيزهم على الإبداع والتفكير. كانت قاعات التدريس، بالنسبة له، فضاءً إنسانياً يُنسج فيه التواصل الإنساني بقدر ما تُبث فيه المعرفة. ومع انتقاله إلى قطر، أمضى أكثر من عقدين من الزمن في التعليم، حيث ترك بصمة عميقة في نفوس طلابه، مستثمرًا تجربته الحياتية في إثراء عقولهم ووجدانهم.

وقد صدر مؤخراً كتاب بعنوان «سادن الريح والمواويل». شهادات ونصوص في تجربة الشاعر عيسى الشيخ حسن معلماً وصديقاً وشاعراً وروائياً، عن دار قرطاج للطباعة والنشر. الكتاب من تأليف أصدقاء الشاعر وفكرة الكتاب من إعداد صديق الكاتب عماد أحمد. وتضمن الكتاب شهادة 52 من أصدقاء الشاعر والروائي.

وكتب الشاعر والروائي عيسى الشيخ حسن «بكيت وأجهشت وتمتمت، في هذه الوجبة أو «العزيمة»، ولعلّ ما زاد من فرحي هذا التوليف العجيب وحضور هذا العدد الذي أعدّه عدد الشوايا الأثير، وبه جعلت فصول الخربة ومصابيح الخميس، وهنا جاء به عدد مسرد الفهرست، مضافاً إليه حَجَرا الغُلب: «عماد أحمد ومحمد الجبوري».

نصوص مفعمة بالحنين ويضيف «مشيت هذا العمر رفقة أسرتي وطلابي وأصدقائي، مشيت في البلاد على توزّع شاوشتانها، وحلبها ودمشقها، ومغتربي المزمن رفقة جمع طيّب شربت معهم الشاي ذات يوم، وغنينا معاً لأحلام حطّت أمامنا ثمّ طارت. شربت الشاي على الفرات رفقة إبراهيم الزيدي، في بيت إبراهيم المرعي، وعلى مكتب مدير الإعدادية إبراهيم محيمد، وعلى مكتب مدير المركز الثقافي أستاذي أحمد حسين عيسى. وأنست بحديث وقصائد الجميل النشمي أحمد الجرجيس، وهناك في مقهى شعبي في القامشلي، المقهى ذو الواجهة الزجاجية المفيّمة الخادعة، أفرغت حصّتي من السكّر في كأس أحمد الشمام، وقلت له «برّد قلبي واشرب بسكّر مضاعف». كنت اكتشفت السكّر في دمي وقتئذ».

وفي العودة إلى أعمال عيسى الشيخ حسن فقد تميزت بالقدرة على تحويل التفاصيل اليومية إلى نصوص مفعمة بالحنين والجمال. سواء في شعره أو رواياته، تتجلى مواضيع الوطن، الغربة، الحب، والصداقة كعناصر محورية. في نصوصه، يحمل الشاي معاني رمزية غنية؛ فهو ليس مجرد مشروب يومي، بل طقس وجداني يجمع بين الأصدقاء والأحبة في لحظات الفرح والحزن. يقول: «الشاي ليس مجرد مشروب، بل هو بوابة إلى ذكريات الوطن والحياة البسيطة التي لا يمكن أن تُنسى».

يُجمع أصدقاء عيسى الشيخ حسن على صفاته الإنسانية النادرة. كان حاضراً في حياتهم بحبٍ وصدقٍ نادرين، كما يظهر في شهادات أصدقائه في كتابٍ «شهاداتٍ ونصوص في تجربة سادن الريح والمواويل». يصفه الكاتب محمد الجبوري بأنه شخص يُحدث أثراً عاطفياً قوياً، حيث يقول: «كل أشجار العالم تبكي عندما يقول عيسى «هلي». ويؤكد الروائي إبراهيم الزيدي على كرم عيسى واهتمامه بأصدقائه حتى في أصعب الظروف، ما جعله نموذجاً للصداقة الحقيقية.

في كتاباته، تظهر التفاصيل اليومية كبطل خفي في المشهد. الشاي، الأماكن، والأصدقاء الذين رحلوا أو بقوا، كلها تشكل عناصراً تربط القارئ بعالمه الداخلي العميق. يرى عيسى أن السعادة لا تكمن في الأمور الكبيرة، بل في اللحظات الصغيرة التي نصنعها مع من نحب، وفي التفاصيل البسيطة التي تحمل معاني أعمق ما نتصور.

تمثل روايات عيسى الشيخ حسن امتداداً شعرياً لحكايته الشخصية، حيث يعالج قضايا الهوية والغربة ومعاناة الفئات المهمشة. يستخدم لغة سردية أصيلة تجمع بين البساطة والعمق، مما يجعل أعماله قريبة من القارئ المحلي والعالمي على حد سواء. ويجمع في رواياته بين الحكايات الشعبية والسرد الروائي الحديث، ما يُضفي عليها طابعاً فريداً يمزج بين المحلي والإنساني.

الشاي، في نصوص عيسى، رمزٌ يتكرر في

يُجمع أصدقاء عيسى الشيخ حسن على صفاته الإنسانية النادرة. كان حاضراً في حياتهم بحبٍ وصدقٍ نادرين، كما يظهر في شهادات أصدقائه في كتابٍ «شهاداتٍ ونصوص في تجربة سادن الريح والمواويل»

بساطة وتواضع

عيسى الشيخ حسن، ببساطته وتواضعه، يترك أثراً عميقاً في كل من يلتقيه. هو نموذج للكاتب الذي لا ينفصل عن جذوره، بل يستمد منها قوته الإبداعية. رغم السنوات الطويلة التي قضاها بعيداً عن وطنه، إلا أن روحه ظلت معلقة هناك، في تفاصيل قريته، وحقولها، وناسها.

لقاؤه يجعلك تدرك أن الإبداع ليس مجرد كلمات تُكتب أو كتب تُطبع، بل هو انعكاس لروح عاشت التجربة بكل تفاصيلها، واستطاعت أن تصوغها في صورة فنية تنبض بالحياة.

عيسى الشيخ حسن، شاعر الريف وكاتب الغربة، يعيد تشكيل ذاكرتنا الجمعية عن الريف والحياة البسيطة بقلم مليء بالشجن والصدق. روايته «خربة الشيخ أحمد» ليست مجرد رواية تحكي قصة مكان، بل هي وثيقة أدبية تنقل جزءاً من ذاكرة وطن، وتجعل القارئ يرى الجمال في بساطة الحياة وصعوبة تفاصيلها.

كتاباته ليحمل معاني أبعد من كونه مشروباً. هو رابط إنساني يجمع الأصدقاء في الغربة، ووسيلة لتخليد اللحظات الحميمة. يصف الكاتب هذه اللحظات بقوله: «الشاي يحمل حكايات الأمكنة والناس»، مشيراً إلى أن التفاصيل اليومية قادرة على خلق أدبٍ خالد ينبع من الحياة نفسها.

الغربة، بالنسبة لعيسى الشيخ حسن، ليست مجرد انتقال مكاني، بل تجربة وجدانية عميقة. في نصوصه، يظهر الحنين للوطن والأحباء في كل كوب شاي، وفي كل كلمة يكتبها. الغربة ليست مجرد بعدٍ جغرافي، بل محاولات مستمرة للتصالح مع الشعور بالفقد والبحث عن الانتماء.

إبداع حب وبساطة

في شهادات أصدقائه وقراء نصوصه، يظهر عيسى كشخص يجمع بين الإبداع والحب والبساطة. شخصٌ يستطيع أن يحول تفاصيل حياته اليومية إلى أدبٍ خالد يمسّ القلوب. سواء كان ذلك من خلال قصيدة أو رواية، فإنك ستجد نفسك أمام تجربة إنسانية عميقة لا تنفصل عن حياة الكاتب. إنه صوتٌ أدبي ينبض بالحياة والحنين، يجسد في كل أعماله المعنى الحقيقي للأدب الذي ينبع من الإنسان ويروي قصصه بصدق.

فالشاعر والكاتب عيسى الشيخ حسن، ابن قرية أم الفرسان التابعة لمدينة القامشلي السورية، جمع بين براعة الشعر وسحر الرواية، استطاع أن يحفر لنفسه مكانة متميزة في المشهد الأدبي العربي. بتواضعه الجم وهدوئه المحبب، وبتلك الروح السمحاء التي يوزعها على

تمثل روايات عيسى الشيخ حسن امتداداً شعرياً لحكايته الشخصية، حيث يعالج قضايا الهوية والغربة ومعاناة الفئات المهمشة. يستخدم لغة سردية أصيلة تجمع بين البساطة والعمق، مما يجعل أعماله قريبة من القارئ المحلي والعالمي على حدٍ سواء

كل من عرفه أو اقترب منه، يقدم الشيخ حسن نموذجاً للمبدع الذي يضع الإبداع الحقيقي نصب عينيه.

في روايته «خربة الشيخ أحمد»، أثارت اهتمام النقاد لما تحمله من تصوير دقيق وصادق لحياة الريف السوري. بأسلوبه المتفرد والمتميز، استطاع الكاتب أن ينقل تفاصيل الحياة اليومية في قرى الريف المنهك، حيث تعب الجسد وصمود الروح. الرواية، التي تجمع بين جمال اللغة وعمق الفكرة، هي انعكاس لذكريات الكاتب في طفولته، حيث عاش في تلك القرى وعرف صعوباتها وتحدياتها عن كثب.

الريف بالنسبة لعيسى ليس مجرد مكان عاش فيه، بل هو ذاكرة غنية بالصور والمواقف التي تسكنه حتى اليوم. هذه الذكريات شكلت العمود الفقري للرواية، لتعيد القارئ إلى عالم يمتلئ بالشوق والألم، لكنه في ذات الوقت يحمل جمال البساطة ونقاء العيش.

الحزن، كما يبدو، يشكل جزءاً كبيراً من ملامح شخصية عيسى الشيخ حسن، خاصة بعد فقدانه والدته وزوجته، وغياب أهله بسبب غربة استمرت لأكثر من ربع قرن. هذه التجربة الحياتية المؤلمة تركت بصمتها العميقة في كتاباته، حيث يظهر الحنين إلى الوطن والأهل في كل كلمة يخطها.

رغم هذه الصعوبات، لم يفقد الشيخ حسن شغفه باللغة العربية التي درسها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة حلب. ظل مخلصاً لها، ليس فقط كشاعر وكاتب، بل أيضاً كمعلم يسعى إلى نقل جمالياتها وروحها إلى الأجيال القادمة. لم تكن مسيرة الشيخ حسن خالية من التقدير والاحتفاء. فقد فاز بعدة جوائز مرموقة، من أبرزها:

جائزة الشارقة للإبداع الأدبي – الدورة الخامسة.

جائزة عبد الوهاب البياتي – الدورة الأولى.

كما أن رصيده الأدبي يزخر بعدد من الإصدارات التي تراوحت بين الشعر والنثر والرواية. من أبرز أعماله:

أناشيد مبللة بالحزن.

يا جبال أوبي معه.

مروا عليَّ.

حمام كثيف.

سرديات رمضان – آيات ووجوه وأمكنة.

خربة الشيخ أحمد.

العطشانة

وروايته العطشانة التي صدرت في فبراير 2024 عن دار جدار للثقافة والنشر بالإسكندرية ومالمو. تتألف الرواية من 118 صفحة وتضم 27 فصلاً، وتتوفر بنسخة إلكترونية مجانية.

تعتبر العمل الروائي الأول الذي أنجزه عيسى الشيخ حسن قبل روايته «خربة الشيخ أحمد» الصادرة قبل أكثر من عامين. يرى الكاتب أن هذا العمل محاولة لاستثمار السرد في توثيق بيئة ريفية تواجه مصائرها بالموت والرحيل بتسليم ومحبة.

قصة قصيرة

دفء حصة الرياضيات

زهير رمضان

كانت الساعة تشير إلى السابعة مساءً، والمكان يلفه هدوء غريب. الغرفة الصغيرة مضاءة بضوء محمر خافت ينبعث من مصباح قديم يتدلى من السقف، والهواء بارد بشكل لا يُحتمل، قادم من مكيف غاز قديم يصدر طنيناً مزعجاً بين الفينة والأخرى.

جلس الأستاذ حسن، المدرس الخصوصي، على كرسي خشبي قديم، وقد بدا عليه التعب الشديد. عيناه مثقلتان، وأنفه محمّر بسبب نزلة برد مفاجئة جعلت قواه واهنة وزادت من شعوره بالإرهاق. بجانبه وُضعت كومة من الأوراق، وحاول بصعوبة رسم ابتسامة وهو ينظر إلى الطالب الذي أمامه:

«طيب يا كريم، خلينا نبدأ. الدرس اليوم عن المعادلات الخطية»، قال حسن بصوت متحشرج، لكنه حاول جاهداً أن يُبدي اهتماماً ويبدأ الشرح.

كريم، الفتى ذو الاثني عشر عاماً، لم يكن منتبهاً كعادته. كان يلعب بالقلم، يرسم دوائر صغيرة على الورقة دون اكتراث. ربما كان البرد يزعجه أيضاً، أو ربما شعر بالملل من تلك الدروس الروتينية التي تتكرر كل أسبوع بنفس النمط.

حسن لاحظ شرود كريم، فقال بصوت منخفض:

«كريم، ركز معي قليلاً. يجب أن ننتهي من هذا التمرين لأن الاختبارات اقتربت».

رفع كريم رأسه ببطء وقال بنبرة متثاقلة:

«أستاذ، ليش شكلك اليوم تعبان؟».

ابتسم حسن بمرارة، ثم أجاب:

«عادي، مجرد نزلة برد خفيفة. نكمل الدرس، لا تقلق».

لكن كريم أصرّ هذه المرة، وبصوت أعمق قال:

«أنت دائماً تأتي تعبان أو مشغول.. ليش ما ترتاح؟».

كان سؤال كريم بسيطاً في ظاهره، لكنه حمل ثقلاً كبيراً لحسن. لم يكن هنا فقط ليعلم هذا الطفل حل المعادلات، بل لأنه بحاجة ماسة إلى العمل. حسن، الذي درس الرياضيات وتخرج بتقدير عالٍ، لم يجد وظيفة في مجال تخصصه، واضطر للعمل متنقلاً بين الدروس الخصوصية وأعمال إضافية أخرى ليكفي احتياجات عائلته.

نظر إلى كريم بصمت للحظات، ثم قال بهدوء:

«أحياناً، يا كريم، لازم نتحمل التعب عشان نحقق شيء أكبر».

لم يفهم كريم تماماً ما قصده أستاذه، لكنه شعر بنبرة الحزن التي تسربت من كلماته. بدأ كريم يلاحظ أن حسن يرتجف من البرد، وأن يديه ترتعشان وهو يكتب على الدفتر. هنا رقّ قلب كريم، وأدرك أن أستاذه ليس مجرد شخص يأتي لإعطائه درساً ثم يمضي، بل إنسان يحمل عبئاً أكبر من دفتر المعادلات الذي يحمله.

فجأة، قام كريم من مكانه وذهب إلى المطبخ دون أن ينطق بكلمة. أطفأ المكيف وأكمل طريقه. لاحظ حسن ما يحدث، لكنه بقي صامتاً. عاد كريم بعد دقائق حاملاً صينية عليها كوب من الشاي، كأس ماء، وظرف حبوب مسكنة.

ابتسم الأستاذ حسن عندما رأى كريم يقترب منه حاملاً كوب الشاي وحبوب الدواء، وقال:

«شكراً يا كريم، لم أتوقع أن أجد هذا الاهتمام منك».

رد كريم بابتسامة خجولة:

«أنت لا تشرح لنا فقط دروس الرياضيات، بل تعلمني كيف أكون إنساناً أفضل».

شعر الأستاذ حسن بالدفء رغم برودة الغرفة، وأدرك أن التعليم ليس مجرد أرقام ومعادلات، بل هو زرع قيم وحب بين القلوب.

ومنذ ذلك اليوم، أصبح درس الرياضيات بينهما مليئاً بالود والاحترام، وتحولت العلاقة من مجرد طالب وأستاذ إلى صداقة قائمة على الإنسانية والاحترام المتبادل.

الجزء الخامس

نص بصري

حفّار القبور.. سماوي الأعرج

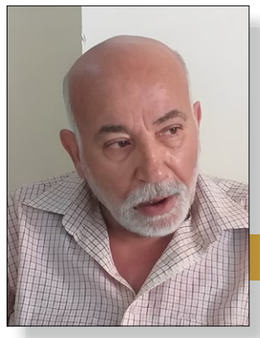

د. حمدي موصللي

- 5 -

الأمتار القليلة الباقية لوصول الجنازة إلى القبر، ومن ثقب التابوت المحمول لمحَ المرحوم المغفور له (والذي هو أنا)... ذاك الحفّار الذي يستعد لاستقبال نعش المرحوم المغفور له (والذي هو أنا)، والذي سيقوم باستلام جسدي الملفوف بقماش أبيض (الكفن) وإنزاله ومدّه على طوله داخل جورة القبر. إنه «سماوي الأعرج» بشحمه ولحمه، الوشم الموسوم بذاكرة البلد. قال المرحوم: «سماوي! ابن الحرام... أهو من سيواريني داخل القبر؟ كيف؟ ألم يعد للشرف قيمة لكي أُوارى مثواي بيد قاطع طريق عديم الأخلاق؟! تالله، هذا أمرٌ مسخرة! الله يجيرنا من الأعظم...» قال المرحوم لنفسه وتابع النظر.

- صاح عمّو الحجّي: الله أكبر!

- ردّد الجميع: الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر...

- ردد إمام مكتب دفن الموتى: «الفاتحة يا إخوان على روح المغفور له العلّامة والفقيه مولانا، قدّس الله سرّه».

رفع أبو عبدو الفوسفوري يديه متضرّعاً إلى الله، يترحّم ويقرأ بهمس الفاتحة، بينما الخواجة «ساكو» أعطى لنفسه بعض الراحة حينما وضع الصندوق الخاص بالحاجة «لوليتا»، المعلّمة، على الأرض قبل أن يسلّمه لحفّار القبر ليدفنه مع المرحوم ويدفن أسراره معه، كما أوصت.

- «سماوي الأعرج»... و«الأعرج» هو اللقب الذي اكتسبه يوم كان يعمل قاطع طريق (چتّا) مع مجموعة لصوص كانوا يجوبون البادية والجزيرة والفرات طولاً وعرضاً إبّان الانتداب الفرنسي على البلد.

كانوا ينصبون الفخاخ والكمائن الليلية غالباً، وأحياناً النهارية، للقوافل والشاحنات العابرة للحدود في الاتجاهين من تركيا أو العراق أو من حدود الأردن أو حماد السعودية. وكانت هذه القوافل في أغلبها محمّلة بمواد مهربة مثل: كراتين مملوءة «بكروزات» الدخان الأجنبي من كل الأنواع المشهورة، وخاصة الماركات الإنجليزية والفرنسية، وسحاحير الخمور المعتّقة الفاخرة مثل الويسكي «بلاي باك» وويسكي «الوايت هورس» وغيرها من الأنواع الذائعة الصيت يومذاك. ولا ننسى الأجواخ القماشية الفاخرة، وخاصة الأقمشة الإنجليزية المشهورة، إضافة إلى أفخر أنواع العطور الفرنسية وماكينات الخياطة ماركة «سنجر» الألمانية. أما عن الأسلحة المهربة، فهي على أنواع: مسدسات «برنو»، رشاشات «هوشكيس»، وبنادق «التفنغ» الإنجليزية، وقنابل العصا، والذخيرة. في مثل هذه الحملات كان يتم الاتفاق بين المهربين وقطاع الطرق (الچتّا) لتأمين سلامة

وحماية الممرات مقابل مبلغ متفق عليه.

- سماوي الأعـرج... ذئب بثوب ثعلب يحب «الكَنص» (النَصب). فلا مهرب لشاحنة أو قافلة من قبضته مهما حاولت التخفّي أو التمويه، إذ سرعان ما تجده أمامها مثل عفريت أو جنيّ أزرق شقّ الأرض وظهر!

- سماوي الأعرج... علامة فارقة، واسم منقوش في ذاكرة المهربين و«الچتّا»، قراصنة البر، قطاع الطرق. تحوّل هو وعصابته إلى أبطال حينما انضموا إلى الثوار في جيش الشيخ ابن مهيد ضد الجيش الفرنسي، وشاركوا في حصار حلب.

- سماوي الأعرج... شارك مع جيش ابن مهيد في تحرير الجزيرة والرّقة حتى أطراف مدينة حلب من يد المحتل الفرنسي. لكنه سرعان ما ترك الشيخ ابن مهيد بعد خسارة الأخير في معاركه مع القوات الفرنسية.

- سماوي الأعرج خذلته مرة فرسه الفرنسية التي اقتنصها من جندي سنغالي في الجيش الفرنسي بعد أن ربطه ثم قتله متباهياً. وعندما أراد ركوب الفرس وتجريبها، حرنت ورمته عن ظهرها وأعطبت رجله إلى الأبد. لكنه لم ينسَ أنها خذلته أمام رجال ابن مهيد الذين سخروا منه وضحكوا من فروسيته المقهورة أمام فرس جموح لم يقدر على تطويعها، فسرعان ما أفرغ رصاص مسدسه في رأسها وبطنها قائلاً: «يلعن أبو أصلك يا هالقحبة!» ومن يومها لم يركب فرساً، واكتفى بحمار اتّخذه صديقاً.

- سماوي الأعرج... بدوي من عشيرة «بني خالد»، المنتشرة كالجراد في الحماد، بين حمص وحماة وسلمية وحتى عمق الجنوب الشرقي السوري.

- سماوي الأعـرج... بقامته المربوعة، وعينيه العسليتين الثعلبيتين الغائرتين، وشفتَيه الغليظتين، ورأسه الصغير المكوّر. ناهيك عن بشرته السمراء الغامقة، وكتفيه العريضين، وساعديه القويين الطويلين اللذين ينتهيان بكفين وأصابع غليظة. تلك التجاعيد وبثور الجدري التي حفرت في وجهه أخاديد جعلت ملامحه توحي وكأنه ذئب بمكر ثعلب.

- سماوي الأعرج... اختار المدينة واستقر فيها واضعاً حداً لصعلكته. لكن مواهبه في المكر والخبث والنصب «الكنص» ما زالت كما هي. ولطالما مولانا يحب الصيد والنصب ويقدّر هذه المواهب التي تفيده في أوقات تهمّه، فقد ضمّه إلى فريقه وولّاه مسؤولية حراسة المقبرة، وتنظيم شؤون زائريها، ونقل الأخبار والأفعال أولاً بأول. كان ذلك لقاء السماح له بحفر القبور، وتقاضي الهبات أو ما يحصل عليه من أتاوات أو «خوّة»، أو التهديد بفضح الأسرار المستورة للمسؤولين أو بعض نسائهم اللواتي يشاركن في لقاءات متفق عليها بالسر، أو حتى أسرار عامة الناس اللواتي يحتجن إلى المال أو المتعة في ذات الوقت.

قائمة الأسماء التي تجمّعت لدى سماوي الأعرج وحفظها كانت قد عُرضت على مولانا وباركها بنفسه.

- سماوي الأعرج عادةً ما يطوف بين القبور ليلاً، وخاصة في الليالي المقمرة والصيفية الحارة، حيث يُراقب من يأمّون المقابر للسهر وتعاطي «حشيشة الكيف» والخمر، أو يسترقّ السمع لأحاديث العشّاق، كاشفاً الستار عن بعض النسوة اللواتي يُقدّمن له الطاعة كي لا يعكر عليهن حلاوة اللقاء ومزاج المتعة بمن يعشقن.

أحياناً يصادف سماوي عـذراء اختلت بها «حصيني» يراودها عن نفسها، مقدّماً لها زجاجة عطر قضى أسبوعاً يجمع ثمنها من بيع «البوظة»، أو من عمله كصبي نجّار أو دهّان، أو حتى من جرّ «عربانة». بالمقابل، قد تقدّم هي محرمة نسجتها بيديها. قد يخطف «الحصيني» قبلة إن سنحت له الفرصة، أو يترك العنان لأصابعه لتمرح في بساتينها. ولو شعرت هي بحلاوة الحرام، قد تسمح بذلك، أو تكتفي بصفعه وتأنيبه مهددة إيّاه بالهجر.

أما عن التجمعات الحزبية السرية التي كانت تقام من قبل بعض الفصائل، فيكتفي سماوي الأعرج بإلقاء التحية عليهم والترحيب، تاركاً أمرهم لأبي «عبدو الفوسفوري» رئيس المخفر، أو لجماعة «المكتب الثاني».

المهم أن سماوي الأعرج يحصل على دخلٍ يرضيه لقاء «السترة»، والخوّة، والحماية. يغادر مقتنعاً، لكن عينيه الذئبيتين تظلّان معلّقتين على مواضع الفتنة البارزة في أجساد النسوة اللواتي التقاهن بشغف الملتاع.

- سماوي الأعرج... أحياناً يحلو له أن ينهض عند الفجر ليبدأ جولة جديدة من «النصب» (الكنص). فهو يعرف تماماً أن حماسة بعض المراهقين تدفعهم إلى ممارسة شهوة الضدّ، ما جعله ينصب لهم الكمائن باستمرار وبمتعة بوليسية. هؤلاء المراهقونص غالبًا ما يستأجرون «حمارة» أنثى أو يسرقونها ليقتادوها إلى ركن مستور في المقبرة لممارسة طقوس الغرام معها بالتناوب فيما بينهم.

الثعلب «سماوي» يكمن لهم، يحاصرهم في خرابة قريبة من المقبرة، أو في حوش مسوّر لعائلة محترمة اقتحموه. لحظتها يفاجئهم بعصاه الطويلة، مهدداً وينقضّ على واحد أو اثنين منهم، مهدداً بفضحهم أو إخبار أهاليهم. سرعان ما يتوسلون إليه، ملبّين طلباته العجيبة.

- سماوي الأعـرج... مرة استجوبته الجنائية بخصوص احتفاظه في غرفته الوحيدة بجثة فتاة مقتولة ليومين، كانت قد طُعنت في المقبرة. لكن بعد أن توصلوا للفاعلين، تركوه دون أن يُسأل عن سبب إبقائه الجثة شبه العارية دون دفن طوال هذه الفترة.

موكب الجنازة وصل، وكان سماوي الأعرج قد هيّأ لوازم الدفن: سطل ماء، وجبلة طين إسمنت، ولوحين إسمنتيين مستطيلين، وصرّة بيضاء تحتوي على أثر منه، وهي عادة تتبنّاها بعض الطوائف أو الملل.

يتبـــع...

● مؤلف وناقد ومخرج مسرحي سوري

حياتي.. كتاب مفتوح

دريد لحام

سوف أبدأ من المحطة الأخيرة التي تم اختياري فيها سفيراً لمنظمة اليونيسيف للطفولة في سوريا، ثم في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، لا لأقول عنها إنها نهاية المشوار، بل لأعلن أنها مرحلة استكمال للمراحل السابقة، وأتطلع من خلالها إلى تحقيق المزيد من أجل الأطفال والطفولة.

في هذه المرحلة، سُئلت: ألم تتعب وأنت الذي أجريت لك أخيراً عملية في قلبك؟ فأجبت: كل إنسان يتعب، وبخاصة في سن معينة، ولكن ما دام الله يعطيني القوة، فسأتابع، وعندما أتعب، سوف أعترف بذلك، تماماً كما فعلت عندما تعبت من المسرح فاعتزلته.

وتشاء المصادفة أن يكون اختياري لمهمة سفارة الطفولة مرتبطاً بمعاناتي في طفولتي، ولعل هذا السبب المباشر لتوجهي إلى الأطفال من خلال فني، واضعاً قسماً كبيراً من عطائي في خدمة قضايا الأطفال والطفولة. قدمت أعمالاً عن الأطفال، ومن خلال الأطفال، في المسرح والإذاعة والسينما والتلفزيون، وخاصة في فيلمي كفرون وفي حلقات تلفزيونية خاصة بالأطفال، وأسعى لتقديم فيلم جديد عن الأطفال بعنوان الآباء الصغار. كما قدمنا في الدورة السادسة الماضية لمهرجان الأغنية السورية مجموعة من أغاني الطفولة المتطورة في الكلمات واللحن والأداء.

إلى جانب هذا، كانت لي مشاركات واسعة في المؤتمرات والندوات والمهرجانات واللقاءات والمسيرات التي تُقام هنا وهناك من أجل الطفولة. كنت أعتذر في الكثير من الأحيان عن عدم المشاركة في مهرجانات فنية وعادية، ولكن لم يحدث مرة واحدة أن توانيت أو اعتذرت عن عدم الاشتراك في أي فعالية تخص الأطفال، وخاصة التي تقوم على مشاريع خيرية لصالح الأطفال، أو الحفلات، أو المناسبات التي يتم فيها التبرع للأطفال، وبصورة خاصة للمعاقين، الذين يجب أن نهتم بهم جميعاً ونعوضهم عن هذه الخسارة التي وصلت بهم إلى الإعاقة. وأنا أقوم بجميع هذه الأنشطة متطوعاً وعن سابق تخطيط وتصميم، لم أفعل ذلك من أجل جعالة أو منصب أو تكريم أو مكافأة، لأن مكافأتي الكبرى هي أن أرسم ابتسامة على وجه طفل محروم، أو يتيم، أو مشرد، أو معاق.

وما دُمنا قد بدأنا منذ الحاضر، فيمكن أن نقف مع آخر عمل تلفزيوني لي وهو مسلسل عودة غوار، وهو يعود إلى الشاشة بعد ربع قرن من الزمن. ولم يكن هذا العمل عودة إلى الدفاتر العتيقة (بسبب الإفلاس) بل تلبية لمطلب جماهيري ملح.

والمعروف أن أعمالي التلفزيونية السابقة في حدود العشرة أعمال أساسية، وهي: مقالب غوار ـ حمام الهنا ـ مسك وعنبر ـ وين الغلط ـ وادي المسك ـ الدغري ـ أحلام أبو الهنا ـ ممكن لحظة ـ مجموعة إعلانات. وكنت في مسلسلاتي الثلاثة الأخيرة وادي المسك والدغري وأحلام أبو الهنا قد تخليت عن الشخصية التقليدية لغوار، ومع هذا فقد أصر جمهوري على عودة غوار و«طرطقة» قبقابه، وطرة طربوشه، وشكل سرواله.

والواقع أن غوار الطوشة شخصية تبقى في الذاكرة، ولها في وجدان المشاهدين نوع من الحضور الخاص والمتميز، لدرجة أن آخر عمل قدمناه عن هذه الشخصية (قبل عودة غوار) مر عليه أكثر من عشرين سنة. وفي كل مرة يُعرض أحد مسلسلاتنا القديمة، نجد أن غوار الطوشة يلقى القبول والإعجاب. وعندما كنا نعمل في تحضير مسلسل أبو الهنا كنا نحاول أن نجعل من شخصية أبو الهنا امتداداً لشخصية غوار مع بعض التطوير، ولكن يبدو أن هذا لم يتحقق في أذهان الناس الذين اعتادوا شخصية غوار شخصية نمطية في إطار معين، ومرتبطة بـ«المقالب». ومع هذا، لم نستطع في عودة غوار أن نعود إلى الشخصية القديمة كما كانت، وكما تخيل البعض، وكان لا بد من مراعاة موضوع الزمن، واختلاف العمر والشكل والمعطيات والإفرازات الاجتماعية الجديدة. ومن هنا، بدا أبو الهنا كإنسان مسحوق في المجتمع، وبدا غوار الجديد كذلك، لكنه استطاع في النهاية، وبنوع من الفهلوية المستعادة، أن يُرضي ذوق الناس بأن يهزم خصومه الأشرار من المستغلين.

أما إذا كنتم تريدون الوقوف على رأيي

غوار الطوشة شخصية تبقى في الذاكرة، ولها في وجدان المشاهدين نوع من الحضور الخاص والمتميز، لدرجة أن آخر عمل قدمناه عن هذه الشخصية (قبل عودة غوار) مر عليه أكثر من عشرين سنة. وفي كل مرة يُعرض أحد مسلسلاتنا القديمة، نجد أن غوار الطوشة يلقى القبول والإعجاب

الشخصي، فأنا أعتبر شخصية أبو الهنا، التي حمل عليها النقاد، شخصية فنية إنسانية ومتميزة، وأنا كثير التعاطف معها. بدليل أن الحلقات الإرشادية التي قدمتها بعنوان ممكن لحظة قدمتها بهذه الشخصية، وهذه قناعتي، وأنا عادة لا أتخلى عن قناعاتي بسهولة.

وقصتي مع المسرح فصل مهم من مسيرتي الفنية. سأبدأ معها من الذروة، من عام 1993، عندما أعلنت اعتزالي المسرح. وربط أكثر من واحد هذا الاعتزال بمرحلة التعاون بيني وبين الكاتب محمد الماغوط، ولم يكن هذا صحيحاً. وقال آخرون إنني انتهيت كفنان وفضلت التفرغ للعمل الإداري في مهرجان الأغنية السورية كمدير للمهرجان بتكليف من وزير الإعلام، في حين أنني - في الواقع - لم أعتزل السينما ولم أعتزل التلفزيون. أما اعتزال المسرح، فله أسبابه الوجيهة.

وقبل أن نصل إلى الاعتزال، لا بد من الاعتراف بأن تجربتي المسرحية كانت نقلة أساسية في مسيرتي الفنية، على الرغم من أن ظهوري في المسرح كان مفاجأة رافقها الكثير من الدهشة والتساؤل والقلق، ولكن رافقها أيضاً التألق والضجة والاهتمام الإعلامي. وعلى الرغم من أن البداية كانت مع ما يمكن أن نسميه المسرح الوطني، وكان ذلك مع مسرحية ضيعة تشرين، التي طرحنا فيها موضوع الحرب، كما طرحنا انتقادات اجتماعية ولوحات حية بالإضافة إلى الاستعراض والفنون الشعبية الراقصة والغناء والموسيقى. وبهذا، حاولنا أن نؤسس لنموذج مختلف من المسرح، كان له جماهيرية واسعة ليس في سوريا فحسب، وإنما في جميع أقطار الوطن العربي قدمنا عروضاً مسرحية واسعة، وحتى في المهجر حيث تقيم الجاليات العربية. وقد أطلقنا اسم أسرة تشرين على فرقتنا، مستوحين ذلك من عرضنا الأول.

أعترف بأن التربية الحقيقية للفنان تتم في المسرح، بسبب العلاقة الحميمة التي تربط الفنان بالجمهور. فجمهور المسرح يتدخل في الصياغة النهائية للعرض، بحيث يصبح العرض في اليوم العاشر مختلفاً عنه في اليوم الأول. وأنا حتى الآن أعد المسرح بيتي، لأنه يتيح للفنان التواصل الحي والمباشر مع الجمهور، وإمكان التصعيد الجميل للعطاء. أما العمل مع الشاشة، فهو يقوم على تقطيع الإحساس ليُعاد وصله لاحقاً بالمونتاج. فالممثل في السينما أو التلفزيون لا يخاطب إنساناً، بل كتلة معدن لها عين من زجاج.

بدأت مسيرتي المسرحية عام 1974 بمسرحية ضيعة تشرين، وكنت قد قدمت قبلها بعض الأعمال المسرحية، خاصة في الجامعة، وكذلك تجربة «مسرح الشوك» في أعقاب نكسة حزيران (يونيو) 1967. بعد ضيعة تشرين قدمنا مسرحية غربة عام 1976، ومسرحية كاسك يا وطن عام 1979، ثم شقائق النعمان عام 1987. وقد كانت هذه المسرحيات بالتعاون مع الكاتب محمد الماغوط. ومنذ انفصالنا، قدمت في موسم 1993 - 1994 مسرحية صانع المطر، وهي مقتبسة، ومسرحية للأطفال بعنوان العصفورة الصغيرة قبل أن أعلن اعتزالي.

أنا والماغوط

حول التعاون الذي جرى بيني وبين الكاتب محمد الماغوط، والذي حوله البعض إلى خلاف، حيث قيل إنني تصرفت في مسرحية شقائق النعمان ولم أترك فيها من تأليف الماغوط جملة واحدة، أكتفي بالقول: إننا تعاونا تعاوناً طيباً على مدى أربع مسرحيات، ثم انتهى هذا التعاون. وأحيل أصحاب الاتهام إلى ما كتبه الماغوط عن هذه المسرحية بالذات في الكراس الذي وزعه بمعرفته على روادها.

كتب الماغوط:

«قد يستطيع الإنسان أن يهرب من بيته، ومن عمله، ومن دائنيه ووطنه، من ماضيه وحاضره، ولكن هل يستطيع أن يهرب من مستقبله؟

إن شقائق النعمان ليست إجابة عن هذا السؤال، بل هي صرخة في بيداء الضمير العربي، من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه. لا من أجلنا نحن أطفال التقسيم، وشباب تشرين، وكهول الاجتياح، بل من أجل كل أطفالنا، وكل ما هو نقي وبريء وأعزل أمام الداخل والخارج. ورغم عمليات الصقل والتلميع التي تجري هنا وهناك لهذه الأمة، فإن التصحر الفكري والأخلاقي والإنساني، قبل الزراعي، أخذ يزحف عليها من جميع الجهات. فهل نعترف بهذه الحقيقة؟ أم نترك لدارسي الأساطير أن يثبتوا في المستقبل أن القرود الهندية التي لا ترى، ولا تسمع، ولا تتكلم، ليست أسطورة هندية بل حقيقة عربية!»

كما أحب أن أشير - ما دامت محطة الذاكرة عند المسرح - إلى نقطة مهمة ومشتركة بين مسرحياتي، وهي أن مشاهد الختام فيها تحمل قناعة بعدم الهروب أو النزوح، وبكتابة التاريخ من جديد.

لقد عشت هاجس التجريب وخلق مسرح شعبي، وقد تجسد هذا من خلال نقلة نوعية من كوميديا المقالب والمواقف الاجتماعية المباشرة، كما في مسلسلي صح النوم أو حمام الهنا، إلى التنويع على وتر الهموم العربية. ذلك لأن المسرح يجب أن يكون صادقاً. والذي يكتب للمسرح يجب ألا يكون مجرد مؤلف، بل يكتب من القلب ليصل إلى قلوب الناس عبر طرح مشاكلهم ومعايشاتهم. فلا مبرر لوجود مسرح لا يعكس حقيقة الناس والواقع والمجتمع.

وأرى أن المسرح يجب أن يسعى إلى التحريض على التغيير إلى الأفضل، وأن يخرج من دائرة التقليد والمحاكاة إلى مرحلة التطوير والتفعيل. وقد كان الجمهور المتلقي معنا في متعة المشاهدة وفائدتها، وقد امتد هذا منذ أن كنت شخصية بطربوش وقبقاب، إلى أن صرت شهيداً بأوسمة.

لم يعد المهم ماذا يقول الفنان، بل كيف يقول. وهنا الدور الحقيقي للفن.

اعتزال المسرح

بقي أن أتحدث عن سبب اعتزالي المسرح، فأقول إن هناك ثلاثة أسباب أعددها بالترتيب:

السبب الأول: المسرح يتطلب طاقة الشباب وحيوية الشباب. ففي السينما والتلفزيون والعمل الإداري، لا توجد معاناة نفسية متواترة للممثل، ولا يوجد تسلسل للأحداث والمشاعر. فأنت تستطيع أن تصور آخر مشهد قبل أوله، وبالتالي يمكن أن تكون هناك حالة نفسية «مخترعة». أما على المسرح، فإن الممثل يدخل الشخصية في عمقها وحالتها.

وأذكر أنني في مسرحية كاسك يا وطن، في مشهد الهاتف مع والدي، كنت أبكي كل يوم. والناس كانوا يسألون: هل هذه الدموع حقيقية أم ماكياج؟ وكنت أجيب: في المسرح الحقيقي لا يوجد هذا النوع من الماكياج. إنها معاناة نفسية حقيقية لم أعد أستطيع احتمالها.

السبب الثاني: المسرح يتطلب حركة رشيقة، على عكس حركة ممثل تجاوز الستين.

السبب الثالث: في عقد الستينيات، كان الفنان منصور الرحباني يقول لمن حوله: «شوفوا كيف دريد لحام عم يطير طيران عالمسرح».

الآن لم أعد أستطيع مثل هذا الطيران.

السبب الثاني: هو أنني لم أعد أستطيع أن أقدم أفضل من عرض صانع المطر. فكل شيء فكرت فيه منذ أن كنت طفلاً حتى اليوم وضعته في هذه المسرحية.

لقد تعلمت درساً من المرحوم عاصي الرحباني في هذا المجال. كنت في يوم من الأيام أهنئه بنجاح مسرحية ناس من ورق، فوجدته مهموماً حزيناً. فسألته: هل يمكن أن يحزن أحد في يوم النجاح؟ فقال: «المسرحية نجحت، شو بدي أعمل بعدها؟» هذا هو الشعور بالمسؤولية، وهو الشعور الذي انتابني بعد تقديم صانع المطر.

السبب الثالث: وهو سبب وجيه ومؤلم في الوقت نفسه. أنا مسرحي ملتزم، أتعامل مع القضايا القومية المصيرية الكبرى، والمشكلة أن هذه القضايا لم تعد في دائرة اهتمام المواطن. أنا أرى أن هم الحياة اليومي خطف المواطن من قضاياه الكبرى والمصيرية. رغيف الخبز الذي قطره خمسة عشر سنتيمتراً أصبح قطره عشرة آلاف كيلومتر. وأرى أن الحديث عن الوحدة العربية مثلاً أصبح شيئاً يبدو غريباً الآن، وكذلك الحديث عن القضية الفلسطينية. لقد تبدلت الأمور، وهذا لا يعني أنه يجب أن يثنينا عن إيماننا بهذه القضايا الكبيرة. إذ يجب أن تبقى حلماً على الأقل، فقد تتحقق في يوم من الأيام. قد تكون بعيدة، والحديث عنها لا يثير اهتمام أحد، بل قد يكون من الواجب عليك أن تتحدث عنها بنوع من الترميز والإسقاط غير المباشر.

أنا والسينما

ننتقل إلى الشاشة الكبيرة، السينما، والتي امتدت تجربتي فيها على مدى ثلاثين عاماً، لأقول إن تجربتي السينمائية عبر العقود الثلاثة تنقسم إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة الأفلام التي يمكن أن نسميها مرحلة الأفلام التجارية، والتي قدمتها مع الفنان المرحوم نهاد قلعي، باستضافة عدد من النجوم المصريين واللبنانيين. وقام بإخراجها مخرجون من مصر كانوا يحضرون إلى سوريا ولبنان لفترة قصيرة، ويخرجون هذه الأفلام بسرعة قياسية. وعلى الرغم من أن تلك الأفلام حققت نجاحاً تجارياً وأرباحاً كثيرة، ولا تزال تُعرض حتى الآن بين حين وآخر على بعض الفضائيات، فإنني أعتبرها فاشلة. فشباك التذاكر في مثل هذه الحالة لا يُعد مؤشراً للنجاح الحقيقي.

بدأت تلك المرحلة بفيلم عقد اللولو عام 1964، وانتهت بفيلم إمبراطورية غوار عام 1982. ومن أفلام تلك المرحلة: عقد اللولو - اللص الظريف - غوار لاعب كرة - الصعاليك - الصديقان - الشريدان - المليونيرة - غرام في استامبول - مقلب من

أعترف بأن التربية الحقيقية للفنان تتم في المسرح، بسبب العلاقة الحميمة التي تربط الفنان بالجمهور. فجمهور المسرح يتدخل في الصياغة النهائية للعرض، بحيث يصبح العرض في اليوم العاشر مختلفاً عنه في اليوم الأول

المكسيك ـ لقاء في تدمر ـ الرجل المناسب ـ فندق الأحلام ـ واحد + واحد ـ النصابين الثلاثة ـ خياط للسيدات ـ مسك وعنبر ـ المزيفون ـ سمك بدون حسك ـ زوجتي من الهيبز ـ امرأة تسكن وحدها ـ غوار جيمس بوند ـ عندما تغيب الزوجات ـ إمبراطورية غوار.

أما المخرجون الذين تعاملنا معهم، فمنهم: يوسف المعلوف ـ رضا ميسر ـ سيف الدين شوكت ـ نيازي مصطفى ـ يوسف عيسى ـ عاطف سالم ـ حسن الصيفي ـ حلمي رفلة ـ نجدي حافظ ـ محمد ضياء الدين ـ نبيل المالح ـ سمير الغصيني ـ مروان عكاوي.

لم تفشل تلك الأفلام جماهيرياً بسبب استقطابها عدداً كبيراً من نجوم الفن ونجماته من مصر وسوريا ولبنان، وبسبب جرعات المشاهد الجنسية الكثيرة فيها. لكنها كانت فاشلة فنياً. وهذه حال الأفلام التجارية أو أفلام الشباك.

المرحلة الثانية: فهي مرحلة نوعية ومختلفة، واشتملت على تقديم ثلاثة أفلام هي: الحدود ـ التقرير ـ كفرون.

كانت نقلة نوعية بشهادة الجميع وباعتراف النقاد. كانت أعمالاً متميزة في مسيرتي السينمائية، وأنا أعتز بها، وأشعر أنها مرحلة تحول جديد حتى بالنسبة لأفلام السينما العربية. وكانت الأفلام الثلاثة من إخراجي.

أما عن الكتابة، فأنا أعترف بأنني في الأصل لست كاتباً، وأعاني كثيراً حين أقوم بالكتابة. صحيح أنني شاركت في كتابة أكثر أعمالي، لكنني أتمنى أن يقدم لي أي كاتب عملاً جاهزاً.

أما الذين قالوا إنني حاولت استخدام ما يمكن تسميته ـ تجاوزاً ـ الرمزية في أعمالي السينمائية، فأنا أقول لهم: لست معنياً بالتعريفات المتداولة. المهم أنني كنت أستخدم ما يمكن أن نسميه الرمز البسيط، ولا أحوّل العمل إلى أحجية أو شبكة من المعاني المتقطعة صعبة الحل.

أما لجوئي إلى الرمز فكان للتخفيف من المباشرة، وغالباً ما يكون الرمز واضحاً وظاهراً للعيان، كما في فيلم الحدود. كذلك، عندما استخدمنا شرقستان وغربستان، فعامة الناس عرفوا أن المقصود دولتان عربيتان متجاورتان.

قبل هذه الأفلام، كنت قد توقفت عن النشاط السينمائي حوالي عقدين من الزمن، وكنت في حالة يمكن أن نسميها (وقفة مراجعة) وإعادة نظر. ولهذا فإن فيلم الحدود، الذي جاء بعد حدوث المراجعة النفسية، ابتعدت فيه عن المطبات السابقة لأقدم من خلاله ما يوازي أعمالي على المسرح وأعمالي الأخيرة في التلفزيون.

أما فيلم كفرون، فهو برأيي فيلم متميز، يبدو للوهلة الأولى أنه فيلم أطفال، لكنه في الواقع فيلم للصغار والكبار. نستطيع أن نقول إنه فيلم للعائلة، وهذه نوعية متميزة في السينما العربية، أرجو أن تستمر وأن تتصاعد.

مهرجان الأغنية

أصل بعد هذا، في مرفأ الذاكرة، إلى عمل مختلف وهو إدارة مهرجان الأغنية السورية اعتباراً من دورته الثانية عام 1995. وقد ظن البعض أن قبولي هذا المنصب بعد اعتزالي المسرح كان بهدف بقائي على الساحة الفنية.

سأعترف مسبقاً بأن العمل الفني يختلف عن العمل الإداري. وبالنسبة لمهرجان الأغنية، يعرف الجميع أنني شاركت في البداية كعضو في اللجنة التحضيرية للمهرجان، وقد حاولت الاعتذار أكثر من مرة عن عدم قبول إدارته، لكن وزير الإعلام شرفني بهذه المهمة عندما أصر على تكليفي إدارة المهرجان. وأنا أعتبرها مهمة وطنية إلى جانب كونها مهمة فنية وإدارية.

منذ البداية، كنت أقول إن هذا المهرجان نوعي، وبعيد عن البهرجة الاحتفالية الظاهرة التي تجعله مجرد حفلة من حفلات أضواء المدينة. فالجانب الثقافي فيه جانب مهم ورئيسي، وإلا لما حمل طابع الاستمرار والتصاعد بهذه القوة والزخم. وفي كل دورة منه نكتشف جديداً في التركة التراثية التي خلفها لنا الأسلاف. إنها كنوز مدفونة نمشي عليها، مثل كنوز الآثار.

الأمر نفسه ينطبق على تراثنا الموسيقي، الذي يحتوي على كنوز كثيرة لم يكن لدينا في السابق عنها أي معلومات. هذه الكنوز ـ وبعضها موجود في ذاكرة الحفظة ـ نقوم بتوثيقها ليس لنا فقط، بل لحضارة الأجيال القادمة.

يكفي أن نقول إن أول مخطوطة موسيقية في العالم اكتُشفت في سوريا. وعندما نرجع إلى هذه الوثائق والمخطوطات، نجد أن أغلب الموسيقيين كانوا شيوخاً: الشيخ أمين الجندي، الشيخ أبو خليل القباني، الشيخ علي الدرويش، والشيخ عمر البطش. وهذا دليل على أن مثل هذه الفنون الراقية تمثل تراثاً مهماً في حياة أمتنا وشعبنا.

يقام المهرجان صيف كل عام في حلب، مدينة الأصالة والطرب، ويختلف قليلاً أو كثيراً عن بقية المهرجانات العربية المماثلة. فهو مهرجان نوعي يسعى، إلى جانب العروض الغنائية والموسيقية والراقصة، إلى تأكيد حضور ثقافي موازٍ من خلال المعارض والندوات. نذكر على سبيل المثال معرض الكتب، الذي عرض حتى الآن حوالي ألف كتاب مؤلف عن الموسيقى والغناء، وجميعها مطبوعة في سوريا، وكذلك معرض الآلات الموسيقية قديماً وحديثاً، ومعرض المخطوطات وغيرها من المخطوطات الموسيقية النادرة، مثل نوتات غير معروفة اكتشفناها للموسيقي الكبير الراحل كميل شامبير.

أما الندوات، التي تتعلق بقضايا الفن، فيحاضر فيها كبار الاختصاصيين بالإضافة إلى مداخلات الجمهور والنقاد. وقد كانت الندوات الأربع في المهرجان السادس حول الموسيقى والغناء في التراث الديني منذ فجر التاريخ حتى اليوم.

لابد من وقفة مكثفة مع النقد والنقاد لأقول إنني لا أتجاهل النقد والنقاد كما يُشاع عني، بل أحترم النقد الموضوعي. والمفارقة في الأمور أن أكثر النقد يُوجَّه لي من النقاد السوريين، على عكس النقاد العرب. يبدو ـ كما يقولون ـ أن زامر الحي لا يطرب، إذ إن أعمالي قوبلت من الجمهور والنقاد في جميع الأقطار العربية بأفضل مما قوبلت به في سوريا.

صدقوني، إن حب الناس هو الذي جعلني أستمر على مدى أربعة عقود من الزمن. ومع هذا، أقول إنني لست على استعداد لأن أتخلى عن قناعاتي وأسلوبي وأهدافي من أجل رأي هذا أو ذاك. فالفنان يستفيد من النقد ومن الآراء التي تُطرح حوله. قد يجسد هذه الاستفادة بتطوير في هذا العمل أو ذاك، لكنه لن يلغي نفسه من أجل رأي ناقد قد يكون متحاملاً أو أن نقده مجرد اجتهاد.

ويبدو أن اسم (الفن السياحي) هو الأكثر انطباقاً على الفنون التجارية التي نشاهدها في الملاهي والفنادق والصالات وعلب الليل، وحتى على بعض المسارح. ولهذا هناك من يتحدث عن انحسار الكوميديا العربية وهبوطها إلى التهريج، ذلك لأن التفكير السياحي التجاري، غير المدروس وغير المنضبط، أساء إلى المبادئ والقيم والأخلاق. تحول الإنسان العربي من منتج إلى مستهلك، بل إلى نوع من الاستهلاك يمكن أن نسميه (الاستهلاك التفاخري). وإذا كانت السياحة ثقافة ومعرفة وترفيهاً راقياً، فقد حوَّلها بعض الفنانين أو بعض مدعي الفن إلى رقص وتهريج وشراب وهز بطن. وكم من مسرحية منعت أو أوقفت عن العرض بسبب ما فيها من كلمات مخجلة أو نابية.

وعلى الرغم من جميع الحلول والمحاولات التي بُذلت لوقف زحف الفن السياحي، لم تؤدِ إلى نتيجة، لا من خلال المهرجانات ولا من خلال اللقاءات والندوات والاجتماعات، ولا من خلال الأعمال العربية الفنية المشتركة. وقد شُكلت اتحادات عربية للمسرحيين والسينمائيين والنقاد العرب، وأقيمت مهرجانات للسينما والمسرح والإذاعة والتلفزيون، لكنها ظلت تظاهرات فنية للقاء والتعارف وتوزيع الجوائز. حتى التوصيات التي تخرج بها هذه اللقاءات لا تأخذ طريقها للتنفيذ.

هناك من يتحدث عن انحسار الكوميديا العربية وهبوطها إلى التهريج، ذلك لأن التفكير السياحي التجاري، غير المدروس وغير المنضبط، أساء إلى المبادئ والقيم والأخلاق

وأعود إلى بعض الدفاتر القديمة. فقد نشأت في بيئة فقيرة جداً، وكانت حياة أسرتي صعبة. عملنا مبكرين ونحن لا نزال أطفالاً. ولكن والدتي علمتنا أشياء كثيرة من تجاربها رغم أنها لم تكن تقرأ ولا تكتب.

كانت بالنسبة لي أكثر السيدات ثقافة في العالم، بقدر ما كانت تحفظ من السير الشعبية والحكايات والأمثال. وأهم ما علمتني إياه هو أن الحياة كفاح وليست ضربة حظ. علمتني أنه إذا رأيت طفلاً في حالة ميسورة، ألا أنقم عليه، بل أحاول أن أكون مثله. وهذا ما جعلني عنيداً جداً. ولم أعتبر أي فشل في حياتي نهاية الكون، بل على العكس، اعتبرت أي فشل - وهذا ممكن الحدوث مع أي إنسان - محطة لانطلاقة جديدة.

كان في طفولتي الكثير من التفاصيل المتعبة، ولم تكن طفولة سعيدة بأي شكل من الأشكال. وُلدت في حي القيمرية عام 1934، وكنت واحداً من اثني عشر أخًا وأختًا. أما والدي فدمشقي واسمه محمد حسن اللحام، وأما أمي فلبنانية من قرية مشغرة واسمها (مريم علي). ولعل نشأتي في حي شعبي كان له أثر في حياتي الفنية وفي نوعية الأعمال التي قدمتها.

كنت أحاول أن أجمع بين الدراسة والعمل في طفولتي. وقد عملت في بيع أقلام الرصاص وعلب الكبريت، وعملت حتى في دكان حداد نافخاً (للكير). ولم أتمكن من دخول الجامعة بعد نيل الشهادة الثانوية مباشرة بسبب ضيق ذات اليد، فدخلت دار المعلمين وحصلت على راتب شهري قدره (136) ليرة سورية، مما ساعدني على دخول الجامعة وإعطاء دروس خصوصية. وفي الجامعة اكتشفت مواهبي الفنية من خلال تقديم بعض العروض.

وكانت دراستي في الفيزياء والكيمياء، وتخرجت عام 1959.

كنت في هذا المجال عصامياً، أحاول شق طريقي بنفسي. وبين عامي 1958 و1959 عُينت معلماً ابتدائياً في قرية صلخد (سوريا)، وتعلمت العزف على الأوكورديون وأنشأت فرقة مسرحية في البلدة.

ومن المحطات الشخصية في حياتي أنني تزوجت ثلاث مرات. الأولى من السيدة مي الحسيني، التي أنجبت لي ابني ثائر وابنتي عبير (وهما متزوجان الآن). وبعد قفص الزوجية دخلت قفص التلفزيون،

وكان في بداياته عام 1960 عن طريق الدكتور صباح قباني، أول مدير للتلفزيون السوري، حيث بدأت مرحلة مهمة من حياتي الفنية. وكان المرحوم نهاد قلعي في تلك الفترة مديراً للمسرح القومي في وزارة الثقافة. تعرفت عليه واتفقنا على العمل معاً أمام كاميرا الشاشة الصغيرة،

هوايتي القراءة والموسيقى، وأسوأ هواياتي «التدخين»

أقرأ القصة القصيرة، ولا أحب الرواية

لا أعطي مواعيد يوم الجمعة، بل أكرس هذا اليوم لاستقبال جميع أفراد أسرتي

أنا إنسان محافظ، كزوج وكأب وكجد

أسعد أوقاتي فهي التي أقضيها بين أفراد أسرتي وأبنائي وأحفادي

وفي التلفزيون اخترت شخصية (غوار الطوشة) التي لعبت من خلالها أدوار أعمالي الأولى.

وفي عام 1963 تزوجت من هالة بيطار، إحدى عضوات فرقة الدبكة بالتلفزيون، حيث تركت العمل وتفرغت لشؤون البيت. ثم تزوجت لفترة وجيزة الفنانة صباح جزائري، وتم الطلاق عام 1990. وتعيش معي الآن زوجتي الثانية هالة بيطار، التي لها دور كبير في مسيرتي الفنية، من خلال وقوفها إلى جانبي ومساندتي في جميع الحالات والأزمات والنجاحات التي مررت بها.

هوايتي القراءة والموسيقى، وأسوأ هواياتي (التدخين). وسيكون يوم انتصار حقيقي بالنسبة لي عندما أستطيع أن أقلع عنه.

أقرأ القصة القصيرة، والشعر الحديث الجميل والمفهوم، والزجل المصري، ولا أحب الرواية.

أحب شعر محمد الماغوط، وصلاح جاهين، ونزار قباني.

لا أعطي مواعيد يوم الجمعة، بل أكرس هذا اليوم لاستقبال جميع أفراد أسرتي. بطبعي، أنا إنسان محافظ، كزوج وكأب وكجد، محافظ على العادات والتقاليد الاجتماعية والأسرية، وحتى على موعد نومي، وهو في الساعة الحادية عشرة تماماً. أما أسعد أوقاتي فهي التي أقضيها بين أفراد أسرتي وأبنائي وأحفادي، وعندها تتراجع جميع المكاسب الأخرى المادية والمعنوية، ولحظات النجاح والشهرة والأضواء، والجوائز التي فزت بها، والأوسمة التي حصلت عليها.

حياتي كتاب مفتوح للناس، إذ ليس فيها أي أسرار.

فيه قولان

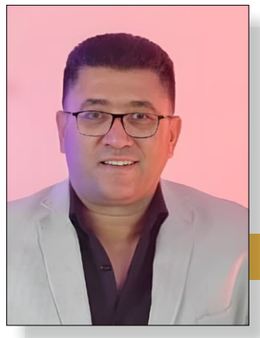

محمد رضوان

إنَّ مُعظم النار من مُستصغر الشرر، ذلك ما عرفته منذ المهد، وتَدَرب عليه عقلي وقلبي، ثم أفرغت مكنون هذا القلم المتواضع يُعبّر عنه، عسى صريره يُسمِعَ من لا أُذن له، ويبلغَ مداه عنان الرؤوس اللاهية المشغولة، فَصار يشق الصحائف كما يفعل المحراث بالأرض البتول، إلى أن يتمخض عن قطعة متراصة من الأفكار، رفعها القراء الأعزاء إلى مصاف الأدب.

إن المقال المكتوب، وإن صغر حجمه، يشبه النهر الجاري الذي يُفرغ فيه الأديب أفكاره وعواطفه. فكلما غضب من نقيصة ما، فزع إلى المقال، وإذا ما افتتن بجمال طبيعي، آل إلى المَقال، يصبّ فيه ثورة غضبه، ويبثُّ خلاله الأحاسيس المتضادة، من أول الابتهاج إلى غاية التبرم.

فالمقالة إذن هي ملاذ الأديب، يجب أن تصدر عمّا يُشغله ويُزعجه، وتترجم ما يشعر به من أوضاع شائنة تضرب المجتمعات، وهي تسلك في ذلك مسلك القصيدة الناجزة للشاعر، والخطبة العصماء لخطباء المنابر ومُعتليها.

ما أيسر ادعاء العلم وما أسهل امتطاء خيوله! ومثلما أن هناك متاجرة بالدين، فإن هناك أيضاً متاجرة بالعلم، وهي وإن كانت أضعف قوة وأقل تأثيراً، إلا أن لها مردوداً فاسداً على انتظام المجتمعات وتنسيق أفرادها.

في كل مرة أرى مُدّعي العلم مثيراً للسخرية، فهو يملك من السذاجة كماً غير قليل، تصل أحياناً إلى حد السخف. لذلك أرى أن ادعاء العلم مآله الخروج عن الطبيعية، وهتك أصول اللياقة.

فماليَّ أنا ومال أحدهم الذي ادعى أمامي بأنه اختلق نظرية علمية، وماليَّ أيضاً ومال هذا الذي يصف لك العلاج لكل الأوباء والأسقام، وماليَّ وهذا الذي يدعي على الدوام معرفة كل شيء وأي شيء وفي أي مجال، وغيرهم الكثير ممن يدعون المعرفة والعلم على الدوام. كلهم يُلقون الادعاء في المجلس، وما عليك سوى الإقرار والتصديق على مفترياتهم، لكنهم جميعاً يتركون في عقلي قيمة واحدة، وهي أنهم جميعاً متكلفون، ينقص نفوسهم الشيء الكثير.

(عاشَ أحدهم بين الناس دهراً، مدعياً للعلم، متدثراً بصنوفه، متزيناً بأسفاره، حتى سرقه الزمن، وصار أقرب من العمر إلى أرذله، ومن القوة إلى الخوار. وقد دُعي هذا الرجل إلى مجلس من الفقهاء والنحويين، وقد رافقه ولده الأكبر البار، الذي نصح والده قائلاً: إذا ما سُئلت عن شيء لم تعرف له إجابة فلتكن إجابتك «فيه قولان»).

وقد كان الناس في هذا الزمان قلما يُعنون بغير المسائل الفقهية، لذا سأله سائل عن طهارة الكلب، فأجاب بلا تفكير: «فيه قولان». فقالوا: لقد صدقت، فهو موضع خلاف بين الشافعية والمالكية.

ثم سأله آخر: أيُرفع الخبر أو يُنصب بعد (ما)؟ فأجاب الرجل الكهل: «فيه قولان». فقالوا: لقد صدق، لأن فيها خلافاً بين أهل الحجاز وأهل تميم.

وقد كان بين هؤلاء رجل ماكر عالِيَّ اللحظ، وقف على جهل الرجل الكبير، ولاحظ فيه خطة مرسومة، فقام ووجه له السؤال: أفي الله شك؟ فأجاب الكهل المسكين كما أملاه ولده: «فيه قولان».

هنا كان على الولد أن يُحسن إلى أبيه، ويبر بجوابه، فلحق الإجابة على الفور وقال: لقد صدق في جوابه، فإن فيها قولين في الإعراب. لكن هيهات! فقد سبق السيف العذل، فلم تمر المغالطة على الجمع المثقف، بعد أن ضحك الناس من عمامة أبيه وادعائه المزعوم.

وهكذا الحال والمآل للأسف والأسى، بعد أن صار لكل المشاكل وجهان، وكل فرض فيه قولان، واختلط حابل الأمور بنابلها، واستعاض الناس عن الميمنة بالميسرة. ويعلم الله وحده أوان الوقوف على نقاط النزاع وترياق علاجها بقول واحد لا قولان؟

ولابن المقفع في ذلك قول سديد:

«لا تكثرن ادعاء العلم في كل ما يُعرضُ بينكَ وبين أصحابكَ، فإنك من ذلك بين فضيحتين: إما أن ينازعوك فيما ادعيتَ فيُهجمَ منكَ على الجهالةِ والصلفِ، وإما ألا ينازعوك ويخلوا في يديك ما ادعيت من الأمورِ، فينكشفَ منكَ التصنّعُ والمَعْجَزَة».

أديب الرياضة

تراتيل إلى جدتي

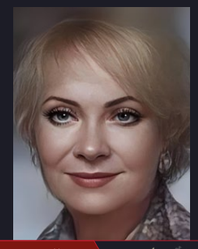

المرمار هدى المهتدي الريس

تراتيل إلى جدتي...

من جديدي... تحت الطبع.

ألهث وراء صورة... وراء ذكرى...
أستحضر عطرها... أستحضر لون
حمرة خدودها.
أغمض عيني، وأتخيل لون خصلات
شعرها الذهبية...
كنت طفلةً تستهويني علبة مكياج
جدتي...
أغافلها وهي منهمكة بتحضير
طعام الغداء، وأدخل غرفتها، أبعثر
محتويات خزنة جمالها، أرسم بقلم
الروج دوائر على خدي ورقبتي.
كانت (مكحلتها) تستعصي على يدي
الصغيرتين.
وفي كل غزواتي، لم أتمكن من فتحها
لأعرف ما بها...
أما قلم الكحل، فقد كان صديقي
الأثير، وفارسي، وكانت غرامياتنا
خطوطاً على الحائط يغار منها
سلفادور دالي وبيكاسو.
كنت مولعةً بالألوان، وكانت رائحة
علبة البودرة تغريني لأنثر محتوياتها
على وجهي وعلى ثوبي.
كانت تنتابني نوبة من السعال تهرع
على إثرها جدتي لإنقاذي، وكأنها
كانت تعلم... أين أختبئ.
حتى اليوم، لا أدري لماذا لم أتلقَ من
جدتي أي صفعة على يدي أو خدي.
كانت تضحك، وكانت نهاية مغامراتي
هذه حماماً دافئاً يزيل آثار جريمتي.
ومن العجب أن جدتي لم تحاول
أن تخفي خزنتها هذه أو أن تغيّر
مكانها، وكأنها كانت تغريني لأعاود
غزواتي مرةً بعد مرة، لأن هذا كان
يسعدني...
أمتطي حروفي..
أبحث عنك بين ضحكة غيمة وبين
دمعة أخرى.
تلفظني الريح، ويسكبني عطرك دماً
في حضن وردة، تحمل أوراقها وجع
حنينِي إليك...
وتظل عيونِي تنتظر رفة هدب... يورق
أملاً...
بأن أغمض عيني كل ليلة علّني أحلم
بك.
كم أشتاقك... كم أفتقدك...

● شاعرة وإعلامية لبنانية

اللباس قضية ثورية

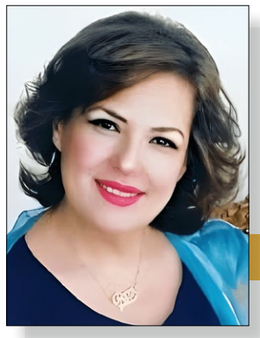

سلوى زكزك

ثمة حرب تدور على شاشات وسائل التواصل الاجتماعي وعلى الجدران وفي الساحات العامة. وهذه الحرب لها هدف معلن وواضح، حملات مختصة بلباس النساء، فيما يبدو أن تلك الحرب هي جزء من سياق كامل، لكنها استوفت حقها من حيث العرض والعروض المضادة.

غالباً وفي الحروب والثورات والمراحل الانتقالية يتم تسويف حقوق النساء وربطها بإرادة الطرف الأقوى، أو الأطراف أصحاب القرار في كل منطقة أو مكان. ومرد هذا التسويف هو اعتبار حقوق النساء قضايا تفصيلية لا وقت لها في زحمة القضية الكبرى وهي تحقيق النصر الحاسم.

كانت ردود فعل السوريين والسوريات على الصور الملصقة والمعممة ردوداً صارمة، حتى الرد على الدعوات الفيزيائية لارتداء النقاب كان قوياً ورافضاً بشكل كبير، أغلبية الردود الرافضة للنقاب ربطت بينه وبين أحوال النساء في أفغانستان، كما عادت إلى الأذهان سردية تنظيم «داعش» سيئ الذكر والمرعب، الذي لم يتم فرض النقاب فقط إبّان تحكمه أو حكمه لبعض المناطق والمدن! بل تمت معاقبة وإيذاء كل النساء اللواتي لم يلتزمن به بصورة قطعية، وقد شمل العقاب حينها كل من تراخت سهواً أو رغبة في التحايل ولو بقليل من التغاضي عن الالتزام المطلق بالطريقة الصارمة لارتداء النقاب، فقد تمت معاقبتهن من نساء تم توظيفهن فقط من أجل مراقبة ومعاقبة تلك النساء بتعنت وصلافة كبيرة توازي الانتقام وليس مجرد العقاب.

المؤسف أنه تم النيل من المعترضات على حملات التنقيب وخاصة تنقيب الطفلات، والأكثر مَدعاة للقلق هو اعتبار النقاب خاصة تنقيب الطفلات حرية شخصية! المفارقة أنَّ الهُوة بدت واسعة جداً بين الداعين والمرحبين والمبررين لارتداء النقاب وبين الرافضين والرافضات له، لم يمسك طرف ثالث العصا من الوسط ليقول: إنّ النقاب لا ينتمي إلى المجتمع السوري مثلاً، ولم يتطوع أحدهم ليقول إنه بات زياً منسياً حتى في السعودية! حتى لم يبادر أي رجل دين منفتح ليقول: إنّ النقاب زي لا ينتمي إلى قواعد الإسلام.

تُرك الطرفان ليخوضا حرباً ضروساً، وعندما وجد البعض أنه يمكن أن يصاغ رد آخر، أقل تشنجاً وأقل صداماً، أي الرد بالطريقة ذاتها، ملصق بملصق، وبناءً عليه فقد تم تصميم ملصق مخالف بالصورة وبالعنوان تماماً للملصقات الأولى ولكن بالتصميم نفسه مع تغيير الزي وتغيير الشروط الخاصة باللباس، هنا خرج من يقول: إنّ القضية لا تستحق الرد أصلاً، وإن اللباس حرية شخصية مهما كان شكله، والأهم أنّ العبارة المشهورة :»ما هكذا تورد يا سعد الإبل» تكررت كثيراً وكأنّها تسعى لتسخيف الرد، وفي الوقت ذاته تسعى للتقليل من خطورة أو محاولات الفرض السابقة للنقاب.

رحّب البعض بحرب الصور، واعتبروا أنّ حرية اللباس قيمة تتناسب مع قيم الثورة، ولكن ما يدعو إلى الحيرة هو استعظام صدور الملصق الجديد والإكثار من التفاصيل الناقدة له من قبل من لم يعترض أو يرحب في الأصل بملصق الدعوة إلى النقاب.

في العموم، تبدي الجموع رغبة شديدة في الرقابة على النساء وكل تفاصيل حياتها اليومية، وتصادر حقها في الرأي الشخصي حول لباسها وعملها وطريقة كلامها، في ظل غياب شبه عام عم احترام وتقبّل الاحقية الفردية بمساحة خاصة له، لكن النساء بسبب هشاشة حياتهن وغياب الحماية العامة لهن يكترثن بشدة برأي المجتمع ويسعين لمراعاته خاصة في المساحات العامة، لدرجة أن ذاك التقييد يحاصر النساء في أزيائهن وأيضاً في اختيار شكل تلك الأزياء ولونها.

عندما يتم فرض اللباس، وكأنه تفصيل ثوري، يجب الالتزام به أو تتعرض النساء للاتهام وربما للمساءلة لاحقاً، هو قضية تفصيلية في سياق عام يغيّب حرية النساء وخياراتها، بدءاً من زيها الشخصي وصولاً إلى وجودها في الحيّز العام وفي أماكن صنع القرار.

دَمُ الكلام

المرمار
ابراهيم النمر

تستيقظُ الكلماتُ آنَ يدُ القصيدةِ فوقَها
وتطيرُ من حرفٍ إلى حرف
يُحوّطها القَرَنْفُلُ شارداً
ما بينَ مَجْراها وبينَ دم الكلامْ
وهناك أغنيةٌ على مسرَى فمي
تستنهضُ الأشواقَ
تزرعُ عشقها
بينَ انطفاء الوصل
في زمنِ البعاد
وبينَ دانيةِ القطافِ الحلوِ
من شجرِ الوداد
وبينَ عصفورينِ غريدين
قد حَلما
وخانَهُما الظّلامْ
فبأيِّ آلاءِ التي
رسمتكَ رَابيةً على مرأى الحمامْ؟
وبأيِّ آلاءِ الذي يسري
يُغسّلُ وجهَهُ فَجْرٌ
غويٌّ
أبيضٌ
وضّاءُ كلّلني بوعد
ما أماطَ لهُ اللّثامْ؟
فكأنني وأنا الذي أشعلتُ نارَ مواجدي
أحتارُ في فهم المَرامْ!
وكأنّ ما بينَ اشتعالِ حرائقي
أو بينَ بعثِ قصيدتي
زمنٌ من الأَلَقِ الشهيِّ
وبعدها يأتي الغرامْ
منْ أينَ جئتِ؟!
وكيف أهديتِ السّلامْ!؟
وإلامَ أنتِ؟

وكيفَ قد أهدتْكِ شمعتها العيونُ
ولا ملامْ!؟
عُمْرٌ تعدّى الوردتين
ولوحةٌ
لله مَنْ وَهَبَ الضّياءَ لها!!
ومَنْ أهدى لها هذا القوامْ!!
عُمْرٌ تعدّى الوردتين
وقامةٌ للشّمس ترفعُ غُصْنها
قد كانَ باركهَا انسجامْ
تستيقظُ الكلماتُ آنَ لها
فقدْ وَهَبَ الجلالُ لها الحياةَ
وحَفّها الرّحمن
أثقلَها اخضرارُ براعمِ الحرفِ الندِيِّ
وخفَّ لها الزّمانُ
وهالها أنّ اليمامْ
شبَكَ الرّسائل
بالعواطفِ والهيامْ
تستيقظُ الكلماتُ آنَ لها
فقدْ حَضَنتْ دلاءُ الماءِ نعْمتها
ورحتُ أحاورُ الكلماتِ
كي ترقى إلى علياءِ هَذا الوجدِ
في لغةِ الغمامْ
تستيقظُ الكلماتُ آنَ لها
ويا خوفي إذا لَعِبَت
رياحُ الآهِ لعبتِها
وغيّبنا الرّحيل المُر
والأحلامُ عاث بها انقسامْ
سأخاصمُ الكلماتِ ساعتها
ولكنَّ الدّموعَ تصير فوق وسادتي
حُلماً يغالبه الحِمام

● شاعر سوري مقيم في تركيا

وهم «الزمن الجميل»

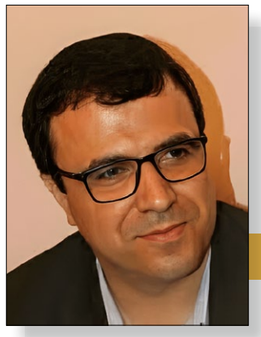

عزيز أشيبان

يتم تداول عبارة «الزمن الجميل» بين الناس، بإدراك ومن دونه، في إحالة على أيّام الماضي واستسلام تلقائي لسلطة الوجدان التي تُضفي صبغة الجمال والسحر والتميّز على الماضي، وتقفز وترفع على تفاصيل المعاناة والمرارة التي ميّزت وجوده. ضمنياً، ثمّة حكم مُسبق يجعل كلّ ما هو آت في مقام القبيح الواجب تقبّله والتعامل معه في ظلّ استبعاد إمكانية استنساخ أو عودة الأيّام الجميلة من جديد في إلغاء تام لمعطى الزمن وحركية الأحداث. تستقبل الأجيال الحديثة العبارة وتبني تصوّراً بعيداً عن حقيقتها في رحاب التمجيد والإطراء الذي يُقبل عليه الآباء عند التحدّث عنها بكلّ ثقة في النفس وجزم بالحقائق.

نحن بصدد عملية تشبه التنويم المغناطيسي إذ في أغوارها يتحوّل الحاضر المرير إلى زمن جميل بعد مرور بضع سنين، مع منحه اللمعان مع تجاهل تام لجانبه المُظلم البئيس. هل حقاً كان ماضينا أجمل من حاضرنا؟ هو سؤال استنكاري نود من خلاله دحض هذا التصوّر الشائع، إذ لكلّ عصر مميّزاته وإنجازاته وإخفاقاته، لذلك من الصعب التسرّع في إصدار حكم مُختزل يفتقد التريّث، ما يوجب إجراء عملية التفكيك الضرورية لعناصره.

نميل إلى القول بإنّ هذا النزوع التلقائي إلى تمجيد الماضي يجد جذوره في عوامل متعدّدة ومتداخلة. نركز على بعض منها.

أولاً، عدم القدرة على الانتماء إلى الحاضر بسبب قصور في فهم عناصر أحداثه ومسايرة مستجداته. هناك إعراض قبلي على الانصهار في حركيته والمساهمة في تشكيل اتجاهاته بفعل اضطرابات ورواسب نفسية وذهنية من قبيل الانهزامية وعُقد النقص وعدم الثقة في النفس وطغيان الميل إلى الخمول والتواكل مما يحول دون تأسيس علاقة ودية مع الحاضر، لنظل نئن تحت وطأة الهزيمة في معركة لم نخضها قط. إذن، تتعمّق الفجوة بين الذات وانخراطاً في الحاضر على المستوى الفردي بالقدر نفسه الذي تتعمّق فيه الفجوة بين الدول المتقدّمة والدول المتخلفة، بين من يقبل على الحاضر وينصهر في أدق تفاصيله وبين من يُعرض عنه ويظلّ مفعولاً به.

ثانياً، غياب ثقافة الإقبال على المستقبل والإلحاح على التفكير بعقلية الأسلاف مما يفسّر الرجوع التلقائي إلى الوراء والإحساس بالخوف من المستقبل المجهول المرعب المنذر بالأزمات والخيبات والنكسات. في الواقع، لم يتحوّل الانطباع النفسي إلى مبادرات فعلية تتأسّس على عمليات التبصّر والتوقّع العقلاني لاحتمالات ما قد يقع، وتغدو بذلك سلطة المخاوف غير العقلانية هي المحدّد للسلوك ونوعية المبادرات.

ثالثاً، غياب العقلانية بوصفها فكراً وممارسة وطغيان سلطة العاطفة وردات الفعل. يظلّ العقل مُعطّلاً عن القيام بفريضة التفكير وإبداع الحلول والبدائل بعد الخوض في القراءة والنقد والتحليل الموضوعي للأحداث. وإذا حدث أن استيقظ من غيبوبته سرعان ما يعود إلى الموت السريري بمجرّد انبعاث أوّل ردات الفعل الانفعالية، وتنساق بذلك الذات وراء المشاعر وتقلبات المزاج ما دام السلوك رهينة للمؤثرات الداخلية والخارجية على حدٍّ سواء ومستباحًا لسيطرتها.

رابعاً، تستأثر فوضى المفاهيم بالنصيب الوافر من المسؤولية في عدّة أزمات وإخفاقات، كيف لا والمفاهيم هي المنطلق في عملية التفكير وبناء التصوّرات واستيعاب حقيقة الأحداث. تنفصل المفاهيم تماماً عن الجمود والسكون الذي يستقر في نوعية استقبال معانيها، إذ تظل متحرّكة بفعل تفاعل ذخائرها مع كلّ ما يحدث.

للأسف، يظلّ الجمال الحقيقي مُفتقداً في جميع الأزمنة في جغرافية منطقتنا العربية. نحن شعوب لا تعرف ماضيها حق المعرفة ولا تستطيع فهم حاضرها، فكيف لها امتلاك حقّ بناء المستقبل الذي يقوم آخرون بهندسته بدلاً عنها؟

نبحث عن نقاط ارتكاز وهمية للإحساس بالسعادة والفرح والسلام الداخلي ونظلّ في تنقّل مستمر من وهم إلى آخر في قلب واقع الجمود والتضعضع الذي يأتي على الأخضر واليابس. قد نتفق على أنّ الزمن الجميل نتاج حبكة نسج منظومة فن العيش من قلب تصوّرات إيجابية تتطلّع نحو القادم وتستفيد من كبوات الماضي وتستمتع بإحياء اللحظة والانغماس في عمق تفاصيلها. من هذا المقام يمكن القول إنّ الوعي بالانتماء إلى الحاضر يشكّل أوّل خطوة من أجل المساهمة في محاولة صناعته.

الجمال وكلّ الجمال للمستقبل، لكن بشرط الانغماس في الحاضر.

نزار قباني

■ اللوحة للفنان خالد جلل

الكتابة عمل انقلابي

نزار قباني

الطبعة الأولى 1975

منشورات نزار قباني - بيروت

مجموعات مقالات سبق أن نشرت في مجلة «الأسبوع العربي» للشاعر الراحل نزار قباني، خلال أعوام 1973، 1974، 1975

الهيبيون يكتبون شعراً

انتبهوا. فالهيبيون وصلوا شواطئ الشعر العربي، وبدأوا يحفرون الأرض، ويدقون ألواح القصدير، ليقيموا عليها مستوطنات الشعر المستقبلي، أي شعر سنة 2000.

ومثلما زحف الهيبيون في الستينات إلى شوارع أوروبا، وميادينها الجميلة، ملأوها بالنفايات وحولوا ميدان البيكاديللي سيركس في لندن، وساحتي (الكونكورد) و (الإيتوال) في باريس، إلى مزبلة.. ونافورة (الفونتانا دي تريفي في روما إلى حمام عمومي يغتسلون بمياهه.. ويغسلون ثيابهم..

مثلما حدث هناك، يحدث اليوم هنا.. ويبتلينا الله ويبتلي الأدب العربي بطعمة من الشعراء الهيبيين، أطلقوا على أنفسهم علم شعراء السبعينات).. يحملون سندويشات شعرهم المقدد.. ويلقون قشور الموز تحت أرجل القراء..

وإنني لأتذكر أن بلدية روما، قد اضطرت دفاعاً عن جمال المدينة، وسمعتها السياحية، وخوفاً على الصحة العامة، أن تطارد الهيبيين بخراطيم المياه، ومسحوق الـ د. د. ت. حتى أجبرتهم على الجلاء عن العاصمة الإيطالية الجميلة...

إن العلماء اليوم مهتمون بموضوع يهدد مصير الإنسان، وهو تلوث البيئة الطبيعية. ولكن أحداً منا لا يفكر بدور هيبيي الشعر الحديث في تلويث البيئة الأدبية.

هؤلاء الهيبيون من هُمْ؟

ومن أين جاؤوا؟

ما هي أصولهم وخلفياتهم الثقافية؟

وماذا يريدون بالضبط؟

الواقع أنّ هؤلاء جاؤوا من العدم... العدم الثقافي، والعدم الجمالي، والعدم القومي، والعدم التاريخي...

إن اللغة العربية تضايقهم لأنهم لا يستطيعون قراءتها... والعبارة العربية تزعجهم لأنهم لا يستطيعون تركيبها..

وهم مقتنعون أن العصور التي سبقتهم هي عصور انحطاط، وأن كل ما كتبه العرب من شعر منذ الشنفري حتى اليوم.. هو شعر رديء ومنحط...

تسأل الواحد منهم عن المتنبي، فينظر إليك باشمئزاز كأنك تحدثه عن الزائدة الدودية، وحين تسأله عن (الأغاني)، و (العقد الفريد)، و (البيان والتبيين)، (و) نهج البلاغة)، و (طوق الحمامة) يرد عليك بأنه لا يشتري أسطوانات عربية.. ولا يحضر أفلاماً عربية...

إنهم يريدون أن يفتحوا العالم وهم عاجزون عن فتح كتاب.. ويريدون أن يخوضوا البحر وهم يتزحلقون بقطرة ماء.. ويبشرون بثورة ثقافية تحرق الأخضر واليابس.. وثقافتهم لا تتجاوز باب المقهى الذي يجلسون فيه.. وعناوين الكتب المترجمة التي سمعوا عنها..

إن الحديث عن ثورة ثقافية عربية انتقل إلينا بالعدوى، كجرثومة الزكام.. فإذا (تزكمت) فرنسا أو الصين الشعبية..

فإن المفروض أن نتزكم) نحن أيضاً بالتبعية.. مع حفظ الفارق بين منظور الثورتين الثقافيتين الفرنسية والصينية.. ومنظورنا....

فإذا سارت مظاهرة في بكين ضد كونفوشيوس.. فلا بد من تنظيم مظاهرة عربية ضد النابغة الذبياني أو الشريف الرضي.. ولا بد من إعادة محاكمتهما باسم الحداثة.. وباسم الحرية...

والحرية الشعرية هي أخطر أنواع الحريات.. ولا سيما عندما تعطى إلى مجموعة من المجانين لم تكتمل أضراس العقل لديهم بعد.. ولا يفرقون بين الألف وعمود التلفون.. وبين أبي العلاء المعري والمقرئ الشيخ محمد رفعت، وبين

إن الحديث عن ثورة ثقافية عربية انتقل إلينا بالعدوى، كجرثومة الزكام.. فإذا (تزكمت) فرنسا أو الصين الشعبية.. فإن المفروض أن نتزكم) نحن أيضاً بالتبعية.. مع حفظ الفارق بين منظور الثورتين الثقافيتين الفرنسية والصينية.. ومنظورنا..

الشاعر عمر بن أبي ربيعة.. والممثل عمر الشريف... وبين شعر ابن الرومي و الجبنة الرومي....

وإنه لمن المفارقات العجيبة، أن تكون كل الثورات الثقافية في العالم، قد قامت على أكتاف المثقفين والجامعيين، باستثناء الثورة العربية التي يراد لها أن تقوم على أكتاف الفوضويين والمشاغبين وأنصاف الأميين....

إن ولاءنا للشعر العربي القديم ليس ولاء مطلقاً، فنحن نعرف مواطن جماله، ومواطن قبحه ونعرف مواضع ضعفه، ومواضع قوته ولكننا لا نسمح لأنفسنا ولا للآخرين بإعدام ديوان الشعر العربي كله بحجة التقدمية والثورية. كما لا نسمح بإلغاء الكلام العربي بحجة أنه صار كلاماً قديماً.. أو ساقطاً...

إن أول شرط من شروط الثورة هو أن يكون وراءها قضية. وأهم ما يميز الثائر هو أن يحمل تصوراً واضحاً للمستقبل.

وفي غياب مثل هذا التصور يصبح الانقضاض على التراث بصورة مجانبة وغوغائية عملاً من أعمال التخريب...

إن كل عملية تكسير، يجب أن تقدم لنا فوراً بديلاً عن الشيء المكسور. أما تحطيم الأشياء بدافع التشفي والسادية، والعدوان على التاريخ لمجرد أنه تاريخ.. فجريمة تنطبق عليها كل أوصاف الجريمة العلنية.

ونحن نتساءل بكل براءة ما هو البديل الذي قدمه لنا شعراء السبعينات.. لقاء سكوتنا عن قطع رأس المتنبي؟

إن هيبتي الشعر العربي الحديث لا يملكون، عندما تحشرهم في زاوية ضيقة، وتطالبهم بفدية عادلة تعوضنا عن موت الطيب الذكر أبي الطيب المتنبي.. سوى أن يقرأوا عليك نماذج من الهذيان ليس لها رأس.. ولا ذنب.

وعندما تصرخ من الوجع والضجر، وتختنق في عتمة الدهاليز والسراديب.. وتدوخ أمام لعبة الكلمات المقاطعة، والخرائط الملحقة بالقصيدة وتسألهم ولكن متى تبدأ القصيدة؟ يجيبونك باحتقار: (إن القصيدة بدأت... وانتهت.. وإذا كنت لم تفهمها فلأنك متخلف عقلياً.. ولأن مستواك الثقافي لا يسمح لك بدخول عالم القصيدة الجواني.

وبعد.. فهذه هي قصة هيبيي الشعر العربي الحديث الذين يحملون ساندويشات الشعر المقدد.. ويرمون قشور الموز تحت أرجل القراء.. طبعاً أنا غير خائف على الكلام العربي من هجمتهم، فللشعر العربي عمق حضاري يمتد على مدى ألفي سنة...

ولكنني خائف على نظافة شوارع بغداد، ودمشق، والقاهرة، وبيروت، ومطلوب من بلديات هذه العواصم الجميلة أن تكافحهم بخراطيم المياه كما فعلت بلدية روما... استقالة الشيطان.

1974/7/1

مسدسات العظام وجور الكهاريز

محمد الحاج صالح

ما إن أضع الكتب وآكل لقمة حتى أخرج مستعجلاً بحثاً عن الآخرين كي نلعب لعبة. كنّا حزباً متضامناً نحن أبناء الأحياء الطرفية خارج السور، مثلما كان عجيان أحياء ما داخل السور حزباً آخر. كانوا باستمرار أقوى منّا وأوقح، وكانت عينا مكسورة تجاههم على الدوام. كنا نتحاشى أن نلعب وإياهم في المكان ذاته، وكانوا يعيّروننا بأننا شوايا.

من اللعبات التي كنّا نحبّها لعبة «التكساسي»، فيها نقلد الأفلام الأمريكية، والتي عرفنا عندما كبرنا أن اسمها «أفلام الويسترن»، أما لماذا أسميناها وقتها «أفلام تكساسية» فلست أدري!

كان لدى كلٍ منا نصف فك سفلي لخروف أو نعجة يشبه في شكله مسدساً. نشك نصف الفك في أحزمتنا ونسته وقت نطلق النار من أفواهنا. كنا نغثر على فكوك الأغنام في مزابل المدينة شمال السور. تلك المزابل لم تكن بعيدة عن المدينة هناك نجد كل شيء. وكانت الفكوك أكثر الأحيان متصلة، فنكسرها من المنتصف بسهولة كي نحصل على مسدساتنا. وكانت الفكوك الأقدم جاهزة للاستخدام فعلاً، فالنمل والحشرات الأخرى والشمس والريح تكون قد برتْـها وجعلتها نظيفة لامعة. كان برية شمال الرّقة حيث المزابل ملكنا نحن حزب ما خارج السور. في ذاك اليوم اتفقنا أن نلعب لعبة «التكساسي» على السور وفي الوادي الذي هو خندق عميق يحيط بالسور.

وكان الأهالي منذ زمن بعيد قد جردوا السور من فخّاره وبنوا بها بيوتهم. بقي جسم السور الضخم العالي السميك جداً والمكون لبّه من اللبن عارياً، وقد عملت الأمطار فيه مجاري وأكتاف. في تلك المجاري كنا نختبئ، وعلى تلك الأكتاف كنا نتنقّل صعوداً إلى ظهر السور، ونزولاً إلى الوادي المحيط.

كنت أهرب جنوباً على ظهر السور من جمع يطلقون عليّ النار من بعيد، وليس من مَهرب سوى أن أجد كتفاً أنزل عليه نحو الوادي أو أختبئ في أخدود بجواره.

وجدته ونزلت مسرعاً ويا للهول الكتف ينتهي بعد مسافة قصيرة ويصبح جسم السور أملساً عمودياً. سأسقط سقوطاً شاغولياً من عل إذا ما زلت قدمي. لا أدري كيف توقفت ولا كيف التصقت بالسور مرعوباً. صار جسدي قطعة واحدة. بكفّيّ وذراعي وظهري كنت أضغط على السور. وكان تراب اللبن يتفتت تحت قدمي ويتساقط. رعب وعجز وضياع. وفي الأسفل كنت أرى صبيتين صغيرتين تركضان خلف ثلاث سخلات عابثة. تصعد السخلات كتفاً وتنزل على كتف آخر. تهبط الوادي وتغيب، ثم تظهر صاعدة مرة أخرى والصبيتان بمثل خفة السخلات تعبثان وتتضاحكان. يا إلهي كم حسدت أنها السخلات والصبيتين!

من فوق أطل الجمع مطلقاً النار علي بصخب وظفر. لحظات وأدركوا المأزق الذي أنا فيه. فصاروا يتصارخون وأنا أضغط وأضغط بظهري على السور متجنباً أي حركة، وما زال التراب تحت قدميّ ينهال ساقطاً.

أظنني لم أكن أتنفس عندما سمعت صوت عميق هادئ يقول «لا تخف... اعطني يدك القريبة بهدوء... لا تخف». كان الصوت لرجل نزل خطوتين على الكتف ومد يده نحوي. تحت قدميه هو الآخر كان التراب ينهال ساقطاً، ومع ذلك ظل صوته هادئاً. «لا تخف... اعطني يدك القريبة بهدوء... لا تخف». كنت أحس أنني وما إن أتحرك أيما حركة، فإنني ساقط لا محالة، وهو يكرر «لا تخف... اعطني يدك القريبة بهدوء... لا تخف». ببطء شديد ودون أن أترك أي فراغ بين ذراعي والسور مددت يدي، وهو يعيد ويعيد بصوته العميق «لا تخف... لا تخف». فجأة نترني من يدي إلى الأعلى وخطا خطوتين إلى الوراء حيث يتسع الكتف ويصبح شبه منبسط. التعبير الوحيد في وجه الرجل الشهم الذي احتفظ به في ذاكرتي بعد كل هذه السنين

هو أنه كان مرعوباً ومتقطع النفس مثلي. كنت ممدداً على ظهر السور أرتعد وأنظر بوعي غائم إلى وجهه وفي عينيه، بينما كان العجيان يمازحوني ويشجعوني بالهزء وبإطلاق النار من عظام الفكوك وبضحكات صفراوية تفضح الخوف الذي شعروا به هم أيضاً.

**

لعل كثيرين لا يعلمون أن بعض العرب كانوا يُلبسون أبناءهم الذكور ثياب بنات ويتركون شعرهم يطول ويطول. قال كي لا يُحسدوا ولا يُصاب الولد الذكر منهم بالعين والمرض، مع أن البنات أحلى وأولى أنْ يصبن بالعين. كما أنهم كانوا يطلقون على الأولاد الذكور أسماء بشعة للهدف ذاته. كانوا يسمون حتى خريّان وجعيميص...

في أوائل ستينيات القرن الماضي بدأت مدينة الرقة بالتوسع السريع. أذكر عندما شقت البلدية مجرور شارع تل أبيض ومن بعده مجرور شارع الوادي، وقتها كان رئيس البلدية من أهل الرقة ربما لأول مرة يعتلي وظيفة كهذه رقاوي. الدولة وبلديتها سمت المشروع «مجرور شارع تل أبيض»، بينما أخرج الناس من ذاكرتهم الجمعية اسم كهريز. والكهريز قديماً هو قناة تحت الأرض لها خرزات تفتح على سطح الأرض. قناة الكهريز في التاريخ القديم القديم تنقل المياه في المناطق قليلة الأمطار من آبار أعلى من نهاية القناة التي تصب في أرض زراعية أخفض من الآبار والمناهل الأصلية. يعني كانت الكهاريز قديماً تنقل مياهً نقية لا رمادية.

والأنكى تسميتها باسم «مجارير صحية». صحيّة! مع أنها تنقل الغائط والبول والمياه الوسخة.

قبل تمديد الكهاريز كان أهل الرقة يحفرون في أحواشهم حفراً عميقة نسبياً سموها جُورة المرحاض، وبنوا عليها غرفة صغيرة وسمّوها «بيت المَيْ، بيت الخلاء، أو باختصار الخلاء». هذه الجورة تغطيها صبّة أسمنت مخروقة في المنتصف حيث يُسدّد المحتاجُ للتخلي. يقول الواحد رايح أتفضّى أو رايح أتخلى أو إلى الخلاء. تمويه لبق ومناورة معقولة.

لي قريبٌ فقير جداً كان يعملٍ في حَفْر جُوَر المراحيض في الرقة. كنت صبيّاً وقتها. لم أر يوماً قريبي ذاك بلا سيجارة مشتعلة أو مطفأة يزمّ عليها شفتيه. كان طويل القامة نحيفاً، وعروق يديه تشبه حبالاً متشابكة، وكفّاه خشنتان وأصابعه عظميّة ثخينة. نزقٌ سريع الغضب يشتعلُ فجأة مثل نار صُبّ عليها بنزين.

كان يعمل لوحده هذا العمل الذي يتطلّب اثنين على الأقل. عندما تكون الجورة في مراحلها الأولى من السهل قذف التراب إلى خارجها بالكاروك، ولكن وما إنْ تصبح الجورة أعمق من متر، فإنه كان ينزح التراب بالزنبيل ويضطر إلى الصعود كلما امتلأ الزنبيل، ومع التعمّق أكثر تبدأ المرحلة الصعبة. يحفر بالقزمة والرفش، يجمّعُ بالكاروك، يملأ الزنبيل المعلق بحبل بالمحالة المثبتة بالركابة فوق، يسحب الحبل من الطرف الآخر إلى أن يصل الزنبيل قرب المحالة، يثبت طرف الحبل الحرّ بسكة يكون قد غرزها في جدار الجورة تحت، يصعد هو متسلقاً مستخدماً الحفر الصغيرة المتتابعة التي يصنعها لهذا الغرض، يفكّ الزنبيل ويسكب ترابه بعيداً عن الفوهة، ثم يعاود ربط الزنبيل، وينحدر إلى الأسفل، ويعاود الكرة مرة بعد مرة إلى أن تصل الجورة إلى عمق أربعة أمتار وأكثر قليلاً أو أقل قليلاً.

في يوم من الأيام استأجره أبو خليل العِرسان ليحفر جورة مرحاض جديدة، مع أنه كان في حوش أبو خليل الوسيع جداً مرحاضٌ من قبل، فقد تزوج أبو خليل امرأة ثانية اشترطت عليه جورة مرحاض جديدة كي تستقلّ عن ضرتها وجورتها القديمة. أبو خليل ميسور ولكنه بخيلٌ، جِلْدة! ولكن لا بدّ من تدليل العروس.

أنهى قريبي العمل وحان وقت سداد الأجر. خمّن بينه وبين نفسه أن عمق البئر أربعة أمتار ونصف. جاء أبو خليل بخيط مدّعياً أن طول الخيط متر. بدا طول الخيط لقريبي أكثر من متر مما يعني نيّة الغش. قاس أبو خليل العمق وأعلن: ثلاثة أمتار. ثلاثة! مستحيل. خيطك غش ولعب. أبداً خيطي لا يخطئ هو مترٌ بالتمام والكمال. لا أصدق. غشٌ ولعب. كلمة من هنا وكلمة من هنا وتعالى الصياح. المشكل أن أبو خليل ضخم ثقيل الوزن. قال قريبي فيما بعد أنه ما إن بدأت المشاجرة حتى حاول أن يلفّ عرقول لأبو خليل بأن يلف ساقه على ساق أبو خليل ويدفعه فيسقط كما كان قريبي يأمل، فهو قد جرّب ذلك في مشاجراته العديدة منذ أن كان صبيّاً صغيراً، لكن أبو خليل كان طوداً ثابتاً لا يهتزّ ولا يميل، حاول وحاول عبثاً. وبسبب الحرج والفشل بدأ قريبي يشتم. ثم زادها وأفحش بالسباب. وأخيراً تناول حتى نسائ أبو خليل اللاتي لا يردْن أن يختلط خراؤهن؛ وكأن خراء كل واحدة منهن ذهباً. عندها فاض الكيل بأبو خليل. رفع قريبي في الهواء وهبده بالأرض ونام عليه. كانت ذراع أبو خليل ملتفّة على رقبة قريبي ويده الأخرى تضغط على فمه وأصابعه تفرك شفتيه؛ وهو يقول هذا اللسان الفَلِيت سأقطعه يا عرصْ والجورة بعمق ثلاثة أمتار وما في ربع زيادة حتى. ما إن يرفع أبو خليل يده قليلاً حتى ينتثر السباب من فم قريبي. بلغ غضب أبو خليل قمّته، وراح يخنقه فعلاً. أحس قريبي بدنوّ طلوع روحه. صار يرفس ويوحي بالاستسلام، ولكن ما إن يرفع أبو خليل يده عن فمه حتى يسمع رح تموّتني يا عرص. يقول أبو خليل قلها دون يا عرص، وقل التوبة فوقها. يقول رح تموتني ياخرا. فيكتمه أبو خليل من جديد. وبحلاوة الروح يرفس قريبي ويبدو مثيراً للشفقة حقّاً ومستسلماً تماماً. يرفع أبو خليل يده فيشهق قريبي ويدمدم سيجارة. هاااا ماذا قلت. سيجارة سيجارة أريد سيجارة. ترتخي يد أبو خليل ويشرع بالضحك ضحكاً هستيرياً. يخليه. يبدأ قريبي بلف السيجارة مضطجعاً منهوكاً ويقول أربع أمتار ونصف. يقول أبو خليل ثلاثة أمتار. ويضحكان. أبو خليل قائم منتصب. لفْ لي أنا أيضاً سيجارة. قريبي ممدد ما زال يلهث. يلف السيجارة ويكزّ عليها بشفتيه. ويلف أخرى لأبو خليل. يعتدل قريبي وصوت تنفسه مسموع. ثم كلاهما يجلسان على كوم التراب. ويشرعان بسحب الدخان ونفثه ويتجادلان. ثلاثة أمتار. لا أربعة ونصف.

طبيب وأديب سوري

أيام لن أنساها في سوريا

> أصبح لجواز سفري السوري الآن أهمية لا توصف بعد التحرير، فقد شعرت للمرة الأولى بأن لي وطناً حقيقياً وليس مزرعة كانت تمتلكها العصابة الساقطة

د. فيصل القاسم

صحيح أنني لست من هواة السفر ومن عادتي أن أشعر بالتوتر قبل أي سفرة، إلا أن السفر إلى سوريا بعد أربعة عشر عاماً من الغياب القسري كان ربما الأصعب في حياتي، فقد انتابتني على مدى أيام كل أنواع المشاعر، الجميل منها والسيئ. لقد تذكرت أنني محكوم بالإعدام، وقد صدر بحقي من النظام الساقط عشرات الأحكام وكلها كانت تنتهي بحكم الإعدام، وقد شاهدت الأحكام بأم عيني بعد أن حصلت على الملف الأمني الخاص بي من فرع الأمن العسكري بالسويداء بمساعدة الأخ داني الأشقر مشكوراً. وعندما ترى الملف ستشعر برعب شديد فهو مكتظ بالتقارير الأمنية والعقوبات المرعبة، فعلى ما يبدو أن برنامجي ومنشوراتي كانت تصيب العصابة الساقطة في مقتل وتسبب لها كل أنواع الجنون، فكل حلقة كانت بالنسبة لهم بمثابة «خازوق مبشم» من حمد الله، خاصة وأنني كنت أستهدف دائماً رأس النظام شخصياً وبقية أعوانه القذرين من كبار ضباط الأمن والمخابرات بطريقتي الخاصة. ولأنني كنت أعرف مدى غضبهم وحنقهم مني فقد كنت وللأمانة أتعرض لكوابيس في بعض الليالي بأنني ذهبت إلى سوريا خلسة وأنهم ألقوا القبض علي لكنني تمكنت من الهرب، وكم كنت أشعر بالفرج عندما أستيقظ من النوم لأكتشف أنه كان مجرد كابوس فقط. لقد تذكرت كل تلك الكوابيس وأنا أفكر بالذهاب إلى سوريا بعد سقوط النظام، وكنت أتشجع للذهاب أحياناً وأتردد في كثير من الأحيان، خاصة وأن لدى النظام وشبيحته معي مئات الثارات. لكنني تشجعت أخيراً بعد أن بدأت الخطوط القطرية تسير رحلاتها من الدوحة إلى دمشق، ففتحت خزنة الجوازات والوثائق المهمة في البيت ورحت أبحث عن جوازات السفر السورية الخاصة بي وبالعائلة، خاصة وأنها كانت مدفونة في الخزنة منذ أربعة عشر عاماً، فأخرجتها من الخزنة مع هويتي السورية، وشعرت لأول مرة في حياتي أن تلك الهوية وذلك الجواز هما أغلى من كل الجوازات الأخرى في العالم، فوضعت جوازات العائلة في حقيبة خاصة وكأنها أثمن من كل المجوهرات والساعات الفاخرة، وقد أصبح لجواز سفري السوري الآن أهمية لا توصف بعد التحرير، فقد شعرت للمرة الأولى بأن لي وطناً حقيقياً وليس مزرعة كانت تمتلكها العصابة الساقطة. وقد كانت ابنتي صبا من أكثر المتحمسين في العائلة لزيارة سوريا، وكانت في غاية الفرحة، ومن حمد الله وصلت بصحبة زوجتي أم أصيل وصبا وأخي محجوب إلى مطار دمشق بعد أن كنت على مدى ساعات الرحلة محط اهتمام كل المسافرين من سوريين وغيرهم، فقد كانت سعادتهم بذهابي إلى سوريا مثل سعادتي وأكثر. وفي مطار دمشق كان المستقبلون أمام قاعة الشرف الأولى، وعندها تبددت الكوابيس التي كانت تلاحقني على مدى سنوات، فدخلت القاعة الدمشقية وسط بريق فلاشات التصوير، فسألني المستقبلون: ما هو شعورك الآن، فقلت: «إنني أشعر بسعادة غامرة أن أكون الآن في قاعة الشرف، بينما هرب عديم الشرف خارج سوريا». ورغم فرحتي الغامرة وأنا في طريقي إلى الفندق، شعرت بالأسى لأن دمشق بدت شاحبة حزينة في مبانيها وطرقاتها ومحياها، لكن الاستقبال الحافل في الفندق واندفاع الجميع للترحيب بي وبعائلتي والتقاط مئات الصور معي أنساني منظر العاصمة الحزين. للأمانة لم أتوقع مطلقاً أن الأخوة في سوريا كانوا يتابعون كل برامجي ومنشوراتي على مواقع التواصل بهذا الشغف العجيب، فكانوا يذكرونني بما قلت في هذه الحلقة أو تلك أو بهذا المنشور أو ذاك رغم أنه قديم جداً. وبعد ساعات وجدت نفسي في قصر الشعب على جبل قاسيون لأول مرة في حياتي، ويا له من قصر لم أر مثيلاً له طوال عمري، ولا يمكن أن تتنقل في جنباته من دون سيارة، دخلت القصر دون وجل أو خوف، وقبل أن ألتقي بالسيد القائد أحمد الشرع في جلسة خاصة، دعاني للانضمام إلى اجتماع خاص مع كبار رجال الأعمال والاقتصاديين، فسمعت كلاماً مفرحاً جداً، ثم تناولنا الغداء في القصر، وأنا أنظر من النافذة إلى جبل قاسيون الذي حُرمت من رؤيته لأربعة عشر عاماً، وبعدها كان لي لقاء خاص مغلق لساعات مع السيد القائد أحمد الشرع الذي وللأمانة كان يتحدث بثقة وهدوء شديدين في شتى المجالات بمعرفة مذهلة ثم انضم إلينا وزير الخارجية السيد أسعد الشيباني الشاب الذي أخبرته فور رؤيته بأنه صنع لنفسه بصمة دبلوماسية جميلة خلال فترة قياسية.

ثم توجهت بعد ذلك لتقديم واجب العزاء بصديقي الشيخ الجليل الفاضل سارية الرفاعي في مسجد الرفاعي بكفر سوسة بدمشق فاستقبلتني الحشود بوافر المحبة والشوق، وفي داخل المسجد رأيت سوريا الحقيقية بعد سقوط الكابوس الذي كان يجثم على صدرها منذ أكثر من نصف قرن، رأيت كل مكونات الشعب السوري تشارك في تقديم العزاء بإخاء ومشاعر جياشة وكأنها كالبنيان المرصوص، فسلمت على شيوخ الشام الكرام وعلى المطارنة وعلى شيوخ الموحدين الدروز الذين جاءوا من سوريا ولبنان للمشاركة في العزاء، وفي اليوم التالي، قررنا أن نذهب لتناول الغداء في مطاعم دمشق القديمة، لكن يا فرحة ما تمت، فعندما وقفت السيارة خلف سوق الحميدية فتحت النافذة، فإذ بالمئات من المارة وقد حاصروا السيارة لالتقاط الصور، وتحول المشهد إلى تظاهرة من أجمل التظاهرات، لكنني لم أستطع الوصول إلى المطعم واضطررت للبقاء داخل السيارة حتى جاءتنا الفزعة من الحراسة للتمكن من الخروج من المنطقة. لقد كان بودي أن أنزل من السيارة لمعانقة الجميع لولا أن المرافقة طلبوا مني أن لا أنزل خوفاً من الاختناق وسط الحشود، وفي اليوم التالي تكرر مشهد مشابه على سفح جبل قاسيون، لكن الأخوة في المرافقة نظموا الأمر هذه المرة ببراعة مشكورين عليها، ثم قررت مرة أخرى أن أتبارك بزيارة المسجد الأموي، وهناك قابلت حشداً كبيراً من الزوار تشرفت بالتقاط الصور مع المئات منهم.

وعندما بدأت أستعد لزيارة السويداء مسقط رأسي عادت كل أنواع المشاعر والهواجس لتلاحقني فلم أنم سوى سويعات بانتظار اليوم المشهود، فما الحب إلا للحبيب الأول، وبقيت صامداً عاطفياً وأنا في طريقي إلى السويداء حتى وصلت إلى منتصف الطريق، وإذ بحشد من المستقبلين مدنيين وعسكريين وقد بدأوا يطلقون وابلاً من الرصاص في الهواء ثم انهمروا على السيارة فخرجت لأعانقهم فرداً فرداً خاصة وأن معظمهم كانوا من أهلي وأقاربي الأعزاء، وقلت في نفسي الحمد لله ها قد أنجزت قسماً من لقاء السويداء، لكن ما أن وصلت السيارة إلى قرى المحافظة حتى شاهدت الناس تتجمهر على قارعتي الطريق وبعضهم كان يطلق الرصاص في الهواء والبعض الآخر كان ينثر الرز على سيارات الموكب، وكانت دقات قلبي في تلك اللحظات تتجاوز المائة وخمسين دقة في الدقيقة، بينما كنت أحاول أن أقمع دموعي لكن دون جدوى، وكذلك زوجتي، وكانت الفرحة الأكبر عند ساحة العنقود في السويداء حيث تجمهر الآلاف في مشهد جعلني غير قادر على الكلام، فقلت لزوجتي: يا إلهي ماذا فعلت ليأتي كل هؤلاء الطيبين لاستقبالي، والله لم أفعل شيئاً سوى أنني كنت أتكلم وأكتب ولا أستحق كل هذا الاستقبال، قلت ذلك وأنا أغالب دموعي، وبسبب الحشود والسيارات استغرق الوصول من ساحة العنقود إلى ساحة الكرامة في السويداء حيث الاحتفال الرئيسي حوالي ساعة مع أنه لا يستغرق عادة بضع دقائق، وعندما شاهدت الحشود في ساحة الكرامة، لم أصدق عقلي، وشعرت برهبة غير مسبوقة، وقلت في نفسي، يا جماعة الخير والله لا أستحق كل هذا الاستقبال فأنا مجرد إعلامي لا أكثر ولا أقل، ثم وجدت نفسي فوق أكتاف أبطال جبل العزة والكرامة ليطوفوا بي وسط الحشود التي اكتظت الساحة بالآلاف منهم، وبصعوبة وصلت إلى المنصة لأقابل أهلي الذين أمطروني بوابل من المحبة والأهازيج والزغاريد والأشعار والأغاني وتذكرت في تلك اللحظات أن هذه الساحة التي تستقبلني اليوم هي نفس الساحة التي كنت أتردد عليها في طفولتي وأنتظر أحداً من أصحاب ورش العمل كي يشغلني معه في حمل البلوك والرمل والباطون والإسمنت والحديد وتنظيف الطرقات. يا لها من مشاعر، يا الله ما أكرمك يا الله. بالأمس كنت محكوماً بالإعدام والآن محمول على الأكتاف.

ولا يمكن أن تزور السويداء دون زيارة دارة العزة والكرامة دارة الشيخ حكمت الهجري الزعيم الروحي للموحدين بقرية قنوات، حيث تشرفت بزيارة تلك الدارة التاريخية المجيدة، ثم كان لا بد أن أتوقف لالتقاط بعض الصور أمام بيتي في القرية نفسها البيت الذي صادره بشار وأعطاه للجيش كمقر عسكري، وبعدها كان لا بد أن أهنئ أخي وصديقي الشيخ سليمان عبد الباقي بالسلامة بعد تعرضه لمحاولة اغتيال غادرة، فزرته في بيته العامر بالعز والكرم، ثم همس أخي بأذني قائلاً: لا تنس أن أهل الثعلة ينتظرونك منذ الصباح في موقف القرية، فتوجهنا إلى هناك بمشاعر لا مثيل لها، فالقرية التي ولدت فيها لا يوازيها شيء، فاستقبلني أهالي القرية الكرام محمولاً على الأكتاف مرة أخرى وطافوا بي بين أهل القرية شيوخاً ونساء وشباباً وأطفالاً، وأنا غير مصدق أن الطفل الذي عاش حياة بؤس وذل وفقر مدقع في تلك القرية يعود إليها اليوم محمولاً على أكتاف شبابها. يا الله ما أكرمك. ولا يمكن أن أغادر القرية قبل أن أزور بيتنا القديم لأعانق حجارته السوداء كعناق الحبيب لحبيبته للتوجه بعدها لتناول المناسف في دارة دكتورنا الغالي ابن العم هاني القاسم بصحبة الأهل والأصدقاء. يا له من يوم لن يتكرر في السويداء، فألف شكر وألف تحية لأهلنا الكرام أهل العزة والكرامة والنخوة والشهامة، وأدعو إلى الله أن يقدرني على الوفاء.

● كاتب وإعلامي سوري
falkasim@gmail.com

التعدي على كرامة الآخرين

فواز عويد خليل

وقعت جريمة قتل ودعـارة في منطقة الطبقة (الثورة) غرب مدينة الرّقة. تم توكيلي للدفاع عن امرأة موقوفة كونها أحد أطراف الجريمة المذكورة. حضرت استجوابها أمام قاضي التحقيق في الطبقة آنذاك، وطلبت منه الموافقة على ترحيلها من الطبقة إلى الرّقة حرصاً على حياتها، لأنها معرضة للخطر في الطبقة. وافق القاضي على ذلك، وتم تشكيل مفرزة مؤلفة من مساعد وشرطيين لمرافقتنا في سيارة خلال السفر من الطبقة إلى الرّقة.

دخل المساعد إلى غرفة مدير المنطقة آنذاك لتوقيع أمر المهمة. خرج المساعد وقال لي: إنّ مدير المنطقة يريد رؤية موكلتك إن لم يكن لديك مانع. قلت: لا مانع لديّ. رافقته إلى مدير المنطقة. نظرت الموكلة إليّ متوسلة وقالت: أرجوك يا أستاذ، تعال معي. أخشى أن يعتدي عليّ مدير المنطقة ويضربني ويهينني.

أجبتها: ولماذا يضربك؟ وما شأنه بك؟ أنت الآن تحت سلطة القضاء ولا سلطة له عليك مطلقاً. كررت توسلاتها فرافقتها إلى مدير المنطقة المذكور. دخلنا غرفته وكان جالساً على كرسي دوّار وظهره لنا ووجهه باتجاه نافذة مفتوحة. ألقينا التحية فلم يردها، ثم التفت إلينا بوجه عَكر وعابس وعلامات الغضب بادية على قسمات وجهه، وصرخ في وجه الموكلة قائلاً: «وُلييك! يا ق... يا ش... يا م... يا بنت الكلب...» لم يترك عبارة سوقية وشوارعية منحطة إلا ووجهها لها.

وأضاف: «والله لأسلخ جلدك عن بدنك». تدخلت وقلت: لماذا تسبّ الموكلة وتشتمها بهذه الطريقة؟ وماذا تريد منها؟ التفت إليّ بعصبية وقال بلهجة حلبية: «ومنوو إنتى؟ وشو جابك لعندي؟ اطلاع برى!»

قلت له: أنا المحامي فلان، وكيل الموقوفة فلانة، وهي تحت ولاية القضاء حالياً ولا شأن لك بها مطلقاً. فصرخ مجدداً: «ولك، وإذاا محامي، شو جابك لعندي؟ إلتلك اطلاااع برى!» تدخل المساعد الذي كان يشاهد ويسمع ما جرى، وقادني من يدي خارج الغرفة وهو يتمتم بعبارات التهدئة والاعتذار، وعلامات الانزعاج بادية على قسمات وجهه.

قلت له متهكماً: مديرية المنطقة هذه تابعة لتركيا أم لسوريا؟ فابتسم وقال: لسوريا طبعاً. قلت: يعني أنتم تابعون لوزارة الداخلية السورية. أجاب: طبعاً. قلت: والله، سوف تصل هذه الحادثة بحذافيرها إلى نقابة المحامين المركزية وإلى وزارة الداخلية في دمشق في أسرع وقت ممكن.

وفي اليوم التالي تقدمت بشكوى شرحت فيها الواقعة بالتفصيل، ووضحت فيها تجاوزات مدير المنطقة عليّ كمحام وعلى الموكلة، وخروجه عن القانون والأصول برَعونته ووقاحته وتلفظه بألفاظ سوقية منحطة لا تليق برجال الأمن والشرطة.

أخذت الشكوى مجراها إلى وزارة الداخلية. وبعد مدة من الزمن تم استدعائي من قبل قائد الشرطة في الرّقة لسماع أقوالي حول الواقعة والشكوى. استقبلني بكل ترحاب واحترام، وشرحت له الواقعة كما حصلت. فقال: صدقت يا أستاذ، لقد سمعتها من موكلتك الموقوفة حالياً في سجن الرّقة، وسمعتها من المساعد رئيس المفرزة التي رافقتكم أثناء الترحيل، باعتبارهما حاضرين وشاهدين للواقعة أثناء وقوعها.

وأضاف: هذا الضابط وقح وأرعن، وقد تجاوز عليّ أنا عدّة مرات، رغم أنني رئيسه المباشر وأعلى منه رتبة وقدماً. قلت: ولعلمك، لقد طلب مني بعض القضاة في الطبقة تحريك الدعوى العامة بحقه بجرم الاعتداء عليّ كمحام في معرض قيامه بمهنته ليصار إلى توقيفه وتوقيف ترفيعه، انتقاماً منه لأنه كان يتجاوز عليهم ويستهتر بهم، ويحاول أن يأخذ دورهم في التحقيق عند مرافقته لهم في الكشوف على الجرائم والتحقيق فيها خارج المحاكم.

وأضفت: ما دام أنتم تعلمون سلوكه الطائش هذا، لماذا تسكتون عنه ولا تعاقبونه؟ أجاب مبتسماً: «مدعوم خيّو»، ولكنه وقع في الفخ، والله سوف أمسح به الأرض وأجعله يأتيك إلى مكتبك ويعتذر لك.

قلت: أنا لا يهمني اعتذاره، ولكن يهمني أن يرتدع عن غيّه ووقاحته وتعديه على المواطنين. قال: صدقت، ولكن لا بدّ من اعتذاره لك.

وهكذا كان. اتصل بي هاتفياً صديقي الدكتور إسماعيل الجاسم الحمود، الطبيب الشرعي في الطبقة آنذاك، وقال لي بعد التحية: أودّ أن أزورك في مكتبك مساء لبعض الأمور إذا لم يكن لديك مانع. قلت: تفضل على الرحب والسعة.

وفي الوقت المحدد، حضر الدكتور إسماعيل وبرفقته الضابط مدير المنطقة المذكور، ودخلا مكتبي. وبعد التحايا والترحيب، بدأ الدكتور إسماعيل حديثه عن محاسن الصلح والمسامحة، وأن العفو من شيم الكرام.

اعتذر الضابط المذكور عن وقاحته وسوء سلوكه معي ومع موكلتي وطلب مسامحتي له. ودار حديث طويل حول ذلك، ومنه: قلت له: أنت الآن في مكتبي مع صديقي، ومن حقي أن أستقبلك فيه أو أطردك منه متى أشاء، لأنه ملكي الشخصي ولا حق لك فيه مطلقاً. أما مكتبك فهو ليس من حقك، بل هو من حق المواطنين والشعب والدولة، وأنت مجرد موظف عابر خادم لهم فيه، تتلقى رواتبك من عرق جبينهم. فكيف تسوّغ لنفسك الاعتداء عليهم وإهانتهم وطردهم وتحقيرهم والمسّ بكرامتهم؟ ألا يعدّ هذا افتراءً منك على حقوقهم وامتهاناً لإنسانيتهم؟

قل لي: هل توجد مادة قانونية واحدة في القوانين الناظمة لوزارة الداخلية تبيح لك ذلك؟ هل تقبل أن يعاملك الآخرون بمثل تعاملك معهم؟ أجاب بارتباك: يا أستاذ، «إجينا نعتذر لك بلشت تبهدل فينا».

قلت له: أنا أوضح لك الفرق بيني وبينك. أنا لم أوجه لك كلمة نابية واحدة، بل أذكرك بتصرفاتك معنا، ومع هذا تحسست من كلمة الطرد واعتبرتها إهانة وبهدلة لك. فكيف كان شعورك وأنت توجه لنا أقذع الكلمات وتطردنا من مكتب هو ملك للمواطنين والدولة ولا حق لك فيه إلّا ما يجيزه لك القانون؟ صمت ولم ينبس ببنت شفة.

وهكذا هم الطغاة والمغرورون، عندما يجابهون بحقيقتهم يصمتون ويخرسون.

● محامٍ وفنان تشكيلي سوري

تماثيل القرية النائمة

ستاركاووش

هل تخيلتَ أن تعيش بعض الوقت بين مجموعة من التماثيل؟ تتجول بينها وتتحاور معها بانتظار إجاباتها حول أسئلتك وإشارات يديك! وفوق هذا، تستجيب لحركتها وكأنك بين أصدقائك ومعارفك. يا لها من أمنية تبدو غريبة وبعيدة المنال، لكني مع ذلك حاولتُ أن أفعلها وأحوّلها إلى حقيقة في مدينة فيينا، التي لا يمكن التحرر من سطوة تماثيلها الجميلة التي تملأ المنعطفات، الشوارع، الزوايا، الساحات والحدائق، وحتى واجهات المباني. حيث تواجهك التماثيل بحركاتها الجذابة، عنفوان إيماءاتها، قوة حضورها، المواد التي نُفِّذَتْ بها، وبالتأكيد اللمسات الإبداعية التي أودعها الفنانون على ملامحها، وهذا ما جعلها خالدة على مر العصور.

ومناسبة هذا الحديث هو تجولي بين أرجاء حديقة قصر شين برون ذات المساحة الواسعة والفناءات المفتوحة المليئة بالأعمال الفنية والتماثيل والنافورات الضخمة، حيث يحتاج المرء لساعات طويلة جداً كي يرى جانباً صغيراً من هذه التفاصيل. هذا المكان يشبه قرية سحرية وسط مدينة فيينا. وكانت هذه الحديقة تابعة لقصر سيسي وزوجها القيصر فرانز يوسف.

قضيتُ يوماً كاملاً أضع يدي على هذا الوجه الحجري وأتحسسُ هذه اليد البرونزية، أتوقف أمام هذه الالتفاتة الأخاذة لامرأة من المرمر، وتشدني حركة عاشقين يلتصقان مع بعضهما محولين الرخام إلى حياة وروح وحقيقة. كيف لي أن أخرج من هذا السحر؟ وهل يمكنني ترك هذا المكان الذي تَلَفُّهُ الفتنة؟

بعد جولة طويلة، فكرتُ بالخروج وقررتُ الالتفاف نحو الجانب الأيمن للحديقة، ثم أتوجه من هناك نحو البوابة الخارجية التي ما زالت تبعد عني كيلومترين تقريباً. لكني ما أن مضيت بضع خطوات هناك، حتى ظهر أمامي كالسحر صف من التماثيل العظيمة! يا إلهي، اثنان وثلاثون تمثالاً تنتصب في خط واحد وتمنح المكان الكثير من الهيبة والغموض. وفوق كل هذا، فإن هذه التماثيل مصنوعة بعناية مذهلة وكأنها خرجت تواً من قرية إغريقية نائمة وسط الأساطير. يا لهذا الكنز من التماثيل، التي لو وُزِعَتْ في دولة لغطت كل مدنها، فما بالك بأنها جزء من حديقة واحدة وسط هذه المدينة الساحرة. فما حكاية هذه التماثيل؟ وكيف جاءت إلى هنا؟

ومن قام بصفها بهذه الطريقة التي تشبه إحدى المراسيم أو الاحتفالات القديمة؟

أُنجِزت هذه التماثيل سنة 1777 بالتعاون بين النحات والمعماري ومصمم الحدائق يوهان هيتزيندورف ومجموعة من النحاتين. وهي تمثل شخصيات تاريخية وأسطورية، وعددها اثنان وثلاثون تمثالاً متساوية الارتفاع وتنتصب على قواعد عالية.

بدأتُ بتمثال العذراء الفستالية، بفستانها الطويل وهي تمسك بإحدى يديها شعلة تحاول حماية لهبها بيدها الأخرى، ملتفتة كأنها بانتظار إشارة للبدء بمهمتها، وهي من ضمن العذراوات المسؤولات عن النار في مَعبد فيستا. وعلى مقربة منها ظهر تمثال أمفيون، أو عازف الموسيقى، وهو ابن إنتيوب بعد أن اغتصبها زيوس. ينشغل أمفيون بالعزف على آلة الهارب، شارد الذهن، وربما كان يستعيد الفترة التي كان فيها مستعبداً عند ليكوس الذي عامله بقسوة شديدة.

مضيت قليلاً، فظهر أمامي تمثال أنجيرونا التي تُعتبر إلهة الألم، وهي أيضاً إلهة الصمت التي دخلت إلى روما لمنع كشف اسم روما السري. تركتُ أنجيرونا، فاستقبلني تمثال باريس الذي جعله النحات ممسكاً بثمرة كبيرة بيده، فيما تتهدل ثيابه دون اهتمام. وباريس هو ابن بريام، ملك طروادة، الذي وقع في غرام هيلين ملكة إسبرطة وهربا معًا، وكان هذا أحد أسباب حرب طروادة. وباريس هو الذي أصاب أخيل بجرح قاتل في كعبه.

أكملتُ جولتي بين التماثيل، فظهر لي تمثال برسيوس، ابن زيوس أيضاً، وهو بطل إغريقي قام بقتل الوحش البحري سيتوس. ويظهر برسيوس هنا ماسكاً رأس ميدوزا الذي قطعه، والذي تكسوه الثعابين. وما أن تركت رأس ميدوزا معلقاً بيد برسيوس، حتى بان لي تمثال مليجر واضعاً يده على خصره ومتكئًا على بقايا بيت، وكأنه يفكر بتدمير مملكة كاليدون جراء عدم تقديم والده ذبيحة للآلهة.

بعد قليل، أطل تمثال كاليوبي وهي تمسك بيديها كتاباً أو مخطوطة، وهي ملهمة الشعر الملحمي وابنة زيوس، وقد ألهمت هوميروس بكتابة الأوديسة والإلياذة. تركتُ الشعر بين يدي كاليوبي ومضيتُ في طريقي نحو تمثال سينسيناتوس، الذي كان يحني جسده واضعًا قدمه على آلة حربية. كان سينسيناتوس رجل دولة وقائداً عسكرياً رومانياً، وتميز بالكثير من الفضائل، وفي مقدمتها الرجولة والبأس والدعوة إلى المدنية.

كان عليَّ إكمال طريقي بين التماثيل، وهكذا وصلتُ إلى هيجيا التي تمسك إناءً صغيراً وأفعى، وهي إلهة النظافة والصحة وابنة أسكليبيوس، إله الشفاء. ولم أكد أخطو بضع خطوات حتى انبثق من بين الأشجار تمثال سكيفولا، بشعره المجعد. كان مختبئاً وكأنه يعيد حادث دخوله إلى معسكر أعدائه ومحاولته قتل الملك لارس. وعند القبض عليه، وضع يده في النار لإثبات شجاعته وتحمله، فأُعجب به الملك وضمه إلى جيشه.

هكذا مضيتُ وسط هذه التماثيل العديدة التي لا تريد أن تنتهي. وفي النهاية، كان عليَّ التوقف تحت ظلال تمثال كوينتوس، الذي كان سياسياً وجنرالاً رومانياً. وتميز كوينتوس بالخطط والتكتيكات التي استخدمها أثناء الحروب، ويُعتبر مبتكر حرب العصابات التي كان يكسر من خلالها خطوط العدو الذي يتفوق عليه عدداً. بقيتُ قليلاً بجانب تمثال كوينتوس، متأملاً ضوء الشمس الذي انعكس على نصف مساحة القصر، فيما غيمة صغيرة وبعيدة بانت وسط زرقة السماء ثم اختفت خلف تمثال كوينتوس، الذي كان يميل رأسه نحوي واضعاً يده على ذقنه، شارداً وكأنه يفكر بخطة حربية جديدة.

بعد هذه الجولة، وسط تماثيل تختلط فيها الأسطورة والتاريخ ومعنى الفن، ودعتُ أصدقائي التماثيل وتركتهم يحرسون الحديقة ويعيدون تأثيث جمالها. واتجهتُ نحو بوابة القصر، التي بدت لي أبعد مما هي عليه. وما أن اجتزتها حتى شعرتُ بأني قد انتقلتُ من زمن إلى آخر، فأكملتُ طريقي حتى غبتُ وسط زحام الناس.

ناقد وفنان تشكيلي عراقي

حنان الأجداد زادٌ لمدى الحياة

المرمار سعاد البياتي

يبقى بيت الأجداد تحفة ثمينة وواحة استراحة ينعم فيها الأفراد والأحفاد، وملجأ وحضناً دافئاً يفيض بالحب والعفوية، وينبض بالحيوية والضحكات والذكريات واللعب، دون أن تواجه كلمات المنع أو الزجر، ففي كل مكان وزمان ومهما تغيرت الأحوال وطال الوقت وقسى، ومهما ازاحت التكنولوجيا رياح المحبة وعصفت بمتغيرات البيئة والأسرة، يظل ذلك البيت الأجمل والأحلى من أي مكان.

فمن منا لم يحظ بحضن جدته إن مر بحزن أو مشكلة، ومن منا لم يتصل بجده وجدته ليدعو له بالتوفيق والنجاح قبل الامتحان، ومن منا أراد أكلة مفضلة فطلبها من جدته، ومن منا لم يعبث في غرفته ويصنع الفوضى والضوضاء دون أن يوبّخ أو يصرخ، ومن منا حظي بدفاع حينما نخطئ، هذا هو بيت الأجداد باختصار أشبه باللجوء السياسي والأمان.

وعلى مدى الأعوام، ومن منطلق الحكايات والتي تبعث الفرح والاطمئنان، سنكون في رحاب بيت الأجداد لنطوف بين حناياهم الممتلئة بالحكايات والمواقف.

مرح وسعادة

يقول الجد مهدي الجيزاني (65 عاماً) ان من دواعي سروري في هذا العمر أن أحفادي يعيشون معي وهم أربعة أحفاد يملؤون البيت مرحاً وسعادة، أعزّ ما في الوجود على قلبي وقلب جدتهم، التي تسعى لارضائهم بكل ما يُحبّون، وتمنحهم الكثير من الحب والحنان، ولن ترضى بإيذائهم من قبل والديهم، حينما يخطئون في شيء، بل تكون السد المنيع لذلك، وتعد وجودهم متعة كبيرة تستعيد بهم ذكرياتها، والطريف في الأمر أن كل سلوكهم المؤذي أحياناً لا يشكل أدنى إزعاج أو ضيق لنا.

خبراء الاجتماع والمختصين في الشأن الأسري أوضحوا» أن الأجداد والجدات هم الاكثر قرباً من أحفادهم وذلك لشعورهم بمسؤوليتهم تجاه أبناء الابن أو البنت، وبذلك يعيشون بسعادة فائضة مع هذه الأجواء التي تكسبهم محبة وإحساساً بالحياة وأكثر تقبلاً للذكريات

ويؤكد الجيزاني أن الأجداد يكونون في الأغلب موضع أسرار الأولاد الشباب وأطباء استشاريين ونفسيين لكل حالة، وفي ذلك شعور لا يوصف حينما تكون العلاقة أقرب اليهم من والديهم.

متعةٌ وصداقة

ويبين بكر محمود (60 عاماً) علاقته بأحفاده واصفاً إياها بالمتعة والصداقة التي لا مثيل لها، لا سيما وأن أحفاده يعدونه مستشاراً وصديقاً، وهو بدوره يشاركهم اهتماماتهم وهواياتهم وفي أحيان أخرى يخرج معهم في نزهة أو سفرة، فأحفاده أعز من ابنائه على قلبه ليطبق المثل القائل (أعز من الولد ولد الولد)، لذلك يحنو عليهم ويوجههم، وهو خير عون لهم، وكلما تدرجوا في مراحلهم الدراسية حسب بكر فأنه يبقى ينتظر نتائجهم بقلق، ويحثهم على النجاح بالهدايا والمغريات الأخرى.

تواصلٌ أسري

في حين ترى الجدة ليلى سعيد (55عاماً) أن وجود الاحفاد في بيت الجد يكسبهم مزيدا من الحنان، ولكنه ربما يكون أحياناً ممزوجاً بالدلال المبالغ فيه، فالعطلة الصيفية هي الأكثر تواجداً لهم هناك والأكثر فترة ممتعة في حياة الأحفاد في بيت الجد الواسع الرحب، وهي وسيلة للتواصل بين الحاضر والماضي واكتساب القيم، من خلال القصص والمواقف، التي يقوم الأجداد بسردها للأطفال، كما يعد وجود الأولاد في بيت

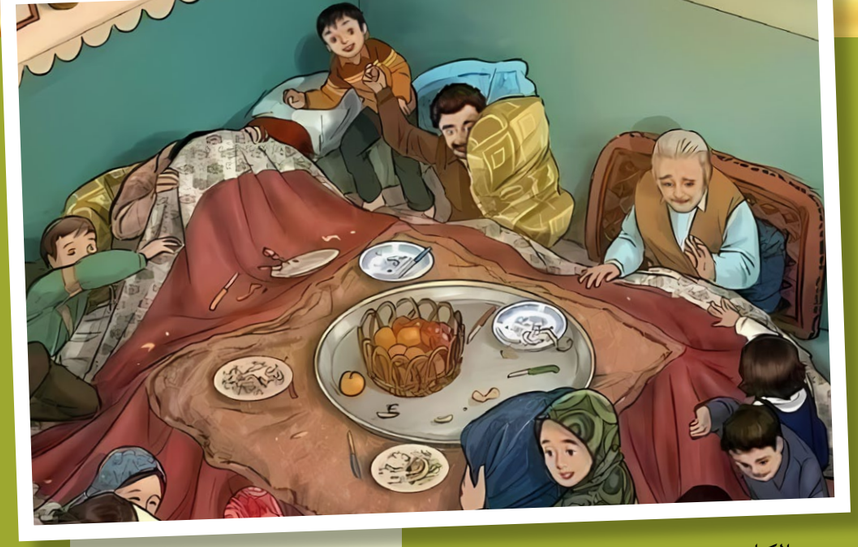

أجدادهم تواصلا أسريا وطريقة لتعزيز العلاقات الاجتماعية، وكثيراً ما تذهب زوجات أولادي للمشاركة في عرس أو مناسبة اجتماعية ثم يودعن اطفالهن عندي، لتبدأ حفلة الصراخ واللعب وأحياناً (الشعوذة) حسب المفهوم العام، وربما يصل الأمر إلى حد نشوب معركة في ما بينهم، لكن هذه الضجة أراها أحلى من أية شئ في الدنيا، بل وألح على أحفادي بالمبيت عندنا.

بناء العلاقات

ويبين الباحث نصير الشيخلي استاذ الاجتماع في الجامعة العراقية «إنَّ مثل هذه اللقاءات لها فوائد كثيرة، سواء على الطرفين الاجداد والاحفاد، فهي تزيد من أواصر المحبة والتقارب بين الجميع، وفي تبادل الخبرات والحوار بينهما والإنصات إلى تجارب الكبار والتعلم منها، وحل أي خلافات أسرية يمكن أن تحدث، وتربي الأبناء على أهمية التواصل مع الأجداد والأعمام والعمات والأخوال والخالات، وهذا يسهم في المحافظة على العلاقات الاجتماعية واستمراريتها، كما وتشعر الكبار بالحب والتقدير، ويتعلم الاولاد في بيت أجدادهم، بعض المفاهيم والعادات الجميلة، التي تغرس في نفوسهم من دون أن يشعروا وتنمو في داخلهم ليجدوها في مستقبلهم عوناً له في التعامل مع المجتمع.

ولأهمية بيت الأجداد والتمتع بكل حرية فقد سلط عليه الضوء من قبل علماء النفس والاجتماع وتناوله الشعراء، نسأل الله أن يحفظ الجدات والأجداد ويطيل في أعمارهم لقيمة وجودهم.

تخطي القوانين

خبراء الاجتماع والمختصين في الشأن الأسري أوضحوا» أن الأجداد والجدات هم الاكثر قرباً من أحفادهم وذلك لشعورهم بمسؤوليتهم تجاه أبناء الابن أو البنت، وبذلك يعيشون بسعادة فائضة مع هذه الأجواء التي تكسبهم محبة وإحساساً بالحياة وأكثر تقبلاً للذكريات بواسطتهم، ويكونون أسرع تأقلما مع الظروف من غيرهم.

وأحيانا كثيرة تحدث بعض التداعيات مع آباء الأبناء والأجداد، نتيجة الدلال أو تخطي القوانين عليها في بيت أجدادهم، كالسماح لهم باللعب إلى ساعات متأخرة أو الإفراط في الأكل، غير أن كثيراً من الأسر لا تزال تحافظ على علاقات جيدة في ما بينها، وتحرص على اللقاء الأسبوعي الذي غالبا ما يكون في بيت الوالدين (الجد الجدة) وربما الأكثر حضوراً هو في العطلة الصيفية التي تروق للأسر وتنعم في بيوت والديهم، هذه اللقاءات ينتظرها الكبار بشوق ولهفة، وربما تكون من أجمل الأيام والساعات لديهم، فهي تشعرهم بوفاء الأبناء والبنات، وتزيد من التقارب بين أفراد الأسرة الكبيرة.

مهما تغيرت الأحوال وطال الوقت وقسى، ومهما أزاحت التكنولوجيا رياح المحبة وعصفت بمتغيرات البيئة والأسرة، يبقى بيت الأجداد الأجمل والأحلى من أي مكان

الوقت كالسيف..

د.لطيفة شاهين النعيمي

إدارة الوقت ليست مجرد تقنية نمارسها لتحقيق أهدافنا، بل هي فنٌ يرتقي بفهمنا للحياة وإدراكنا لقيمتها. فالوقت، هذا المورد الثمين الذي لا يمكن شراؤه أو استعادته، هو الأساس الذي تُبنى عليه الإنجازات وتُصاغ فيه الأحلام. وكما قال الفيلسوف الإغريقي سقراط: «الحياة التي لا تُراجع لا تستحق العيش»، وأي نجاح يحققه الإنسان ليس وليد الحظ، بل هو ثمرة إدارة حكيمة للوقت والجهود. إن الأفراد الذين يعرفون كيف يحددون أهدافهم ويرتبون أولوياتهم هم الذين يحققون التفوق. وكما قال ستيفن كوفي، صاحب كتاب «العادات السبع للناس الأكثر فعالية»: «الشيء الأهم هو أن تجعل الشيء الأهم هو الشيء الأهم».

كل نجاح يبدأ بفكرة، وكل فكرة تحتاج إلى تخطيط محكم وتنفيذ مدروس. وهنا تأتي أهمية تحديد الأهداف بوضوح، ثم تقسيمها إلى خطوات صغيرة قابلة للتنفيذ. تلك الخطوات ليست مجرد وسائل لإنجاز المهام، بل هي دروب نحو الذات واكتشاف القدرات الكامنة، ليس كل ما يبدو عاجلًا مهمًا، وليس كل ما يبدو مهمًا عاجلاً. إدراك هذا الفرق هو مفتاح التميز في إدارة الوقت. عندما نرتب أولوياتنا بذكاء، نجد أنفسنا نعمل على الأمور التي تخلق الفارق الحقيقي في حياتنا. وكما قال الكاتب مارك توين: «إذا كان عليك أكل ضفدعة، فابدأ بالأكبر».

وفي اعتقادي إنّ إدارة الوقت ليست فقط لتحقيق الأهداف العملية، بل هي أيضاً لتحقيق التوازن بين العمل والحياة الشخصية. النجاح الحقيقي لا يُقاس بكمية الإنجازات فقط، بل بجودة الحياة التي نصنعها لأنفسنا ومن نحب. وكما قال الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور: «الحياة قصيرة، ولكنها تكفي لمن يعيشها بحكمة»، وعندما نخصص وقتاً لأنفسنا لنفكر، ووقتاً لعائلاتنا لنحب، ووقتاً لأعمالنا لنبدع، نجد أن حياتنا تصبح أكثر ثراءً وإشباعاً.

والتوتر هو العدو الأول للإبداع والإنجاز. وعندما نعجز عن إدارة وقتنا بشكل فعال، نجد أنفسنا أسرى لضغوط الحياة اليومية. لكن الحل يكمن في التنظيم والانضباط. يقول الكاتب بنيامين فرانكلين: «إذا لم تخطط، فأنت تخطط للفشل»، فالوقت ليس مجرد دقائق وساعات، بل هو جوهر الحياة نفسها. إدراك هذه الحقيقة يدفعنا إلى التعامل معه بحكمة واحترام. وكما قال الإمام الشافعي: «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك»، كما أن إدارة الوقت ليست رفاهية، بل هي مهارة يجب أن يتقنها كل من يسعى لتحقيق النجاح وبناء حياة ذات معنى. فمن خلال استغلال الوقت بحكمة، نصبح قادرين على تحويل أحلامنا إلى واقع، وأهدافنا إلى إنجازات.

وفي الختام.. إن الحياة رحلة قصيرة، والوقت هو الرفيق الذي يحدد مدى نجاحنا وسعادتنا فيها. إدارة الوقت ليست مجرد أداة لتقليل التوتر أو زيادة الإنتاجية، بل هي فلسفة تعيد تشكيل نظرتنا للحياة وقيمتها. وكما قال الفيلسوف ليو تولستوي: «الوقت الذي تستمتع بإضاعته ليس وقتاً ضائعاً». فلنجعل كل لحظة تمر في حياتنا ذات قيمة ومعنى. والله ولي التوفيق ،،،

● أستاذ الهيدروجيولوجيا والبيئة بجامعة قطر

عمّتي حصّة

المزمار عبد الكريم البليخ

فقدت عمّتي حصّة زوجها جابر وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، ووجدت نفسها فجأة أمام مسؤولية جسيمة: تربية ستة أطفال صغار، ثلاثة أولاد وثلاث بنات، أكبرهم جازية، البنت البكر التي لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها. كانت الأسرة تعيش في منزل بسيط آيل للسقوط، مبني من اللبن الغشيم، بالكاد يقيهم حر الصيف وبرد الشتاء.

رغم الفقر المدقع الذي كان يحيط بهم من كل جانب، بذلت عمّتي قصارى جهدها لتأمين احتياجات أسرتها. كانت تعمل جاهدةً طوال اليوم لتوفير ما أمكن من أساسيات الحياة، لكنها كانت تضطر في كثير من الأحيان إلى الاستعانة بالجيران أو الأقارب لاقتراض الخبز أو بعض البهارات البسيطة لإعداد الطعام. وغالباً ما كان طعامهم يقتصر على البطاطا الرخيصة والبندورة المزوجة بالبصل اليابس مع قليل من الزيت والملح.

كانت حصّة واحدة من ثلاث أخوات تفرقن بعد زواجهن، حيث انتقلن للعيش في قرى متناثرة. في طفولتها، كانت تعيش مع أسرتها في بيت متواضع يتكون من ثلاث غرف مسقوفة بالأعمدة الخشبية ونبات الزلّ، ومبني من اللبن المصنوع من التراب والقش. كان هذا النمط البسيط من البناء شائعاً بين أهل القرى الذين كانوا يتسابقون لبناء مساكن تحميهم من قسوة الطبيعة.

زواج حصّة من جابر لم يكن بعيداً عن قسوة الفقر الذي عاشته في بيت أهلها. رغم حبها لزوجها، كان الواقع الاقتصادي يشكل عبئاً كبيراً عليها. لم يكن جابر قادراً على تلبية احتياجات الأسرة الأساسية بسبب مرضه المزمن وحالته المادية المتدهورة. ومع ذلك، تحمّلت حصّة المسؤولية بكل صبر، حتى إنها كانت تعمل فلاحةً في الأراضي الزراعية لتساعد زوجها في سد احتياجاتهم.

كانت حياتها مليئة بالمعاناة، لكنها لم تفقد أملها. ورغم طلبها الطلاق أكثر من مرة بسبب الضغوط التي واجهتها، فإنها كانت تتراجع احتراماً لزوجها الذي كان يُقدر جهودها ويحترم تضحياتها. ومع مرور الوقت، قبلت حصّة بمصيرها وقررت المضي قدماً، متشبثة بزواجها رغم كل الصعاب.

جاء حملها الأول ليغيّر الكثير من الأمور. ولادة ابنتها البكر جازية أعادت إلى حياتها الأمل وأعطتها دافعاً لمواصلة الكفاح. تبعتها ولادة بناتها الأخريات وأبنائها الذكور. كان أطفالها مصدر قوتها، وهم الذين جعلوها تتمسك بزوجها أكثر وتضاعف جهودها للحفاظ على الأسرة.

رغم العوز الشديد، استطاعت حصّة بفضل طيبتها وصبرها أن تجذب دعم أهل الخير من الأقارب والجيران. ساعدوها في بناء غرفة وحيدة ومطبخ صغير بجوار منزل أهل زوجها، ما وفر لها استقلالية نسبية وبيئة أفضل لتربية أطفالها.

كانت بساطة عمّتي حصّة وطيبة قلبها سبباً رئيسياً في صمودها أمام الحياة. استمرت في رعاية أسرتها بكل حب وإخلاص، وكرست كل وقتها لتعليم أطفالها القيم الصحيحة وتوفير احتياجاتهم رغم محدودية الموارد.

تحسن وضعهم المعيشي تدريجياً بفضل مساعدات أهل الخير، واستطاعت الأسرة تحقيق استقلال بسيط. رغم ذلك، كانت الحياة لا تزال مليئة بالتحديات، لكنها لم تستسلم أبداً.

عاشت عمّتي حصّة حياة مليئة بالكفاح، لكنها نجحت في بناء أسرة متماسكة رغم كل الظروف. كانت مثالاً يُحتذى به في التضحية والصبر، وحكايتها تُلهم كل من يقرأها ليؤمن بأن الأمل والعمل الجاد قادران على تحقيق المستحيل.

مع مرور الوقت، تمكنت عمّتي حصّة من تحقيق استقلاليتها المتفرّدة مع زوجها وأفراد أسرتها. بذلت جهوداً مضنية في تربية أبنائها تربية حسنة، واستطاعت أن توفر لهم العيش الكريم رغم صعوبة الظروف، وذلك بفضل جهودها الفردية ومساعدة بعض أقاربها. تجاوزت بذلك مأساتها، وتغلبت على التحديات التي واجهتها.

كانت أسرتها تتألف من ثلاثة أبناء ذكور: حامد، الابن الأكبر الذي لم يتجاوز السابعة من عمره، وفارس، الابن الأصغر الذي لم يتخطَ العامين والنصف، ونايف، الأخ الأوسط الذي كان يُعاني من مرض مزمن ولم يتجاوز الخامسة. بالإضافة إلى البنات الثلاث: جازية، وزاهرة، وشمس.

ترك لهم والدهم المزارع البسيط عشرة دونمات من الأرض الزراعية، بالكاد تسد احتياجات الأسرة. كانت الأرض تنتج القمح والذرة الصفراء وبعض الخضروات، فضلاً عن امتلاكهم عدداً قليلاً من الأغنام التي اعتمدوا على حليبها لإطعام الأطفال، وما زاد عن حاجتهم كانوا يبيعونه بثمن زهيد لشراء الطحين واللوازم الأساسية للبيت.

في إحدى الليالي الشتائية الباردة، حلّت الكارثة عندما أُعلن عن وفاة والدهم أثناء عمله في فلاحة الأرض وسقايتها. انتشر خبر وفاته سريعاً، فكان كالنار في الهشيم، ووصل إلى أهله ومعارفه وأقاربه في القرية، وحتى أخيه الذي كان يقيم في المدينة، والذي غادر القرية منذ ثلاثين عاماً بسبب خلاف قديم مع أحد الأقارب.

أثّر خبر الوفاة بشدّة على شقيقه الأكبر الذي لم يكن يتوقع فقدان أخيه الأصغر. أصابته الصدمة، فانهار بالبكاء، خاصةً وأن الفقيد كان يتصف بصفات حميدة، منها الكرم والطيبة والوفاء. رغم الفقر، كان يسعى دائماً للحفاظ على علاقته بأسرته، ولكن زوجته كانت تلحّ عليه في السفر بعيداً والبحث عن عمل يساعدهم على سداد الديون المتراكمة، وتوفير العلاج لنايف الابن الثاني الذي كان بحاجة ماسة إليه.

ورغم كل هذا الإلحاح، أصرّ والدهم على البقاء في أرضه، متمسكاً بارتباطه بأرضه وأسرته، رغم الحاجة الماسّة للمال. كان يضع أمله في بناء غرفة إضافية مناسبة،

● من نساء ريف الرقة

ودفع الأقساط المدرسية لابنه حامد، وتحقيق حلم بناته جازية وزاهرة وشمس بدخول المدرسة بعد انقطاع طويل.

جازية، الابنة البكر، تحمّلت مسؤولية كبيرة رغم صغر سنها. كانت تعمل بالأجرة لدى أهالي القرية المكتفين مادياً، والذين يملكون مساحات زراعية واسعة. عملت في مواسم التحضير للزراعة وفي حصاد القمح وقطاف القطن. كان هذا العمل شاقاً، ولكنه أصبح جزءاً أساسياً من حياتها لمساعدة أسرتها.

كان الفقر يدفع العديد من الفتيات مثل جازية إلى التسرّب من المدرسة والانضمام إلى سوق العمل الزراعي، حيث تُقدّر أيديهن العاملة الرخيصة. ومع أن هذه الحالة كانت شائعة بين الأسر الفقيرة، إلا أنها كانت تؤثر سلباً على الفتيات الصغيرات وتحرمهن من التعليم، ما يزيد من التفاوت الطبقي بين أسر القرية.

بينما كانت جازية وشقيقتاها تعملن منذ الصباح الباكر وحتى غروب الشمس، كانت الفتيات الأخريات من العائلات الميسورة الحال يقضين وقتهن في البيوت، يتعلمن ويستمتعن بطفولتهن دون الحاجة إلى مواجهة قسوة العمل الزراعي. هذا التفاوت الطبقي كان يزيد من إحساس أسرة حصّة بالعوز، لكنه كان في الوقت ذاته دافعاً لها ولأبنائها للعمل بجد أكبر لتحسين أوضاعهم.

رغم كل هذه التحديات، استمرت عمّتي حصّة في الكفاح، تعتمد على نفسها وعلى دعم أبنائها. كانت جازية نموذجاً يُحتذى به لشقيقاتها زاهرة وشمس، اللتين تبعتا خطواتها في البحث عن العمل لمساعدة الأسرة.

وبينما كانت البنات يعملن في الحقول، كانت حصّة تقضي يومها في رعاية الأغنام مع ابنها حامد، لتعود في المساء وتستأنف أعمالها المنزلية. كان العمل الجماعي للأسرة يُظهر قوة ترابطهم، رغم الظروف القاسية التي عانوا منها.

بفضل صبرها وتفانيها، كانت عمّتي حصّة نموذجاً يُحتذى به في التضحية والعطاء. كانت قصتها درساً في الصمود أمام المصاعب، وإلهاماً لكل من يعاني من قسوة الحياة.

فالأسر الغنية تُبقي بناتها داخل المنزل، وتحرص على توفير كل ما يحتجن إليه من متطلبات خاصة، بينما كانت جازية وأمثالها تظل حظوظهنّ مقتصرة على اللجوء إلى العمل الشاق لمساعدة أسرهن مادياً. وما يزيد عن حاجتها كانت جازية تستغله لشراء لوازم شخصية بسيطة تلبي احتياجاتها.

في هذه الأثناء، كانت عمّتي حصّة تمضي يومها في رعي الأغنام، بمساعدة ابنها حامد، حيث يَخرجان منذ الصباح حتى المساء. عند عودتهم إلى المنزل، كانت البنات يقمن بحلب الأغنام، ويُرسَل ما يزيد عن حاجة الأسرة من اللبن وبعض قطع الجبن إلى باعة المحال التجارية في المدينة التي تبعد ثلاثين كيلومتراً عن القرية. يتم ذلك عبر باصات النقل العاملة في القرية. وبعد أسبوع، تجمع العائلة المال الناتج عن بيع هذه المنتجات، وهو غالباً مبلغ زهيد لا يتجاوز ألفي ليرة سورية.

كانت عمّتي حصّة تعتمد أحياناً على دعم حماها الذي يقيم في المدينة. كان يمد يد العون لهم بين فترة وأخرى، وفق إمكاناته المادية، ويحرص على زيارتهم للاطمئنان على أحوالهم.

رغم جبروتها وهمّتها العالية وخبرتها في إدارة شؤون حياتها، كانت عمّتي حصّة تُعد من النساء القلائل اللاتي واصلن العمل ليل نهار لخدمة أبنائهن الصغار وبناتهن، بعدما فقدت زوجها الفلاح البسيط. كان زوجها، الذي لطالما عانى من إصابة في الرأس إثر حادث سير مروّع في شبابه، عاجزاً عن إعانة أسرته بالشكل المطلوب.

وبعد مضيّ سنوات على وفاته، ورغم مرضها المزمن، استطاعت عمّتي أن تحافظ على أبنائها. وفرت لهم العمل المناسب، ووجهتهم نحو الطريق الصحيح، فصاروا مثالاً يحتذى في الأخلاق والاحترام.

كانت عمّتي حصّة رمزاً للمرأة التي يُفاخَرُ بها بين نساء القرية. لم تفكر يوماً في الزواج من أحد رغم محاولات الكثير من الرجال المعروفين وذوي الحظوة التودد إليها بهدف الاقتران بها. لكنها رفضت ذلك بإصرار، مفضلةً تكريس حياتها لتربية أبنائها وبناتها الست، والعيش معهم بود وانسجام.

استمرت في تحمل عبء أسرتها على أسس سليمة، بما يرضي ضميرها ويحقق لهم مستقبلاً أفضل. زوّجت ابنها حامد من ابنة عمّه نجود، التي لم تلتحق بالمدرسة قبل تخرجه من الجامعة بثلاث سنوات. كما زوّجت بناتها الثلاث واحدة تلو الأخرى.

أما فارس ونايف، فقد بقيا معها في المنزل. نايف، الذي عاني لسنوات من المرض، شُفي منه تماماً، واستعاد عافيته ليبدأ دوره في الحياة كعضو فعّال في الأسرة.

بعد أن اطمأنت عمّتي حصّة على أبنائها، وأصبح لكل منهم دوره في الحياة، أضافت عدداً من الغرف الحديثة البناء إلى مسكنها القديم. استقر حال الأسرة بالعمل في الأرض الزراعية، معتمدين على خيراتها التي منّ الله بها عليهم، وراضين بما قسمه الله لهم من رزق.

انتهت حياة عمّتي حصّة حين أدركها الأجل المحتوم. رحلت وهي على فراشها بعد سنوات من معاناة المرض. كانت حياتها مثالاً يُحتذى في التضحية والبذل والعطاء. تركت وراءها إرثاً من الحب والصبر والوفاء، وقصة تلهم كل من عرفها أو سمع عنها.

لقاءُ الشَّتيتين

عبد الحميد الخلف الإبراهيم

قبل سنوات حدّثني أحد العائدين من أداء العُمرة أنّ مجموعةً من مُعْتَمِرات التّركمان كبيرات السّنّ، وَجَدْنَ معتمرةً تطوفُ معهنّ بالبيتِ العتيق تشبهُ فلانة أختَ فلان التي غابتْ عن القرية بعد وفاة أخيها، قبلَ أكثر من خمسين سنة!

تابَعْنَها بعد الطّواف، وجلسْنَ إليها في الحرم، وسألْنَها: ألست فلانة؟ فأنكرتْ، ثمّ وجدْنَها في اليوم التّالي وجلسْنَ إليها، وأعدن عليها السّؤال نفسَه، فكرّرتِ الإنكار قائلة: إنّها مصريّة.

كانت واحدةٌ من المعتمرات تعرفُ فيها علامةً في شعرها، فمدَّتْ يدَها إلى الشّعر تحت المُلاءة، وذكّرتْها بالعلامة في شعرها، فأقرّتْ أنّها هي!

كانت أمي رحمَها الله قد ذكرتْ لي أنّ (أخت بويش) الذي كان يعمل خفيراً، يلقّبونَه عندنا (البكجي) كانت صديقتَها، ولم يكن لها في الدّنيا غيرُ أخيها بويش، ولا ندري أين ذهبت بعد وفاته.

في اليوم التّالي عَرَّفَتْ أخت بويش الخفير زميلاتِها بل أخواتها المعتمرات على زوجها المصريّ الذي التقته في دمشق في أيّام وحدة القطرين، فذهب بها إلى المحكمة، وتزوّجا.

ودعاهنّ الزّوج ومرافقيهنّ إلى وليمة في مقرّ إقامتهم، ثمّ أكملوا التّعارف في الحرم المدنيّ، وأعطتْهم عنوانَها في مصر، وطلبَتْ أن يزورَها أقاربُها.

تلك واحدة من قصص الشّتات، وثمّة قصص أخرى.

واحدة منهنّ شهدْتُ بداية نهايتها السّعيدة عندما كنت في حوالي الخامسةَ عَشرة من عمري.

كان الوقت عصراً، عندما توقّفت (البوسطة) الحمراء عند طرف بيتنا، ونزل منها ضيفان، رجلٌ وامرأة، عرفْنا من لباسهما أنّهما غريبان.

كان ثمّة (بوسطة حمرا) سائقُها أبو نوري، و(بوسطة زرقا) سائقها أبو عدنان، ثمّ شحاذة الخميسيّ من بعده، تنطلقان معاً من الرّقة عند الظّهر، ثمّ تفترقان عصراً في حمّام التّركمان، فتذهب الزّرقاء إلى تل أبيض، وتذهب الحمراء إلى سلوك ومحيسن، ثمّ تُعاودان الرّحلةَ في اليوم التّالي عند شروق الشّمس بزمّور مُرْعب يصلُنا قبل وصولِهما بأكثر من خمسة كيلومترات.

لم نَسْتغرب الرجلَ في بنطاله، فالمعلّمون في المدرسة مُبَنْطَلُون، لكنّ المرأة لفتَتْ أنظارَنا في البنطلون، واستغربْنا شعرَها المنسدل على كتفيها بلا غطاء!

استقبلناهما بالتّرحيب، وفرّقنا بينهما، أخذناه إلى غرفة لنا طينيّة مخصصة للضيوف منفردة حيثُ يجلسُ المُختار، وأرشَدْنا المرأةَ إلى حيثُ تجلس أمّي، فصافحتْها بالقُبُلات، ثمّ جلسَتْ.

قالت الضّيْفةُ لأمّي: ألم تعرفيني يا خالتي؟ فأعادتْ أمّي النّظر إليها ثمّ قالتْ: من أين لي أن أعرفَك يا ابنتي؟ فقالت الضّيفة الغريبة: أنا ترفة! ابنة قعير!

دُهشَتْ أمّي قائلةً: أنت أختُ خلف؟ فأومأت الضّيفة برأسها أنْ: نعم! ثمّ قامتا فتصافحتا من جديد، وعرفنا من الحديث القصير الذي تبادلتاه أنّها كانت ضائعة!

خرجنا نوضّح لمن جاء يسأل عن الضّيفين الغريبين أنّها أختُ خلف الصّاقو الضائعةُ وهذا زوجُها!

لم أكن أعرف أنّ لخلف الصّاقو أختاً في الأصل، فضلاً عن أن تكون ضائعة، لكنّ الكثيرين كانوا يعرفون، ولم تغب الشّمسُ حتى انتشرَ الخبرُ في جناحي القرية كأنّما نشرتْهُ الإذاعات، وتكاثر الرّجالُ ممّن حولنا ومن أطراف القرية ومن قسمها الجنوبيّ مُتتابعينَ يُسلّمون على الرّجل في جماعات، ضاقت بهم غرفتُنا التي كنّا نظنّها واسعةً، ففرشْنا لهم في الحوش،

وانحشرتِ النّساءُ في غرفتين وعلى باب البيت، وقد جئْنَ في مجموعاتٍ يمشين حثيثات يسلمْن على ترفة العائدة بعد غياب، والرّجل يروي قصّتَه للرّجال ويجيب عن الأسئلة، وترفة تروي لأمّي وللنّساء المسلسل الطّويل باختصار، وتسأل عن خلف، وتكرّر: بدّي خلف!

كانت تنطق اسم خلف مُرقّقاً كما ينطقُه أهلُ الشّام، لا مفخّماً كما ينطقه أهل البادية والفرات، وكان جمالُها وماكياجها وشعرُها المنسدل وراءَها بلا غطاء، يُعطي لخلفٍ مكانةً لم تكنْ تخطر على بالنا أو باله، ولم يكن خلفٌ موجوداً معنا، ليرى كيف تنْطقُ شقيقتُه المتحضّرةُ اسْمَه بعد عشرين عاماً من ضياعها.

كان حميدي والدُ خلف، يعمل في بيت الحاج حميدي الشّوّاخ، وحصلَ على أرض إمّا من الحاج حميدي، أو من خلف الإبراهيم في التّوزيع الذي قام به بعْدَ حلّ الخلاف الحدوديّ مع عنزة.

امتلاكُ أرض لا يعني الغنى ولا الاكتفاء، وبخاصّة إذا كانتْ بعليّة، وقد عَرَفَ النّاسُ (تأجيرَ الأراضي) لأنّ تكاليفَ زراعتها أكبرُ من قُدْرات مالكيها، يتساوى في ذلك المالكُ الكبيرُ مع الصّغير، والفَقْرُ يعمُّ الجميعَ، إذا تأخرَ المطرُ أو انْقَطعَ، والزراعةُ المرويّةُ في أوّل عهدها لدى قوم حديثي عهْد بالبداوة.

توفّيتْ والدةُ خلف، وخلفُ صغيرٌ لا يكاد يمشي، وأخته صغيرةٌ لا يُعهَدُ إليها بطفل وهي طفلة، فكان أبوه يحمله معه إلى المقعد أو المجلس، أوضة الحاج حميدي أو أوضة خلف الإبراهيم، يلفّه في سترة له، وكانت سترة الطّفل تسمّى Sacque بالفرنسية أو الإنجليزيّة، ثمّ جرى تعريبها بكلمة (ساكو) ثمّ (صاقو) للأطفال والرّجال، ومن ثَمَّ حمل خَلَفُ اسم السّترة التي يلفّه بها أبوه، ونُسِيَ اسم أبيه (حميدي)، أو لقبه (قعير) فصار اسمه (خلف الصّاقو) بلا منازع!

ثمّ تُوفّي أبوه، رحمه الله، فصار وأختُه في عُهْدَة خالةٍ لهما تسكن (رأس العين).

عاد خلف من رأس العين، ولم تعد أختُه، ثمّ صار يتردّد بين حمّام التّركمان ورأس العين، وكلما عاد ينزل عند (الحرجان)، أو (الحمدان)، أو سواهما من أهل القرية، وأجّرَتْ أرضُه مع الأراضي المجاورة لها، وكان يَستلمُ محصولَها في حينِه لدى مرورِه بالقرية، حتى كبر فباعها.

كان خلف يتحدّث لنا عن مغامراته، ويروي لنا الأفلام الهنديّة التي كان يحضرُها في سينما رأس العين، ويبدو أنّه مارس مهنة (أبو البيل) الذي يرشد مرتادي السّينما المتأخرين إلى مقاعدهم بعد إطفاء الأنوار، وإلا ما استطاع أن يغنّي أغاني عائلة كابور شامي وراجي وشاشي بإتقان، واذكر أنّه مرّ بالمدرسة الابتدائية، ونحنُ في الصفّ الثّالث أو الرّابع، فأسْمَعَنا والمعلّمَ خرابيطَ هنديّة قريبة من: هيتي ميتي جلا.. وسوكو سوكو هاييايّا أو هكذا سمعناها منه.

ولم يكن خلف في القرية عند عودة أخته، فحَزِنَتْ أختُه لذلك، وعندما قيل لها إنّ ابن عمّها (نايف) موجودٌ في الرّقّة قالت: ما بدّي نايف، بدّي خلف!

كانت خالة ترفة قد أوكلتْ أمرها إلى أسرة شاميّة من معارفها، وهي في التّاسعة من عمرها أو أقلّ من ذلك، ثمّ لم تتابع أخبارها، ولعلّ الخالة توفّيت، وقيّض الله لترفة الانتقال إلى أسرة أخرى، وانقطعت صِلَتُها بالمنطقة، ومرّت سنونٍ نسيَتْ فيها من هي؟ حتّى تعرّفَتْ الرّجل الذي خطبها من كفلائها وتزوّجَها، وكان يحتاج إلى استخراج بطاقة لها لتسجيل الزواج، ولم تتذكر من موطنها الأوّل إلا (بيت البشير) والنّهر.. واسم الرّقة!

جاء بها زوجها إلى الرّقّة، ونزلا في فندق مقابل لمديريّة التّربية (أظنّه الرّشيد)، وطلبا من مدير الفندق أن يعدّد لهما مناطق الرّقة فذكر (السّبخة والطّبقة والكرامة وتل أبيض..) فاستوقفَتْه ترفة عند تل أبيض، فعدّد لهما قراها (سلوك والعلي باجليّة وحمّام التّركمان..) فتذكّرت التّركمان، فقادهما إلى حيثُ (البوسطة الحمرا) فوصلا..

في اليوم التّالي تَواصَلَ منذ الصّباح الباكر توافُدُ النّساء ممّن لم يستطعْنَ مداهمتها بالأمس، وعلى الباب وهي تتأهب للخروج، مع المُختار يستخرج لها هويّة (بطاقة شخصيّة) صادفتْها مجموعةٌ من النساء تقاسمْنَها بالقُبلات، سألَتْها إحداهنّ: هل عرفتيني؟ قالت: نعم! أنت خالة بَرْقَة!

وكانت الخالة برقة (أمّ محمود السّالم رحمهما الله) آخرَ من قابلَتْها وقبّلَتْها قبْل أن يذهب المختارُ بها وبزوجها إلى ناحية سلوك.

استخرج لها المختار بطاقةً شخصيّة، وسافرا تاركَيْن عنوانَهما في دمشق عند المختار، كي يلْحَقَ بهما خَلَفُ متى عاد إلى القرية، وعاد خَلَفُ بعد أشهر، لكنّ عنوانَهما تغيَّر، وأرسلا رسالةً تتضمّن العنوانَ الجديد، لكنّ خَلَفاً كان قد ذهب من جديد، ولم يعد حتى تغيّر العنوانُ ثانيةً، واكتمل مرورُ عامين قبل أنْ يطرُقَ خلفٌ باباً ذات صباح، في حارةٍ شعبيّةٍ من حارات دمشق، فتفتَحُ له أختُه ترفةُ الباب.

سألها عن زوجها، فأخبرته أنه في العمل، فأخبرَها أنّه من أقاربه، ويودّ أن ينتظرَهُ، فاقترحَتْ عليه أن يعودَ بعد الظّهر، ورفضت أن يدخل بيتها رجلٌ غريب، لكنّهُ ألحَّ عليها، وطلب كرسيّاً ليجلس في الشّارع عند الباب، فأعطته كرسيّاً باعتباره كما قال من أقارب زوجها.

وراح يسألها، وهو جالسٌ في الشارع: مَنْ أنت؟ ومِنْ أين؟ ومَنْ أهلك؟ ومَنْ أبوك؟ وكيف تزوجْتِ الرّجلَ؟ ومتى؟ حتى بكَتْ، وكادتْ أن تستنْجِدَ بالجيران، ليطردوا هذا الضيف الثّقيل!

ثمّ أخبرَها أنّه خَلَف!

لا أستطيع الآن أنْ أصفَ المشهد الذي جرى بعد ذلك، كما وصفه لي خلف، كان باختصار وصْلَةً من العناق والبكاء والنّحيب والدُّموع والذُّهول، تختزِل ربعَ قرنٍ من الضّياع والبعاد بين أخوين قدّرَ اللهُ لهما أنْ يفترقا صغيرين، ثمّ قدّرَ ألا يشهدَ لقاءَهما أحدٌ غيره!

واحتفت ترفة بأخيها. أدخلته البيت، وتحمّم، وألبسته بيجاما من بيجامات زوجها، وقدّمت له إفطاراً وجلست تحدّثه ويحدّثها، حتّى غلبه التّعبُ والنّعاس، فنام في سرير أخته.

وعندما عاد زوجها في نهاية يوم العمل، فوجئ برجل في سريره، فتغيّر لونُه، ونظر إليها عاجزاً أن ينطق، فناظرته مبتسمة، ثمّ قالت له، بعد تلوّع:

إنّه أخي خلف!

● شاعر وكاتب سوري

ببكائها تبعث الدفء

المرمار عبدالسادة البصري

إلى روح الشاعر الكبير
بدر شاكر السياب
التي لن تغيب

*في تلك الليلةٍ
والمطر يقبّل باباً
رتاجه القلب، والمفتاح هدوءٌ تام!!
شمعتك عند الشبّاك
وطيفك يسامر المساء!!!
شاطرتك القصيدة النوم
مقطعها الاخير
ظلّ صداه يرنّ...يررر.....ي....

*حينما جلست (إقبال) عند الموقد
تقلّب وريقات الذكرى
داعبت خصيلاتها القصائد
وشاكستها (وفيقة)
أكانت تغار منها،
أم من
المرض رفيقك المستديم؟؟
* (إبنة الجلبي) باعت شناشيلها
واشترت شمعداناً
لتقيم على روحك قدّاسا!!!!
*إنتهزها فرصة (حفّار القبور)
ليدكّ بمعوله أضلاعك الراعشات
أشعلت فانوسها (المومس العمياء)
لكن....
المطر...
الريح..
الحيرة..
الشجن خالجها
إنطفأ المصباح فنامت الحسرة على
صدرها!!!
*حبيباتك السبع مشّطن جدائلهنّ
جلسن على الشطّ
اخلفهنّ (البلّام) الموعد!!!

* (جيكور) لم تمطر السماء على ارضها
في تلك الليلة
لطمت جيكور خدّها
فتساقط المطر!!!!

*أمّك نصبت مأتماً
عند قبر (حميد) الكسيح
ازهرت المقبرة ورداً بيض!!
*حتى (المخبر) استأنف نشاطه
بخبر سفرك المفاجئ مع القمر!!
*(غيلان) لم يشرب في الصباح الحليب
كان ريقه ناشفاً ،، ودمعه مدرارا!!
*بينك والمطر علاقة حزنٍ وثيقة
توّجها الموت!!
*عند الصباح أقام شيخنا الجليل
(الحسن البصري)
وليمةً على شرفك
مرحّبا بمقدمك الكريم!!!!
*لم يتوقّف المطر،،
المعول الحجري،
بيت المومس العمياء،
عمل المخبر.....
لكنك توقّفت!!!
* الزمن حينها لم يبادر اليك ليودّعك
كانت عقارب الساعة تغازل بعضها!!
*عند الصباح ،،،لم يكن البرد
كانت النوارس تبعث الدفء
ببكائها
إنقلبت زوارقك،،،إندلقت كؤوسنا
إبتكر (بويب) جريانا اخر
تقمّط بالحزن
ورحل!!!!
*مسحت (ابو الخصيب) دمعة حزنٍ
تدثّرت البيوت بالالم
أوقدت (اقبال) شمعتين
تقاطرت الذكريات
فأطفأتها الدموع!!

هكذا خرقوا وصية حنا مينه!

عماد نداف

نعم...
ببساطة لم تنفذ وصية حنا مينه، التي نالت اهتماماً كبيراً عند نشرها كنص يثير الفضول في التعرف على ما يقوله هذا الكاتب الكبير لنا قبل موته.
كنت قد كتبت عنها قبل شهور، من وفاته، ومن مرور عشر سنوات على كتابتها، وتوقفت عند النقاط نفسها التي حصلت الآن بعد وفاته، فهذا الكاتب الكبير لا يريد طبلاً ولازمراً، كالذي يسعى إليه أحد أعضاء مجلس الشعب، أراد أن يموت هادئ البال، فاستبق موته بعشر سنوات وكتب وصية يمكن اعتبارها واحدة من أهم وثائق الحركة الثقافية المعاصرة التي يجب الوقوف عندها طويلاً، وفي وصيته تلك عنوانان بارزان: اتركوني أموت بهدوء، وادفنوني دون احتفالية دعاوية، لكنه قالها بأقسى عبارة يمكن أن يكتبها الإنسان للآخرين قبل أن يموت، فقد قال حرفياً:
"أشدّد: لا حفلة تأبين، فالذي سيقال بعد موتي، سمعته في حياتي، وهذه التأبين، وكما جرت العادات، منكرة، منفّرة، مسيئة إليّ، أستغيث بكم جميعاً، أن تريحوا عظامي منها|»! هل أراحوا عظامه؟!
خرجت جنازة حنا مينه من المستشفى، متواضعة لم يحتشد فيه الناس لوداعه ولا تجمّع فيها زملاؤه الكتاب لإلقاء نظرة الوداع على جثمانه، كما يجري عادة للكتاب الكبار، ولكن القرار الثقافي أضفى على الجنازة بعداً رسمياً فحضرت الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية، وحضر أيضاً وزيرا الثقافة والإعلام وحضر مسؤولون آخرون ومن بينهم أمين عام الحزب الشيوعي الموحد حنين نمر..
والمفاجأة أن الكتاب لم يحضروا الجنازة، حضرها الدكتور نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب في سورية، وكان يمكن أن نقول إنه حضرها من باب مسؤوليته كرئيس للاتحاد فقط لولا أنه قال لي حرفياً، بعد الجنازة، وبلهجة المعاتب والمندهش: لم يحضر الكتاب. هل يظنون أنهم لن يموتوا؟!
كان الكاتب الكبير حنا مينه يعرف طباعنا أكثر مما نعرفها نحن، فلا يمكن أن نقرأ الفاتحة على ميت ولا نترحّم عليه إلا إذا كان ثمة فائدة ما سنقطفها من ذلك، فأراد أن يريحنا من ذلك ويحرمنا من هذه المتعة الانتهازية بآن واحد، أتعرفون ماذا كتب في وصيته؟
لنقرأ معاً هذه العبارات: «عندما ألفظ النفس الأخير، آمل، وأشدد على هذه الكلمة، ألا يُذاع خبر موتي في أية وسيلة إعلامية، مقروءة أو مسموعة أو مرئية، فقد كنت بسيطاً في حياتي، وأرغب أن أكون بسيطاً في مماتي، وليس لي أهل، لأن أهلي، جميعاً، لم يعرفوا من أنا في حياتي، وهذا أفضل، لذلك ليس من الإنصاف في شيء، أن يتحسروا علي عندما يعرفونني، بعد مغادرة هذه الفانية».
بدأ خرق الوصية من أسرته التي نعته وحددت مواعيد تقبّل العزاء، وقد اتكأ رئيس اتحاد العرب في سورية الدكتور الصالح على هذا الخرق وهو يرد على سؤال لبرنامج «كلام الورق» التلفزيوني خصص للكاتب الكبير حنا مينة، يتعلق بسبب خرق وصية حنا مينه، فقال: «أنا لم أكن لأنعي حنا مينه لو لم تكن أسرته قد بادرت إلى ذلك، ولا سيما ابنه الفنان المعروف سعد مينه».
ويضيف في شرحه للمسألة عبر البرنامج المذكور الذي بثته الفضائية بعد تشييعه: «ما حصل ليس خرقاً للوصية. سألتُ سعداً لماذا فعلتم ذلك، وهناك وصية؟ فقال كلاماً بغاية الرصانة الإنسانية: طوال حياتي لم أشعر أن حنا مينه يخصني بوصفه أباً. اليوم شعرت به ليس بوصفه أباً لكن بوصفه كينونة إنسانية يليق بها أن تمضي الى مثواها الأخير كما تمكنت من أن تحفر وجودها بقوة ووجود كبيرين».
هكذا خرقوا وصية حنا مينه، اعتبروه مُلكاً للثقافة وليس مُلكاً لنفسه، ولا نعرف إذا كان غياب الكتّاب الذين تركوه ليشيعه بعض المسؤولين هو التزاماً بالوصية أم كسلاً أو لأن الجمل التي نثروها على صفحات الفيس بوك هي آخر مبتكرات العصر لكي نهرب من المشي في جنازة كاتب كبير تحت أشعة شمس حارة!

اللوكس والشوايا «الفاكطين»

عيسى الشيخ حسن

هل تعرفون اللوكس؟

الشباب لا يعرفونه بالتأكيد، وربّما كنّا الجيل الأخير، الشاهد على توهّجه وانحساره مرّةً واحدة، ذلك السراج المنير، الذي حوّل ليالي القرى إلى نهارات فائضة بالسمر، والتعاليل، وبدأنا ننظر إلى اللمبة والفانوس نظرة إشفاق.

.

وعلى سيرة (الأحمد العلي) فقد شهدت طقوس إشعاله، في تلك الأمسية وقد آذن الغروب، واستعدّ الرجال لتعشية ساعاتهم، بفرك آذانها دورات عدّة. كان اللوكس فانوساً كبيراً، لكنّه من دون فتيل، بل بقميص أبيض بيضويّ، محكم النسج، تتخلّله دائرة زهرية كأنها ختم، مزموم بخيط رفيع يُربط بدائرة فخّار في الغطاء، وقبل ذاك يغمس بماء (السبيرتو) قبل أن يدفش (يدفع) المايسترو محقن الهواء في جرن النفط (الكاز)، كما يفعلون مع (بابور الكاز)، إلى أن يتدفق النفط من إبرة صغيرة، ويشتعل القميص الذي يرسمه اللهب كرةً بيضويةً من نور.

.

في الأماسي، نتحلّق حول صانع النور، الذي يمتلك تلك الأسرار، وبيده زجاجة السبيرتو، وعلبة الكبريت، ويتحكم بتدفق النفط عبر دائرة حمراء يمين الفانوس، قبل أن يرفعوه عند نافذة، أو يعلّقوه بسقف، فيما نحن نتابع مسلسل الظلّ الذي يمثله ولدٌ آخر بيده التي تشبه رأس وحش يلتهم أيادينا الغضّة، في لعبةٍ تجمع بين الخوف والضّحك، غافلين عن أحاديث الكبار.

.

حدث هذا غير مرّة، في بيت جدّي أيضاً، حين جاء خالي من العسكرية في إجـازة، وحين زارنـا الشيخ حسين الأعمى، وقد أدهشنا حفظه للقرآن الكريم، وقد أمّ المصلّين لجهورية صوته. بعد سنوات تسربت إلينا بعض خطب الشيخ الكشك، وكلّما سمعته تذكرت الشيخ حسين الأعمى ذا الصوت الفخم. ولكنّ حكاية اللوكس لم تنته هنا، بل رافقتنا في الرحيل إلى القامشلي، وقد تكاثرت، وجاء اليوم الذي نلت فيه امتياز إشعال اللوكس بنفسي، وإخوتي الصغار يتحلّقون حولي، مراقبين تدفق النفط من الإبرة، والتحكم بضخّها فيتحوّل اللهب إلى نور منتظم.

.

رافقنا اللوكس إلى أماسي حزيران وآب حيث بيادر العدس، حين يهب الهواء الشحيح ليلاً، فلا نملك في الليالي الظلماء إلّا إشعال اللوكس، ومتابعة (الذراوة) فلا نعود إلّا إذا خمدت موجات الهواء.

وشهدته يوماً وقد حضرت دفن أحد الموتى ليلاً، وقد وضعوه جانب القبر، لمتابعة الدفن، وقد رأيت على حجرة النفط المطلية بالكروم جموع الواجمين وكأنّني أشاهد مشهداً من فيلم.

.

في عام 1977 جاءت الكهرباء، وتسابقنا مساءً إلى الأزرار الجديدة لرؤية المصابيح المعلّقة في البيت، وتناسينا تحلّقنا كلّ مساء حول اللوكس، الذي انزوى جانباً، من دون قميص.

لم يحظ اللوكس بعمرٍ مديد مثل بعض المخترعات، وباتت تلك الأجهزة قطع آثار في البيوت، ولا أظنّ البحث عن قطع غيارها لمن ما زال يستعملها بالأمر السهل، وسمعت في تسعينات القرن الماضي أنهم يشترون نوعاً منها بثمن مرتفع لأنّه مصنوع من معدن نفيس، مثلما حدث لقدّاحات الرونسون في الوقت ذاته.

.

ولكنّ اللوكس، وهج النور الأخير، قبل حداثة الكهرباء، ظلّ نقطة علّام في تلك السنين، رفقة إذاعة لندن، والساعات السويسرية التي تعشّى عند الغروب.

***

أبحث عن معنى «فاگط» في معاجم العرب، فلا أجد كلمة في هذا الباب، إلّا من اجتماع الفاء و«قط» لتعطيا معنىً جديداً هو: «فحسب» وتأتي غالباً وراء العدد، ونحن المعلمين نهتمّ بهذا حين ندوّن درجات الطلاب، فنكتب: «عشرون فقط، ست وخمسون فقط» فإن نسينا ذلك، قال المراجع: فقّطوا الدرجة.

.

يأتي «الفاگط» في المعجم الشاويّ بمعنى الكسول المهمل في العمل، وتكونُ أقسى ما تكون إذا وجّهت للأنثى «الفاگطة» مضافةً إلى مفردتين أشدّ قسوةً «الجايفة العفنة»، في مجتمع قاسٍ، اشتهر بحياته الشاقّة، جامعاً بين أعمال الرعي، وأعمال الفلاحة، فلا راحة له إلّا في شهرين أو ثلاثة أوّل الشتاء.

.

وبينما يكون الدأب والاجتهاد طبع العشيرة كاملةً، إلّا أن المشهد لا يعدم وجود أسرة ما، تخلّفت عن «سستم» الشوايا الشاقّ، كأن يكسب هذا المختلف رزقه من عملٍ آخر، فلا تجده يصحو مع «الحواصيد» ولا يسري معَ «الرعاة» بل هو موظّف الصحّة، أو معلّم المدرسة، وقد خلد أهله إلى الراحة والدعة، فاستحقّوا جميعاً لقب «الفگاطة».

.

تبدو أعمال الموسم كالحرب، ويجب على الجميع التعاطف مع المحاربين سراةَ الليل، مجتهدي النهار، في البذار والحصاد والرّجاد، وقد يتطلّب العمل الفزعة، التي أصبحت احتفالية في أيام القطن، حين يشترك طلاب المدارس في القطاف، ولكنّ حصاد القمح يأتي وقت العطلة، ما يجعل الأيدي العاملة تزداد، وتصنع طقساً غريباً يبدأ بفزعات الحصاد والرجاد، وينتهي في مباريات الإنتاج.

.

كان الشوايا يتراغمون (يتنافسون) في أيام جمع السمن، وتتبارى النسوة في أيهنّ تجمع أكثر، عندما يربّعون في البراري. يذهب راعي الغنم بعكّة أو أكثر إلى الرقّة أو حلب، ويعود سحابة اليوم، بكيس كبير مليء بالسلق والمشبّك وحلوى الكعك الحمر والحلاوة، ومبلغ من المال، سرعان ما ينتشر الرقم في الحيّ.

.

في مواسم الحنطة يتبادل الرعاة السابقون أرقام الإنتاج، وسرعان ما تنتشر أسماء أبطال الإنتاج التي أنتجت أرضهم كذا كيلوغرام في الدونم الواحد، فيثنون عليهم بصفات «السبع، الشمگل، البطل» ويتبادلون سرديّة قصيرة عن أعمالهم في السقي ونثر السماد، وكمية البذار في الدونم الواحد، ونوع البذار.
فيما يبوء المتأخرون في الإنتاج بلقب «الفاگط»، في نتيجة لا يمكن فيها الغشّ في الامتحان، أو تزوير الشهادة.

.

ولا أدري إن كانت مفردة «الفاگط» تسلّلت إلى الشاويّة من الكردية أو الآشورية، أو التركيّة. ولكنّي وجدت ما يساعدني على التأويل، فربّما كانت «الفاگط» مفردة شاويّة بحتة، ولّدوا معناها من طبيعة عملهم، وربّما جاءت في فترة تالية في تطوّر الدولة المدينية، كأن يكون المفقّط أو الفاقط، هو المحاسب؛ فقد جاء في معنى فقط: «فَقَّط: (فعل)

فَقَّط الحسابَ: ختمه وقرنَه بكلمة (فَقَطْ) حتى لا يزاد عليه». فربّما أطلقوا على عدّاد الغنم، أو كاتب الجبن، أو دكّنجي المدينة الفاقط بمعنى المفقط، ثمّ إنّهم نسبوا كلّ من تكاسل وتقاعس إلى هؤلاء، ممّن لا يعجبونهم في نعومة عيشهم، وضعفهم.

.

في دولة الحداثة، تحوّل كثير من الشوايا إلى «فاگطين»، انتسبوا إلى المدارس وزاحموا أبناء المدينة في الوظائف، والأعمال، وقـرؤوا الكتب «المعقّدة»، ولكنهم ما زالوا فاگطين، في مرآة الآخر.

● شاعر وروائي سوري

الكاتب الذي لم يُكسر قلمه

ابن روز اليوسف.. الأم والمؤسسة

إحسان عبد القدوس

أسطورة الأدب والجرأة الصحفية

المرمار عمر إبراهيم محمد

نادت أفكار إحسان عبد القدوس بالعدل والحرية والحب، ولامست رواياته وقصصه الواقع المصري بسرد مشوق، بينما اكتست مقالاته النثرية بالمعرفة والحجة والبرهان. جمع بين الكتابة في السياسة بعمق وتفرّد، وبين التغني بمفردات الحب والغرام في أغلب رواياته العاطفية.

هكذا كان الصحفي والكاتب والروائي المصري الراحل إحسان عبد القدوس (1919–1990م)، أحد أعلام الأدب والصحافة في تاريخ مصر الحديث. عاش مؤمناً بحرية الكتابة، أو ما عُرف بمدرسة «الهواء الطلق»، ومن خلال تلك المدرسة خاض بقلمه معارك شتى واقتحم عوالم كانت مغلقة آنذاك – السياسة، المرأة، والجنس – عبر مقالاته وروايته المتعددة. كذلك، سطر بقلمه الرشيق أجمل وأعذب قصص الحب التي خلدتها السينما المصرية والعربية، وهي الروايات التي حولت كلمة «الحب» إلى مفردة شائعة في الحياة الاجتماعية.

في بداية حياته الصحفية، تأثرت كتاباته برقي الأدب وخصوصيته، مما انعكس لاحقاً على أسلوبه، ليُعرف ببساطة اللغة ووضوح الفكرة وقوة الطرح والمعالجة. وظل إحسان

مع والدته روز اليوسف وشقيقته آمال زك

في يوم زفافه مع عروسته

من يطالع كتابات إحسان عبد القدوس يجد نفسه مدفوعاً للغوص في أعماق ما يطرحه. سواء في مقالاته التي كانت سبباً في اعتقاله وسجنه ومحاولة اغتياله أكثر من مرة، أو في رواياته التي كشفت عن شخصيته المسالمة والحالمة، وتناولت جوانب متعددة من المجتمع المصري

عبد القدوس يتمتع بشعبية طاغية منذ الأربعينيات من القرن الماضي وحتى رحيله في أوائل التسعينيات.

وُلد إحسان محمد عبد القدوس أحمد رضوان في حي العباسية الشهير، في يناير 1919م. وبعد سنوات قليلة من مولده، انفصل والداه، فانتقل للعيش في كنف جده لأبيه، الشيخ أحمد رضوان، خريج الأزهر ورئيس الكتاب بإحدى المحاكم الشرعية. كان الجد رجلاً متديناً ومحافظاً، يحرص على تلقين حفيده الدروس الدينية بانتظام، ويفتح منزله باستمرار لاستقبال رجال الأزهر.

في المقابل، كان إحسان يزور منزل والدته، الفنانة والصحفية فاطمة اليوسف (المعروفة بـ«روز اليوسف»)، وهي سيدة تنتمي لعائلة المهيلمي الكبيرة بحي العباسية. اشتهرت والدته بتحررها، وكانت تعقد في منزلها ندوات ثقافية وسياسية يحضرها كبار الأدباء والسياسيين ورجال الفن.

عاش إحسان بين هذين العالمين المتناقضين. لاحقاً، وصف تجربته قائلاً: «كان التناقض بين منزل جدي الصارم ومنزل أمي المنفتح يصيبني بدوار ذهني في البداية، لكنني اعتدت عليه بالتدريج. لقد صقلتني هاتان التجربتان المتناقضتان فيما بعد».

واصل إحسان تعليمه حتى تخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام 1942م. حاول العمل في المحاماة، لكنه فشل في الاستمرار بهذه المهنة. وعندما بلغ السادسة والعشرين من عمره، دفعته والدته للعمل في الصحافة، فكلفته برئاسة تحرير مجلة روز اليوسف.

في يوليو 1949م، أثار إحسان عبد القدوس ضجة كبرى بنشره قضية الأسلحة الفاسدة على صفحات المجلة. كشف عن الأسلحة التي استخدمها الجيش المصري في حرب فلسطين عام 1948م، مشيراً إلى أنها كانت غير صالحة للاستعمال. ورغم خطورة القضية وما صاحبها من تهديدات، لم يرتعش

صوت الحب والحرية في القرن العشرين

● مع الروائي نجيب محفوظ

● مع رفاقه في فترة الشباب

قلمه أو يسعَ للسلامة، إذ كان يمتلك أدلة ومستندات دامغة. أصبحت القضية حديث الساعة، وأثارت جدلاً كبيراً آنذاك، لأنها طالت بعض ضباط الجيش المصري وبعض الأمراء.

من يطالع كتابات إحسان عبد القدوس يجد نفسه مدفوعاً للغوص في أعماق ما يطرحه. سواء في مقالاته التي كانت سبباً في اعتقاله وسجنه ومحاولة اغتياله أكثر من مرة، أو في رواياته التي كشفت عن شخصيته المسالمة والحالمة، وتناولت جوانب متعددة من المجتمع المصري.

في حقبة ما قبل ثورة يوليو 1952م وبعدها، كانت رواياته تصور الفساد والانغماس في الشهوات والابتعاد عن الفضيلة، كما في روايات: النظارة السوداء، بائعة الحب، وصانع الحب.

أما مقالاته السياسية، فقد دعت لفضاء أرحب من الحرية والديمقراطية، مما أدى إلى اعتقاله عام 1954م بسبب مقالته الشهيرة «الجمعية السرية التي تحكم مصر»، التي هاجم فيها مجلس قيادة الثورة.

بعد خروجه من السجن، واصل إحسان كتاباته الجريئة، فنشر روايته «شيء في صدري» (1958م)، التي أثارت ضجة كبرى بتناولها الصراع بين الرأسمالية المتوحشة والطبقة الفقيرة.

في حقبة ما قبل وبعد ثورة 1952م، صوّرت بعض روايات إحسان عبد القدوس مظاهر الفساد في المجتمع المصري، وانغماس البعض في الشهوات والجنس والابتعاد عن الفضيلة، كما في رواياته: «النظارة السوداء»، «بائعة الحب»، و«صانع الحب».

وفي عام 1954م، تعرّض إحسان للسجن بسبب مقالته الشهيرة «الجمعية السرية التي تحكم مصر»، التي هاجم فيها مجلس قيادة ثورة 23 يوليو 1952م بضراوة، منتقداً بعض الانتهاكات التي بدأت تظهر من بعض ضباط الثورة وقتها. كما طالب في مقالاته بضرورة تطبيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

بعد خروجه من السجن، كتب إحسان عام 1958م روايته «شيء في صدري»، التي أحدثت ضجة كبرى في المجتمع المصري حينها. صوّرت الرواية الصراع الدائر بين الرأسمالية المتوحشة والطبقة الشعبية الفقيرة، وهو ما جعلها عملاً أدبيًا لامعًا يعكس الواقع الاجتماعي بجرأة.

وبعد قرار تأميم الصحافة، تم اختياره رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة روز اليوسف عام 1960م. وفي عام 1966م، تولى رئاسة تحرير جريدة أخبار اليوم لمدة عامين، ثم عاد إليها مجدداً كرئيس لمجلس الإدارة ورئيس للتحرير بين عامي 1971 و1974م.

وفي عام 1975م، عُيّن رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة الأهرام لمدة عام، ثم أصبح كاتباً متفرغاً في الجريدة حتى رحيله.

كتب إحسان أكثر من 500 رواية وقصة، وقدمت السينما المصرية عدداً كبيراً منها في أعمال خالدة. كما تحولت بعض رواياته إلى نصوص مسرحية ومسلسلات إذاعية، إضافة إلى ترجمة بعضها إلى لغات عالمية مختلفة.

كان إحسان كثيراً ما يعبر عن أسفه للهجوم الذي تعرّضت له روايته الشهيرة «أنف وثلاثة عيون» عند صدورها. فقد عُرضت الرواية أمام مجلس الأمة لمنع تداولها، بحجة أنها تخدش الحياء العام، مما أثار جدلاً واسعًا وقتها.

كان إحسان يفخر دائماً بأن القدر جمع بينه وبين صديق عمره، الأديب العالمي نجيب محفوظ، في بداية حياتهما. ففي حي العباسية العريق، حيث ولد إحسان ونشأ، تزامل مع نجيب محفوظ الذي انتقلت أسرته من حي الجمالية إلى العباسية.

في بداية الخمسينيات، طلب إحسان من نجيب محفوظ نشر بعض أعماله في السلسلة الشهرية «الكتاب الذهبي»، الصادرة عن مؤسسة والدته «روز اليوسف». كان العدد يُباع حينها بعشرة قروش فقط، وتم نشر رواية «فضيحة في القاهرة» (المعروفة لاحقًا بـ«القاهرة الجديدة»). حققت الرواية نجاحاً كبيراً وتهافت عليها القراء، ثم تحولت إلى فيلم سينمائي بعنوان «القاهرة 30» من إخراج العبقري صلاح أبو سيف.

عاش إحسان عبد القدوس محباً لكل موهبة أدبية، يساعدها على النمو، ويدافع عن حرية الكلمة. كتب الحقيقة للقارئ دون أن يلتفت إلى نقاد أو مسؤولين، ودخل في معارك شتى دون أن يخسر نفسه أو يُكسر قلمه.

خلال مسيرته الأدبية والصحفية، نال إحسان عبد القدوس العديد من الجوائز والأوسمة، منها: وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، منحه له الرئيس جمال عبد الناصر.

جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1989م.

جوائز متعددة عن بعض رواياته التي تحولت إلى أعمال سينمائية.

في 11 يناير 1990م، رحل إحسان عبد القدوس عن عمر ناهز 71 عاماً، تاركاً إرثاً كبيراً من المقالات والأعمال الأدبية الخالدة التي أثرت الأدب والصحافة في مصر والعالم العربي.

● احدى اعماله التي تحولت إلى عمل سينمائي

● ومن رواياته

● ومن اعماله

● مع أحد أبنائه

● مع زوجته ونجليه محمد وأحمد

لعنة العواصم

عبد السلام العجيلي

في مقهى الكمال الصيفي، في دمشق، تأخر عبد المعين في الحضور إلى اجتماع الشلّة. عاتبه أصحابه على ذلك فاعتذر بقوله:

ـ ماذا أصنع؟ لم أجد لسيارتي موقفاً في الشوارع القريبة. اضطررت إلى اقافها في آخر حارة الشعلان، وجئت إليكم سيراً على القدمين.

انساق الجالسون بالعذر الذي قدّمه الأستاذ عبد المعين إلى الحديث عن الازدحام الذي تشهده العاصمة السورية في هذه الأيام، وفي كل الأيّام، وإلى التساؤل عمّا سيحدث لهذه المدينة في السنين القادمة من اكتظاظ في السكان وعسرة في المواصلات. قال مروان:

ـ كانوا يطلقوا على بيروت كما تعرفونها، ودمشق كما ترونها، ومثلها حلب. ولو رأيتم شوارع القاهرة حين تنطلق آلاف سيارات التاكسي في شوارعها دفعة واحدة في ساعات معينة من النهار...

قال واحد من الأصحاب: بلادنا مريضة بالازدحام، لأنها لم تتهيأ فيما مضى لاستقبال العدد المتزايد من السيارات عاماً بعد عام، ولأن رؤيتنا المستقبلية ضعيفة. المخططون عندنا عاجزن عن مجاراة التطور الواقعي لأساليب المواصلات.

فصدّق عبد المعين، ذو الأسفار الكثيرة، على ذلك بقوله: هذا صحيح. في طوكيو من السيارات أضعاف ما في كل بلادنا مجتمعة، ومع ذلك فأنت لا تحس فيها بالازدحام التي تحس به في أصغر مدينة من مدننا. وأنا ما زلت أذكر، في اليابان، كيف كانت تنطلق بنا سيارات التاكسي في قلب مدينة أوزاكا على طرقها المعلّقة، الهايواي، بسرعة البرق، لا تقف عند تقاطع شارعين ولا تخشى ملاقاة سيارة قادمة. بعض تلك الطرق المتراكبة كانت تحاذي نوافذ الطابق الثامن أو التاسع من عمارات المدينة... مدن تعيش في آخر القرن العشرين بعقلية آخر القرن، وأساليبه، وتكنيكه.

وهنا قال أبو عمار، المتعصّب لدمشقيته تعصّباً جارفاً: مهما قلتم فإن الشكوى من الازدحام عامّة في العالم كلّه، وفي العواصم أكثر من غيرها. دمشق عاصمة... لا تنسوا ذلك!

فقال مصباح: الواقع أنّ الازدحام هو لعنة العواصم في هذا الزمان. ليس ازدحام السيارات فقط، بل إلى جانبه تكاثف العمران وتجمّع السكان. في بلادنا الدنيا يحاولون تنفير الناس من التهافت على سكنى العواصم بطرق مختلفة. بل إنّ العواصم في بعض الدول المتقدمة ليست إلّا مدناً ثانوية مثل واشنطن في الولايات المتحدة.

وفي سويسرا تعرفون أنّ برن مدينة صغيرة بالقياس إلى زوريخ وجنيف ولوزان.

قال أبو حسن: ما قولكم في أن تجنّب هذه المدينة الجميلة، دمشق، لعنة العواصم بأن نقترح نقل العاصمة إلى مكان آخر... إلى حمص مثلاً؟

فارتفعت الاحتجاجات على هذا الكلام، وكان أشدّها من أبي عمّار الذي اتهم صديقه أبا حسن، وهو الحمصي المنشأ، بأنه يحاول جرّ اللحاف إلى ناحيته. بينما قال مصباح:

ـ أنا مع أبي حسن في نقل العاصمة بعيداً عن دمشق، ولكن لا إلى حمص... بل إلى تدمر.

صاح الحاضرون: إلى تدمر؟ في الصحراء؟ أي اقتراح هذا؟

فقال عبد المعين: مذكّراً مرةً أخرى برحلاته الكثيرة: الحق مع أخينا مصباح. في البرازيل كانت العاصمة مدينة ريو دو جانيرو، أجمل بلاد الدنيا مناظر طبيعية. فلما تقاطر الناس إليها من كل جانب، فضاقت بمن فيها وامتلأت بأحياء التنك البائسة التي يسمونها هناك فلافيلاّ، قرر الدكتور كوبتشيك، رئيس جمهورية البرازيل في الخمسينات، أن ينقل العاصمة إلى مدينة جديدة، يبنيها في قلب القارة. وهكذا أقيمت مدينة برازيليا، عاصمة تلك البلاد الجديد. زرتها منذ سنين فرأيتها بلداً رائعاً. فلماذا لا ننقل نحن عاصمة بلادنا إلى قلب صحرائها ... إلى تدمر؟

***

ليس أعضاء الشلة التي راحت تناقش ازدحام العواصم وتقترح لها الحلول بمسؤولين كبار ولا بأصحاب حول وطول في الدولة. هم مجرد مواطنين، ذوي قراءات أو أسفار وتجارب تعودوا أن يقضوا وقت المقهى في أحاديث تتراوح بين الهزل والجد. كان نقل عاصمة الجمهورية العربية السورية من دمشق إلى تدمر موضوع اليوم الذي فتق القرائح في تعداد إمكانياته ومحاذيره وفوائده. قال سعيد:

ـ أنا موافق. تريدون الحقيقة؟ أصبحنا نحن أهل هذه المدينة، المولودين نحن وآباؤنا فيها، غرباء في بلدنا. ضعنا بين الوافدين إلينا من كل فجّ عميق في طلب الوظائف، وملاحقة المصالح، والتمتّع بهوائنا ومائنا. يا أبا عمار، ليضعوا عاصمتهم أينما أحبّوا وليتركوا لنا شامنا نأخذ فيها نفساً نقياً...

قال عبد المعين: هذه وجهة نظر أنانية... انعزالية. نحن نريد الانتقال بالعاصمة لأسباب أكثر غيرية من أسباب الأخ سعيد. حين نقل الدكتور كوبتشيك مركز بلاده كذا من آلاف الكيلومترات بعيداً عن الساحل المعمور ومدنه الغنية، أراد أن يحيي قلب القارة البرازيلية وأن يهيئ السبيل إلى نبش ثرواتها الدفينة. وكذلك تعمر صحراؤنا المهجورة إذا انتقلت إليها العاصمة... تشق فيها الطرق ... ينقبّ فيها عن المياه... تزرع فيها الأشجار...

أضاف هنا مصباح متحمساً: وتعود تدمر بهذا إلى ما كانت عليه في عهد الملكة زنوبيا، ملتقى طرق الشرق والغرب ودرّة شرقي المتوسط من آسيا. لا تظنوا اقتراحي هذا هوائياً. لو طبّق لأعاد التاريخ نفسه، وعلى أحسن وجه.

قال عبد الستار، وهو مقاول كثير التنقل بين المناطق الشمالية في سورية، حيث تقوم تعهداته، وبين دمشق حيث تستقر الوزارات والادارات العامة:

ـ عظيم.. عظيم.. هذا يعني أنّي سأوفّر خمسمائة كيلومتر في كل مشوار إلى دمشق لمراجعة سادتنا الوزراء... ألف كيلومتر في الأسبوع... ثماني صفائح بنزين، عدا استهلاك السيارة! وأجرة نوم أربع ليال في الفندق! في تدمر لي أصدقاء أبيت عندهم...

وكان الأستاذ شريف في هذه الأثناء مشغولاً بتركيز جمرة جديدة على رأس أركيلته، فقال: هل هذا يعني أنّ الوزارات سيكون مقرها هناك... في تدمر؟

فأجابه مصباح قائلاً: بلا شك. وإلّا فماذا يعني أن تكون مدينة ما عاصمة إذا لم تكن مقراً لوزارات الدولة ومصالحها الكبرى؟

فأضاف الأستاذ شريف مستوثقاً: والمؤسسات الحكومية الرئيسية، ومراكز المنظمات، ومجلس الشعب... هل تنتقل كلها إلى هناك؟

قال مصباح، وأمّن على كلامه الجميع: نعم. كلها.

فاستقام هنا شريف من انحناءاته على الأركيلة، وعبّ منها نفساً عميقاً قبل أن يقول: إذن فليكونوا سعيدين، باسم أهل الشام ومحبّي أجوائها وبيئتها، لا المتعلقين بالمكاسب والمراتب وجامعي الثروات والأمجاد، أقول لكم خلّصوا دمشقنا من لعنة العواصم... إرحلوا عنا إلى تدمر... يرحمنا الله ويرحمكم!

***

وهكذا تحوّل اجتماع الشلة من استنكار لنقل العاصمة إلى موافقة شبه إجماعية عليه. أضيفت إلى محسّنات اقتراح النقل فوائد جديدة، مثل تخفيف أزّمة السكن، وتخليص المتمدنين أبناء البلد العريق من طغيان أبناء المناطق المتخلفة عليهم، والبعد بالعاصمة عن خطوط النار ومرمى قنابل العدو، وما شابه هذه من الميزات. الوحيد الذي ظل على سكوته، يسمع ولا يتكلم، هو أبو عمار. وهذا ما دعا عبد الستار، الذي هبط العاصمة من قريته فقيراً فرفعته تعهداته إلى أعلى سلم الثراء، إلى أن يقول:

ـ أخونا أبو عمار لا يهون عليه أن يضع مدينته في غير المركز الأول بين الجمهورية. أليس هذا ما تفكر فيه في هذه اللحظة يا أبا عمار؟

فتطلع أبو عمار بعبد الستار قليلاً قبل أن يجيبه قائلاً: الصحيح إنّي كنت أفكر بأن الازدحام ليس اللعنة الوحيدة التي لحقت بعاصمتنا في هذا الزمان. هناك لعنات كثيرة لصقت بها، نحن صنعاً بتخليصها منها. كان صعباً عليَّ أن تتنازل دمشق عن مركز العاصمة لأية بلدة أخرى. غير أنّي وافقت على اقتراح أخي مصباح حيث تذكرت حكاية لبشار بن برد وردت في الأغاني...

قال عبد الستار: حكاية؟ وما هي هذه الحكاية؟

فابتسم أبو عمّار وهو لا يزال يحدّ النظر إلى مخاطبه، وقال: في الأغاني أن رجلاً وقف على بشار بن برد، وقد ولد أعمى فاقد البصر، فسأله قائلاً: إنّ الله لم يسلب أحداً نعمة إلّا عوّضه الله عنها بشيء. وقد سلبك نعمة البصر، فماذا عوضك عنها؟

قال بشار: عوّضني الطويل العريض... فسأله الرجل: وما هذا؟ قال: أن لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء!

وهنا ضجّ أفراد الشلة بالضحك، وكان أكثرهم ضحكاً عبد الستار نفسه، قبل أن ينصرفوا كل في سبيله تواجههم في كل زاوية من زوايا المدينة لعنة العواصم، المتمثلة باكتظاظ الشوارع بالسيارات والناس، وبتلوث الهواء بالغبار والدخان، وبامتلاء الجو بالصراخ والصفير والهدير.

● طبيب وأديب سوري راحل

حضور لا يعرفُ الغياب

صلاح السعدني

فارس الدراما العربية وأيقونة الفن المصري

واحد من القلائل الذين استطاعوا تحويل الدراما التلفزيونية إلى مرآة حقيقية للمجتمع المصري والعربي.. ببساطته وصدقه، أصبح «عمدة» الشاشة العربية وأحد أعظم ممثليها

صلاح السعدني، نجم الدراما العربية وفارسها الذي أسس حضوراً فنياً فريداً بفضل موهبته الاستثنائية وصدقه البسيط الذي أسر قلوب الملايين. برز كنجم درامي بارز استطاع أن يترجم واقع المجتمع المصري والعربي بأداء عفوي وإحساس صادق، ليصبح أيقونة من أيقونات الفن العربي.

ولد في 23 أكتوبر 1943 بمحافظة المنوفية، في بيت متواضع أحاطته القيم الأصيلة التي شكلت وعيه الفني والإنساني. تأثر صلاح بأخيه الكاتب الكبير محمود السعدني، الذي كان مصدر إلهام له في فهم القضايا الاجتماعية والسياسية. انطلق في رحلته الفنية من كلية الزراعة بجامعة القاهرة، حيث كان المسرح الجامعي نقطة البداية لاكتشاف شغفه الحقيقي بالفن.

كانت الدراما التلفزيونية الساحة الأبرز التي تألق فيها صلاح السعدني، مقدّماً أدواراً جسدت تفاصيل الحياة المصرية بعُمق وصدق. ترك بصمة لا تُنسى في تاريخ الدراما عبر أعمال أصبحت علامات فارقة في تاريخ الفن المصري، مثل «ليالي الحلمية» التي جسد فيها شخصية «العمدة سليمان غانم»، و«أرابيسك» حيث أبدع في تقديم شخصية «حسن النعماني».

رؤية السعدني الفنية كانت تنطلق من قناعته بأن الفن ليس مجرد وسيلة للترفيه، بل أداة للتغيير والتأثير الإيجابي. انعكست هذه الرؤية في اختياراته الدقيقة لأدواره التي عبرت عن قضايا الإنسان البسيط، متجاوزة حدود الكاميرا لتلامس أعماق الواقع.

في السنوات الأخيرة، كان صلاح السعدني صوتاً ناقداً لواقع الدراما المصرية، معرباً عن قلقه من سيطرة القيم التجارية على الإنتاج الفني. تمسك بمبادئه الفنية حتى النهاية، واعتبر أن الحب الحقيقي لجمهوره هو أكبر تكريم له.

رحل صلاح السعدني في 19 أبريل 2024، تاركاً وراءه إرثاً فنياً خالداً وذكريات لا تُنسى. كان فارساً للدراما بحق، وصوتاً للضمير الفني الذي لن يغيب عن الذاكرة. سيظل حضوره ماثلاً في كل عمل درامي يهدف لإحداث فرق ويعبر عن القضايا الإنسانية بصدق وعمق.

المرمار

من «عمدة» الدراما في «ليالي الحلمية» إلى صوت الشعب في «أرابيسك»

من «عمدة» الدراما في «ليالي الحلمية» إلى صوت الشعب في «أرابيسك»، كان صلاح السعدني أكثر من مجرد ممثل؛ كان مرآة للمجتمع وضميراً للفن. ترك هذا الفارس إرثاً فنياً خالداً وشخصية إنسانية استثنائية، ليبقى حاضراً دائماً في ذاكرة الأجيال ومصدر إلهام لكل عشاق الفن الحقيقي.

صلاح السعدني، واحد من القلائل الذين استطاعوا تحويل الدراما التلفزيونية إلى مرآة حقيقية للمجتمع المصري والعربي. ببساطته وصدقه، أصبح «عمدة» الشاشة العربية وأحد أعظم ممثليها. طوال مسيرته الفنية التي امتدت لعقود، عُرف السعدني بأدائه العفوي الذي يمس القلوب، وأعماله التي عكست هموم المجتمع وآماله. كان صلاح السعدني ليس فقط ممثلاً، بل رمزاً للقيم الفنية الراقية والدراما التي تتجاوز حدود التسلية إلى عمق القضايا الإنسانية.

ولد صلاح السعدني في 23 أكتوبر 1943 في قرية كفر القرينين بمحافظة المنوفية، مصر. نشأ في أسرة متواضعة، وكان الأخ الأصغر للكاتب والصحفي البارز محمود السعدني، الذي أثّر بوضوح في وعيه السياسي والاجتماعي. منذ الصغر، ظهرت موهبة صلاح في التمثيل، حيث كان يميل إلى تقليد الشخصيات المحيطة به ويبدع في تقديم الحكايات بأسلوبه الخاص.

التحق بكلية الزراعة بجامعة القاهرة، وهناك وجد فرصته الأولى للتمثيل من خلال المسرح الجامعي. انضم إلى فرق التمثيل الجامعي وشارك في عروض مسرحية جذبت الأنظار إلى موهبته. لاحقاً، دخل الساحة الفنية كممثل محترف، حيث بدأ في السينما، لكنه سرعان ما وجد شغفه الحقيقي في الدراما التلفزيونية.

رغم بداياته المتواضعة في السينما، إلا أن صلاح السعدني وجد أن التلفزيون هو الساحة التي يمكن أن يعبر فيها عن موهبته وإبداعه الحقيقيين. ومنذ ظهوره الأول، خطف الأنظار بأدائه الطبيعي والعفوي، مما جعله يبرز بسرعة بين أبناء جيله.

كان مسلسل «ليالي الحلمية» (1987) بمثابة نقطة التحول الكبرى في مسيرة صلاح السعدني. قدم شخصية «العمدة سليمان غانم»، وهي شخصية محورية عكست التغيرات الاجتماعية والسياسية في مصر عبر أجيال مختلفة. قدم السعدني أداءً استثنائيًا يمزج بين الفكاهة والدراما، وأصبح وجهه مرتبطاً

● الى جانب النجم الكبير عادل إمام

بهذا الدور الذي مثّل واحداً من أهم أعمال الدراما العربية.

«أرابيسك» (1994): جسّد شخصية «حسن النعماني»، نجار بسيط يواجه تحديات الحياة ويحاول الحفاظ على تراثه في زمن يتغير بسرعة.

«أيام المنيرة»: مسلسل تناول الحياة اليومية في أحد أحياء القاهرة القديمة، وأبرز تحديات الفقر والصراع الطبقي.

«الحلمية» بأجزائه المتعددة: كان استمراراً لإبداعه في تقديم التحولات الاجتماعية في مصر.

«رجل من زمن العولمة»: مسلسل ناقش بجرأة تأثير العولمة على الأسرة المصرية.

«الأصدقاء»: تناول العمل صداقة قديمة تجمع بين ثلاثة رجال، وأبدع السعدني في تقديم الشخصية بتعقيداتها الإنسانية.

في عالم الفن العربي، يُعتبر صلاح السعدني أحد أبرز الأسماء التي استطاعت تجاوز الحدود المحلية إلى التأثير العربي. لقد عُرف بكونه رمزاً للدراما المصرية التي كانت دائما بمثابة العمود الفقري للإنتاج الفني العربي. مقارنته بأسماء كبيرة مثل يحيى الفخراني ونور الشريف لم تكن صدفة، بل لأن كلًا منهم مثل مدرسة فنية قائمة بذاتها.

الصدق في الأداء: استطاع السعدني تقديم الشخصيات المركبة والبسيطة على حد سواء، وجعلها تبدو كأنها مأخوذة من الواقع مباشرة.

التنوع: قدم أدواراً متعددة تتراوح بين الكوميديا والتراجيديا، وبين الشخصيات الشعبية والنخبوية.

الالتزام الفني: عُرف السعدني باختياراته الدقيقة لأعماله، حيث كان يرفض المشاركة في أي عمل لا يتفق مع قناعاته الفنية أو رسالته كممثل.

لم يكن صلاح السعدني مجرد ممثل؛ بل كان مثقفا واعياً بما يدور حوله من قضايا سياسية واجتماعية. تأثر كثيرًا بأخيه الكاتب محمود السعدني، وأصبح يحمل رؤية واضحة تجاه دور الفن في المجتمع.

في سنواته الأخيرة، انتقد السعدني بشدة الدراما المصرية الحديثة، واعتبر أن الكثير منها فقد الروح التي كانت تميزها في الماضي. كان يرى أن الإنتاج الحالي يركز على الربح التجاري على حساب القيم الفنية والاجتماعية.

كان صلاح السعدني يؤمن أن الفنان هو ضمير الأمة، وأن عليه مسؤولية تقديم أعمال تعبر عن هموم الناس وآمالهم. ولهذا السبب، حرص دائماً على تقديم شخصيات قريبة من الناس وتعكس واقعهم.

بعيداً عن الكاميرا، كان صلاح السعدني إنساناً بسيطاً ومتواضعاً، عرف بحبه لعائلته واهتمامه بأصدقائه. ورغم نجوميته الكبيرة، كان يفضل البقاء بعيداً عن أضواء الإعلام. كان متزوجاً ولديه أبناء، أبرزهم أحمد السعدني، الذي سار على خطاه في التمثيل وأصبح واحدًا من أبرز نجوم جيله.

في 19 أبريل 2024، فقدت الساحة الفنية العربية أحد أعمدتها الرئيسية. كان خبر وفاته بمثابة صدمة لمحبيه، لكنه رحل تاركاً إرثاً فنياً خالداً سيظل يذكّر الأجيال القادمة بقيمة الفن الحقيقي.

صلاح السعدني لم يكن مجرد ممثل؛ بل كان رمزاً للوطنية والبساطة والإبداع. استطاع أن يحكي حكايات المجتمع المصري والعربي من خلال شخصياته التي نبضت بالصدق والحياة. رحيله خسارة كبيرة للفن، لكن إرثه سيبقى مصدر إلهام لكل من يسعى لتقديم فن يعبر عن الناس ويقترب من قلوبهم. سيظل «عمدة الدراما العربية» حاضراً في قلوبنا بأعماله التي لا تُنسى.

كان مسلسل «ليالي الحلمية» بمثابة نقطة التحول الكبرى في مسيرة صلاح السعدني. قدم شخصية «العمدة سليمان غانم»، وهي شخصية محورية عكست التغيرات الاجتماعية والسياسية في مصر عبر أجيال مختلفة

حصل صلاح السعدني على العديد من الجوائز خلال مسيرته، منها:

جائزة الدولة التقديرية للفنون.

تكريم مهرجان القاهرة للإعلام العربي.

جوائز عدة من نقابة المهن التمثيلية.

رغم هذه التكريمات، كان السعدني يرى أن أعظم تكريم له هو حب الجمهور وتقديره.

صلاح السعدني لم يكن مجرد ممثل؛ بل كان رمزاً للوطنية والبساطة والإبداع. استطاع أن يحكي حكايات المجتمع المصري والعربي من خلال شخصياته التي نبضت بالصدق والحياة

بشير الديك

كتب للسينما البديلة والسائدة معاً

المرّمار
محمد رضا

بشير الديك، كاتب القصّة والسيناريو لعدد كبير من الأفلام المصرية طوال العقود الأربعين الماضية، الذي توفي في اليوم الأخير من العام الراحل، 2024، كان أحد السينمائيين الخارجين عن قوانين السينما التقليدية في النصف الأول من سنوات مهنته. لكن على الرغم من أنه في النصف الثاني وقّع على أعمال كثيرة من التي يمكن وصفها بالتقليدية، ومن بينها 6 أفلام من بطولة نادية الجندي، فإنه واظب على معالجة نصوصه باحتراف يجمع بين حكايات تحمل مضامين تنتمي إلى نزعة جادة وتنشد ميزانيات كبيرة.

لعل حقيقة أن نادية الجندي كانت تصبو دوماً إلى أدوار تخلّدها وأفلام تحافظ عبرها على مكانتها لعب بشير الديك دوراً في تلبية هذه الرغبات عبر حكايات تشويقية في المقام الأول، وشخصية رئيسية مضخّمة وذلك في أفضل نصوص ممكنة ضمن التوليفة التجارية.

بدأ هذا التعاون على نحوٍ ثلاثي: بشير الديك يكتب، ونادر جلال يُخرج ونادية الجندي تلعب دور البطولة. هذه الأفلام هي «الإرهاب» (1989)، و«شبكة الموت» (1990)، و«عصر القوّة» (1991)، ومن ثَمّ «مهمّة في تل أبيب» (1992)، و«الشطّار» (1993)، ولاحقاً «امرأة هزّت عرش مصر» (1995).

حاول دوماً التطرّق صوب قضايا مهمّة تطرح قصصاً ذات جانبٍ وطني مثل «مهمّة في تل أبيب»، الذي دار حول جاسوسة مصرية تعمل لصالح إسرائيل

اتجاهان

بعد بدايات متفاوتة الأهمية من بينها «مع سبق الإصرار» لأشرف فهمي (1979)، و«دعوني أنتقم» لتيسير عبّود (1979)، و«الأبالسة» لعلي عبد الخالق (1980) التحق الديك ببدايات المخرج الراحل محمد خان عبر 6 أفلام هي «الرغبة» (1980)، و«موعد على العشاء» (1981)، و«طائر على الطريق» (1981)، و«نص أرنب» (1983)، و«يوسف وزينب» (1984) و«الحرّيف» (1984) وكلها من أفضل ما حققه خان.

تعامُل الديك مع الموضوعات الجادة التي عرفتها تلك الأفلام سمح له بكتابة واحد من أفضل أعماله وهو «سواق الأتوبيس»، الذي حققه الراحل عاطف الطيب سنة 1982، وكلاهما لاحقاً تعاونا على تحقيق فيلم مهم (أكثر مما كان جيداً) آخر هو «ناجي العلي» (1992). لجانبهما فيلم ثالث هو «ضد الحكومة» (1992) من بطولة أحمد زكي ولبلبة.

في تقييم كتابات بشير الديك تتداخل بعض العناصر التي يمكن إيجاز هذا التقييم عبرها.

من ناحية، حاول دوماً التطرّق صوب قضايا مهمّة تطرح قصصاً ذات جانبٍ وطني مثل «مهمّة في تل أبيب»، الذي دار حول جاسوسة مصرية تعمل لصالح إسرائيل، ومن ثمّ تندم فتطلب منها الاستخبارات المصرية (ممثلة بكمال الشناوي)، العمل لحساب مصر وتنجح. «ناجي العلي» ينضم إلى هذا النحو من الأعمال.

في ناحية أُخرى، لم يتأخر عن كتابة ما كان سائداً في الثمانينات والتسعينات من اتجاه صوب الحديث عن مراكز قوى في الشارع المصري والصراع بين الأخيار والأشرار. هذه الموجة لم تعرف بداية ونهاية محدودتين فتاريخها عريق يعود لعقود سابقة، لكنها عرفت في تلك الفترة تدافعاً بين المخرجين للحديث عن تلك المراكز في حارات القاهرة (في مقابل الكثير من صراع الخير والشر على ساحلَي بور سعيد والإسكندرية في أفلام الخمسينات والستينات) في أجواء ليست بعيدة عن الخط الذي وضعه نجيب محفوظ وشخصياته.

مخرجون عديدون حقّقوا هذه الأفلام

لم يتأخر عن كتابة ما كان سائداً في الثمانينات والتسعينات من اتجاه صوب الحديث عن مراكز قوى في الشارع المصري والصراع بين الأخيار والأشرار

التي شُكّلت حكاياتها من صراع القوى في الشارع المصري مثل أشرف فهمي («الأقوياء»، 1982)، وأحمد السبعاوي («السلخانة» 1982 و«برج المدابغ» 1983) وكمال صلاح الدين («جدعان باب الشعرية» 1983). لكن من مزايا ما كتبه بشير الديك في هذه الأعمال التي لاقت رواجاً جماهيرياً إنه كتب ما هو أعمق في دلالاته من قصص المعلّم الشرير ضد سكان منطقته وأزلامه الذين يتصدّون للأبرياء إلى أن يخرج من رحم تلك الحارة من يواجههم جميعاً.

بداية من «نصف أرنب» توّجه الديك إلى حكاية تشويقية ذات طابع بوليسي، وفي «سوّاق الأتوبيس» وقف مع ابن المدينة في موضوع حول تفتت المجتمع مادياً. أما في «الحرّيف» فنقل اهتمامه إلى الوسط المهمّش من سكان القاهرة وأحلامهم ومتاعبهم الشخصية.

هموم المجتمع

ما يجمع بين هذه الأعمال هموم تسلّلت إلى عدد كبير من كتابات بشير الديك السينمائية.

في مقابلة تمّت بين المخرج عاطف الطيب وبيني بعد مشاهدة فيلمه النيّر «سواق الأوتوبيس»، سألت المخرج عن كيف بدأ التفكير في تحقيق «سوّاق الأتوبيس». أجاب: «بدأت الفكرة في جلسة صداقة مع بشير الديك ومحمد خان. وكنا نتحدث بشأن همومنا وطموحنا الخاص لصنع سينما أخرى مختلفة، وكانت الظروف

السيناريست المصري الراحل لمع في فترة ازدهارها المستقلة

الحياتية نفسها تجمعنا كلنا تقريباً. فقد كنت أشعر في ذلك الوقت بالذنب إزاء فيلمي الأول (يقصد «الغيرة القاتلة»، 1982)، الذي اضطررت فيه إلى الاعتماد على سيناريو مأخوذ عن أصل أدبي (أجنبي) رغم إيماني الدائم بضرورة الكتابة المباشرة للسينما. اقترح محمد خان وبشير الديك فكرة وُضع لها عنوان: (حطمت قيودي)، تدور حول عائلة مهدّدة بالضياع نتيجة فقدان الأب للورشة التي أسسها وبحُثُ الابن، سائق الأتوبيس، عن مخرج من الأزمة بلا جدوى وأعجبتني الفكرة، خصوصاً أنني أميل كثيراً إلى الدراما التي تدور في نطاق عائلة. وبدأنا بالفعل في تطوير الفكرة خلال الكتابة وتبادل الآراء. وكنا كلما نتعمق في الموضوع تتضح لنا أهمية الفكرة التي نريد التعبير عنها. في الكتابة الثانية للسيناريو، وصل الفيلم إلى ما أصبح عليه».

كتب بشير الديك نحو 60 فيلماً ومسلسلاً تلفزيونياً، معظمها جمع هذه الصفات المجتمعية على نحو سائد أو مخفف.

هذا ما جعله أحد أبرز كتاب السيناريو في مصر في حقبة كان للسينما البديلة والمستقلة عن السائد دور فاعل في نهضة الفيلم المصري عموماً.

مع الطيّب وخان ورضوان الكاشف ورؤوف توفيق وخيري بشارة ورأفت الميهي وسواهم، ساهم بشير الديك في منح تلك الفترة مكانتها الساطعة التي لا تغيب.

من أجل حجابك سيدتي

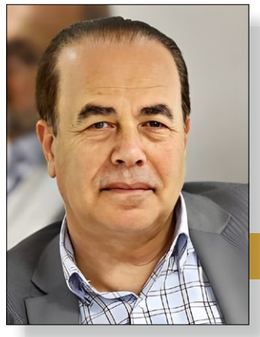

خطيب بدلة

أرسل إليَّ صديق من حمص، صورة للوحة إعلانية، وقال إن عناصر «هيئة تحرير الشام» علقوها في أماكن متفرقة من المدينة، تتضمن صورة لامرأة محجبة، وتحتها بنود تبين المواصفات الشرعية لحجاب المرأة المسلمة.

لم تفاجئني الصورة، لأنني ابن محافظة إدلب، مواكب لتصرفات «الهيئة» المتعلقة بفرض الحجاب على المرأة، منذ سنة 2015، ولعلمك، اللوحة التي علقت في حمص، أصبحت من منسياتنا، فقد انتشرت على جدراننا منذ زمن طويل.. ولكنها بسيطة إذا ما قورنت بلوحة أخرى، كُتبت عليها العبارة التالية: اعلمي، يا أختي المسلمة، أنَّ لك إخوة مجاهدين، استشهدوا في سبيل حجابك!

أنتَ، عزيزي القارئ، تعرف، أو تعتقد، أنَّ الثورة السورية قامت من أجل الحرية، والكرامة، والخلاص من الاستبداد الأسدي، ولكن، عندما تتأمل بهذه العبارة، سوف تأخذك الظنون إلى تفسير غريب وعجيب، لأسباب ثورة 2011، وهي: أن نساءنا كن، قبل الثورة، يطمحن إلى ارتداء الحجاب، ولكن النظام المجرم، المستبد، كان يمنعهن من ذلك، فما كان من الشبان الشجعان، إلا أن ضربتهم النخوة، وخرجوا من بيوتهم لا يلوون على شيء، وانضموا للمجاهدين وتسلحوا، ووضعوا نصبَ أعينهم هدفاً عظيماً، ألا وهو إتاحة الفرصة للنساء، بتحقيق أحلامهن في لبس هذا النوع الثقيل من الحجاب.. وكما تتوقع حضرتك، فإن معارك ضارية احتدمت بين الطرفين، أدت إلى استشهاد عدد كبير من هؤلاء الإخوة، في سبيل الحجاب!

يمكن أن يتبادر إلى ذهن أحد القراء أنني أحاول، الآن، مصادرة حرية المرأة التي تريد أن ترتدي الحجاب، وهذا، إن حصل، ينطوي على ظلم كبير لي، فأنا لست من أنصار السفور، ولا من أنصار الحجاب، بل أدعو، بكل وضوح، إلى تجنب التعدي على الحرية الشخصية للمرأة، وأرفض أي نوع من الوصاية عليها.

هذا الكلام، مع الأسف الشديد، نظري، لأن دعاة التدخل في شؤون المرأة السورية، أصبحوا اليوم تياراً جارفاً، يتسلحون بمجموعة من الردود الجاهزة، فيسألك أحدهم: هل ترضاها لبنتك، لأختك، لزوجتك؟ وأنا لم أفهم، حتى الآن، ما علاقة زوجتي وبنتي وأختي بالموضوع، وأقول لك: نعم، أرضى، بل أريد أن ترفعوا أيديكم عن حريتهن. ويعتقد ثانٍ أنه أمسك الذئب من ذيله، فيقول إن قرار «الهيئة»، بعزل الرجال عن النساء في وسائل النقل، يحميهن من التحرش، وهذا يعني، حرفياً، أن الرجال يرتكبون الفعل السخيف التافه، التحرش، والعقوبة تقع على النساء.

نشرت صورة الإعلان، التي أرسلها إلي الصديق الحمصي، على منصة، وكل شيء توقعته، إلا أن ترد عليَّ سيدة طرطوسية، بكلام غريب، ملخصه أنني أكذب، بدليل أنني أشير إلى لوحة إعلانية عُلقت في حمص، بينما عندهم، في طرطوس، لم يحصل هذا الشيء.

التعليق، في البداية، أضحكني، ولكن سيدة أخرى، حلبية، تدخلت، وراحت توبخني لتدخلي فيما لا يعنيني، فهي امرأة، وراضية بما يحصل، وسرعان ما تلاشت ضحكتي، وحزنت، إذ أيقنت أن الحملة التي يقوم بها أفراد الجماعات الحاكمة، لمصادرة الحرية الشخصية للمرأة السورية، ليست رجالية بحتة، وثمة نساء سوريات مشاركات فيها، وبقوة.

مئـــــة عـــام عـــلى ميـــلاده

شكري سرحان... «ابن الجناينى»

الذي أصبح رمزاً للعدالة الاجتماعية

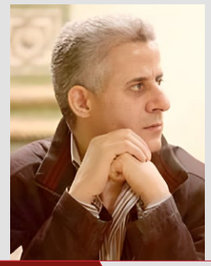

المرمار سعد القرش

بمناسبة مرور مئة عام على ميلاد الممثل المصري شكري سرحان، يتذكره مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية في دورته الرابعة عشرة التي انعقدت ما بين 9 و15 يناير الماضي، باعتباره أحد كبار النجوم في تاريخ السينما المصرية.

هنا وقفة متأنية أمام إنجاز هذا الفنان، في ضوء ثنائية النجم والممثل، والسياق الذي يحيط بصعود النجم ويصنع البطل أحيانا ثم يكون للزمن، في وقت لاحق، حكم آخر قاس أحيانا.

من دون نجوم السينما المصرية، كان شكري سرحان الأقرب إلى الملامح النفسية والجسدية لعموم المصريين، في جيله. شاب ترتاح إليه، وتأنس بصحبته مثل قريب أو جار. وإذا لم تكن تعرفه فإنك تتوقع أنه طيب، لا يحمل وسامة محمود مرسي وكمال الشناوي وعمر الشريف ورشدي أباظة، ولا بِنية جسدية تنقله إلى الصعاليك (الفتوات، المتمردين، الثائرين) مثل فريد شوقي. أنصبة هؤلاء من الموهبة تفاوتت، وحظوظهم من الثقافة أيضاً، كانوا نجوماً باستثناء محمود مرسي المتفوق بموهبته وثقافته، وباستغنائه عن التمثيل الذي ليس أول اهتماماته، لكنه يفوز بالضربة القاضية كلما أدى دورا، يذهب مباشرة إلى عمق الشخصية، بحواسه كلها، تسهل ملاحظة ذلك في ارتعاش روحه في الأدوار المركّبة، في حين يظل الأقل موهبة يجتهد ويتعب، حتى يصل إلى شيء من الإحساس الذي التقطته روح العبقري، وتشبّعت منه. والمواهب الكبرى لا تنتظر الفوز بالنقاط في مجموع الجولات، يكفيها مشهد أو دور قصير، أو ضربة قاضية؛ فلا تغادر الذاكرة. والسياق العام لا يقل أهمية عن الموهبة. في كل المجالات، تموت مواهب بالجهل أو التجاهل وتُغتال عبقريات عن عمد أو بتأثير من المحيط السامّ. كم من "أمهات كلثوم" جئن قبل أجواء تستوعب موهبة أم كلثوم الصبية الفلاحة، إلى القاهرة بصحبة أبيها بعد ثورة 1919 وتأسيس طبقة وسطى عليا من المثقفين، ورعاية الشيخ مصطفى عبدالرازق لها، وبروز الدور الوطني لطلعت حرب، مجسّداً معنى المسؤولية الاجتماعية والثقافية والفنية للاقتصاد.

ولم يكن شكري سرحان وفريد شوقي، تحديداً، ليصيرا نجمين لولا ثورة 1952، قبلها كان للنجوم صورة ذهنية لدى المشاهدين كأنهم هابطون من السماء، نجوم فوق البشر قليلاً، يشبهون أو يتشبّهون بنجوم هوليوود. راجع تسريحة الشعر ولمعانه، والمظهر العام بما في ذلك الشارب أحيانا، تجد نسخة مصرية يجسدها أنور وجدي وكمال الشناوي، أما عماد حمدي فحملته مصادفة عام 1945، من وظيفة متواضعة في بنك مصر إلى الشاشة بطلا لفيلم «السوق السوداء» لكامل التلمساني.

السينما أكثر اغراءً

قبل أن أتناول علاقة الثورة بصعود شكري سرحان، أتوقف أمام جانب من السياق العمومي في تلك الفترة، ومن اللفتات الجيدة في كتاب الأستاذ سامح فتحي عن شكري سرحان، توثيق الدور الفاعل للصحافة آنذاك. وكان الممثل الشاب قد شارك في عدة عروض مسرحية لكن السينما تظل أكثر إغراء، حلما لأي ممثل ينتظر أن تحمله أطيافها إلى جماهير خارج حدود المسرح وتعبر اللغات والجغرافيا. شكري انتظر السينما وكادت تأتي لولا إسناد الدور في اللحظة الأخيرة إلى الممثل فاخر فاخر. لا شيء إلا الإحباط والاكتئاب والانتظار، فإذا بالفرصة تأتي مصادفة بلقائه مع الصحفي صلاح ذهني الذي نشر لشكري في مجلة «آخر ساعة» صورة وكتب تحتها «فتى أول ينقصه مخرج»، أربع كلمات دفعت المخرج حسين فوزي إلى الاتصال به. أجرى له اختبارا أمام الكاميرا، اقتنع به وأسند إليه بطولة فيلم «لهاليبو» أمام نجمة الاستعراض نعيمة عاكف عام 1949.

لكن بطولة أولى وحيدة ربما في ذلك الوقت المبكر، جعلت سامح فتحي يتحمس فيقول، في كتابه الذي يصدره مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية 2025، إن شكري سرحان «فتى السينما الأول بلا منازع منذ الأربعينيات وإلى الستينيات من القرن الماضي، وهو صاحب الرصيد الأكبر في قائمة أفضل مئة فيلم في تاريخ السينما العربية، واختير كأفضل ممثل في القرن العشرين، وتنوعت أدواره بين الأدوار الكوميدية والتراجيدية، وما بين أفلام البطولة المطلقة والبطولة الجماعية».

كان لشكري سرحان الأقرب إلى الملامح النفسية والجسدية لعموم المصريين، في جيله. شاب ترتاح إليه، وتأنس بصحبته مثل قريب أو جار

بطولة واحدة – كما قلتُ – في الأربعينات لا تدرج ذلك العقد ضمن إنجازات ممثل. كما لم يكن شكري سرحان وحده الأول، كانت القمة تتسع لعدد كبير من نجوم الصف الأول قبل أن تضيق منذ سبعينيات القرن العشرين، ولا تحتمل إلا نجما واحداً، وتتراجع مهابة الصحافة فيسهل التجييش وإطلاق حملات الدعاية، ولا تتورّع نادية الجندي عن منح نفسها لقب «نجمة الجماهير»، فتسارع نبيلة عبيد إلى الرد بلقب «نجمة مصر الأولى». وبعد زوال الأضواء، يقضي الزمن بحكم آخر فيضع كل شخص في مكانه على مقاس إنجازه. وتظل سعاد حسني وفاتن حمامة على قمة الأداء دون الحاجة إلى ألقاب.

أما اختيار ممثل أو ممثلة لمكانة «الأفضل» في التمثيل في القرن العشرين، فلا يخضع لتقييم الأداء واتساع مساحة الموهبة، وإنما لمعيار إحصائي في ضوء عدد مشاركاته في قائمة أفضل مئة فيلم مصري، بمناسبة مئوية السينما عام 1996. فالقوائم نفسها ونتائجها ترتبط باختيار من لهم حق التصويت والاختيار، وهل يتم تبعا لإحصاء آلي، أو بعد مناقشات؟ وإلى أي درجة يتدخل رئيس المهرجان في مجاملة مخرج، وتطييب خاطر آخر يشتكي إليه من خلوّ القائمة من أفلامه؛ فيضيف الرئيس إلى القائمة – بقرار فوقي – فيلما للمخرج المتألم.

وقائمة أفضل فيلم تخص المخرجين أكثر من الممثلين. في كرة القدم قد يُكتب في سيرة لاعب أنه شارك في الفوز بعشر بطولات مع فريقه، وهو في حقيقة الأمر لم يلعب إلا بضع دقائق في مباراة أو اثنتين، وظل على دكة الاحتياط في بقية المباريات، لكن رسميا هو موجود؛ القائمة تضمنت اسمه.

شكري سرحان – كما قلت في العنوان – محظوظ بمشاركته في الكثير من الأفلام. وقد يترتب على الغزارة فوز بحصيلة النقاط في مجموع الجولات. كان محظوظاً بعمله مع المخرجين الكبار وأمام معظم نجمات السينما. كنت أغار منه وهو يحمل سعاد حسني بين يديه. إلا سعاد، والباقيات حلال عليه!

ما الذي جعل شكري سرحان ترشيحاً أو اختياراً أول لمعظم المخرجين، من اليمين واليسار، الواعين وأنصاف الأذكياء؟ لعلها الملامح النفسية والجسدية – كما قلت في البداية – وفيها طيبة بادية، نظرة عين حنونة، وجه جميل مصري الطابع تحبه الكاميرا من الأمام ومن الجانبين. يتسلح بدراسة علمية وعملية تلقاها في معهد الفنون المسرحية، على أيدي أساتذة منهم زكي طليمات وجورج أبيض وفتوح نشاطي وشيخ النقاد الدكتور محمد مندور.

ابن النيل

شكري سرحان (13 مارس 1925 / 19 مارس 1997) التحق بمعهد الفنون المسرحية في افتتاحه عام 1941، مع زملاء منهم صلاح منصور وفريد شوقي وفاتن حمامة وعمر الحريري ومحمد السبع وصلاح نظمي ونعيمة وصفي. تخرجت الدفعة الأولى عام 1947، والبعض لم يستمر في الدراسة وأكمل التعلّم بالخبرة في استوديوهات السينما. فاتن حمامة خطفتها الأضواء واصطفتها فتاة أحلام للمشاهدين، وللبعض من المخرجين والممثلين. صعدت إلى القمة ولم تتخلّ عنها. وشكري سرحان، بعد البطولة الأولى لفيلم «لهاليبو» الذي عرض في سبتمبر 1949، قام بأدوار قصيرة في أكثر من عشرة أفلام، منها «كرسي الاعتراف» بطولة وإخراج يوسف وهبي، و«قسمة ونصيب» إخراج محمود ذوالفقار، و«أنا بنت ناس» إخراج حسن الإمام، و«الأفوكاتو مديحة» ليوسف وهبي. كان ينقصه أداء دور غير نمطي، على يد مخرج غير تقليدي. هذه المرة لم تأت الفرصة عن طريق صحفي يعلن عن «فتى أول ينقصه مخرج»، وإنما منحه يوسف شاهين لقباً لازمه في حياته وإلى اليوم. صار «ابن النيل» يعني شكري سرحان وحده.

في فيلم «ابن النيل» الذي عرض في أكتوبر 1951، نزع يوسف شاهين عن شكري سرحان قناع النجم، وقدّم الممثل. تتشابه أدوار النجوم، يول براينر وأرنولد شوارزنيغر وسلفستر ستالون ونادية الجندي وفيفي عبده وغيرهم، يؤدون أدواراً نمطية على الرغم من تباين الشخصيات. والممثل الموهوب يتوارى خلف الشخصية. هذا ما فعله يوسف شاهين، أخفى الشاب المتأنق وألبسه شخصية فلاح تعيس ناقم، ينهكه التعب؛ فيفكر في التمرد على حياته القاسية في القرية. انفعالات محسوبة، مقتصدة، لا إسراف يوحي بثقل ميراث الخبرة المسرحية. يغادر الشاب قريته ويواجه المدينة ببراءته؛ فتهزمه المدينة وتلوثه.

في فيلم «ابن النيل» تأكد لشكري سرحان وللمخرجين والمنتجين أن وراء ملامح النجم موهبة أطلقها يوسف شاهين.

وسيختاره شاهين، بعد سبع سنوات، لدور «قناوي» بطل فيلم «باب الحديد»، لولا اعتراض المنتج جبرائيل تلحمي على الأجر المرتفع للنجم شكري سرحان، فأدى شاهين الدور بامتياز. وفي عام 1976، بعد نضج الممثل، كان اختياراً ذكياً ليوسف شاهين، لدور طلبة في فيلم «عودة الابن الضال»، آخر فيلم كبير لمخرجه، ولعله العمل الذي يتصدر المنجز الشاهيني.

طُلبة دور مركّب تقمّصه شكري سرحان بأناة وفهم لأبعاد الشخصية المعقدة. رجل انتهازي يعادي الجميع، لا يُناصره إلا أمه ولا يكترث بأبيه، يضطهد ابنه، ويحقد على أخيه علي «الابن الضال» العائد من السجن إلى بطش طُلبة الذي يعقد صفقات مع الجيش لتوريد احتياجات لوحدة عسكرية قريبة من قريته «ميت شابورة»، وبعد المدّ الساداتي الانفتاحي في السبعينات يواصل استغلال عمال مصنعه، ويفرض سطوته على أخيه علي، فيجعله أداة لطرد عدد من العمال. كان علي يحلم بتغيير العالم، وهزمته القاهرة، ثم عاد منكسراً، تنتظره فاطمة اثني عشر عاما لكنه لا يعرفها، يخلط بينها وبين أختها عائشة زوجة طلبة المتوفاة. علي المهزوم خذل إبراهيم ابن أخيه طلبة الراغب في السفر لدراسة علوم الفضاء، كما خذل فاطمة التي رفضت طلبة فاغتصبها، وتعترف لعلي، فتشتعل مذبحة الأسرة. حرب أهلية تقضي عليهم جميعاً، ولا ينجو إلا إبراهيم فينصحه جده بالرحيل. جسّد شكري سرحان أزمات طلبة وتناقضاته، من الغطرسة إلى الهشاشة، يسدي نصحاً دينياً إلى فاطمة وإلى ابنه إبراهيم، ثم يختلي بنفسه

من «ابن النيل» إلى «البوسطجي».. الممثل الذي جسّد البساطة بعبقرية

ليلاً ليشاهد على آلة عرض أفلام العنف والجنس.
بذروة «عودة الابن الضال» تنتهي المسيرة الكبيرة لشكري سرحان، وإن شارك بعده في نحو عشرين فيلما دون مستوى أعمال تركت بصمة تدل عليه. ففي هذا الفيلم جدّد نفسه. حقق اختلافاً نوعياً عن معظم أدواره السابقة. قبل «عودة الابن الضال»، كان الاختلاف بين أدواره في الدرجة لا النوع، حتى في «شباب امرأة» و«الزوجة الثانية» لصلاح أبوسيف و«البوسطجي» لحسين كمال، والفيلم الأخير قفزة في الأداء والوعي بتحولات الشخصية من موظف وافر الصحة، أنيق ومتفائل، إلى كائنٍ ضائع يشعر بالتفاهة جاء من المدينة قوياً، وأصابته القرية البعيدة بعدوى البؤس. اختفت أناقته واحتوته ثياب مهلهلة ووحدة قاتلة لا يعزّيه إلا التلصص على أسرار الناس بفتح خطابات البريد، فيزهد الحياة زهد المضطر، وتنطفئ روحه.
قال حسين كمال إنه تمنى لو صور فيلم «البوسطجي» بالألوان؛ لكي تظهر صفرة وجه شكري سرحان في المشهد الأخير.

فنان مجتهد

الأفلام، العلامات، تضمن للممثل تاريخاً في ذاكرة السينما إذا نجح في اختبار التنوّع. وما كان لشكري سرحان وفريد شوقي أن يقفزا إلى القمة – في وجود نجوم حققوا اشتراطات النجومية – لولا ثورة 1952 التي أعلنت شعار العدالة الاجتماعية، ونفذته مبكراً بعد خمسة وأربعين يوماً من قيامها، بقانون الإصلاح الزراعي، فامتلك الفلاح أرضاً والفقير حلماً بالصعود الطبقي، عبر بوابة

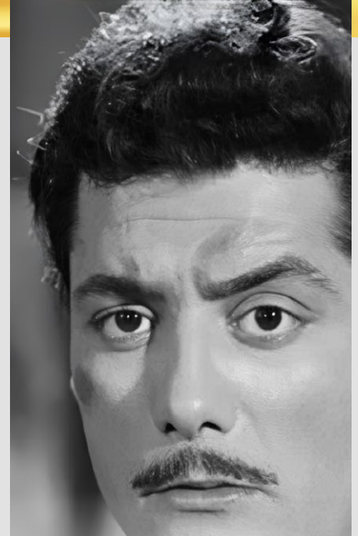

السينما المصرية تخلد ذكرى شكري سرحان في مهرجان الأقصر

التعليم والرهان على الكفاءة. بتلك الروح بحث الشعب عن شخصيات تشبهه، فكان فريد شوقي بطلاً شعبياً يجسد أحلام المستضعفين والأشقياء، ويحقق للمشاهدين ما يعجزون عن نيله في حياتهم، فضلاً عن ذكائه في اختيار أدوار تلمس أحياناً السلك العاري الواصل إلى السلطة كما في فيلم «بورسعيد».
شكري سرحان انطبعت ملامحه وتطابقت مع صورة ذهنية أراد الضباط رسمها لأنفسهم، منذ دوره في فيلم «رُدّ قلبي» عام 1957. ابن البستاني الذي أحبّ بنت الباشا، وصار ضابطاً ثم قلبت الثورة الموازين والطبقات. ولا يزال «ابن الجنايني» مثلا يُضرب إلى الآن.
ثم تمرد النجم على المراوحة في المكان بأدوار اجتهد في أدائها، منها «امرأة في الطريق» إخراج عز الدين ذوالفقار عام 1958، و«اللص والكلاب» إخراج كمال الشيخ عام 1962.
أحبّ شادية، مطربة وممثلة، لكني أنساها كلما تذكرتُ فيلم «شباب امرأة» إخراج صلاح أبوسيف عام 1956. أعيدُ مشاهدة الفيلم فيفاجئني اسم شادية في اللقطة الأولى، قبل تحية كاريوكا التي لا يزال حضورها الطاغي ينسي المشاهدين ما عداها. في هذا الفيلم تحضر بقوة ثنائية النجم والممثل، تخضع الأجور وترتيب الأسماء لحسابات تجارية آنية، ولا يبالي الزمن بهذا التراتب المؤقت، الزمن يصطفي ويُبقي، والجمهور يختار بطلاً يحمّله أشواقه، ثم تحتفظ الذاكرة بمن لديه قدرة على ترك بصمة تقاوم النسيان. مع شكري سرحان، إلى حد ما، يمكن إعادة مشاهدة فيلم «السفيرة عزيزة» عام 1961، و«الزوجة الثانية» عام 1967، لإعادة اكتشاف طغيان اثنين من المواهب الجبارة في السينما المصرية، هما بالترتيب عدلي كاسب وصلاح منصور.
ترويض النجم لحساب الممثل يلزمه مخرج كبير، يفرض إرادته ولا يخضع لدكتاتورية نجم ينتقل بشخصيته الحقيقية ربما من فيلم إلى آخر. المخرج الكبير يراهن على رؤية قدرات الممثل وراء قناع النجم، ويستطيع إقناع النجم بأن اللياقة أهم من الأناقة. ولعل الشعور المبالغ فيه بالنجومية احتاج إلى مخرج قوي؛ لترويض الممثل وتبصيره بأن ملامح الشخصية الدرامية أكثر أهمية من تأنّق منزوع الصدق.
وقد نجحت التجربة التي بدأها يوسف شاهين مبكراً في «ابن النيل»، وكررها مخرجون منهم كمال الشيخ في «اللص والكلاب»، وحسين كمال في «البوسطجي»، وصلاح أبوسيف أيضاً. يذكر سامح فتحي أن خلافاً نشأ أثناء إنجاز فيلم «الزوجة الثانية»، «بسبب عدم رغبة شكري سرحان في قصّ شعره مثل قصة الفلاح في الأرض، لكن في النهاية نفذ أوامر المخرج ليظهر الفيلم على ذلك النحو».
لقد كان شكري سرحان محظوظاً ومجتهداً، وأعماله تشهد على ثراء السينما المصرية.

حكمة أن تعيش

ياسر خضير البياتي

تذكّر أنك فانٍ، ولكنك موجود. وأن الأشياء تتغير؛ تأتي وتذهب، تبرد وتسخن، وتمتلئ بالأخطاء الكبيرة. لكن هذه الحياة تحتاج – أيضاً – إلى فاعلٍ يُجيد فتْحَ أبواب الحياة، سواء أكُنا على جبال سويسرا، أو في عمق صحراء الجزيرة العربية. والحكمة تقول: لا تغلق الحياة بمفاتيح اليأس؛ لأنها قد تعود لك مرة أخرى.
سأختصر المعادلة؛ أنا... وأنت! كلانا من نفس الطين الذي خُلقنا منه، كلانا يبحث عن الحقيقة، ولكن بعقليْن مُختلفيْن. فالاختلاف نعمة دالة على رُقيّ العقل، حيث الاختلافُ حياة، والتطابقُ غيبوبة. وكما يقول جلال الدين الرومي: «إن لم تجدني داخلك... لن تجدني أبداً... فأنا معك منذ بدء التكوين».
هكذا قالوا: إنَّ مصيرَ الإنسان في بطاقةِ هويّته الشخصيّة: مكان الولادة وتاريخها. كلتاهما تثبت وجوده على الكون، وتختم عليه ختماً دامغاً. يبدأ بالزمن، منذ الولادة الأولى لظهوره على مسرح الحياة، إذ إنّه يبدأ صياغةَ حياته واختياراته ورغباته وموقفه. وعادة ما يُنظر إلى لحظة الولادة باعتبارها إعلاناً عن حياة جديدة، تكون مصدر فرح وترحيب بمولود موعود بحياة سعيدة أو شقية، ضمن عمر افتراضي محدود في الزمان وفي المكان.
سألت نفسي، وأنا أخرج للحياة – بعد النضوج –: من أنا؟، وما الذي يجعلني «أنا» في هذا المكان والزمان. لقد تهت بفلسفة الفيلسوف، وتبريرات العالِم النفسي والاجتماعي، وبقدرية رجل الدين في تفسير الجسد والعقل والروح، والمعنى من الحياة. كنت قلقاً، وأنا أقرأ لهم تناقضاتهم وأمزجتهم خوفاً من أن يكون مستقري مستشفى (الصحة النفسية).
كنت في لحظات التأمل أُفلسف الحياةَ بطريقة مختزلة؛ خرجنا للحياة عُراة ومعنا قطعة قماش أبيض، وسنودعها –أيضًا–بنفس القماش. سرٌّ عجيب؛ صرخة البداية، وصرخة النهاية؛ الأولى: صوتها عالٍ، والثانية صامتة لا تسمع إلا صوت المودّعين.
لقد اكتشفتُ من التاريخ بأن مثل هذه الأسئلة ألقى ببعض الناس إلى هاوية الجنون، ومنهم من ارتقى لشاهقات السكون؛ ولذلك استبدل الكثير من الفلاسفة السؤال: ما معنى الحياة؟ إلى أسئلة حول «حياة ذات معنى»، لكن البحث عن معنى الحياة لن يختفيَ من تفكير البشَر. فنحن مخلوقات تحتاج إلى معنى الحياة – بسخريتها وغموضها –، ومع ذلك فإن «لكل شيء معنى»؛ برأي أفلاطون وأرسطو.
حاولت بعد تذكّر صدمة الولادة الأولى أن أُفلسف الحياة التي تجري عليها تصاريف الدهر، وخياراتي المُتاحة بين الرغبة والوسيلة؛ رغبة أختارها ووسيلة أتبعها، بين هالةٍ من المشاعر؛ عقلٍ ونفس وضمير، تشغله روح لها بداية ونهاية، لتشكيل الذات وفقًا للرغبات والظروف.
وجدت بأن الإنسان يبقى صاحب القرار؛ هو مَن يخلق ذاتَه، فمن لا شيء كما كان، ويمكنه أن يصبح كل شيء. لذلك قال بعض الفلاسفة: الإنسان لا يُولد مرةً واحدة؛ الولادة الأولى هي خروجه من رحم أمه، والثانية خروجه من رحم السذاجة والسطحية!، والثالثة خروجه من رحم المعتقدات والعادات التي تكبل عقله وإنسانيته!، والرابعة خروجه من رحم الأوهام والأهواء إلى فضاء أرحب وأوسع وأنقى!
ومثلما قال الفيلسوف الإغريقي (هرقليطس) في عام خمسمائة قبل الميلاد: إن الوجود في تغيُّر دائم وتدفُّق مستمر، وأن كل شيء يتحول – باستمرار– ولا يستقر على حال. فالوجود كما النهر، ينساب باستمرار. فإذا وضعنا أقدامنا في النهر الجاري، لن تنساب عليها –قط–نفس المياه التي غمرتها في اللحظة السابقة؛ لذلك علينا العيش في الشتاء، دون أن نفكر باستحالة مجيء الصيف، ولقد سُئل حكيم: لماذا تقرأ كثيراً، فقال: لأن حياةً واحدةً لا تكفي!
والإنسان الذي لا يصدر عن فلسفة صحيحة وواعية، يعيش غالباً بتعاسة وشقاء، ويقضي سني عمره دون أن يشعر بقيمة الحياة، لأن فلسفة الحياة تقوم على فكرة ماذا تريد أن تكون، وماذا تريد فعله؟ فاكتشفت بعد هذا العمر بأن الصحة تزن كل النعم الأخرى، لذلك قيل: شحاذ صحيح البدّن اسعد من ملك عليل!
تعلمت من الحياة حكمة جميلة؛ بان الوجود صراع، لا يجيده إلا شجاع، وكلما ارتفع الإنسان تكاثفت حوله الغيوم، وان الحياة مليئة بالحجارة فلا ينبغي التعثر بها، بل علينا جمعها لنبني بها سُلما نصعد به نحو القمّة. وأن الأمس لن يعود، والحاضر لن يدوم، والمستقبل لا ندري فيه أين سنكون!
تعلمت من الألم، ورفضت أن أكون رفيقًا له، والحياة بلا فائدة موت سابق. مثلما الشقاء؛ كوكتيل من الألوان المتضادة، والأفكار المتناقضة، والصراع من أجل البقاء. وسر وجودنا يتخفّى وراء هذه الألوان، ويلبس كلٌ منّا رداءه الخاص به حسب زمانه ومزاجه وعادات وتقاليد بيئته.
سُئل حكيم – ذات يوم – عن أغرب الأشياء في الكون؛ فقال: الإنسان، قالوا له: كيف؛ قال: الإنسان يضيع وقته بالتحسُّر على الماضي، ويريد أن يكبر عمره بسرعة، وعندما يكبر يفكر ببناء مستقبله، وعندما يشيب يتحسَّر على الماضي. فعلى حاله هذه لم يعش لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل، وقد ضيَّع نفسَه حتى شاب!

فيلسوف العبث والمقاومة

في ذكرى 111 عاماً على ولادة ألبير كامو: المقاومة والانتصار

ألبير كامو (1913-1960)، الفيلسوف والروائي والصحافي الفرنسي، واحد من أبرز أعلام الفكر الحديث، عُرف بمواجهته للعبثية وتحديه لقسوة الحياة وظروفها. ترك كامو بصمة لا تُمحى في الأدب والفلسفة من خلال أعماله التي جمعت بين الفكر العميق والأسلوب الأدبي الرصين، مثل «الغريب» و«الطاعون»، والتي قادته للفوز بجائزة نوبل للآداب عام 1957.**

تميزت فلسفة كامو بالتأمل في معنى الحياة أمام عبثية الوجود، حيث اعتبر أن إدراك العبث ليس نهاية المطاف، بل دعوة للتمرّد والمقاومة. ورغم إنكاره لانتمائه للفلسفة الوجودية، فإن أفكاره عن الحرية والمسؤولية الفردية جعلته مرتبطًا بها. شكلت معضلة الانتحار ومفهوم التمرّد جوهر فكره، حيث دعا إلى تحدي اليأس والبحث عن معنى في عالم يفتقد للعقلانية.

لم تكن مسيرة كامو الفكرية بمعزل عن التزامه الأخلاقي والسياسي. انضم لحركة المقاومة الفرنسية خلال الاحتلال النازي، وكتب تحت اسم مستعار مقالات وروايات جسّدت صراعه مع الظلم والاستبداد. روايته «الطاعون»، التي كتبها خلال الحرب العالمية الثانية، تحمل رمزية عميقة، حيث تعكس مقاومة الوباء كصورة مجازية لمقاومة الاحتلال النازي.

تناولت أعمال كامو موضوعات إنسانية شاملة، من العبث إلى الدين والأخلاق، مجسدة صراعاته مع المؤسسات التقليدية، بما في ذلك الأخلاق المسيحية. في «الطاعون»، على سبيل المثال، يظهر هذا الصراع بين شخصية الطبيب ريو، الذي يقاتل المرض بواقعية وإرادة، والقس بانيلو، الذي يدعو للتسليم بالقدر.

اليوم، تجد أفكار كامو صدى متجدداً في عالمنا. مع انتشار وباء كوفيد19-، عاد القراء إلى «الطاعون» لاستلهام الدروس عن التضامن الإنساني في مواجهة الأزمات. إن كامو، الذي آمن بقوة الإرادة البشرية أمام العبث، يظل مصدر إلهام للسعي نحو عالم أكثر إنسانية، رغم كل التحديات.

المرمار
سميرة رمان

في نهاية العام الماضي مرت ذكرى 111 عاماً على ولادة ألبير كامو، الفيلسوف والكاتب الوجودي، الصحافي والدرامي والقاصّ الفرنسي، ومؤلف عدد من الروايات المشهورة، مثل «الغريب»، و«الطاعون»، والحائز على جائزة نوبل للأدب عام 1957.

على الرغم من إنكار علاقته بحركة الفلسفيّة الوجوديّة، كان ألبير كامو مرتبطاً بها بشكل أو آخر. ومثّلت معضلة الانتحار موضوعهً الرئيس، وهي المسالة المرتبطة بفكرته عن «العبثية»، أي الشعور بالعجز عن فهم العالم. ومن هذا المفهوم بالتحديد تنبثق النظرية السياسية التي تبحث في مفهوم «التمرّد»، كـ«نقيض للشعور بالعبثية». من ناحية أخرى، عرف عن كامو أنّه كان في صراعٍ فكري مع الفيلسوف الفرنسي جان بوُل سارتر.

الأديب المقاوم

في أيار/ مايو عام 1940، أنهى كامو روايته «الغريب»، وفي ديسمبر/ كانون الأول من العام نفسه، وبسبب مواقفه المعارضة، سُرِّح من عمله في صحيفة «باري دو سوار». ولأنّه لم يرغب في العيش في بلدٍ محتل، عاد إلى مدينة وهران في الجزائر لتدريس اللغة الفرنسية في إحدى مدارسها الخاصّة. وفي شباط/ فبراير 1941، أنهى كتابه «أسطورة سيزيف»، التي تناول فيها مغزى الحياة. يتحدث الكتاب عن غياب العقلانية في هذا العالم، وعن تلاشي الإيمان والأمل في المستقبل. ومع ذلك، رأى كامو أنّ خياراً واحداً بقي في حوزة الإنسان، الذي يحاول البحث عن مغزى الحياة، إمّا الخروج طوعاً من هذه الحياة (الانتحار)، أو تحدي العبثية واللاجدوى. سريعاً، انضم كامو إلى صفوف حركة المقاومة، ليصبح عضواً في منظمة «كومبا»، وينتقل من جديد إلى باريس سرّاً.

في عام 1942، أصدر روايتيه «الغريب»، و«أسطورة سيزيف». وخلال سنوات الحرب، نشر كامو «رسائل إلى صديقي الألماني»، ولكن تحت اسم مستعار هذه المرّة.

في عام 1943، تعرّف على جان بول سارتر، وشارك في إخراج مسرحياته، وأصبح أوّل من أطلق من خشبة المسرح العبارة الشهيرة: «الجحيم هو الآخرون». وفي عام 1944، كتب روايته الشهيرة «الطاعون»، التي تأخّر صدورها ثلاث سنواتٍ كاملة إلى عام 1947.

«في عصرنا، أجبر وباء كوفيد ـ 19 الناس على العودة إلى مؤلفات ألبير كامو، وأدرج المنتدى الاقتصادي العالمي رواية «الطاعون» على قائمة خمسة كتب يجب قراءتها في سياق انتشار وباء كورونا في العالم».

خلال الفترة (1934 – 1939)، كتب كامو عدداً من القصص الاخرى التي تتناول مسيرة حياته، هي التي جمعها في مجموعات أطلق عليها «كاليغولا»، وصدرت في ما بعد في فرنسا، إلى جانب قصة «حفلة العرس». في تلك الفترة، بدأ العمل على مجموعته «كاليغولا»، ورواية «الموت السعيد»، التي نلمس فيها لحظات تبدو وكأنّها اقتطعت من حياة كامو نفسها. في هذه الرواية، يعاني بطل القصّة، باريس ميرسو، من مرض عضال في الرئتين، ولكنّه رغم ذلك يطوف أوروبا، ومن ثمّ يعود إلى الجزائر، حيث يموت هناك (لم ينشر هذا العمل إلا بعد موت الكاتب).

الطاعون

صدرت «الطاعون» عام 1947، لتفتح صفحات حكاية مأساوية عانت منها مدينة وهران الجزائرية، التي وجدت نفسها معزولةً عن بقية العالم، بعد أن انتشر في فيها وباء «الموت الأسود». انتشر الطاعون في المدينة بسرعة، بعد أن أرسل قطعاناً من عملائه الجرذان. في زمننا، يأتي الطاعون فجأةً، فيجبر كلّ واحد منّا أن يبدو وكأنّه يخوض حرباً وجودية. يُلاحظ الجميع كيف تنتشر جرذان الموت في كلّ مكان. كان حارس البوابة أوّل الضحايا، ولكن أحدًا لم يدرك بعد أنّه سقط بسبب الطاعون. عقد سكّان المدينة المنكوبة آمالهم على النظام الصحي القائم، وعلى مهارة الموظفين البيروقراطيين، وبالطبع على الدين في المقام الأوّل. لم يجد كل ذلك نفعاً، فقد كانت أعداد ضحايا الوبَاء تزداد كلّ يوم. يبذل بطل الرواية الطبيب برنارد ريو كل جهدٍ ممكن لمواجهة المرض. يتبيّن للجميع لاحقاً أنّ الانتصار على الطاعون يكمن في اتحاد الجميع في مواجهته، مدفوعين بغريزة البقاء. يتشابك الصراع في الرواية ويتعقد، كما هي الحال في نضال المقاومة ضدّ الاحتلال النازي لفرنسا، حيث يمكن فهم هذه الرواية من خلال عبارة «الطاعون البنيّ/ La peste brune"، التي كان الفرنسيون يتداولونها في إشارة إلى المحتلين النازيين. يوافق جان بول سارتر على وجهة

النظر هذه: فالنازيون الذي اقتحموا فرنسا غادروها، كما هي حال الطاعون: "جاءوا من اللامكان وغادروا إلى اللامكان"، وكأنّهم "قوة غير مادية، قوة لا إنسانية". على خلاف سارتر، لم يرَ كامو النازية، أو غيرها من الممارسات السياسية، في معزلٍ عن الإنسان. أمّا الفيلسوف رولان بارت، فوجد في الرواية "سياسة الإنسان"، أي أنّه رأى فيها صراع إنسان واحد. من ناحيةٍ أخرى، أيّد الكاتب نفسه ما ذهب إليه الفيلسوفان. كان كامو يرى أنّ الرواية تمثّل "الانتقال من الاحتجاج الفرديّ إلى تضامن الأغلبية"، ملاحظًا في الوقت نفسه "عري الإنسان أمام العبثية"، وكذلك "تساوي مختلف وجهات النظر عندما يتعلّق الأمر بالعبثية".

تعبّر رواية "الطاعون" عن نموذجين من سلوك الأشخاص: الانخراط التام في العبثية من جهة، والصراع ضدّ الممارسات السياسية والاجتماعية الجديدة من جهة أخرى، وكلا النموذجين يمثلان في حدّ ذاتهما عبثية أخرى أيضاً. ومع أنّ "الانتصار على العبثية"، بالمفهوم الصارم للكلمة، مستحيل، بحسب فلسفة كامو، فإنّه يعد العبثية شرطًا لا يتجزأ من الوجود، ولذلك نرى أنّ مواجهة الطاعون، وكذلك محاربة العبثية، تعبّر عن نفسها في مؤلفاته، كمقاومة لوقف توسّع العبثية والحيلولة دون انتشارها في العالم، على الرغم من أنّه يعرف مسبقاً أنّ الانتصار عليها، والتخلّص من نيرها، أمرٌ غير ممكن. يأتي تأكيد هذا الموقف من خلال بطل الرواية، الطبيب ريو، الذي رأى أنّ حربه ضدّ الوباء هي عبارة عن "هزائم لا نهاية لها". في رواية "الطاعون"، يقاتل البطل في سبيل سعادة الإنسان على الأرض، ولكن ليس في سبيل الوصول إلى السعادة الأبدية.

على صفحات روايةٍ "الطاعون"، تفتح صفحة الدين أيضاً. يتضح من الرواية أنّ ألبير كامو يعارض الأخلاق المسيحية، الأمر الذي يتضح من خلال صراع شخصيات الرواية، خاصة الطبيب ريو، والقسّ بانيلو. ففي حين يناضل الطبيب ضدّ المرض، يحاول القسّ أن يقنع زواره في مدينة وهران أنّ المرض هو إرادة إلهيّة يجب تقبّلها. في حين يقول الطبيب: "ربما يرى الربّ أنّه من الأفضل له ألا يؤمن الناس به، ولكنّهم يعملون بكلّ ما أوتوا من قوة وعزيمة على محاربة الموت، من دون أن يرفعوا أبصارهم بالابتهال إلى السماء، حيث يسود الصمت". وفي هذا الصدد، يرى كامو أن روايته "مناهضة للمسيحية".

في عصرنا، أجبر وباء كوفيد – 19 الناس على العودة إلى مؤلفات ألبير كامو، وأدرج المنتدى الاقتصادي العالمي رواية "الطاعون" على قائمة خمسة كتب يجب قراءتها في سياق انتشار وباء كُورونا في العالم. وفي هذا الصدد، اعترف صحافي أميركي من "فوكس نيوز" بأنّ الرواية يمكنها أن تساعد الناس على تعوّد العيش في ظروف مثل ظروف كوفيد – 19، وتدفعهم إلى التعاون والتضامن مع بعضهم بعضاً، وتجعلهم يدركون أنّهم بالفعل "يبحرون في القارب نفسه". من ناحية أُخرى، يرى الباحثون أنّ وباء الطاعون، كما جاء وصفه في رواية كامو، إنما يتوافق مع الدعوات التي تحثنا على وضع خططنا، وعلى أن نرسم حياتنا اليومية بما يمكّننا من التكيّف مع ظروف مشابهة لظروف انتشار أمراضٍ وأوبئةٍ غير متوقعة سلفاً.

لفائف لا مجلّد

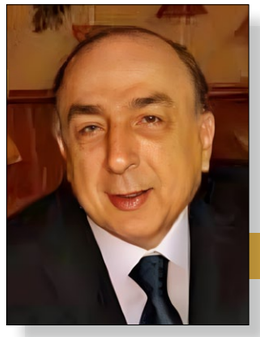

سميرعطا الله

أين مكتبة الإسكندرية؟ إننا لا نسمع عنها الكثير منذ أن انتهت ولاية، أو أمانة، الدكتور مصطفى الفقي. ربما كان السبب أنه إلى كونه دبلوماسياً بارعاً، فهو أيضاً إعلاميٌّ مدهش الاجتهاد. أعاد الرئيس حسني مبارك إنشاء المكتبة الأسطورية من جديد. ولا شك أنها توازي إلى حد ما مثيلاتها في العالم مثل مكتبة سانت بطرسبورغ في روسيا، أو المكتبة الوطنية الفرنسية، أو البريطانية، لكن ليس لها بالتأكيد مكتبة الكونغرس التي تفوق محفوظاتها كل تخيّل.

لكن هل حقاً كانت المكتبة قبل إحراقها تضم 700 ألف كتاب؟ شرح المسألة مؤسس الجامعة اللبنانية فؤاد أفرام البستاني عندما قال: «لم تكن مجلدات ذاك العهد مماثلة للمجلّدات في عهدنا، بل إنها لم تكن مجلدات بالمعنى الصحيح. أياً كانت ملفّات، أو رزماً، متفاوتة الطول والعرض. لا تتسع الواحدة منها، على الغالب، لعشر ما يستوعبه المجلد المتوسط من كتبنا اليوم».

للمرة الأولى، بالنسبة إليّ، أعرف كيف أقيمت تلك المكتبة العظيمة من الشرح الذي يقدمه العلّامة الراحل.

كانت هذه الملفات تُصنع من أوراق البَردي، ثم من جلود الحيوان، كما سنرى. فيلصق بعضها بالبعض الآخر حتى تطول على بضعة أمتار. ويُكتب عليها. ثم تُلف وترزم وتُصف واحدة جنب الأخرى، أو فوق الأخرى، فتكون الخزانة مجموعة رزم، أو ملفات، لا مجموعة كتب مجلّدة كما نعهد في أيامنا. ولنمثّل على ذلك بـ«إلياذة هوميروس». فهي تستوعب، في زمننا، في مجلّد واحد متوسط الحجم. أما في الماضي فكانت تمتد على عدة ملفّات. ولا يندر أن يختص كل ملف بنشيد واحد منها، أو بنشيدين، فتمصّ مجموعة اثني عشر ملفاً، أو أربعة وعشرين.

يردد البستاني الرواية التي أُشيعت عن أن عمرو بن العاص هو الذي أمر بإحراق المكتبة. قال ابن خلدون في مقدمته: «ولما فُتحت أرض فارس، ووجدوا فيها كتباً كثيرةً، كتب سعد بن أبي وقّاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها، وتنقيلها للمسلمين. فكتب إليه عمر (أن اطرحوها في الماء. فإن يكن ما فيها هدى، فقد هدانا الله بأهدى منه. وإن يكن ضلالاً، فقد كفانا الله)، فطرحوها في الماء أو في النار. فذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا».

(المقدمة طبعة بيروت سنة 1956 – ص 863)، مقال الحاج خليفة في «كشف الظنون» (طبعة الآستانة: «كانت العرب، في صدر الإسلام، لا تعتني بشيء من العلوم إلا بلغتها، ومعرفة أحكام شريعتها، وصناعة الطب. حتى يروى أنهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلاد».

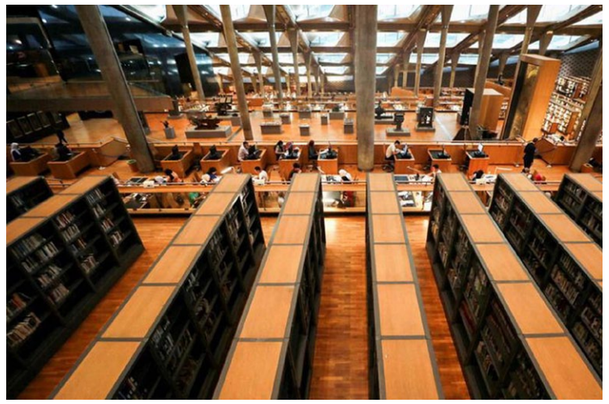

كاتب وصحافي لبناني

"الكَوَّالات" والبحث عن جنازة

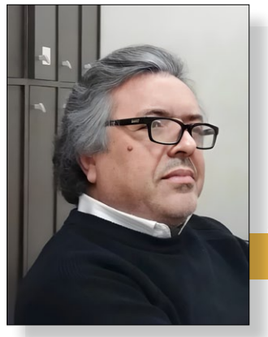

موسى رحوم عباس

في وادي الفُرات وقرى بادية الجزيرة السُّورية خلال ستينيَّات القرن الفارط كان في كل قرية بعض النِّسوة، هُنَّ غالباً من كبيرات السِّن، الأرامـــل، الوحيدات، يطلق عليهن مُسمَّى «الكَوَّالات/ القَوَّالات" وأظنُّ أنَّ المفردة واضحة الدلالة من القول، القوَّال، صيغة مبالغة، وهؤلاء النِّسوة يقمْنَ بدور نعي المتوفى بقصائد رثاء تشيد بمناقبه، حتى لو لم يكن من أهل المناقب، تتوشَّح بالسَّواد، ويشيع فيها التَّفجُّعُ؛ لتهيّج مشاعر الأخريات؛ فيعلو نحيبهن، وربما شُقَّت جيوبٌ، ونكثت شعورٌ، يترافق ذلك بطقوس النَّدب، وفي الاستراحة تشعل السَّجائر، وتدار القهوة المُرَّة، وعند انتهاء مراسم العزاء، يقوم أهل المتوفى بإكرامهن نقداً وعيناً، وربما بالغوا في ذلك، كونهن يملكن ألسنة حداداً، وماكنة إعلامية قوية، ويستطعن تشويه سمعة أكرم العائلات، سيما أنَّهن ينتقلن من عزاء إلى آخر، بل من قرية إلى أخرى، ولا يتورعن ذكر نقائص من يقصِّر في طعام أو شراب أو دخان، قد تكون هذه مقدمة طويلة قليلا، لكنَّنا أبناء شرق البلاد بحاجة لشرح كل ما يتعلق بنا كوننا من الكوكب المنسيِّ في بلادنا، حتى إن بعض أصدقائي قد يظنُّون أنّي أسكن خيمة من شعر الماعز، ويأمرني شيخ القبيلة؛ فأجيبه سمعاً وطاعة يا شيخ!

ابتليتُ بصنعة الكتابة وسُوسة القراءة مبكراً، لدرجة أنها أفسدتْ حياتي وشبابي، فلم ألعب الـورق، أو كرة القدم كأترابي، ولا طاردت الجميلات، ولا أحمل قصص حبٍّ حقيقية في ذاكرتي، ما علينا، أستعرض ما قرأته شعراً، ورواية، وقصصاً... أجده في مجمله قطعة من التراجيديا، تنزُّ منه المظلوميات من كلِّ حدب وصوب، بكاء وعويل مكتوم، فالكثير من هؤلاء الأدبـاء «قـوَّالاتٌ» يبحثن عن جنازة ولطم، رمزيَّات، بل معميَّات وشرائك من "الشَّرَك" لكنها مكشوفة وفاقعة أحياناً، جماعة تنوح على ضياع ثورة القرامطة، وأنَّهم سبقوا ماركس وإنجلس والثَّورة الفرنسيَّة بمئات السِّنين، وجماعة ثانية ترفع رأس الحُسين «رضي الله عنه» وتشير إليَّ رمزاً ومُواربة أنني القاتل؛ فأحكم إغلاق الباب جيداً، بل ربَّما أضفت قفلاً قوياً صلباً إلى الأقفال الأربعة القديمة، وأخرى تُصَفِّر للحَجَل الكردي على رؤوس الجبال، وتسوق الدَّليل إثر الدليل على مرور قوافل أجدادهم إلى هذه القرية أو تلك قبل أجدادي، رحم الله الجميع، وآخرون يرون أنَّ نهاية الخلافة العبيدية/ الفاطمية كانت كارثة تاريخية لا تعوّض، وينوون جلب صلاح الدِّين الأيوبيِّ إلى محكمة أمن الدَّولة، ومنهم من يرى أنَّه الأمَّة وعلى الآخرين الانزواء بعيداً، حتى أغانيهم وأعراسهم يجب أن تكون صامتة وسريَّة، ويتحدثون بلغتهم الخاصة بعد التأكد من إغلاق الأبواب جيداً، ومن الجماعات أولئك الذين يوشحون قصائدهم بالغمز من الدكتاتوريات والطغاة، ولكنهم يتجنبون ما تلتقطه قرون استشعار الرِّقابة وشرطة الأدب وفروعها التي تحمل الأرقـام الثلاثية، ... وغيرهم من يرى أن العرب طارئون على المنطقة، وعليهم العودة إلى اليمن وربما سمح لهم بإصلاح سدِّ مأرب، كلُّ هذا يشكل "ثيمات" موضوعات لرواية، أو قصة، أو قصيدة، وكلما زادت جرعة المأساة والسِّياسة المكتومة فيها، ارتفعت أهميتها، وعلت قيمتها الأدبية والفنية، والبركة بنقاد هذه الفئة، أو ذلك الحزب، أسوق هذا ليس انتقاصاً من قيمة الأدب أو مبدعيه ورواده في بلادنا؛ فلهم الاحترام والاعتراف بالريادة والتَّفوق، لكنني طرحتُ على نفسي سؤالاً افتراضياً، ماذا لو سادت في بلادنا الديمقراطية، والحكم الرشيد، وقيم المواطنة الحقيقية، والعدل وسيادة القانون مثل الكثير من دول العالم المتقدم، ماذا سنكتب حينها؟ وأين سنجد الجنازة التي نلطم فيها، ونشق جيوبنا، ونخمش وجوهنا، كما تفعل النَّدابات أو القَوَّالات في ريف الجزيرة السُّورية، ولو كان القياس صحيحاً؛ فإنَّ مهنة القوَّالة وطقوسها شهدت بَواراً وكساداً في أيامنا هذه، ولم نعد نسمع بوجود مثل ذلك، فالنَّاس صاروا يحزنون على فقيدهم، ولا يحتاجون للنَّائحة المُستأجرة. ترى هل سيتوقف الأدباء عن النَّدب وشقِّ جيوب المعاني ولطم خدود السَّرد؟ وهل سيجترحون مظلوميات أخرى يستوردونها من أعماق تاريخ الطوائف والملل، أو يهندسونها من أفكارهم وأبراجهم الخشبيَّة التي لا أظنُّها عاجيَّة بكلِّ حال، سأجيب بالنفي لن يتوقف الأدباء عن الإبداع، ولكن ستتغير البوصلة، وفي هذا تفسير كما أظنُّ، وإجابة عن سؤال يتردَّد في مجالس النُّخبة، لماذا لا يقرؤنا الآخرون في الغرب مثلاً، حتى في الأعمال المترجمة، والتي يصرُّ أصحابها على وصف أنفسهم بكتَّاب عالميين، النَّاس في الغرب لا يميلون لكتابة فجائعية، ولا يتفهَّمون مبرراتها في بيئتها، بل يجدونها سمجة تشبه بيانات الأحزاب المعارضة اليمينيَّة أو اليساريَّة، لا فرق، إنَّهم يميلون للكتابات التي تركِّز على الفرد، مخاوفه، هواجسه، أخطائه، نجاحاته، فشله، عثراته، ردود أفعاله على التكنولوجيا المتقدِّمة، وما تفرزه من ضغوط، علاقة الإنسان بالآلة، الفضاء، التغيُّر المناخي، الطَّاقة المتجددة، الثَّقافات وتداخلها، العلاقات والحب، صراع الأجيال، العولمة ...

يبدو لي إنَه حتى الكُتَّاب الذين يعيشون في الغرب، أو أمريكا مثلاً، لسنوات طويلة، ترى رواياتهم أو قصائدهم لا تنتمي فكرياً ولا أسلوبياً إلى المكان الذي يحيون فيه، أجسامهم في باريس وأقلامهم شرق المتوسط، إنهم لا ينظرون لما حولهم، ولا لدواخلهم غالباً، ربما شذَّ عن ذلك القلائل من كُتَّاب المغرب العربي، لبنان... في حدود معرفتي، هذه ليست دعوى لقطع الصِّلة مع ثقافتنا، أو بلادنا، بل هي دعوة لتوسيع دائرة الرُّؤية، وافتتاح آفاقٍ أوسع.

هي مجرد نوع من العَصْفِ الذهني، التفكير بصوتٍ مسموع. الاستعداد لمرحلة أخرى ومستوى آخر منَ الوعي، وإذا كان ذلك كلُّه مجرد حلم، أعدكم أنَّني لن أتناول عشاء ثقيلاً دسماً في المرَّة القادمة، وأشدَّ الغطاء عليَّ جيداً؛ فالبرد هنا قاسٍ، والثَّلجُ لم ينقطع طوال الأسبوع.

● أديب سُّوري
عضو اتحاد كتاب السُّويد SFF

عملاق الأدب والفكر في عصر التحولات الكبرى

في ذكراه الـ60: العقـــاد وأربـع نســـاء

عباس محمود العقاد (1889-1964)، أحد أعمدة الأدب العربي الحديث، برز بشخصيته الفريدة التي جمعت بين الفكر الموسوعي والإنتاج الأدبي الغزير والمواقف المبدئية الصارمة. في ذكرى رحيله الستين، لا يزال العقاد يحتل مكانة مميزة في تاريخ الأدب والثقافة، حيث ترك إرثاً تجاوز مئة كتاب غطت موضوعات متنوعة من النقد الأدبي والفكر السياسي إلى سير العباقرة.

امتاز العقاد بشجاعته الفكرية ومواقفه الجريئة التي دافعت عن الحرية، سواء في كتاباته أو في مواقفه السياسية. لم يتوانَ عن مواجهة السلطة، كما تجلى في دفاعه عن الدستور وحقوق الأفراد، مما كلفه دخول السجن. كانت حياته سجلاً حافلاً بالنضال الفكري؛ فهو الذي أيد الثورة الشعبية في مصر، وناصر الشيخ علي عبد الرازق ضد التيار السائد، ودافع عن طه حسين رغم خلافهما الشخصي.

لم تقتصر حياة العقاد على معاركه الفكرية؛ فقد شكلت المرأة محوراً مهماً في حياته. خلف هذا العازب الشهير قصص حب عميقة ومعقدة مع نساء تركن بصماتهن في حياته وأدبه. من مي زيادة، التي شهدت علاقة متشابكة بين العقل والعاطفة، إلى «سارة» التي خلدها في روايته الوحيدة، مروراً بالفنانة مديحة يسري، وصولاً إلى اللقاء الشهير مع هند رستم قبل وفاته.

يعد العقاد رمزاً للتداخل بين الأدب والفكر والمواقف السياسية، وبين العقل والعاطفة، في شخصية لم تعرف المهادنة أو التردد. إنه نموذج فريد للمثقف الحر الذي عاش عصر التحولات الكبرى وساهم في صياغة مسارها.

المرمار سليمان بختي

مضى على رحيل الأديب عباس محمود العقاد (1889–1964) ستون عاماً ولا يزال يذكر في تاريخ الأدب العربي الحديث بموسوعيته وانتاجه الغزير (أكثر من مئة كتاب) ومواقفه بالدفاع عن الحرية، وعلاقته المميزة مع المرأة.

لا تزال تلك الصيحة التي أطلقها في مجلس النواب المصري ترن وتحمل جرأته وصلابته وقوة قناعاته. «من أجل الدستور يجب أن يسحق أكبر رأس في مصر». ودفع ثمنها تسعة أشهر في السجن بتهمة التعرض للذات الملكية. كان فعلاً الصوت الأعلى المدافع عن الحريات في مصر. أيد الثورة الشعبية الأولى في مصر، ولم يمنعه انتماؤه لحزب الوفد من معارضة زعيم الوفد سعد زغلول انتصاراً للشيخ علي عبد الرازق وكتابه «الإسلام واصول الحكم» 1925. ورغم خلافه الشخصي مع طه حسين فقد دافع عنه في محاكمته على كتابه «في الشعر الجاهلي». كما لم تغره هالة أو واجهة في مصر، فقد هاجم أمير الشعراء أحمد شوقي لأجل شعر مختلف. وهاجم المنفلوطي في نثره التقليدي. قدر العقاد قيمة الفرد المميّز في الأمة ودوره البناء في المجتمع. وهذا ما يفسر ربما سلسلة «العبقريات» التي أنتجها ولعلها التعبير الأبلغ عن نظرته. برع العقاد في المقالة النقدية الأدبية والفكرية والسياسية. وأغلب كتاباته بُنيت على أساس فكري متينٍ ودراسةٍ بحثية معمقة. كان العقاد ركناً فاعلاً في الحياة السياسية والثقافية ومارس حريته بلا حدود حتى أنه انقلب على حزب الوفد عندما حاول النحاس باشا أن يُلجمه في بعض مواقفه التي كان سعد زغلول ليتساهل فيها معه.

وماذا عن المرأة في حياته وقصص الحب وهو العازب الشهير؟

لعل القصة الأشهر في حياته هو حبّه للأديبة مي زيادة وكانت أشهر منه ونافسه بحبها جبران، ثمّ تفردّ في قلبها إلا أنها وضعت جبران في قمة قلبها. وكان العقاد يسخر من مي وعشاقها ويقول: «إن قلبك مثل نادي محمد علي لكثرة ما يتردّد عليه من عظماء». هو الذي استعار بيتين من شعر ابن الرومي لكي يصفها:

وغَرير بحسنِها قال صِفْها
قلت أَمْران هَيِّنٌ وشديدُ
يسهل القول إنها أحسن الأَشْياءِ طُرّاً
ويعْسرُ التحديدُ

وبحسب مصطفى أمين أن مي أحبّت العقاد الرجل وعشقت جبران الكاتب.

كانت مي تقول عنه «إنه سريع الغضب سريع الرضا وتسمي حبه «الحب المتعب». وفي كتابها» ليالي العصفورية» الذي كشف عنه الروائي واسيني الأعرج تقول: «ماذا لو كان العقاد وفياً لحب نبت كبيراً قبل أن يموت بسرعة. قتلته غيرته المميتة من جبران».

أما القصة الثانية أو المرأة الثانية في حياته فكانت سارة. سارة التي عشقها وكتب كتاباً باسمها (1938). عشقها وذاب في حبّها. وقضى معها أشقى أيامه وأقساها. لم يكن اسمها الحقيقي سارة. هي في حقيقتها – يقول العقاد – تجربة نفسية كان لا بدّ أن تكتب وكتبها. هل هي قصة واقعية ام خيالية؟ حدثت حقاً أو كانت قابلة للحدوث. علاقة استمرت لسنوات وانقطعت لسنوات. بقيت سارة الرواية الوحيدة في حصاده. استحوذ عليه الشك مثلما استحوذ عليه اليقين. الفتنة والغموض والأسرار. كتب قصتها المشهورة وكانت لم تزل على قيد الحياة. كانت امرأة تهوى اللعب في القلوب. يطردها من بيته ولا تلبث ان تعود. يموت حبها في قلبه مرات، ثم يشتعل من جديد حين تشرق أو تعود.

أما القصة الثالثة أو المرأة الثالثة في حياته فكانت الفنانة مديحه يسري. رأى صورتها في إحدى المجلات ولم يعد يستطيع النوم أو أن ينسى جمال العيون. اسمها الحقيقي هنومه خليل وكانت تلميذة في مدرسة الفنون في شبرا. وصلت إلى صالونه – صالون العقاد

برع العقاد في المقالة النقدية الأدبية والفكرية والسياسية. وأغلب كتاباته بُنيت على أساس فكري متين ودراسة بحثية معمقة

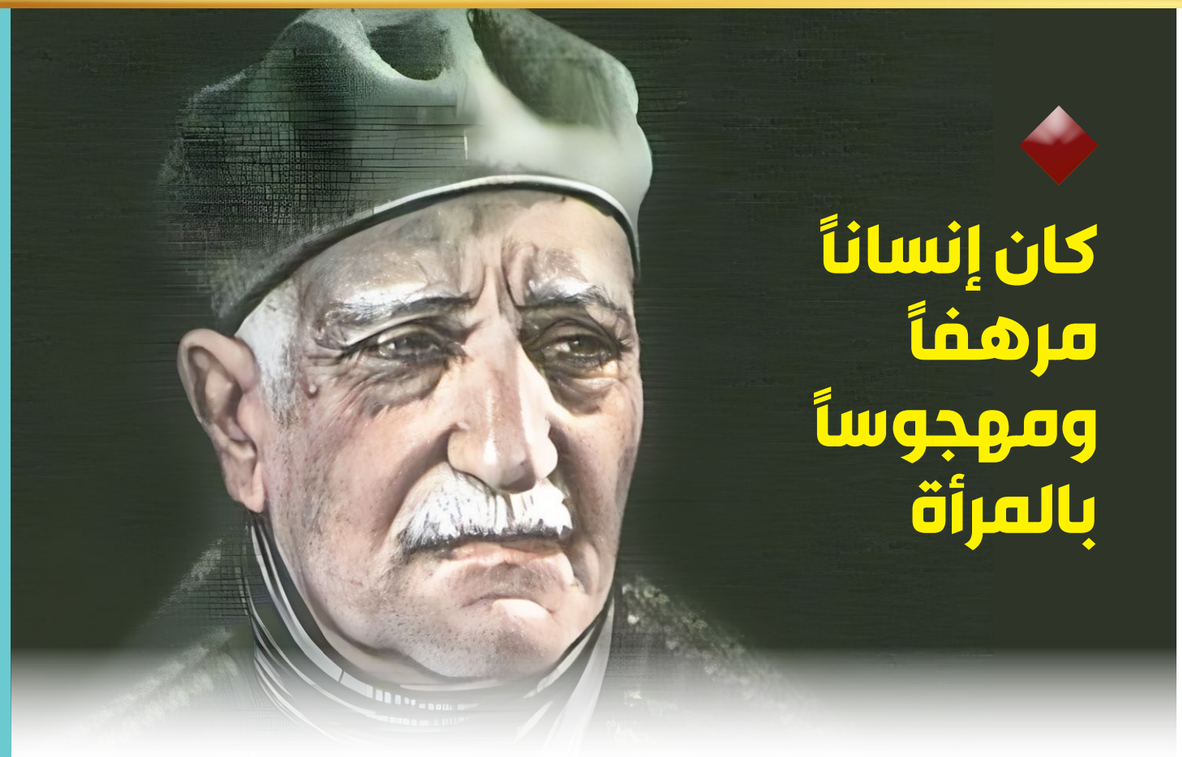

كان إنساناً مرهفاً ومهجوساً بالمرأة

الشهير. سألها: ماذا تقرأ؟ وما هواياتها؟ قالت: «الرسم والتمثيل». سألها: «هل قرأت شيئاً للعقاد»؟ قالت: «لا «. فضحك. أعطاها العقاد من خزانته كتاب «عبقرية محمد» فقرأته. أعطاها «عبقرية عمر» و«عبقرية علي» وكتابه عن سعد زغلول. حكى لها عن سارة. وضع لها جدولاً للدراسة وحصصاً بالانكليزية والعربية وسير الفنانين وسماع الموسيقى. وصار اللقاء بينهما خليطاً من العلم والأدب والموسيقى والحب والهوى.

أربع سنوات في حب تلميذة. طلب إليها أن تصنع له بلوفر بيديها لكنها أخذت المقاسات وأعطتها إلى المصنع وقدمته إليه. كتب: «خوني فأنت أحلى من الوفاء». تساءل الأصدقاء كيف يتفاهم العلامة مع فتاة لم تحصل على شهادة الإبتدائية. هي تريد أن تكون نجمة سينما وهو يريدها نجمة أدب. ذات مرة قال لها: «إن سارة عكس مي، والفرق بينهما كالفرق بين الملاك والشيطان. أنت الإثنان معاً».

وفي النهاية هربت إلى ضفة الفن ومن غيرته ورقابته. غادرت وانضمت الى مكتب محمد عبد الوهاب ومجموعة فيلمه الجديد. مثلت دوراً امام المطرب محمد أمين وأحبها وتزوجته. استدعى العقاد الرسام صلاح طاهر وطلب إليه أن يرسم صورة لهنومه والذباب يغطي وجهها.

دخلت في علاقة مع الفنان أحمد سالم. ثم تزوجت من المطرب محمد فوزي. وتطلقت منه وأصرت أن لا تعود إلى العقاد. وأصرت على الصداقة معه بلا نجوى ولا عشق ولا غرام.

تبقى القصة الرابعة والأخيرة أو المرأة الرابعة في حياة العقاد ولو أقتصرت على لقاء وحوار. كان ذلك قبل وفاته بسنة. لقاء بين فتنة الاغراء وفتوح العقل. عباس محمود العقاد والممثلة هند رستم. في 18 كانون الاول من عام 1963 سجلت مجلة» آخر ساعة» وقائع وتفاصيل اللقاء ووصفته بأنه» لقاء العقل والاغراء». قال لها العقاد إنه وجد فيها سارة جديدة. قال لها: «كلميني عن مشاكلك كأنثى». اطراها بالقول «إنك نجمي المفضل». وإنك»ملكة التعبير وليس ملكة الإغراء». ورشحها لدور سارة. سألته: هل يؤمن بحب المرأة؟ أجاب: «بل أؤمن بالحب والإرادة وأنا ضعيف أمام العاطفة. وازاء ذلك ألجأ إلى الفن والعقيدة الدينية لأن الإرادة لا تكفي».

سألته: «مم يخاف العقاد؟

قال:»الفقر». وهل الرجل مغر؟ أجاب: «القوة هي الإغراء في الرجل والعقل هو الحيلة». وفي الترميز بين الرجل والمرأة قال: «الرجل هو الشمبانزي والمرأة هي الأرنب. الشمبانزي حساس. والأرنب ناعم يتجسس ويتحسس ومولع بالسراديب». أمسك كفها طويلاً وشرح لها الارتباط بين الكف وشخصية الانسان.

وبقدر ما كان العقاد عملاقاً وجريئاً وشخصيته صلبة ومتوهجة وأقرب إلى شخصية زعيم سياسي أو رئيس حزب بقدر ما كان إنساناً مرهفاً ومهجوساً بالمرأة وذلك الطريق المعقد الذي اسمه الحب. ومعه أيضاً ذلك الخيط الناحل بين الحب والتملك والحرية.

بقدر ما كان العقاد عملاقاً وجريئاً وشخصيته صلبة ومتوهجة وأقرب إلى شخصية زعيم سياسي أو رئيس حزب بقدر ما كان إنساناً مرهفاً ومهجوساً بالمرأة وذلك الطريق المعقد الذي اسمه الحب. ومعه أيضاً ذلك الخيط الناحل بين الحب والتملك والحرية

هل الحمير تشبهنا؟!

المرمار محمود الرحبي

نزولاً من سفح (عقبة سداب)*، اعتاد السائق أن يُرخي طرف قدمه عن الدوّاسة توفيراً للبنزين، فتبدو حافلة الأجرة وهي تهبط وكأنما تتحرك بطاقة ذاتية، وحين تصل إلى قاع المنحدر، تبرد سرعتها رويداً قبل أن يعترضها مطب تمنحه آخر أنفاسها وهي تجتازه بكسل وتخبو أمامه، ثم وبكبسة مفاجئة من طرف القدم المرفوعة تنطلق الحافلة في دفعة جديدة.

وفي يوم ما، نسي السائق أمر المطب، رغم أنه لم ينسَ رفع طرف قدمه عن دواسة البنزين، أو بالأحرى لم تنس ذاكرة قدمه عملها (حيث إنَّ لكل عضو في الجسد ذاكرة كما يقال).

وحين وصلت الحافلة إلى قاع المنحدر وشرعت تخبو، ضغط على الدواسة ليحييها من جديد، ولكنه فعل ذلك - هذه المرة- متأخراً؛ أي قبل لحظات من الوصول إلى أرض المطب، الذي بدا وكأن الحافلة قد فوجئت به، لتعلو وتنخفض في حركةٍ سريعة، صرخ إثرها أحد الركاب محتجاً بعد أن استكان من هول الهزة:

- إيه.إيه. إيييييه. لسنا على ظهر حمار. انتبه يا أخي انتبه. لقد اقتلعت أمعاءنا.

يضحك السائق وهو يرفع إحدى يديه معتذراً لجميع الركاب... ثم يمط رقبته وهو يبحث عن الراكب من المرآة العاكسة (فيبدو وكأنه أمامه). يهز رأسه وهو يجاهد في قمع ضحكة أخرى جديدة أخذت تتشكل في وجهه.

ولكنه فجأة يوقف سيارته على جانب الطريق، يهبط منها ويتجه رأساً إلى ناحية ذلك الراكب، يتفرس في قسمات جسده النحيل، قبل أن يطلق عبارة واثقة:

- يا أخي يجب أن تعلم بأن الحمير تشبهنا... هذا ما قاله أبي.

الراكب لم يعره التفاتاً، بل صعر وجهه وشمر عن ساعديه، وهيَّأ نفسه في وضعية من يستعد لخوض غمار عراك مرتقب.

***

من نفس ذلك الطريق كانا فيما مضى يهبطان هو وأبوه، يتقدمهما وجه حمار. يفرجان أقدامهما في هبوطهما السريع، والأب يرفع عصاه بعيداً عن ظهر الحمار. ثلاثة أجساد اعتادت - كل صباح- العبور بصمت من ذلك المنحدر المُترب.

وكان صغيراً حينما أوقف الأب فجأة حماره في وسط الطريق، بعد أن اجتازوا المنحدر بخطوات ليست بعيدة عن ذلك المكان الذي غدا وكأنما احدودب ظهره وتحول فيما بعد إلى مطب في طريق الحافلات.

مسح الأب خرزات العرق المتسللة إلى جبهته بمنديل أخرجه من خرج الحمار، وبدون أن يلتفت إلى الصغير الصافن بجانبه، أخرج عباراته بهدوء:

- كنا أنا وجدك. في نفس هذا المكان حين أخبرني أبي بأن أباه في نفس هذا المكان أخبره أبوه أن الحمير تشبهنا.

- هل الحمير تشبهنا يا أبي؟

- نعم. هذا ما قاله أبي نقلاً عن جدي الذي أخبره أبوه نقلاً عن أبيه.....

ثم ساط فجأة جلدة ظهر الحمار الذي بردت همته، فانطلق في دفعة جديدة.

* عقبة سداب: منحدر مسفلت في مسقط كانت تذرعه أقدام الحمير فيما مضى.

خواطر قد لا تسر الخاطر

يكتبها
فيصل أبو شادي

ثراؤنا بالتاريخ... ثراء تلك التلة من أرض الأمة بالتاريخ والجغرافيا...
مَلمحُ غنى، وبؤرة طمع، ومرقد حسد، ومزار ندم، وكحلٌ للعيون، وطهرٌ للنفوس...
نحن نعود للحياة على هذه التلة...
...
دعونا لإنشودة الأمل... دعونا نعود للحياة على طريقتنا...
أيها التائهون، افعلوا ما شئتم، وتقاذفوا بما شئتم، واسألوا ما شئتم، وأجيبوا بما شئتم...
لكن... دعونا نعود للحلم.
دعونا نعود إلى الله كما نشاء.
...
سأعود إليك، أيها الحب القديم، وأُنفض الغبار عن جدرانك.
سأعود... إليَّ... سأعود إلى صوركم... إنها هناك، لا تزال معلقة على جدران كوخي العتيق، تعاند النسيان، وتسخر من الغياب.
أنفاسكم تفوح من فناجين القهوة الخالدة.. وآهاتكم وأحلامكم تُدير أسطوانة الرحيل.. وبقايا فرح ودموع هنا، على مقعد خشبي لا يزال صامداً، وباب عتيق يحرس خلفه أمانيكم.
صوركم هنا، وأصابعكم هنا تُقلِّب صفحات التاريخ... أوراقكم هنا... أسراركم... أسئلتكم هنا... أنتم هنا... لا تزالون هنا، ترصفون حجارة الشباب طريقاً لغدٍ صاخب ترقص على أوتاره فراشات الأحلام.
...
لن تغريني بغسلك أيها الرداء، ولن أستبدل غبارك وألوان أنفاسك بترف الضياع.

**

هل نعود أصحاباً كما كنا، أيها الدهر؟
ونرمم جدار العمر المشروخ، المترنح.
تسلقْ ظهره، أيها الصاحب...
بللِ بريقك جبهة النسيان...
هاكَ حجارة الشوق وارصفها بحنوٍّ العائد من سكرة الموت...
ارصفها جنباً إلى جنب، بأنامل الأحزان... ولا تنحت خصرها، فَقَدُّها مياس. ودعْ نتوءات الحياة وغورَها شاهدات حُسن وجمال.
تَهيَّب، أيها الصاحب، من رفع جدار الأيام... فاللبنة الأولى للأرض وإن تأخرت عنوان.
فالعلالي، يا صاحب، على هوى الريح ميال...
تدلى بأقدامك على صهوة العمر...
وامتشق خطوط الأيام...

وسطر عودة أحلامنا على ظهر سحابة...
تُظلل عمراً تاه بين شرخ وإيمان...
هامة ضخمة... كطيف يمشي على ظهر سراب.

**

لمحهُ ناظري من بعيد في تلك الصحراء، يتجه نحوي، يجرُّ جداراً من غبار وراءه، ويتبعه فرسٌ كره في أصله المشي.
وكلما دنا، بدت الهيئة أكثر وضوحاً...
رجلٌ ضخم الهيئة، ذو حضور مهيب، يقبض نصلَ سيفه، وجعبة سهام تتدلى على جنبه، وقوسٌ يتمطى من خلف ظهره. وإزارٌ مالت به الأيام فانسدل، وتتبعه مسيرة غبار يُسيّرها رأس سيف يخطُّ وجه الأرض. اقترب، وهممتُ واقفاً، وسرتُ باتجاهه حاملاً قربة ماء. وصلتُ إليه، فألفيته ساتراً يشتهي حزني البكاء على صدره. فارساً ضخم الجثة، مغبراً، متعباً، ثابتاً، وخلفه فرسه.
التقت عيوننا، وتحاورت همومنا... مددتُ له قربة الماء، أخذ القليل منها، وسقى فرسه. وقبل أن أسأله، باغَتني قائلاً:
«منذ أيام وأنا أجوب الصحراء... أنهكتني حيرة السؤال والمكان...
لماذا الأرض يباب؟ لا ضرع، ولا زرع، ولا ماء، ولا بشر؟
لم يعترض طريقي شيء... إلا وحوش الأرض وهوامها.
أليس من بشر هنا؟!
لا حواضر، ولا مدائن، ولا مساجد؟
أين الكعبة وبيت الله الحرام؟
وأين القوافل، والأنعام، والنخيل، والأعناب؟
وأين الجيوش، والجمال، والخيول، والرماح؟».
كلما هممتُ بسؤاله، استرسل في حديثه، وبدا الغضب عليه. باغتُّه بصوت مرتفع، حاد، قاطعاً هديره:
«من أنت؟ ومن أين أتيت؟!».
صمتَ، وهدأ الغبار من حولنا، وكأن صاحبي تَفطّن لي...
قال:
«أنا ابن قبر... خرجتُ منذ أيام من فوهة التاريخ، ووجدتُ فرسي عليَّ بابه منتظراً.
بعد أن قضّ مضجعي ورحيلي استغاثةٌ... واستجارةُ ذلك الصوت...
كلمات تخز خاصرتي، وقلبي، وروحي.
ومن حينها، وأنا أطارد الصدى...وها أنا ذا، تائهٌ في اللازمان وفي اللامكان.
من أنا؟ ومن أنت؟ وأين هم؟ وأين نحن؟
هل لديك جوابٌ، أيها الرجل؟».
قلتُ له:
«نعم، أيها الصاحب...
ها نحن نلتقي في صحراء الفقد، لنلحق خطى الأسلاف.
فالتاريخ خطَّته صيحة الفرسان...».

**

قادم من أعماق تاريخ الصحراء، ورياح واحات الأمل.
رياحٌ استظلَّ بها وحماها، وقدمها سريراً للأمان والآمال، للعابرين غرباء يبحثون عن بداية التاريخ.
كانوا أولئك الرجال الذين عظّمهم وشرّفهم الخلق قبل الخالق. نثروا بذور الدنيا والحياة، تُظللها غيوم السماء وسُحبها.
خرج من رداء التاريخ بعد أن قضَّ مضجعهُ حزنُ التاريخ، وآهات قلة الأحرار والحرائر، واستغاثة الغلمان والمآذن.
سلَّ سيفه من تحت وسادة الإرث وصاح بخيله:
«أيها الصاحب، أسرج صهيل عزك...
واحتضن رمحاً وقوساً، وجعبة الآباء والأجداد... لنعيد مسار الدرب عن خذلانه واعوجاجه.
نحن قومٌ لا ننام على ضيم حُرة تستنهض شعاع النور صباح مساء.
ويلٌ للذين توسدوا أحذية العار والذل، من صرخة الصارم البتار.
زوابع الغبار تحت أقدامهم تلوح في الأفق.
فتَهيّبوا... حوافرها تنقش وجه التاريخ، وتعيد رسم الأمل... على جبين الأيام».

**

إن صليتَ خلفي، فصلاتي صلاة مودع...
وإنْ...؟!
(فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون).
فصلاتي التالية ركعتا مُستقبل...
فصديقي، ما إن ينهي صلاتهُ، يقود قطيع الجمال، ناطحاً جبهة الشام، وأنا بالانتظار.
قد أوصيته برداء الصحراء، ورمح، وسيف، وقوس، وسهام...
(والحميَّة، والهيجاء، والبيداء، لا زلتُ أحتفظ بها هنا).
وربما يُدرك صلاة الفجر بالقدس في عودته قبل أن يُكمل.
فوصيتي له أن يوقظ أحجارها، وغيومها، وسحابها، وأجراسها، ومآذنها، ويجلب معه (لوعكة أصابتني) إبريقاً من زيتها، وسلّة من برتقالها. وطبرية تحمل سلة تفاحها تنتظرُ دربهُ. حمامات الشام تفاخر بدفء صحنها وبخارها العليل، نظافةً ودفئاً للعائدين.
وإن... ؟!
فصَل صلاة الغائب... في ساحات الأموي...
الأرض أرضي، وحبة القمح لي،
وسنبلة القمح لي، ودجلة والفرات لي،
والحاصود أنا، والبيدر لي، والمنجل لي،
والطحين لي، والتنور لي، ورغيف الخبز لي،

والسفير لي، والتبن لي،
والمراعي والماشية لي،
والحليب والجبن والسمن لي...
فكيف تريدني أن أبتلع المنجل؟!

**

ثورة الصحراء تكنس وتغربل، وتُخلّف الزوابع... ولا نجاة إلا للجمال وفرسان الصحراء.
ثورة البحار تُثير الأعاصير والدمار، ولا تُخلّف إلا الحيتان مُلقاة على رمال الشواطئ.
ثورة الطبيعة، رياحٌ وبرقٌ ورعدٌ وأعاصير، تقلب وتطيح وتقتلع وتُدمّر الأبراج وطواحين الهواء... إلا أكواخ الأمل وملاذ الأيام.
ثورة الصوت، صهيلٌ وزئيرٌ وعواء ذرى الجبال والأعالي.
لقد اشتاقت الأكمة للرقص مع الذئاب.
ثورة البنفسج، ثورة الجمال الحزين، وإيقاد جمرة البهجة تحت رماد النسيان.
ثورة الكلمات، على الحروف الساكنة، وقلب أحرف العلة وحذفها، بجرّها وكسرها ونصبها، من مبتدأ محذوف مقدّر إلى خبر ظاهر متحرك...
ثورتي أنا... أين؟ ومتى؟ على من؟ ولمن؟ وماذا ستُخلّف؟
هل ستكون كثورة الجياع لكل شيء؟!
رغم معرفتي بأننا أبرع من عليها في اللصوصية والسرقة والإفساد، ورغم وعكتي الصحية المضنية، تراني أحاول سرقة نافذة صغيرة من هذا الزمن لاستنشق بعض الهواء النظيف.

**

رغم معرفتي بأننا اشطر من عليها باللصوصية والسرقة والإفساد والتفسيد، ورغم وعكتي الصحية المضنية تراني أحاول سرقة نافذة صغيرة من هذا الزمن لاستنشق بعض الهواء النظيف.
لا أعرف بأي فصل نحن...
ولكنني أشعر بالبرد، وأشعر بالإنفلونزا، والكريب، والرشح، والبرد الشديد... وسخرية تلك المدفأة الخاوية على عروشها. (ما علينا من هذه الديباجة)
بربك يا صديقي...
كيف كل شيء من حولنا، ومن حول حولنا (مختير وعتيق)، وقديم ومتهالك، ومُهترئ؟!
بدءاً من المرافئ مروراً بمحطات الكهرباء، والماء، والنواعير، وصولاً إلى المطارات والطائرات... وعليك البقية.
بربك يا صديقي...
أفرح قلبي قليلاً... علّك تدفئ ما تبقى من شَيبتي...
أنا وأنت... هل نحن أيضاً بحاجة لصيانة وإعادة تأهيل (ورواج)، والعمل على وقف الرعشة من أيدينا، ومن رؤوسنا؟ أم أننا (قطع مستهلكة)؟
بربك يا صديقي...
كيف عصَرنا وشربنا (وبالَ علينا) كِل هذه السنوات، ونشرنا على حبل غسيله... وبقي شاباً؟!
ألستَ القائل، يا صديقي العزيز:
(الأشجار العتيقة لا تموت إلا واقفة)؟

**

طفلي يريد أن يصبح رئيساً... ولا يعرفُ كيف يقود دراجة. ما العمل؟!
«شو يصير رئيس يا حجي؟ بلد قانون ودستور يا حجي... بدو يصير رئيس!»
«والده رئيس، أمه رئيسة، أحد عائلته رئيس. أنا والده!»
«اعتذر منك يا عم... لدي عمل».
«طيب، مو صارت بلدنا بلد الحرية والديمقراطية؟».
«عليه أن يتعلم قيادة الدراجة!».
«علّمناه».
«أي نوع من الدراجات؟ يجب التخصص فيها ونيل الجوائز!».
«ما فهمت، ما الذي جمع بين الدراجة والتخصص؟»
«كيف لا، أيها الأب؟ هناك التتابع، المسافات الطويلة، الدائري، الجبلي، البهلواني...»
«ولك يا عمو، أنت صيني شي؟ بسكليت... بسكليت... يعني دراجة شعبي!»
«شعبي؟ أممي؟ المهم، بدو يصير رئيس.»
«تمام (أوكيه). لدينا دورات بسوق الحميدية، والقيمرية بالشام، والمدينة بحلب، والجسر المعلق بدير الزور. يجب أن يتمرّن في إحداها!»
«ولك يا ابني، بدو يصير رئيس! شو دخل البزورية وقاسيون وقلعة حلب؟!»
«ولـك هو الرئيس! نحن هنا... لسنا في الدنمارك والسويد!»
«بلكي سقط؟»
«ويجب أن يتعلم السير في مسرب الدراجات على يمين الطريق، ويتعلم كيف يتوقف عند ممرات المشاة والإشارة الحمراء، حتى لو كان الشارع خالياً».
«شو هالرئيس خيو؟»
«هناك خطر على حياته إن تجاوز مَسرب الدراجات (تروح تضربوا شي طريزينة... هونداي... أو عربانة كدش)».
«كوه! صرت تحكي مثلي؟ مين حضرتك؟»
«أنا الرئيس يا عـم... مو أنتَ قلت صرنا بلد حرية وديمقراطية؟»
«لك هي هييي... أبوس روحك!».

● الرقة ـ سوريا

أخلاقيّات الكتابة

فوزية أحمد

مهارة الإيجاز والاختصار الفعال هي من مهارات الكتابة التي يستخدمها الكاتب الجيد والذي يستطيع من خلاله إيصال وجهة نظره إلى الجمهور دون التشويش والحشو بطريقة تمكّن القارئ أن يفهمها، وتعد مهارات البحث والتخطيط والتحرير والمراجعة والتهجئة والنحو والتنظيم عناصر حاسمة في عملية مخرجات الكتابة.
بداية يجب إدراك الدافع الذاتي لممارسة الكتابة، والسعي في دعم الثقافة والأدب من زاوية التنوع بعيداً عن التكرار، والتوجه بشكل أفضل لتوسيع مجال الأعمال الكتابية في المجتمع، فعند كتابة رواية ما، أو فكرة أو شخصية، من الأجدى سردها بطريقة إبداعيّة خياليّة بما يتناسب مع ثقافة وقيم وأخلاقيات المجتمع، وعند كتابة النصوص والمقالات وحتى الحوارات، يعتمد على اللغة لترجمة واقع الأشياء، وإبراز قوة التمثيل السردي والشعري في الاستجابات العاطفية التي يمتلكها القارئ وتؤثر فيه كثيراً تجاه الأعمال، سواء بإحساس البهجة أو الحزن لتصل أحياناً إلى سرد التجربة للأصدقاء، وبلا شك الكتابة عملية معقدة وصعبة تستدعي وضوح التعبير والتقليص إضافة إلى الدقة والنزاهة والتي تعتبر من المكونات الأساسية للكتابة الجيدة.
اللائحة العامة التي تقوم عليها الكتابة، هي أن العمل المبرم للمؤلف مهما كان نوعه، يمثل عقداً إلزامياً بين المؤلف والقرّاء، ووفقاً لذلك يفترض القارئ أن المؤلف هو منشئ العمل المكتوب وأن أي مادة أو نص أو بيانات أو أفكار مستعارة من الآخرين يتم تحديدها بوضوح، مثال على ذلك الاقتباس والمقولات والنظريات، فأخلاقيّات الكتابة هنا واضحة جليّة، منصفة صادقة والترويج لها ينقل القراء إلى جوانب أخرى من عمل المؤلف.
قد تحدث أخطاء غير مقصودة خلال عملية الكتابة، ومن ضمنها الفكرة التي يدعي مؤلفها أنها جديدة ومبتكرة بينما تم إيضاحها وصياغتها مسبقاً من قبل شخص آخر، فإعادة اكتشاف الأفكار، ظاهرة مألوفة نسبياً في الكتابات وخاصة الأبحاث العلمية، وغالباً ما يحدث خلال فاصل زمني قريب نسبياً، قد تكون معلومة جديدة للمطّلع وكأنه يفتقر للمعلومة الأصلية أو قد تصدى لهذه الأفكار في مرحلة ما مسبقاً ولكنه تناسى.
عندما يقترض المؤلف من مصدر ما ويخفق في نسب المصدر بشكل مكتمل، فهذا يعتبر من الهفوات الغير مقصودة وخاصة مع الكتابات والأبحاث العلمية، وربما تكون أكثر الهفوات غير الأخلاقية شهرة هي السرقة العلمية والأدبيّة، والتي تعتبر من أكثر الانتهاكات المنتشرة على نطاق واسع ومن أخطرها العقد بين الكاتب والقارئ، لذا من الضروري الاعتراف بالمصادر عند الاستشهاد بها أو حتى الاقتباس، وعادة ما تكون المصادر في نهاية المستند أو الكتاب ليسهل انتقال القارئ إلى الصفحة الأخيرة والتحقق من المصدر الأصلي مما يمنح الاحترام والتقدير المناسب للأفكار التي تم استعارتها أو اعتمادها، كذلك احترام قوانين حقوق الطبع والنشر الخاصة بالكاتب الآخر مما يضمن الصدق والإنصاف ويعزز النزاهة والشفافية التي تدعم القراء على بناء الثقة بفكر وقلم الكاتب ويوفر عليه صداع الدفاع عن نفسه لأن مجرد خرق تلك التعليميات، من الصعب فيما بعد استعادة ثقة وقناعات القارئ.
أخلاقيات الكتابة تشير إلى المبادئ والتوجيهات التي تحكم كيفية إنتاج الكتاب مع تأكيد أمانة الصدق واحترام الملكية الفكرية وضمان الشفافية، وحماية الموضوعية لبناء المصداقية والثقة مع القراء، والتعهد بأخلاقيات الكتابة لا يعزز صحة المادة المكتوبة فحسب، بل يدعم الاتصال والتواصل ويعزز التأثير الإيجابي على القراء، وعند مباشرة استعمال الكمبيوتر الخاص بك، تذكر جيداً كيف تمارس النزاهة في الكتابة سواء كانت رواية أو مقالة مما يساعدك على إظهار الأصالة في كتابتك للقراء ويكسبك الاحترام لكل عمل تنشره، ومهما كانت الكتابات والروايات مبتكرة، إلا أن مساحات النقد تشكل نقطة الانطلاقة بعيداً عن تضارب المصالح مما يعكس أخلاقيات الكاتب في بناء هويّة الثقة والسعي إلى الارتقاء.
مخرج: هناك تجارب إنسانية حقيقية من كل عرق وأصل وهويّة، جميل أن تتم مشاركتها مع العالم لدمج وجهات النظر المتنوعة، وفتح الأبواب أمام سرد القصص الحقيقية لتعزيز التنوع والاحتواء والتعاطف والقيم، والسعي للتعرف على ثقافات مختلفة وتفعيلها في كتاباتنا بطريقة فعّالة.

توفيق أحمد
بين التخييل الشعري وجدلية الرؤية في ديوان "عصافير تنقر سنابل كفي"

المرمار
أحلام حسين غانم

يتبع الشاعر توفيق أحمد نهج أرسطو حين ربط الشعر بالمحاكاة، متجاوزاً حدود الشكل والموسيقى الخارجية ليغوص في أعماق التجربة الذاتية والروحية. في ديوانه «عصافير تنقر سنابل كفّي»، نرى تعبيراً عن وجدانيات تتبع من جوهر الوجود وداخله، مستخدماً لغة مشحونة بالإيحاء، تدور موضوعاتها حول الحب، الروح، الحياة، الموت، مناجاة النفس، ومخاطبة الذات.

الشاعر، كما يبدو للمتلقي، يرفض الوصاية من أي نوع، ويكتب بشفافية وحرية دون ارتباك. يتجنب المبالغات البلاغية، ربما لأنه يدرك أن الشعر الحقيقي ليس حالة شكلية سطحية، بل هو جوهر داخلي يتجسد في أعماق النص.

تُثار أسئلة عميقة عند تأمل ديوان توفيق أحمد:

هل يرى الشاعر أن الشعر هو رحلة بحث مستمرة عن جنّة مفقودة؟

هل يدرك أنه لن يجد تلك الجنة، لأنها تكمن في رحلة الاكتشاف ذاتها، وفي الإبحار داخل الذات؟

الشعر بالنسبة له تجربة تحرر من قيود الحياة ومن الخوف، ليصبح الخسارة وهماً والحرية واقعاً ملموساً. هو صوت ينبع من عمق الروح، كنشيد أبدي يتردد في الآفاق، يكسر حدود المألوف ليبدع فضاءات جديدة.

في رؤية توفيق أحمد الشعرية، يتداخل العصفور مع الشجر في علاقة لا انفصام لها؛ فلا الشجر يقصي العصافير، ولا العصافير تستغني عن الشجر. هذه الجدلية الرمزية تمتد لتشمل عناصر أخرى كالخمرة، والورد، وأنثى الأرض، والقصيدة، والضباب، وفوضى الليل. كلها رموز تتشابك لتخلق خطاباً شعرياً يحمل في طياته أسئلة فلسفية ومفارقات وجودية.

في عالم قصيدة النثر، استطاع توفيق أحمد أن يكون من رواد هذا الشكل الشعري، الذي يتجاوز التصنيفات الأدبية التقليدية. يقدم قصيدته كدعوة لإعادة قراءة التاريخ الشعري واستكشاف آفاق جديدة.

تأملات في الحب

تظهر جملة «تأملات في الحب والحياة» كمفتاح للدخول إلى عالم الشاعر. يقدم الشاعر رؤى فلسفية وشعرية عميقة تنبع من تجارب ذاتية وإنسانية، مستنداً إلى تنوع كبير في الينابيع الفكرية التي تغذي إبداعه. يكتب عن الحب والعشق ببراءة وصدق، وعن الشك واليقين كمراحل ضرورية في رحلة الإنسان نحو الحقيقة. في قصائده، يتحول الزمن إلى نسيج شعري، حيث تتداخل فوضى الليل مع غزارة النهار، ويصبح البحث عن اليقين معركة ضد الوهم، ووسيلة لاكتشاف الذات ومعناها الحقيقي.

يمثل العصفور عند توفيق أحمد رمزاً للأبدية والجمال الروحي، بينما تعكس السنابل رمزية أكثر تعقيداً. تبدو السنابل، رغم صغرها، عالماً غنياً بالمعاني والإمكانيات غير المحدودة. يضفي الشاعر عليها بعداً فلسفياً، لتصبح بوابة لفهم الحياة ورؤية اللانهاية في تفاصيلها البسيطة.

العصافير في شعره ليست مجرد طيور؛ بل هي تمثل الحرية والروح التي تبحث عن معنى الوجود. أما السنابل، فهي بؤر لامتناهية تفتح أمام القارئ عوالم خفية من الجمال والدهشة، حيث يتجلى الشعر كوسيلة لفهم الكون وأسراره.

ديوان «عصافير تنقر سنابل كفّي» للشاعر توفيق أحمد هو تجربة شعرية فريدة تتداخل فيها الفلسفة مع الشعر، والجمال مع الرمزية. يكتب عن الإنسان والحياة بأسلوب يحرر القصيدة من قيود الشكل، ليغوص في جوهر المعنى.

الشاعر يدعو قارئه لتأمل التفاصيل الصغيرة في الحياة، كالعصافير والسنابل، ليكتشف عوالم لامتناهية من المعاني. عبر هذه الرحلة الشعرية، يقدم توفيق أحمد رؤيته للحب، الحرية، والوجود، بشكل يجعل قصيدته دعوة للتأمل والتجديد.

الشاعر توفيق أحمد أسّس لتجربة شعرية فريدة تنبع من وعي روحي عميق يصل إلى جوهر الحقيقة المختبئة خلف الظواهر.

في مقدمة ديوانه «عصافير تنقر سنابل كفّي»، يستعرض الشاعر مفاهيم حداثية تتناول الجماليات الشعرية بآفاق نظرية عميقة.

تتناول المقدمة عنصرين أساسيين: الأول عام، يشرح موقفه التنظيري والنقدي تجاه قصيدة النثر، والثاني شخصي، يعكس رؤيته الذاتية. يؤكد الشاعر أن «شعرية الدهشة» هي القدرة على تقديم رؤية جديدة، مبتكرة وعميقة، وهي الأساس الذي بنى عليه تأملاته في الحب والحياة.

ديوان «عصافير تنقر سنابل كفّي» للشاعر توفيق أحمد يمثل نموذجاً لتجربة شعرية متفردة، تتجلى فيها جدلية الروح والجسد، الذات والعالم، الحرية والقيد

رمزية الحلم

ديوان «عصافير تنقر سنابل كفّي» يُعتبر من أبرز أعمال قصيدة النثر الحديثة، حيث تتداخل الصور الشعرية لتخلق عوالم متشابكة من الدلالات الرمزية والوجدانية. العصافير في الديوان رمز للحرية والروح الباحثة عن كينونتها المفقودة، بينما السنابل تعكس الخصوبة والمعنى المختبئ في تفاصيل الحياة.

الشاعر يواجه في نصوصه حالة صراع أبدية بين الروح والجسد، بين الذات الباحثة عن الحرية والقيود المادية التي تحاصرها. في نص «عزّزي إرادتي باستقصاء أشيائك»، يقول:

«لا أريدَ لِخُصْلَتَيْ شعركِ أن تكونا سائبتَين
إلا للريح وأصابعي
ما يكتبونهُ أواخرَ الليلِ عن استرخاءِ زُنَّارِكِ
وعن ثمارك التي تُقطَفُ عشوائيًا
ما هي إلاَ تُهمٌ جائرةٌ
بحقِّ القلب والجسد
في تلك الأروقة المُعْتمة».

هذه اللغة الشعرية تَنقلُ القارئَ إلى أروقة روحه، حيث يتقاطع الألم مع الحلم، والواقع مع الخيال.

الكتابة والتجربة

الكتابة عند توفيق أحمد هي انعكاس لذات قلقة، تختزن تجارب الحياة وأسرار الكينونة. في نصوصه، تبدو الذات كأنها تسبر أغوار المجهول، محاولة تفسير الوجود بمفردات شعرية تفيض بالإحساس. يقول:

«حضورك في الغياب والحضور
هو الحاجَة الدائمة لتقبّل الروح في الحياة...
ولتقبّل الروح لروحها
في عوالمها المَجهولَة الصَّعبة على التَّفسير والشروحات».

في نص «آخر العشاق»، يظهر الشاعر قدرته على تحرير اللغة من قيودها المعتادة، ليخلق علاقات جديدة بين المفردات تفاجئ القارئ وتثير دهشته. يقول:

«افتحي كفَّيك أكثرَ
لأرى سَفَرَ الغوايات في ضمير اللوعةِ واللهفة...
لك خيَاراتُ الصمت أو المجابهةُ، أما الهُدْنَةُ فلَا أحبُّها».

هنا، تصبح اللغة أداةً للكشف، والتأويل مفتوحًا على احتمالات لا نهائية. المسافة الزمنية وذاكرة القصيدة الشاعر يرى أن القصيدة ذاكرة حية للأزمنة، تتحدى الزمن بأطيافه المتبدلة. يقول:

الشعر كبحث عن الحرية

«مَنْ يَمْنعُ رغيفَ التنور أن يروي حكايته للبَرْد المحاذي؟
كان عليهم أن يعرفوا أنَّ صدرَكِ فجْرٌ ومأوى للعصافير عندما تستيقظُ من رُقادٍ مُؤقَّت».

في هذا المقطع، تتحول القصيدة إلى كيان حي ينقل نبض الزمن ويحتفظ بذاكرة اللحظة.

التأمل والبحث

يتجلى التخييل الشعري عند توفيق أحمد كوسيلة لاكتشاف المطلق في تفاصيل الحياة. يقول:

«كان العابرون الصامتون الذاهلون
لا يعبؤون بظلالهم المرميّة على الجوانب
بينما قامتُها
تنسكبُ فيها البراءةُ والانديا ح
وتطير عن الأرض كريشة
ليحتضنَها الأفقُ القريب».

هذا التَخييل يجمع بين الواقع والرمزية في مشهدية شعرية تنبض بالجمال والدهشة. الشاعر يعبر عن ضراوة المعاناة الوجودية الناتجة عن مكابدة التشظي في الذات. يقول:

«سلامٌ على كل عينين تحاورانِ
فتشعلانِ اليقظةَ بمزيد من الحُلم والرَّفاه...
وسلامٌ عَلى الحرائق الَّتي تُرَمِّدُ فَاعليها
لينهضوا من جديدٍ
يرتكبون عبثًا جميلاً جديداً».

هنا، يظهر الشاعر كمنقذ للحظات الحلم من الضياع، ملتقطاً الجمال المنفلت من تحت رماد الألم.

ديوان «عصافير تنقر سنابل كفّي» للشاعر توفيق أحمد يمثل نموذجاً لتجربة شعرية متفردة، تتجلى فيها جدلية الروح والجسد، الذات والعالم، الحرية والقيد.

الشاعر يخلق نصاً شعرياً يحتفي بالجمال في كل تجلياته، ويحرر القصيدة من الأشكال التقليدية، لتصبح وسيلةً لاكتشاف المطلق في تفاصيل الحياة اليومية. بأسلوبه المتوهج، يقدم الشاعر رؤية شعرية حافلة بالدهشة والإبداع، تجعل من قصائده مغامرة فكرية وشعورية في آن واحد.

المايسترو الصارم وأيقونة النقد البنّاء

حلمي بكر

لم يكن مجرد ملحن بل كان حارساً أميناً على هوية الموسيقى

حلمي بكر، اسم لا يغيب عن ذاكرة الموسيقى العربية، عبقري جمع بين موهبة التلحين وجرأة النقد، ليصبح أحد أعمدة الفن العربي الراقي. مسيرة امتدت لعدة عقود جعلته مرجعاً في الأصالة والإبداع، وناقداً لا يخشى مواجهة التحديات في عالم يتغير بسرعة. من ألحانه العذبة التي لامست القلوب إلى آرائه الجريئة التي أثارت الجدل، كان حلمي بكر نموذجاً استثنائياً للفنان الذي يحمل رسالة ويرسم طريقاً مميزاً في عالم الفن.

نشأ في بيئة موسيقية صقلت موهبته منذ الصغر. بدأت رحلته مع الألحان من خلال تعلم العزف على العود والبيانو، وهي أدوات شكلت قاعدته الموسيقية الصلبة. استطاع أن يمزج بين الأصالة والحداثة، محافظاً على الهوية الشرقية في ألحانه التي أبهرت الملايين.

لم يكن حلمي بكر مجرد ملحن؛ بل كان ناقداً جريئاً يرى في الموسيقى رسالة سامية. لم يترك خطأ دون أن يشير إليه، ولم يتردد في مواجهة أي انحراف عن الأصالة التي طالما دافع عنها. رؤيته النقدية لم تكن هجوماً من أجل الهجوم، بل كانت دعوة للتجديد القائم على احترام القواعد الفنية.

تعاون مع أعظم الأسماء في عالم الغناء العربي، وقدم أكثر من 1500 لحن يعكس عبقرية فريدة. أغانٍ مثل «في يوم وليلة» لوردة الجزائرية و«طاير يا هوى» لعليّ الحجار لا تزال تشهد على بصمته الإبداعية.

بوفاته في مارس 2024، فقدت الموسيقى العربية أحد أبرز حراسها وأهم روادها. إرثه الموسيقي والنقدي سيظل شاهداً على رحلة فنان استثنائي جمع بين الموهبة والإصرار، وترك بصمة لا تمحى في ذاكرة الفن العربي.

المزمار

حلمي بكر، اسمٌ يتردد في أروقة الموسيقى العربية كرمز للالتزام والإبداع والنقد الجريء. طوال مسيرته، لم يكن حلمي بكر مجرد ملحن عادي، بل كان مدرسة قائمة بذاتها، قدمت للوسط الفني نخبة من الأغاني والألحان التي لا تزال محفورة في ذاكرة الجمهور العربي. ومع ذلك، فإن تاريخه الفني لم يتوقف عند الإبداع الموسيقي فقط؛ بل امتد ليشمل دورًا بارزاً في النقد الفني، حيث اشتهر بآرائه الصريحة والجريئة التي كان لها أثر كبير على المشهد الموسيقي، خاصة مع الجيل الصاعد من الفنانين.

وُلد حلمي بكر في 6 ديسمبر 1936 في حي السيدة زينب بالقاهرة، ونشأ في بيئة تعج بالأصوات الشرقية الأصيلة. منذ صغره، كان مولعاً بالموسيقى، وتعلم العزف على العود والبيانو، مما شكّل أساساً متيناً لفهمه العميق للموسيقى العربية.

تميزت ألحانه بالجمع بين الأصالة والحداثة، حيث حرص على الحفاظ على الهوية الموسيقية العربية مع تبني تقنيات جديدة تضيف للأغنية بُعداً معاصراً. من أشهر أعماله التي تعكس هذه الرؤية: «في يوم وليلة» لوردة الجزائرية: أغنية جمعت بين البساطة في اللحن والرقي في الأداء.

«طاير يا هوى» لعلي الحجار: عمل مزج بين النغمات الشرقية والطابع الشعبي بطريقة مبدعة.

لم يكن حلمي بكر ناقداً عادياً، بل كان صاحب رؤية واضحة لا يقبل المجاملات. عُرف عنه مواقفه الجريئة تجاه ما يراه ضعفاً أو انحرافاً عن مسار الموسيقى العربية الأصيلة

«ماتتغيريش» لنجاة الصغيرة: لحن يحمل روحًا رومانسية خالصة.

عين لا تخطئ الزيف

لم يكن حلمي بكر ناقداً عادياً، بل كان صاحب رؤية واضحة لا يقبل المجاملات. عُرف عنه مواقفه الجريئة تجاه ما يراه ضعفاً أو انحرافاً عن مسار الموسيقى العربية الأصيلة. لم يكن يتردد في التعبير عن آرائه بشكل مباشر، حتى لو أغضبت البعض. بالنسبة له، كان الفن رسالة سامية يجب الحفاظ على معاييرها العالية.

كان حلمي بكر دائم الانتقاد للجيل الجديد من الفنانين، خاصة أولئك الذين اعتمدوا على الشهرة السريعة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أو الذين قدموا أغانٍ وصفها بأنها تفتقر إلى الجودة.

ومن أبرز مواقفه:

مهاجمة الأغاني الهابطة: رأى أن العديد من الأغاني الحديثة تقدم محتوى يفتقر إلى القيمة الفنية، وتستغل الجمل اللحنية السهلة لإرضاء الجمهور على حساب جودة الموسيقى.

ضعف الأداء الصوتي: كثيراً ما انتقد الأصوات الجديدة التي تعتمد على التكنولوجيا لتحسين أدائها، مؤكداً أن الصوت الجيد لا يحتاج إلى تعديلات إلكترونية.

التقليد الأعمى: اعتبر أن تقليد الغرب في

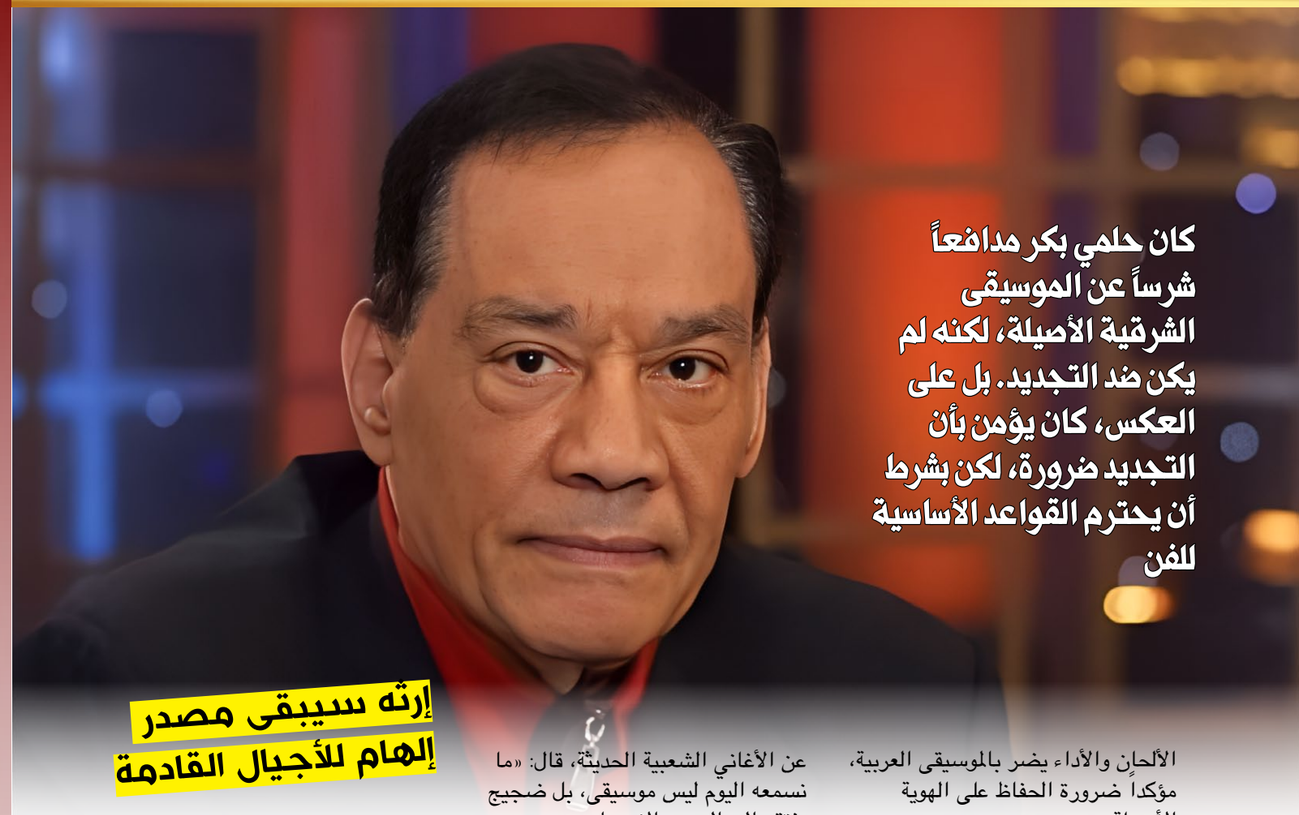

كان حلمي بكر مدافعاً شرساً عن الموسيقى الشرقية الأصيلة، لكنه لم يكن ضد التجديد. بل على العكس، كان يؤمن بأن التجديد ضرورة، لكن بشرط أن يحترم القواعد الأساسية للفن

إرثه سيبقى مصدر إلهام للأجيال القادمة

الألحان والأداء يضر بالموسيقى العربية، مؤكداً ضرورة الحفاظ على الهوية الأصيلة.

عندما سُئل عن أحد المطربين الجدد الذين حققوا شهرة واسعة، رد قائلاً: «هذا ليس مطرباً، بل ظاهرة مؤقتة ستنتهي قريباً».

عن الأغاني الشعبية الحديثة، قال: «ما نسمعه اليوم ليس موسيقى، بل ضجيج يفتقر إلى الروح والإحساس».

رغم انتقاداته اللاذعة، كان حلمي بكر دائم الحرص على دعم المواهب الحقيقية. كان يرى في بعض الأصوات الشابة بصيص أمل لإحياء الموسيقى العربية، وكان يقدم لهم نصائح قيّمة للمضي قدمًا بثبات في عالم الفن.

علي الحجار ومدحت صالح: كان له دور كبير في اكتشافهما وتقديمهما كأصوات شابة قادرة على حمل لواء الأغنية العربية.

ميادة الحناوي: ساعدها في تقديم أغانٍ خالدة أكدت مكانتها كنجمة من طراز فريد.

كان حلمي بكر مدافعاً شرساً عن الموسيقى الشرقية الأصيلة، لكنه لم يكن ضد التجديد. بل على العكس، كان يؤمن بأن التجديد ضرورة، لكن بشرط أن يحترم القواعد الأساسية للفن. كان يرى أن هناك خيطاً رفيعاً بين الإبداع والتشويه، ودائمًا ما حذر من التعدي على هوية الموسيقى العربية تحت مسمى التجديد.

بعد وفاته في 1 مارس 2024، ترك حلمي بكر إرثًا هائلًا من الألحان التي تشهد على عبقريته الموسيقية. كما ترك أثرًا في مجال النقد الفني، حيث شكلت آراؤه مدرسة فريدة تجمع بين الصرامة والرؤية الواضحة.

أكثر من 1500 لحن

قدم أكثر من 1500 لحن تنوعت بين الأغاني العاطفية والوطنية والدينية.

كان عضواً دائماً في لجان تحكيم البرامج الموسيقية، حيث لعب دوراً كبيراً في توجيه المتسابقين وتقييمهم بصرامة.

استضافته العديد من البرامج الفنية، حيث كان صوته دائماً حاسماً في القضايا الجدلية التي تخص الفن والموسيقى.

كان حلمي بكر دائم التذكير بأن الموسيقى ليست مجرد صناعة، بل هي فن يحمل قيماً ورسائل إنسانية. كان يرى أن المسؤولية تقع على عاتق الفنانين في الحفاظ على هذا الإرث العظيم. في إحدى مقابلاته، قال: «الموسيقى العربية شجرة ضخمة جذورها عميقة، وما نراه اليوم هو مجرد محاولة لقطع تلك الجذور. لكن الجيل الجديد يجب أن يدرك أن الحفاظ على تلك الجذور هو مفتاح نجاحه واستمراريته».

حلمي بكر، الملحن الذي أعطى الموسيقى العربية روحاً جديدة، والناقد الذي لم يتردد في مواجهة الخطأ، سيظل اسمه محفوراً في ذاكرة الفن العربي. لم يكن مجرد ملحن، بل كان حارساً أميناً على هوية الموسيقى، يرفض أن تنحرف عن مسارها الأصيل. برحيله، خسرنا قامة فنية عظيمة، لكن إرثه سيبقى مصدر إلهام للأجيال القادمة.

العمود الثامن

طاعون الفشل والنجاح

علي حسين

ظل المثقفون العرب حائرين بين جان بول سارتر وغريمه ألبير كامو، وأمضى الراحل عبد الرحمن بدوي نصف عمره يحل ألغاز كتاب سارتر الشهير «الوجود والعدم» من أجل أن يُقدمه للقارئ العربي وكان عدد كبير من المثقفين العرب يلاحقون كل ما كان يكتبه أو يقوله فيلسوف الوجودية.. صف طويل من المثقفين تأثروا بسارتر، فيما البعض الآخر كان يفضل أعمال فيلسوف العبث ألبير كامو.

أتذكر أنني عندما بحثت عن رواية «الطاعون» لكامو وجدت نسخة طبعتها إحدى دور النشر المتواضعة، فيما كان الغريم سارتر يَحظى بعناية دور نشر كبرى في مصر أو لبنان.. قبل أكثر من عام وقعت تحت يدي طبعة جديدة من رواية «الطاعون»، وقد صدرت بعد أن اجتاح العالم وباء كورونا.. وقررت أن أعيد قراءتها لأتوقف عند معنى الوباء الحقيقي الذي يجتاح المدن ويزحف نحو البيوت، وقد أكتشفت أن كامو يريد منا نحن القراء أن ندرك أمراً جوهرياً وهو أن نعمل جاهدين على أن لا يصبح الوباء قانوناً يتحكم في مصائر الناس.

في واحدة من أجمل حواراته يحاول كامو أن يُعلّمنا معنى أن يتربى الظّلم والطغيان والوباء في أحضاننا (ينشأ الشر في العالم عن الجهل، وربما تسبب النوايا الحسنة من الضرر بقدر ما تسبب النوايا السيئة إذا افتقرت إلى الفهم، ولعل أكثر الرذائل المستعصية على التقويم هي من قبيل جهل الذي يتوهم بأنه يعرف كل شيء، ومن ثم يدعي لنفسه الحق في قتل الآخرين). ورداً على سارتر الذي كتب ينتقد الرواية على أنها تؤسس لأخلاق تسقط التاريخ ولاتجاه نحو العزلة السياسية، يؤكد كامو في رسالة إلى صديقه اللدود (لا أرى مناقشة جدلية للرد عليك سوى عشق جارف للعدل وهو ما يبدو لي خارجاً عن المنطق.. إنك ببساطة ترى اليأس بمنظارين، أما أنا فأرى اليأس وقد توزع على الجميع.. ولا دواء للطاعون إلا بإعلاء شأن العدل ومحاربة الجور الأبدي، وأن نخلق السعادة بغية الاحتجاج على عالم تسوده التعاسة.. في رفضي لليأس ولذلك العالم المعذب، إنما أطالب البشر بإعادة اكتشاف تضامنهم ليشنوا حرباً على قدرهم البغيض).

يُعلمنا كامو أن الأمم لا يُصيبها الوباء إلا عندما ينتشر الفشل والانتهازية. ولهذا تجدنا نعيش في مدن الطاعون مع أناس همّهم الوحيد احتقار الآخر، تراهم يسخرون من تضحيات شباب الاحتجاجات لانهم خرجوا يُطالبون بالاصلاح، ويستكثرون عليهم أن يقولوا كلمة لا في وجه سياسي فاشل. عندما تجد من يدعون المعرفة والثقافة يُجندون أنفسهم للدفاع عن ما يجري من خراب، فعليك أن تدرك أن الوباء الحقيقي الذي اجتاح البلدان ليس مرضاً يمكن معالجته، وإنما وباء انتشار الوصولية والانتهازية.

***

كان في العاشرة من عمره عندما تملكه احساس ان مدينته دبي يمكن لها أن تصبح الأولى في هذا العالم المترامي الاطراف، كان ذلك عام 1949، وقف مذهولاً وسط مطار هيثرو في لندن يشاهد ضجيج الحركة والحياة ويتساءل مع نفسه: هل بإمكاننا أن ننقل هذه الحيوية والحركة إلى مدننا، وننشئ مطارات تزاحم مطارات العواصم الكبرى. بعد ما يقارب النصف قرن سيتفوق مطار دبي على مطار هيثرو، ويتربع بامتياز على عرش الأفضل عالمياً. وسيقرأ الشيخ محمد بن راشد خبر النجاح منشوراً في الصحف البريطانية، فيتذكر ذلك الفتى الذي سعى لتحويل الحلم إلى حقيقة وتراءت له صورة جده الذي حكم هذه المدينة بالمحبة والرحمة والتعاون.

في مذكراته التي أطلق عليها عنوان «قصتي»، يكتب محمد بن راشد أن الدول تنجح عندما يأتي قادة تكون أحلام شعوبهم، أكبر من أحلامهم الشخصية.

تُكتب المذكرات عادة من أجل ابراز الحقيقة، وقد وضع الفرنسي شارل ديغول عنوانا لمذكراته «الأمل»، فيما أصر صاحبنا ابراهيم الجعفري ان يذكرنا أن تجربته في الحكم كانت هي الافضل، ولم يترك لنا مجالا لأن نقول له لماذا يا رجل سعيت الى تحويل العراق الى بلد من بلدان الدرجة العاشرة؟ لا تكف دبي عن مطاردة الاحلام، وبث الأمل، مشاريع ومؤتمرات وجوائز كبرى تقول كلاماً واحداً «نحن هنا»، فيما يكتب محمد بن راشد في تهنئته لأحد الفائزين بجائزة نوبل العرب – نوابغ العرب –: «إن منطقتنا غنية بالعقول القادرة على صنع إضافات حقيقية للمعرفة البشرية في العديد من المجالات» . نهضة عمرانية تسير جنباً الى جنب مع النهضة الثقافية والفنية، وقد اختصرها ضياء العزاوي بأنها تسير بسرعة البرق، كل يوم هناك مشروع في الامارات، وهناك شباب يجسدون مقولة معلمهم حاكم دبي: «المحرك الأساسي لنا يجب ان يكون الطموح والإلهام». وسيرى الزائر للإمارات العربية أنه كلما زادت مداخيل الاقتصاد وانتعشت حركة العمران، زادت معها مشاريع الثقافة التي تأخذ بالبلاد والناس نحو المستقبل.

ظل العرب يشكون من نوبل السويدية التي دائماً ما تدير ظهرها لمبدعيهم الكبار، وانتبه البعض إلى أن الجائزة لم تكن بريئة احياناً من الانحياز السياسي والثقافي، وكان الرد اماراتي: انشاء جائزة عربية في مجالات الطب والعمارة والاقتصاد والهندسة والتكنلوجيا والعلوم الطبيعية والآداب والفنون، تعيد للعقول العربية احترامها، وتقدم للشباب العربي، نماذج يحتذى بها في الاجتهاد والسعي والفكر النير. أنّى تذهب في دبي تحيطك لمسات حاكمها المثابر، وتجد الجميع في مؤسسات الدولة يسبقهم مسؤول فائق في المعرفة، وباحث عن المزيد منها، وساعياً لأن يأخذ العرب مكانتهم المستحقة في هذا الزمن. أتطلع الى وجوه الفائزين بجائزة نوابغ العرب ويهمس لي الدكتور أحمد زايد: «أخيراً استطعنا أن نثأر من المرحوم الفريد نوبل».

● كاتب عراقي

كيف شكّلت ألحان بليغ حمدي ذائقة العصر؟

بليغ ووردة الجزائرية

حمزة الشماري

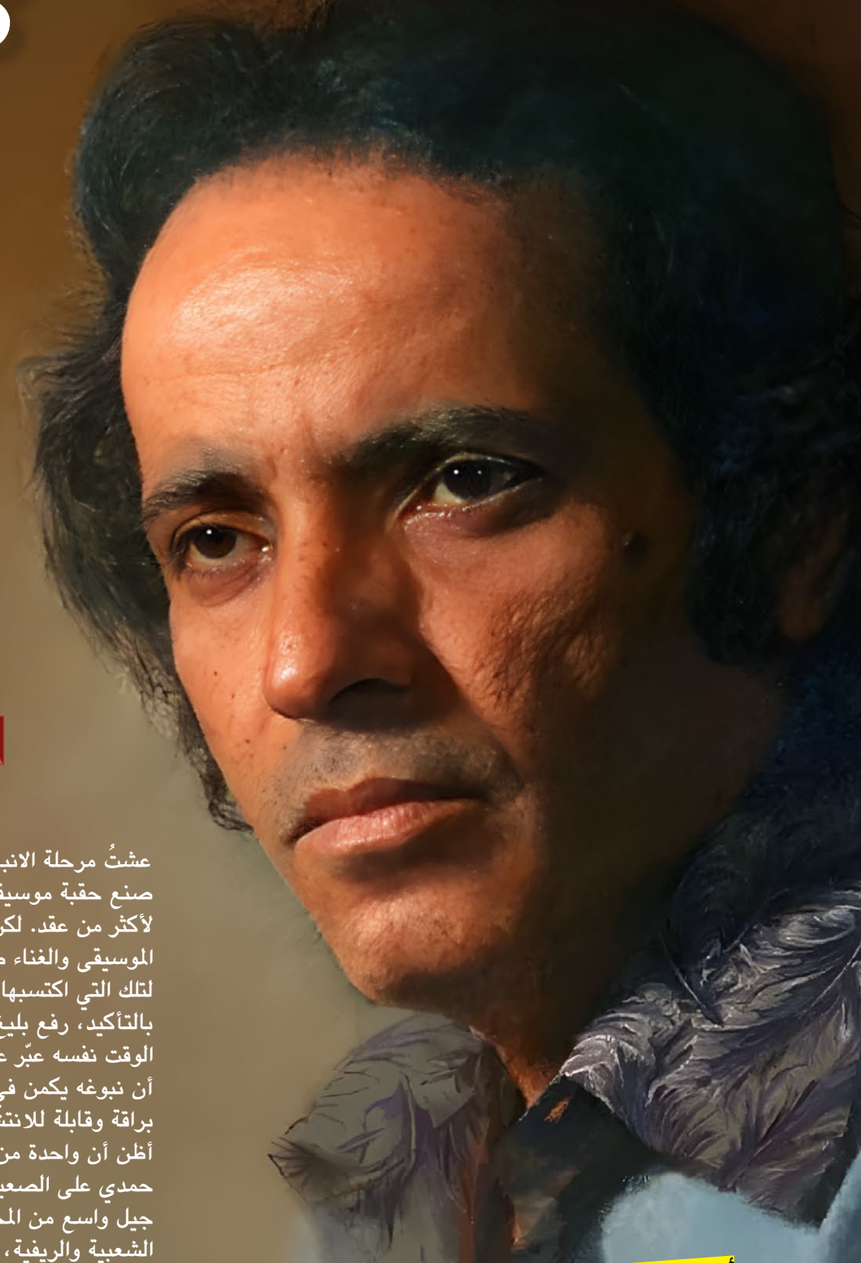

عشتُ مرحلة الانبهار بألحان بليغ حمدي. لا شك أنه صنع حقبة موسيقية بدأت أواخر الستينيات واستمرت لأكثر من عقد. لكن بليغ، بصراحة، أضفى على الموسيقى والغناء طابعاً شعبوياً. لعله اكتسب هالة مماثلة لتلك التي اكتسبها سيد درويش، لكن بطريقة مختلفة. بالتأكيد، رفع بليغ من قيمة الفن الشعبي، لكنه في الوقت نفسه عبّر عن انخفاض سقف الذائقة. لا شك أن نبوغه يكمن في قدرته على خلق جُمل لحنية براقة وقابلة للانتشار.

أظن أن واحدة من أسباب انتشار بليغ حمدي على الصعيد الاجتماعي هو ظهور جيل واسع من المجتمع الهامشي والطبقات الشعبية والريفية، الذين استفادوا من مجانية التعليم وأصبح لهم تأثير أكبر مقارنة بالسابق. هذا يتقاطع مع منجزات إيجابية جعلت التعليم متاحاً للجميع، بعد أن كان محتكراً بين الطبقات العليا. إنها مسألة تثير الاشمئزاز من طبيعة الأنظمة القديمة ذات النزعة الطبقية.

لكن إذا عدنا إلى جانب آخر كان له دور في انفجار شعبية بليغ، نجد ظهور الكاسيت، الذي سمح باتساع سوق الغناء. فقد قلّل كلفة الحصول على الأغاني المسجلة ضمن ألبوم، مقارنة بالأسطوانة ذات التكلفة الأعلى، وكذلك أجهزة التسجيل.

كان العصر يتغير، وبليغ هو من نجح في التقاط ملامحه وصنع تحولاته باتجاه الروح الشعبية. هذا جعله بطلاً لعصره، لكن ليس بمعنى أنه عبقري.

بصراحة، ما العبقرية في ألحان مثل «على حسب وداد» أو «جانا الهوى»؟ يمكن النظر إلى أغنية مثل «عدوية» للفنان محمد رشدي بشكل مختلف. إنها تتسق مع صوت رشدي وأسلوبه. ومنذ أن انفجرت «عدوية» وبعض الألحان لرشدي، انبهر بليغ نفسه بهذا النجاح وتقوقع فيه. لكن هالته ظلت تسمح له بالمرور، لأن العصر يعيد إنتاج الذائقة ويكررها لفترات طويلة، كما ستفرض الثمانينيات مزاجها على صناعة الكاسيت لاحقاً.

هكذا أصبحت صناعة الموسيقى تعيش أزمة يمكن تسميتها «بليغية» بين الملحنين. ففي كل عقد تطغى هيمنة ملحن، يستهلكه النجاح حتى ينزوي، من صلاح الشرنوبي وصولاً إلى عمرو مصطفى. مع الفارق أن كلاً منهم كان تمثيلاً لزمنه أو عصره.

لكن سطوة بليغ ظلت قائمة بحكم انتسابه إلى مرحلة الكبار، وهي الهالة التي صنفت أسماء بعينها، مثل محمد الموجي وكمال الطويل وآخرين، بحكم تلحينهم للسيدة أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وغيرهم.

بصراحة، لا تعجبني ألحان مثل «على حسب وداد»، «أنا كل ما أقول التوبة»، أو حتى «سواح». إنها ما زالت تحظى بشعبية واسعة، لكنها لا تعجبني. ومع ذلك، كان بليغ مبتكراً أيضاً في بناء جسر بين الغناء الشعبي وما كان راقياً في عصره.

إنه ذروة الرومانتيكية، إذ كانت حقبة في أوروبا بدأت بالسماح لتدفق التعبير الطافح بالذات والمشاعر والانفعالات، إلى أن أصبحت موسيقى ذات طابع قومي أو محلي، بعد أن كانت تعبيراً واسعاً عن سياق ثقافي أوسع، أي «أوروبية». لكن أيضاً، الحراك الاجتماعي يتطلب التحولات، وعلى غراره تحدث. فإما تمضي قدماً أو ترتد. لأن المرحلة الذهبية أيضاً كانت انعكاساً لذائقة سائدة في عصرها. وإن لم تكن تلك الذائقة بلغت من الوعي والخبرة ما يدفع عجلة التطور الموسيقي إلى مراحل أعلى، فإن التطور في بعض الاتجاهات كان تعبيراً عن تدهور.

أصبحت صناعة الموسيقى تعيش أزمة يمكن تسميتها «بليغية» بين الملحنين. ففي كل عقد تطغى هيمنة ملحن، يستهلكه النجاح حتى ينزوي، من صلاح الشرنوبي وصولاً إلى عمرو مصطفى. مع الفارق أن كلاً منهم كان تمثيلاً لزمنه أو عصره.. لكن سطوة بليغ ظلت قائمة بحكم انتسابه إلى مرحلة الكبار

أسطورة الشاشة العربية

فاتن حمامة

لم تخدعها النجومية يوماً

فاتن حمامة ليست مجرد فنانة لامعة، بل أيقونة خالدة سطّرت اسمها في تاريخ السينما المصرية والعربية. بدأت مسيرتها منذ طفولتها، واختطّت لنفسها طريقاً فريداً يتسم بالوعي والالتزام الفني. اشتهرت بصورتها «النظيفة» التي جمعت بين البراءة والاحترافية، مما جعلها محبوبة الجماهير ورمزاً للرومانسية الهادئة.

على مدار عقود، قدمت أدواراً متنوعة، بدءاً من الفتاة البريئة إلى الشخصيات المتمردة والجريئة التي عكست قضايا مجتمعها وتحولاته. حافظت فاتن على توازن دقيق بين الشهرة والتواضع، بين التألق الفني والاختيارات الواعية. أعمالها، التي استقت كثيراً من النصوص الأدبية، تجاوزت حدود الفن لتصبح جزءاً من الذاكرة الثقافية الجماعية.

بذكائها وحضورها الطاغي، لم تكن فاتن حمامة مجرد «سيدة الشاشة العربية»، بل رمزاً للإبداع والالتزام الإنساني، وهو ما رسّخ مكانتها كنجمة أبدية تأسر القلوب والعقول.

المرمار

المرمار ناهد صلاح

كتبت لها الأقدار أن تكون نجمة منذ طفولتها، وكتبت هي لنفسها ألا تبرح حيزاً معيناً لا يضيق بها، ولكنه يحقق تصوراتها عن الفن والحياة ويصبح بوصلتها التي ترشدها في اختياراتها المتمهلة والواعية بالنموذج الذي أرادته لنفسها حتى لا يُقال لها إنها شبيهة بأحد أو إنها لا أحد، كما قال لها والدها معنفاً بعد أن صفعها على وجهها لما رأى غروراً أصابها في تعاملها مع زملاء دراستها بعد أن اختارها المخرج محمد كريم وهي ابنة الخمس سنوات في دور الطفلة أنيسة أمام نجم النجوم حينذاك محمد عبد الوهاب في فيلم «يوم سعيد» (1940)، وكتبت عنها الصحافة إنها «شيرلي تمبل مصر»، وأصبحت بين ليلة وضحاها النموذج الذي يتطلع إليه الأطفال ويحبه الآباء والأمهات، دخلت البيوت من أوسع أبوابها، فكبرت قبل الأوان وداعب الغرور قليلاً عمرها الصغير، لكنه توقف بعد صفعة الأب التي حددت وجهتها في خطواتها الأولى وجعلتها تتواضع في التعامل مع البشر وتخشى فقدانهم، لأنها أدركت أن هذا يعني فشلها ومن هذه النقطة رسمت لنفسها ما يسمى بالصورة النظيفة في السينما، تلك الصورة التي كانت تلمع في ذهنها حين ترى نفسها على الأفيشات كلما مرت على صالة عرض سواء أكانت في المنصورة موطن عائلتها أم بالقرب من حي عابدين الذي قضت فيه صباها. الصورة النظيفة لازمتها في أدوارها المتدرجة من الصبية والفتاة البريئة والرومانسية ملاك الرحمة وحتى الفتاة المسكينة ومكسورة الجناح التي تجتاحها قسوة الزمان في العديد من الأفلام الميلودرامية مع مخرجها الأشهر حسن الإمام، البنت المظلومة والمغلوبة على أمرها كسائر بنات مجتمعها اللاتي رأين فيها صورتهن ومعاناتهن مجسدة على الشاشة حتى في الأفلام الرومانسية رأينها تحقق أحلامهن بسهولة وتحب بالنيابة عنهن وتجد لهن فارس أحلامهن وحبذا لو كان حنوناً ودافئاً (عماد حمدي) أو مطرباً يغوي الفتيات بفنه وصوته فريد الأطرش أو عبد الحليم حافظ. وهذا الاحتراف الذي مارسته من فيلم إلى آخر لم يجردها من براءتها التي لم تتخل فاتن عنها حتى لا تخدش صورتها في نظر جمهورها وهي من دخلت بيوتهم مرحباً بها منذ أنيسة في يوم سعيد (1940 – محمد كريم). حتى نرجس في أرض الأحلام (1993) داوود عبد السيد).

مشت فاتن حمامة على جسر النجومية وصار لها هذا الحضور المغناطيسي حتى في الأدوار العادية. وجه حالم ناعم وروح تتراوح بين الهدوء والتحفز صوت شديد الأنوثة والألفة، عينان سوداوان تأسران من يشاهدهما، يستقر في الذاكرة سكون

مشت فاتن حمامة على جسر النجومية وصار لها هذا الحضور المغناطيسي حتى في الأدوار العادية. وجه حالم ناعم وروح تتراوح بين الهدوء والتحفز صوت شديد الأنوثة والألفة

وجهها الغامر بالحب المرسل من هاتين العينين، ومن جبين كالأفق الصافي يتصدر وجه يهجس ويهدر بالكثير من الأسرار وإن بدا ساكتاً. فأصبحت أيقونة الرومانسية التي تنضح بسحر هادئ يتسلل في صمت. لكن خلودها في صورها المتعددة والمسكونة بحيوية ما جعلتها تترأس جمهورية التمثيل النسائي، أو رشحها لتكون سيدة الشاشة العربية أو نجمة القرن كما لقبها واختارها مهرجان الإسكندرية في العام 2001، بأدوار سكنتها وسكنتنا وتمردت فيها على الشكل التقليدي، لتخرج اللؤلؤة» كما وصفها خيري شلبي من محارتها في أدوار بلغت جرأتها حد الصدمة عند جمهورها، لكنها عزت الجزء الخفي في شخصية فاتن حمامة والمدفوع بنكائها في أغلب الأحيان، وهو الذكاء الذي رصده زوجها السابق عمر الشريف في العديد من حواراته: «الحضور العقلي عند فاتن يطغى على حضور الجسد». وكما كانت هي حلم اليقظة لكثير من الفتيات تمنين أن يحققن النهايات السعيدة وينجحن كما تنجح شخصياتها في السينما وتفوز بقلب الحبيب في نهاية الفيلم عزفت سوناتا التغيير في أدوارها التي صنعت وجوها جديدة من نضوجها الفني الذي برز في تحول انعطافي حاسم مر به المجتمع المصري بعد ثورة يوليو / تموز 1952 حيث أصبح للمرأة دور مغاير، وكذا أصبح للطبقات العاملة والفلاحين حضور أبهى وأقوى، وتحوّل آخر في حياتها الشخصية التي انقلبت رأساً على عقب بعد دورها الشهير مع عمر الشريف في فيلم صراع في الوادي (يوسف شاهين). وانفصالها عن زوجها المخرج عز الدين ذو الفقار لتتزوج هذا الشاب الوسيم ميشيل شلهوب، الذي أصبح عمر الشريف، فنتعرف على شخصيتها الواقعية أكثر من أدوارها، منحت عمر بريقاً من نجوميتها ومنحها هو هذا الألق الذي صاحب أدوارها، ليغير هذا الحضور الرومانسي الهائل دربها إلى دروب أخرى شديدة الاختلاف والتنوع وإذا كان دور المراهقة الشريرة الذي في «لا أنام» 1957، رواية إحسان عبد القدوس وإخراج صلاح أبو سيف هو الدور المناقض للصورة البريئة لفاتن حمامة، فإن البدوية آمنة في دعاء الكروان (1959)، رواية طه حسين

● مع زوجها عمر الشريف

وإخراج بركات، كان نقطة تحول عظيمة في مشوار فاتن حمامة خصوصاً أنه قبل التصوير دعاها الدكتور طه حسين لمقابلته وقال لها بسخرية وانت تقدري تفهمي دور آمنة؟

حافظت فاتن على توازن دقيق بين الشهرة والتواضع، بين التألق الفني والاختيارات الواعية

قالت فاتن فهمته كويس وهزّ طه حسين رأسه بسخرية فخرجت فاتن من عنده باكية، وقد شعرت بالإهانة وقالت المنتج الفيلم: لماذا اخترتموني لهذه البهدلة؟ وتم تصوير الفيلم وحضر طه حسين العرض الخاص مع أسرته، وفوجئت فاتن به بعد انتهاء العرض يقول لها: «إن خيالي وأنا أكتب آمنة هو بالضبط الذي فعلتيه أنت». وتغير الزمان، وزاد تنوع أدوارها وخصوصاً المأخوذة عن نصوص أدبية، فكانت «نوال في نهر الحب» 1960، آخر فيلم أخرجه لها زوجها السابق عز الدين ذو الفقار، وليلى المتمردة في «الباب المفتوح» 1963 عن رواية لطيفة الزيات، وإخراج بركات والفلاحة عزيزة في «الحرام» 1965، عن رواية يوسف إدريس وإخراج بركات، وكذلك نعمت في «أفواه وأرانب» (1977) – إحسان عبد القدوس – بركات)، وذروة جرأتها كانت الشخصية التي جسدتها في «الخيط الرفيع» 1971 عن رواية إحسان عبد القدوس، الذي حاول أن يبرز فيها الشعرة الدقيقة بين الحب والتملك، والأفلام الأخيرة كانت بعد انفصالها عن عمر الشريف ودخولها في نفق آخر من التحدي، فالسيدة ذات المسيرة المستقرة حتى وإن مرت بثلاث زيجات كل واحدة لها حالتها الخاصة، حافظت على مسيرتها الفنية والهالة البراقة للنجومية التي لم تخدعها يوماً.

***رحلت عن الدنيا 15 يناير 2015**

قرارات العام الجديد

روضة الحاج

قرّرتُ في العام الجديدْ
ألا أعكّرَ صفوَ نفسيَ مطلقاً
أن أحتويها
أن أدلّلها
فقد أتعبتُها حتى وهَتْ
لكنها ظلت
على ذاتِ العهودْ!
قررتُ في العام الجديدْ
ألا أبرّرَ أيّ شيءْ
ألا أفسّرَ أيّ شيء
ألا أُراهِنَ في الحياةِ
على قريبٍ
أو بعيدْ!
ألا أردّ على مكالمة
ستكسرُ خاطري مثلاً
وألا اشتري من باعني
ألا أجامل
من يُضايقُني وجودي بينهم
مثلاً
فإنّي قد تعبتُ
ولن أزيد!
قرّرتُ في العام الجديدْ
ألا أقولَ لراحلٍ عني
انتظر!
مهما غلا
من شاءَ أن يبقى
ففي عيني
ومنْ شاءَ الرحيلَ
أعنتُه
ما دام ذلك ما يُريدْ!
قرّرتُ في العام الجديدْ
ألا أفتّشَ في عيونِ الناسِ
عنّي!
لن أراني جيداً
مرآةُ ذاتي
طالما صدقتْ معي
فكأنما بصري حديدْ!
ألا أرجّي من سواي
سعادةً
فرحاً
غماماً ماطراً
يكفي انتظاريهم
سأسعدُني
وأضحكُ من حكاياتي
كما أبكي معي
فقد اكتفيتُ من الجحودْ!
قرّرتُ في العام الجديدْ
أن أستريحَ منَ العناءاتِ التي
شربت رجاءاتي
وعاثت في دمي
سهراً وأسئلةً
وساقتني إلى المنفى من المنفى
وألقت بي إلى هذي الصهودْ
قرّرتُ في العام الجديدْ
ألا أبدّدَ طاقتيَ
في الركضِ خلفَ سرابهم
في البحثِ عن أسبابِهمَ
وحضورهِم وغيابِهم
وملامهم وعتابِهم
وسؤالِ نفسي ما بهم؟
فالعمرُ محضُ سحائبٍ عجلى
تمرُ ولا تعودْ!
قرّرتُ في العام الجديدْ
أنّي سأغفرُ دائماً
لي
للذين أحبهم
للعابرينَ
وللصداقاتِ التي خذلتْ يقيني
للذي أكملتُه بتخيلي
يبقى التغافلُ مهرباً أسمى
ومفتاحا
يحرر هذه الروحَ التي
رسفت طويلاً في القيودْ!
قررتُ في العام الجديدْ
أني سأتركُ ما مضى خلفي
سأرمي ثقلَه عن كاهلي
وأسيرُ في هذي الحياةِ خفيفةً
كي أستعيدَ سلامَ ذاتي
مرةً أخرى
وبعضَ طفولتي
وسأستعيدْ!
قررتُ في العام الجديدْ
أن أبدأَ العمرَ الجديدْ!

● شاعرة من السودان

الفنان فواز يونس لـ المرمار:

الفن التشكيلي لا يمكن تأطيره بمدرسة بعينها

المرمار عبد الكريم البليخ

في حوار جمعنا به عاد الفنان التشكيلي فواز يونس إلى بدايات شغفه بالفن التشكيلي وكيف تمكن بجهد فردي أن يقلد المناظر الطبيعية والقصص الشعبية، حتى أصبح اليوم واحداً من الفنانين الذين يؤمنون بأن المدارس الفنية هي ابتكارات بعض مدّعي النقد الفني والمتطفلين عليه الذين لا يمتّون إلى النقد بصلة.

بجهد فردي، وبعيداً عن أخذ بيد أي معلم تمكن الفنان التشكيلي السوري فواز يونس من تقليد رسم القصص الشعبية مع بداية انطلاقته الأولى، من أمثال قصص علاء الدين والمصباح السحري، عنترة بن شداد وحبيبته عبلة، سيف بن ذي يزن، تغريبة بني هلال، فتوح الشام، ألف ليلة وليلة، هارون الرشيد والسيدة زبيدة، فضلاً عن دليلة المحتالة وعلي والزيبق، وغيرها كثير. هذه القصص بالمجمل نمّت الخيال لديه، وجعلته يَسبحُ ويهتم بعوالم أسطورية، وهي مزيج من الحقيقة والخيال والوهم والرغبة في تشخيص أبطال هذه القصص على الورق ودفاتر الرسم، أمثال عنترة بن شداد وهو على صهوة جواده، وحبيبته عبلة والرشيد، وهو يسامر زوجته زبيدة، مستخدماً في ذلك قلم الرصاص والألوان الخشبية والمائية البسيطة.

هكذا بدأ يونس يتلمس أولى مراحل الرسم والتصوير البدائي والبسيط دون أي معلم يسدي له النصح لعدم توافر مثل هذا المعلم المهتم الناضج فنياً والمتمرس بهذا الفن في تلك الفترة، لذلك كان يقلد ما كان يشاهده من رسومات بسيطة في تلك الكتب والصحف والمجلات، وبمرور الزمن تعمّقت تجربته، وبدأ يَجدُ متعةً كبيرة، وهو يرسم صور بعض الأشخاص من معارف وأصدقاء وأقرباء بالقلم الرصاص أحياناً وبالفحم أحياناً أخرى. ثم دخل عالم الرسم والتصوير بالألوان الزيتية وتقليد بعض صور اللوحات العالمية.

لوحاتي تعبّر عن أفكاري ومشاعري انطلاقاً من العقل الواعي والفكر العميق

ويذكر أنه رسم أفيش لوحة كبيرة الحجم بالألوان الزيتية لأحد الأفلام الأجنبية المعروضة في سينما الزهراء في الرّقة، مسقط رأسه، بطلب من صاحب السينما، وكان طالباً في الصف السابع الإعدادي آنذاك .. كما رسم لوحة زيتية لطفلة صغيرة تقبضُ بيدها على سماعة الهاتف، وإلى جانبها تجلس قطة صغيرة، وعرضتُ هذه اللوحة في معرض مدرسي في

إعدادية الرشيد في الرّقة في نهاية العام الدراسي، وحضر زوار كثيرون من أهالي الطلاب لمشاهدة المعرض حيث لفتت أنظارهم.

رسَم الرّقة والرقاوية

بمرور الوقت تعمّق لديه حبُّ الفن التشكيلي، وكان سبباً في انتسابه إلى دار المعلمين في مدينة حلب فرع التربية الفنيّة الذي درس فيه أصول الرسم والتصوير المائي والزيتي، وعلم التشريح وعلم المنظور والضوء واللون والظلال والجمال، وتاريخ الفن الإغريقي والروماني والعصور الوسطى والمدارس الفنية على اختلافها وتنوعها وحتى فن العصر الحديث، وذلك لمدة أربع سنوات، حتى تخرج منه معلماً لتدريس مادة التربية الفنية في مدارس الرّقة الإعدادية والثانوية والصف الخاص.

وخلال عمله في مهنة تدريس مادة التربية الفنية اطلع على أعمال ولوحات عباقرة الفن الكلاسيكي والرومانسي والواقعي والانطباعي والسريالي والتكعيبي والتجريدي من أمثال روبنز، رامبرانت، ديلاكروا، وفلاسكيز، أدوار مانيه، وكلود مونيه، فلاسكيز، ماكس إرنست، فان غوغ، بول غوغان، ماتيس، سلفادور دالي، وبيكاسو وغيرهم الكثير من الفنانين الأجانب والعرب.

وبدأ برسم الطبيعة الصامتة والمناظر الطبيعية الفراتية المحيطة به، ورسم المرأة والفتاة الرقاوية في أوضاع ومواضيع جمالية شتى: وهي تتزين، وهي تغسل وتجلي الصحون، وهي تسرّح شعرها.

كما رسم الرجل الرقّاوي وهو يبيع ويشتري في سوق الغنم، وهو يعزف على الربابة، وعلى الزمارة، وهو يدبك.

أقام يونس عدّة معارض فنية مع نهاية العام الدراسي، إلى أن سافر إلى الجمهورية الجزائرية معاراً للتدريس في مدارسها.

وعن المدارس الفنية المدارس الفنية التشكيلية التي اهتم بها ولفتت نظره، يقول الفنان في حوار مع "المزمار"

"إنّ الفن التشكيلي يشتمل على الرسم والتصوير والنحت والحفر والعمارة، وقد أبدعه الإنسان الفنان الأول منذ فجر التاريخ وسطره على جدران الكهوف والمعابد والقصور والقلاع قبل ما يسمى بالمدارس الفنية التشكيلية الحالية.

وتسمية أغلب هذه المدارس هي من نهفات وابتكارات بعض مدّعي النقد الفني والمتطفلين عليه الذين لا يمتّون للفن ولا للنقد بصلة بالمطلق. الفن التشكيلي محيطٌ شاسعٌ لا شطآن له ولا يمكن تأطيره بمدرسة معينة ولا بأسلوب معين. وكذلك لا يصحُّ تأطير الفنان المبدع بأسلوب معين ومدرسة ما لا يمكنه الحياد عنها، وإلا اعتبر فناناً مُقلداً وناسخاً، وليس فناناً مبدعاً ومجدداً.

ويتابع "قد أخذت المدرسة الانطباعية اسمها وشهرتها من جملة ساخرة أطلقها الناقد الفرنسي لويس لوروي على لوحة الفنان الفرنسي كلود مونيه (انطباع شروق الشمس) .. وهي تمثل منظراً طبيعياً تتخلله أشعة الشمس، فقال الناقد المذكور عنها ساخراً: انظروا إلى الانطباعيين، وهكذا انتشر اسم المدرسة الانطباعية. وكذلك قال أحد النقاد ساخراً واصفاً تمثالاً كلاسيكياً معروضاً في معرض للفنانين المرفوضين في باريس، (انظروا تمثال دوناتللو بين الوحوش)، وهكذا انتشر أيضاً اسم المدرسة الوحشية. والحديث في هذا المجال متشعب وطويل، والخلاف فيه بين الفنانين والمتذوقين والمتطفلين ومدعي النقد الفني يطول ويتشعب".

ويؤكد "أن تطور المدارس الفنية التشكيلية وتعددها واختلافها في الأساليب والمواضيع هو ناتج عن رغبة الفنانين المبدعين في التجديد والابتكار والإبداع، والابتعاد عن التكرار واجترار ما سبق من فنون تشكيلية. أمّا هو فليس مقيداً بأعماله الفنية باسلوب مدرسة معينة، لأنه عندما يرغب في إنتاج عمل فني معين لا يفكر بأي مدرسة فنيّة، والهدف العمل على صوغ خطوط وأشكال وألوان وتكوينات ورموز وإيحاءات جديدة ومعبّرة، وأهم ما يتميز به الفنان التشكيلي المبدع هو الحرية المطلقة في التعبير عن أفكاره وآرائه وعواطفه ومشاعره، وهو منهمك في خلق عمله الفني وصياغته، ومن هنا يمكن أن تحدد المدرسة الفنية التي ينتمي إليها".

ويوضح أن الهدف من الفن هو "لتعبير عن الجمال المطلق، وما يتضمّنه من معان روحية وأفكار وآراء عقلية. وهو أهم هدف يسعى الفنان التشكيلي للتعبير عنه، ولذلك سميت الفنون التشكيلية بالفنون الجميلة. وهي تُدرّس في كلية الفنون الجميلة. فالمدارس الفنية التشكيلية فيها الغثّ وفيها الثمين، وفيها الجميل وفيها القبيح والبشع والمنفر، مهما كان الفنان الذي رسمها وصورها، وأنتجها مشهوراً ومعروفاً عالمياً، لأنه بتصويره ورسمه للقبح والبشاعة هذا ما يعني أنه خرج عن الهدف الأسمى لهذه الفنون، وهو التعبير عن الجمال المطلق الذي يثير البهجة الروحية والمتعة البصرية لدى المشاهد الذواق لهذه الفنون الجميلة".

تعبير عن الواقع

أنتج الفنان فواز يونس مجموعة كبيرة من اللوحات الزيتية والأكريليك في مواضيع شتى ومدارس شتى أيضاً، ومنها الكلاسيكية والواقعية والانطباعية والسريالية العقلانية والتجريدية.

وعن سبب اهتمامه بالفن الكلاسيكي، وبالبيئة الفراتية وتراثها الغني، يقول "أغلب لوحاتي الفنية التشكيلية هي من الفن الواقعي والتعبيري والرمزي والانطباعي والسريالي الذي يعتمد على العقل والفكر الواعي السليم، وليس على

لا يصحُّ تأطير الفنان باسلوب معين ومدرسة لا يمكنه الحياد عنها وإلا اعتبر فناناً مقلداً وليس مجدداً

الأحلام والهواجس والكوابيس، وما يسمى بالعقل الباطن، لأنها تعبر عن واقعنا المعاش في مدينة الرّقة بما فيه من عادات وتقاليد وأزياء وفلكلور وتراث وبيئة وطبيعة رقّاوية وفراتية، لا سيما أنها تعد جزءاً لا يتجزأ من هذه البيئة، وهذه الطبيعة، وهذا التراث. لذلك فمن الطبيعي أن أعبّر فنياً وتشكيلياً عن عواطفي ومشاعري وأفكاري ورغباتي وآلامي وآمالي التي عشتها وعاصرتها، وعاينتها وعانيتها في هذه البيئة الفراتية، مثل لوحة أحلام ربيعية، وقارئة الفنجان، وأعطني المكحلة يا بنيّة .. وسوق الغنم (الماكف)، وهي تجلي الجلي وقلبها يغلي غلي، و زفّور عازف الربابة، وأبو فيصل عازف الزمارة، والدبكة الرقاوية، ومناظر طبيعية عديدة عن مدينة الرّقة والفرات، والرّصافة وجبل الأربعين، وشواطئ رأس البسيط وغيرها".

ولكنه، يشير، إلى أنه أنتج أيضاً لوحات عديدة بالأسلوب السريالي العقلاني المرموز، أي الذي يعتمد على العقل الواعي والفكر العميق، أو ما يسمى (بالأنا العليا)، الذي يوظف كل خط أو شكل أو لون أو رمز في اللوحة للتعبير عن هدف معين يقصده الفنان في لوحته، بعكس المدرسة السريالية التي تعتمد على العقل الباطن الذي يوحي لها بالأحلام والخيالات والأوهام والهواجس التي يحيكها العقل الباطن.التي لجأ فيها بعض الفنانين السرياليين المتطرفين إلى تعاطي المخدرات بأنواعها لكي تغيبهم عن العقل الواعي، والانحدار إلى قاع العقل الباطن (الأنا الدنيا) لكي يعبّر بعد ذلك عمّا رآه في أحلامه من خيالات وأوهام وهواجس لا علاقة لها بالواقع والحقيقة، ولا قيمة لها، وليس لها أي هدف أو مضمون روحي ووجداني سامي ومفيد.

ومن لوحاته في هذا الأسلوب: لوحة الحرب، المتواكلون، البكاء على الأطلال، الأقزام يطاولون العمالقة، رباعية السجن، وغيرها. كما أنه أنتج لوحات فنية تشكيلية تجريدية عديدة، ومنها لوحة العزف على أوتار الزمن، ولوحة الألماس، وأعاصير الروح، وبالتجريد نبدي ونعيد، وحوار الألوان. وأنتج لوحات عديدة عن الأشخاص والوجوه (البورتريه) وبأسلوب مميز عمّا هو سائد، خاصة باستغلال خلفية اللوحة بشكل جمالي يخدم تعابير الوجه المرسوم في مقدمة اللوحة جمالياً ومعنوياً، ومنها صور شخصية له ولأبنائه وبناته وزوجته وأحفاده. رسمها بأسلوب مميز ومعبّر وجميل حسب رؤيته الخاصة للجمال.

وعن الفرق بين الفن الواقعي والفن التجريدي يضيف "الفن الواقعي هو محاولة الفنان التشكيلي للتعبير عن الواقع المعاش والمشاهد بصرياً بواسطة الخطوط والأشكال والألوان، كالبشر والشجر والحجر والبحر والشمس والقمر والسماء والغيوم، والطبيعة عموماً وكل ما يمكن أن يراه الفنان التشكيلي بعينيه بصرياً، ويتفاعل معه عاطفياً، ويشعر بجماله ونشوته ومتعته روحيّاً معنويّاً، كالمدرسة المثالية (الكلاسيكية)، والرومانسية والانطباعية، والوحشية والواقعية الجديدة والتكعيبية.

ويضيف "أما الفن التجريدي فهو محاولة الفنان التشكيلي التعبير عن العواطف والمشاعر والجمال الداخلي غير المرئي واقعياً. كالروح والحب والسلام والحرب والخير والشر، باعتبارها قيماً إنسانية مجردة ليس لها شكل معين واحد محدد في الطبيعة، كالشمس والقمر والبحر والشجر والبشر. ولذلك يخلقها الفنان من بنات أفكاره وعواطفه ومشاعره

فنان يرسم الوجوه بأسلوب مميز

تجاهها .. فهو لا يقلد الواقع والطبيعة عندما يصوغها ويبدعها ويحولها من عوالم مجردة غامضة إلى مجموعة من الخطوط المتشابكة والأشكال المتداخلة والألوان المتحاورة على سطح اللوحة الفنية أو الكتلة المعمارية".

ويرى الفنان أن "العمارة تظل أكثر الفنون التشكيلية تجريداً؛ لأن المهندس المعماري الفنان الأول هو الذي ابتكرها من خياله الخصب وموهبته الفذّة، فليس في الطبيعة عمارة بيوت وفلل وقلاع وقصور ومعابد وكنائس ومساجد وأبراج وجسور قبل أن يبدعها ويخلقها ويبتكرها الفنان التشكيلي العبقري بشكل جميل، ولذلك ابتكر الخطوط والأشكال والزخارف الهندسية، وملأها بمساحات لونية متحاورة منسجمة أحياناً ومتنافرة أحياناً أخرى، منتظمة أحياناً وفوضوية أحياناً أخرى، ولكن هدفها الأساسي هو التعبير عن الجمال المجرد المبتكر من خيالات وعواطف ومشاعر الفنان التشكيلي البحتة. وليس من مفردات الطبيعة المرئية".

الجدير ذكره أن الفنان التشكيلي فواز يونس، ابن مدينة الرّقة في سوريا، سبق له أن أشرف على تخريج العديد من الفنان التشكيليين، ممن كان لهم حضورهم على الساحة الفنية، ونجحوا في هذا المشوار.

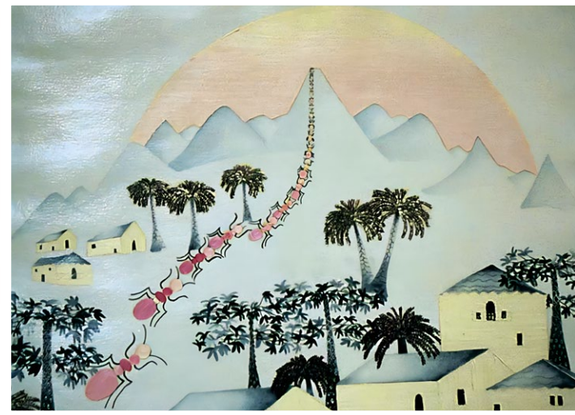

أيقونة القدس المسكونة بالحلم والأمل

جمانة الحسيني

لوحاتها منحازة لمقامات الطفولة المهمومة بقضايا الوطن

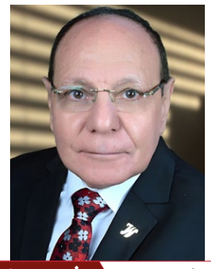

المرمار وفيق صفوت

كالفراشة التي تحلق مبتهجة في حدائق مترعة بالزهور والورود، حلقت التشكيلية جمانة الحسيني في عالم الفن، هذا العالم الذي يشبهها وتشبهه. أعلنت منذ البدايات انتسابها المطلق للحق، فالحق جمال. حملتها ريشتها وألوانها إلى ملاعب الطفولة، إلى القدس، وأريحا، ويافا، وكل مدنٍ وقرى وربوع فلسطين التي احتشدت دوماً في المشهد الذي أفصحت عنه الفنانة في معظم أعمالها.

يعتبرها النقاد علامة تشكيلية نسوية بارزة، ومبدعة متميزة في ميادين اللوحة الفلسطينية التعبيرية، الغنية بمساحات الرؤى التجريدية، والمحكومة بحسبة شكلية ميزانها التبسيط والتحوير الشكلي لمفردات مستعارة من بيئتها العتيقة في مدينتها الخالدة القدس القديمة. هي موصولة بمحسوس الرموز الإنسانية المسكونة برهافة الوصف، وشفافية اللون، وعبقرية توزيع الكتل الشكلية في أرجاء اللوحة.

الناظر إلى لوحات جمانة الحسيني يكتشف فيها مسحة جمالية تعبيرية تتجاوز واقعية اللقطة التصويرية، لتسير في مجون القصيدة الشعرية ذات المحتوى الشعب

ولدت الفنانة التشكيلية الفلسطينية جمانة جمال الحسيني بمدينة القدس في عام 1932. ترتبط الفنانة وعائلتها العريقة بالمدينة المقدسة منذ القرن الثالث عشر الميلادي على أقل تقدير. تقلد أجدادها أعلى المناصب المدنية والروحية في المدينة، وكان قريبها مفتي القدس وفلسطين في طليعة قيادة المقاومة ضد الانتداب البريطاني والمشروع الاستيطاني الصهيوني.

والدها جمال الحسيني شغل منصب الأمين العام للجان التنفيذية للحركة الوطنية الفلسطينية، وأميناً عاماً للمجلس الإسلامي الأعلى، ثم رئيساً للحزب العربي الفلسطيني. كما ترأس الوفد الفلسطيني إلى لندن في عام 1936. أما والدتها، نعمتي العلمي، فهي سليلة عائلة مقدسية عريقة، وكانت مصدر الإلهام الأول لشغف جمانة بالفن التشكيلي.

درست جمانة العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية في بيروت، لكن شغفها بالفن دفعها إلى عالم الخيال والحلم، حيث

درست الرسم والنحت والخزف لفترة قصيرة أثناء دراستها للعلوم السياسية، ثم تابعت دراسة فن الزجاج الملون في باريس.

عندما نقرأ تقنيات لوحات جمانة الحسيني، نجد أنها تعاملت معها بطريقة مشابهة لتقنيات التشكيل الورقي، حيث تُقسم اللوحة إلى مجموعة من المساحات اللونية المرصعة وفق تقنيات التصوير الفني المعاصر. هي خارجة عن نمطية اللمسة المدرسية التقليدية، تحلق في سرب التعبيرية من حيث الفكرة والتقنية والأسلوب. تأخذ من فنون الكولاج حالة تعبيرية شكلية لفُسيفساء جمالية ولونية من نوع آخر، حيث لا تحافظ على واقعية المشهد المرسوم، بل تطلق العنان لمخيلتها الخصبة ويدها الماهرة.

الشمس، القمر، العصافير، المساجد، المآذن، والشخوص كلها تتجسد في لوحاتها عبر أشكال هندسية مجدولة ومرصعة في إطار متواليات من المثلثات والمستطيلات والمربعات والنجوم وأنصاف الدوائر. أما اللون، فهو محمّل بالتناقض بين فضاء الأبيض والأسود ومباهج لونية متدرجة مستلهمة من واحة ألوان غنية.

الناظر إلى لوحات جمانة الحسيني يكتشف فيها مسحة جمالية تعبيرية تتجاوز واقعية اللقطة التصويرية، لتسير في مجون القصيدة الشعرية ذات المحتوى الشعبي، حيث تهتم بإبراز ملامح مبسطة باللون المتجانس كدلالة وصفيّة على براءة الأطفال المشدودين إلى مساحة أحلام اليقظة. حكاياتها البصرية تلامس جوهر حالتها النفسية، وتعكس روح طفولتها، ورهافة حسها التعبيري، وتجسد التراث الشعبي الفلسطيني ببساطة شكلية وخصوصية تقنية.

هكذا، استطاعت جمانة الحسيني أن تحول أحلام الطفولة وهموم الوطن إلى لوحات تحمل في طياتها قصص الأرض، وتُخلد عبرها تاريخ فلسطين وثقافتها. هي ليست فقط فنانة تشكيلية، بل شاهدة على الزمن بروح طفل وقلب مناضل.

إن لوحات الفنانة جمانة الحسيني منحازة دائمًا لمقامات الحلم الشخصي المزوج في شخوص وأماكن مستعارة من طفولة مهمومة بمساحة وطن، وبقايا ذاكرة عالقة في واحة خيال ومساحة تعبير فني، معنية فقط بفسحة التعبير الفني الحر المتحرر من قيود النسبة والتناسب المتبعة في الرسم المدرسي الأكاديمي، خروجًا ملحوظًا عن سياقات الفنون التشكيلية الفلسطينية النمطية الممجدة للبندقية والمحاربين، عابرة حدود التبسيط المقصود لبيوت وأماكن عبادة إسلامية ومسيحية، مربوطة بشفافية اللون المزوج بالرقة والحنو الإنساني، ورقص العصافير المغردة في واحة شمس وقمر وفضاء المدينة المقدسة.

كما أن لوحاتها التصويرية المعمارية والإنسانية في نفس الوقت تغدو لعين المتلقي وكأنها وليمة بصرية خارجة للتو من مختبر ذاكرتها الذي لا ينضب، والمندرجة في توليفات المساحات الشكلية المحملة بالزخرفة الهندسية والنباتية والحيوانية المتآلفة، والمتعانقة بشكل أو بآخر مع أحاديث الأهل وحكايات الجدود، سيما العصافير المحلقة في فضاء اللوحات المرسومة، والمتجاوزة لسرد شكلي مستعار من أخيلة فيها ملامح الأمل ومعابر الحرية، بديلًا رمزيًا لواقع فلسطيني مأزوم، وتدوين لمرئيات بصرية عابرة في لحظة فرح أو عبث وقتي.

وما يلفت الانتباه في أعمال الفنانة أيضاً هو تساوي عناصر الرقة والرهافة كالعصافير والفراشات والزهور وغروب الشمس، مع عناصر القوة والثبات كالأحصنة والنمور والفهود والبيوت وشجر الصبار رمز المقاومة والبقاء. أليست كل هذه الكائنات والأشكال هي مكونات الذاكرة الطفولية التي حملتها جمانة الحسيني معها من ربوع فلسطين الحبيبة، وخصوصًا من مسقط رأسها القدس العتيقة، إلى مهجرها بعد أن أبعدت قسرًا عن وطنها الأثير؟

إن مدينة القدس القديمة في بيوتها ومعالمها الدينية والتراثية أخذت جل اهتمامها وكانت بمثابة المجال الحيوي البصري، والتي كانت حاضرة في جميع لوحاتها شكلًا ومضمونًا، حيث تعكس ذاتها الشخصية في وصف مجازي، متناسية تداعيات الرسوم والصور المستحضرة من يوميات مخيلة عابرة، ومحكومة كذلك بالشفافية اللونية وبساطة التوليف الخطي، والهندسة المعمارية لمرصوف البناء الشكلي الجمالي ولحمة التكوين.

وفي أعمال الفنانة الأخيرة نلحظ أنها جاءت مبسطة مختصرة كتمائم عجيبة تروي حكاية تجربة وزمن وتحولات في المكان وفي الزمان، فلم تعد تكفي قوى استحضار المكان بالصورة وحدها، فصارت تستحضره بالتمائم المكتوبة أو ببعض الأشكال الغامضة التي لجأت إليها لتساعدها في القبض على ذكرياتها وعالمها الحميم الأول. إنها نزعت الخمار الأخير عن حكاياها لتكتب ذاتها ووجودها الكلي المفعم بذكرياتها البكر الأولى، تلك الذكريات التي تأكدت وتأصلت بالاختصار والتجريد، وكأن الوقت صار للضروري المقدس بعيدًا عن الرغبات والأحلام التي دونتها على مدى ما يزيد على أربعين عاماً. لقد ازدادت بمرحلتها الأخيرة عمقًا وحنينًا لكل ما هو أصيل وعادل وحقيقي في هذا الوجود.

ويمكننا الآن أن نقرأ قراءة سريعة للوحتها المعنونة: «عريس وعروس»، فهي حالة بصرية تستحضر الماضي البعيد بكل زخمه ومجونه وخياله، طفولة محملة بالبراءة والفرحة والتسامي، معجونة بحكايات الصبايا في لحظة عمر عابرة، تجمع مدينة القدس وأطفالها في حلة شكلية متجانسة المساحات والألوان، تتلاشى فيها النسب الذهبية المعمول بها في التصوير الأكاديمي، وانتفاء ملحوظ للبعد الثالث، وترك الحرية المطلقة لرقص المساحة الموزعة ما بين رمزية الشخوص المتطاولة وجغرافية المدينة المقدسة، تجمعها الفنانة في قالب تعبيري واحد متواصل الحلقات، اللون فيها صريح مستقل بحدته داخل كل مساحة من مساحاته، ووجوه شخوصها بلا ملامح تفصيلية مفتوحة على مساحات من الحلم واليقظة، وعلى مدينة موصولة بتاريخ عريق.

زارت الفنانة جمانة الحسيني مدينة هيروشيما اليابانية في عام 1979 وشاهدت آثار الدمار الذي حلّ بها نتيجة قصفها بقنبلة نووية، فرسمت حية شيطانية تخترق هيروشيما متجهة إلى المسجد الأقصى، رابطة بذلك بين التدمير الوحشي الذي أحدثته القنبلة النووية، واعتداءات الصهاينة المتطرفين المتكررة على المسجد الأقصى لاستكمال جريمة محو كل أثر للذاكرة الفردية والجماعية لشعب فلسطين بأكمله. وعلى الرغم من كل ذلك لم تكن جمانة صاحبة شعارات طنانة، ولم تكن ترسم لتنشر رسالة تبشيرية تدعو إلى الاقتداء بها، بل رسمت من موقع الجرح مباشرة، رسمت من مكمن الروح، لذلك جاءت رسومها كصك بوح داخلي ارتبط كحبل سري بهويتها وببلادها وبعاصمة بلادها الجميلة، زهرة المدائن: القدس.

وبعد هذه الرحلة الفنية الرائعة المفعمة بعشقها الأول والأخير: القدس، التي هي أيقونتها، رحلت الفنانة جمانة الحسيني عن دنيانا في الحادي عشر من شهر أبريل عام 2018، لتظل روائعها الخالدة توثق لتاريخ المدينة المقدسة العتيد.

كاتب وباحث مصري

عندما نقرأ تقنيات لوحات جمانة الحسيني، نجد أنها تعاملت معها بطريقة مشابهة لتقنيات التشكيل الورقي، حيث تُقسم اللوحة إلى مجموعة من المساحات اللونية المرصعة وفق تقنيات التصوير الفني المعاصر. هي خارجة عن نمطية اللمسة المدرسية التقليدية، تحلق في سرب التعبيرية من حيث الفكرة والتقنية والأسلو

لغة تشكيلية عابرة للمفاهيم

المرمار
بشرى بن فاطمة

منذ ظهور الصورة الفوتوغرافية، تعوّد المتلقي على استكشاف تفاصيلها والتقاطها بحواسه، سواء أكانت غارقة في الماضي أو حديثة مواكبة للحدث والمشاهد والطبيعة والإنسان. وقد ساعد هذا التحوّل على نقل الصورة من كونها أداة لتثبيت الأحداث والوقائع إلى وسيلة للتعبير الفني، وذلك من خلال قيمها الجمالية، وتعدّد أساليبها، وتكثيف معانيها، وفتح آفاق التلقي والتذوّق. ومع مرور الوقت، أصبحت الأساليب التشكيلية خاضعة لمنطق الفوتوغرافيا وأثرها، فتنوّعت بين التجريد، الدمج، التركيب، السريالية، الواقعية المفرطة، والكولاج، مما أتاح للجانب الإبداعي مساحة أكبر للتماهي مع مجاز المعنى والفهم.

تنوّعت التجارب التي خاضت في التعبير بالصورة أو عبرها، حيث حمل كل فنان وجهته ومساره التشكيلي، لتحويل الصورة إلى لغة فنية مستقلة بمفاهيمها وقيمها الجمالية. سواء كانت الصورة كاملة الحضور أو خامة ثابتة تتحول من خلالها الفكرة بالرؤى المختلفة، فإن التصوير الفوتوغرافي يكتسب قيمته من ارتباطه بالواقع وواقعية اللقطة، جامعاً بين الفن والتكامل الجمالي البصري والتقني.

يعتمد التصوير الفوتوغرافي على عناصر واضحة تشمل الشكل والتكوين وتنسيق المساحة واللون والضوء والظلال. ومن خلال توازن هذه العناصر، يتجاوز التصوير حدود الصورة السطحية ليحقق بعداً ماورائياً يُمنح دلالات رمزية تعبر عن الواقع بجوانبه المادية والمعنوية. المصور الفوتوغرافي ليس مجرد محترف بل هو مندمج مع الأحداث، يتجاوز السطحية ليصل إلى عمق الصورة، حيث يحمّل الفكرة والرؤية أبعاداً فلسفية وجمالية تتفاعل مع المتلقي.

تبرز أهمية المصور في تصوير اللحظات الآنية وتوثيقها، وهو ما يظهر جلياً في الصور الصحفية التي تُلتقط من قلب الأحداث. ومع ذلك، فإن هذه الصور تحمل في طياتها أبعاداً تشكيلية وجمالية تتخطى كونها مجرد توثيق بصري. إنها تُقدّم لقطة معاصرة بقيم جمالية تجعلها أكثر جذباً وتأثيراً، فتثري الحركة والمضمون المرئي والمخزون القيمي للصورة.

التجربة الفوتوغرافية، خاصة تلك التي تعتمد على التفاعل التركيبي مع الفن التشكيلي، تُظهر كيف يمكن للصورة أن تتوغل في العمق التشكيلي من خلال الدمج بين المفهوم الفني وفكرة الابتكار

التجربة الفوتوغرافية، خاصة تلك التي تعتمد على التفاعل التركيبي مع الفن التشكيلي، تُظهر كيف يمكن للصورة أن تتوغل في العمق التشكيلي من خلال الدمج بين المفهوم الفني وفكرة الابتكار. وتتحول بذلك من كونها مجرد مشهد واقعي إلى عمل فني إبداعي يخاطب الخيال والوجدان.

عندما يتجاوز التوظيف التصويري حدود الصورة ذاتها، يتحوّل إلى صناعة فنية تتفاعل مع المفاهيم التشكيلية. فمن خلال دمج الفكرة مع العناصر البصرية والخامات المختلفة، يمكن تحويل اللوحة إلى مساحة تتشارك فيها عناصر متعددة، كالألوان والتقنيات الرقمية والخامات الطبيعية. وتكون النتيجة عملاً تشكيلياً يتفاعل مع الواقع، يحوّل بشاعة التفاصيل إلى جماليات تُطوّع بصرياً وفنياً.

الاختلاف في الأساليب التي تُوظف الصورة الفوتوغرافية تشكيلياً لا يعني أن الصورة قطعة جاهزة تخضع لزمن ومكانٍ معينين فقط. بل على العكس، تصبح مجالاً للتجريب والأسئلة الفنية التي تنقل الصورة إلى فضاءات معاصرة تتجاوز أطرها التقليدية. وهكذا، طورت الأساليب التشكيلية الصورة الفوتوغرافية، وارتقت بها إلى مستوى فني يستفز التلقي المختلف في قراءته للفكرة، متجاوزة حدود الواقع المصوَّر.

*الأعمال المرفقة:
متحف فرحات الفن من أجل الإنسانية
Farhat Art Museum Collections

صحافية من تونس

الصورة تحمل أبعاداً تشكيلية وجمالية تتخطى كونها مجرد توثيق بصري

السبع فساتين

رموز الأناقة والتراث في أعراس الجزائر

المرمار حسينة بوغندورة

في الجزائر، يحمل العرس طابعاً تقليدياً أصيلاً، حيث يمتزج التراث مع الأناقة لتقديم احتفال فريد من نوعه. واحدة من أهم التقاليد التي تُميّز الأعراس الجزائرية هي «السبع فساتين»، التي ترتديها العروس خلال أسبوع العرس. كل فستان يحمل رمزية خاصة ويعبر عن جزء من قصة الزواج، ليصبح رحلة من الألوان والتصاميم الجميلة.

ليلة الحناء

تبدأ الرحلة بفستان القندورة، الذي ترتديه العروس في ليلة الحناء، وهو احتفال تقليدي تُزين فيه العروس يديها وأقدامها بنقوش الحناء. يُصنع هذا الفستان عادةً من قطيفة حِنوة، ويُطرّز بخيوط ذهبية مبهرة. غالباً ما يكون بلون أحمر قاتم أو «عنابي»، لون يُعبّر عن القوة والجمال، ويُرمز إلى حبّ العروس لأحفادها المستقبليين، إذ تُحتفظ به ككنز عائلي ثمين تتوارثه الأجيال.

في اليوم الثاني، تختار العروس فستاناً وردي اللون، مصنوعاً من المخمل أو الحرير، ومطرزاً بالعقيق اللامع. يُعد هذا اللون رسالة أمل بأن الحياة الزوجية ستبدأ بصفحة مشرقة مليئة بالسعادة والفرح، وكأنها ورود متفتحة تزين بداية جديدة.

اليوم الثالث مخصص لفستان أبيض اللون، يرمز إلى النقاء والطهر. يُصنع هذا الفستان من الحرير الناعم، وتُطرّز عليه خيوط حريرية بنفس اللون، ما يمنحه جمالاً ناعماً ورقياً يُجسد أسمى معاني الزواج كرباط مقدس.

في اليوم الرابع، ترتدي العروس «الملحفة»، وهو زي تقليدي بسيط مكون من قطعتين، وعادةً ما يكون بلون أسود. يُمثل هذا الزي التراث الأصيل وعمق الجذور الجزائرية.

مع حلول اليوم الخامس، يظهر الفستان القبائلي، الذي يعكس روح الثقافة الأمازيغية الجزائرية. يتميز بتصميمه المزركش ونقوشه المبهرة التي تشبه كثيراً لباس البلغاريات، لكنه يحمل بصمة جزائرية خالصة، ليُظهر جمال التراث القبائلي.

في اليوم السادس، تبرز العروس بإطلالة ملكية مرتدية القفطان، الذي كان في العهد العثماني زياً للرجال، لكن الجزائريين طوروه ليصبح جزءاً من لباس العروس. يُصنع القفطان من القطيفة، ويُطرّز بخيوط ذهبية خالصة تُشبه زخارف رتاج الكعبة المشرفة. تُطلق عليه أسماء عديدة، مثل «قفطان القاضي»، و«قفطان الشعرة»، ويُعد من أفخر الأزياء التي تُزين العروس.

رحلة من التراث إلى الأناقة في ليلة العمر

القندورة الوهرانية

يأتي ختام الأسبوع بالفستان السابع، وهو «القندورة الوهرانية»، رمز الرقي والأناقة. هذا الفستان يُعتبر من أكثر الأزياء جمالاً في الجزائر، ويُبرز مهارة الحرفيين في التصميم والتطريز.

مع مرور الزمن، تقلصت مدة الأعراس الجزائرية من أسبوع كامل إلى ثلاثة أيام فقط، ما أثر على بعض التقاليد: يوم الثلاثاء يُخصص لذبح الكبش وتحضيرات الطعام.

يوم الأربعاء لحفل الحناء وحمام العروس.

يوم الخميس هو يوم الزفاف، حيث تُزف العروس إلى بيت زوجها، ويُقام الاحتفال غالباً في قاعة حفلات بدل البيوت التقليدية التي كانت تتسم بالرحابة.

رغم قصر مدة الاحتفال، لا تزال العروس الجزائرية تحافظ على تقليد ارتداء الفساتين السبع، لكنها تُظهرها جميعاً في يوم واحد.

يبدأ الحفل في الثانية بعد الظهر، حيث تبدأ العروس بعرض فساتينها أمام المدعوات، متبدلةً بينها كل ساعة أو نصف ساعة، وصولاً إلى الفستان الأبيض الذي ترتديه في النهاية.

عند خروج العروس، يقف والدها عند الباب الخارجي ويرفع يده لتخرج من تحته، في إشارة إلى أنه السند والداعم لها بعد الله. هذه اللحظة تُمثل وداعاً عاطفياً مليئاً بالمشاعر، يُبرز مكانة الأب في حياة ابنته حتى وهي تبدأ حياة جديدة.

السبع فساتين ليست مجرد ملابس، بل هي رموز غنية بالمعاني تُجسد رحلة الزواج في الثقافة الجزائرية. إنها تعبير عن الفرح، الأمل، والجذور العميقة التي تربط العروس بعائلتها وتراثها.

إرث حضـــــاري ومشـــــــهد عصـــــــري مبهـــــــــر

بنغازي حديقة التفاح

المرمار زكريا عبدالجواد

تساؤلات كثيرة ظلت ترافقنا ونحن نجوب أرجاء ليبيا، حيث الولع بالفرادة طاغٍ، حتى لو اتخذ الغناء فيه مساحة للفضاء. غيرة شديدة على العروبة وغضب أشد، حتى يصل في بعض الأحيان إلى استدعاء الحنين إلى الأفرقة. نظام جماهيري وحيد، ومسميات مختلفة لتفاصيل حياتية لا شبيه لها، وكنوز أثرية وتراثية متروكة، وزخم إبداعي هائل لا يسعى لتقديم نفسه للآخرين. فهل هو الولع بالدهشة، حتى ولو لم تشارك بقية العصافير في الغناء؟

هي ليبيا إذن، تلك التي لا يعرفها إلا من زارها، ومن يستطيع إزاحة كل تلك الغلالات التي تراكمت في الذاكرة. من هنا كان للرحلة إحساس البكارة ودهشة الغوص في بقاع ظلت تستهويها المراوغة، وتستعذب الابتعاد عن الصخب، زهداً ونأياً.

ظل اسم ليبيا المكون من ست كلمات عصياً على الذاكرة. حاولت كثيراً حفظه مرتباً، لكن الأمر ظل خارج نطاق السيطرة. بالنسبة للقادم الذي يستسهل اسم (ليبيا) فقط، كان الأمر مختلفاً. حين أسررت بهذا إلى أحد الذين تقابلنا معهم، دلني على طريقة يتم بها تقسيم الكلمات الست إلى حروف البداية الأولى من كل كلمة، فتحولت المعضلة إلى كلمتين اثنتين هما (جعل شاع)، وهو ما سهَّل الحفظ، وحدث معي حتى مغادرتي ليبيا عائدًا من حيث أتيت.

تنوع ثري

ليبيا ليست مجرد دولة لديها ثراء هائل في الآثار القديمة فقط، بل إنها شديدة الغنى في ذلك التنوع الذي تحتويه أراضيها من شواهد تنتمي إلى حضارات متعاقبة منها الفينقية والإغريقية والرومانية إلى جانب الحضارة العربية والإسلامية، في الوقت الذي توجد فيه بعض أجمل مدن العالم الأثرية، كمدينة (لبدة الكبرى) التي تسمى أيضا بـ (تدمر القديمة) وهي تقع على بعد ساعة واحدة من العاصمة طرابلس، كما تضم أيضا مدينة (سبراطة) التي تحتوي على مسرح أثري شهير وهي أيضا تقع على مسافة نصف ساعة بالسيارة من طرابلس، بالإضافة إلى مدينة (طلميثة) القريبة من بنغازي والتي تعود إلى عصر البطالمة، و(طبرق) و(شحات) وهما مدينتان تقعان شمال بنغازي أيضاً، وتكتنزان بأعداد هائلة من الآثار القديمة، وإلى جوارهما مدينة (سوسة) على شاطئ المتوسط، فيما لاتزال في واحة (غدامس) الواقعة في (فزان) نقوش ورسوم محفورة في الصخور تعود إلى ثلاثة آلاف سنة، أما المساجد فهي تنتشر بطول الجماهيرية وعرضها، ويعود عدد منها إلى أيام الفتح

الإسلامي الذي جاء إليها على يد عمرو بن العاص في العام 642م، ثم استكمله عقبة بن نافع حين دخل عدداً من المناطق التي لم تكن قد خضعت لسيطرة الإسلام.

شوارع شاسعة

بنغازي التي رأيناها في صورتها الحديثة حيث الشوارع متسعة تحيطها وتخترق أوسطها شبكة رائعة من الطرق، تحكي كتب التاريخ عن أنها كانت مشيّدة عندما تم تأسيسها في الربع الأول من القرن السادس قبل الميلاد كمدينة يونانية قديمة، فوق مرتفع من الأرض يطلق عليه في الوقت الحاضر (سبخة السليماني) وتوجد بها (مقبرة سيدي عبيد)، وكانت هذه السبخة في زمنها القديم عبارة عن بحيرة عميقة، حين تم تجفيفها تحول سكانها عنها متخذين مكانا قريباً من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهو المكان الذي يطلق عليه حاليا (سيدي خريبيش) وتوجد فيه مقبرة تحمل هذا الاسم، في الوقت الذي استطاعت فيه أرضه الاحتفاظ ببعض البقايا الأثرية، لكنها في كل الأحوال لم تكن بنفس حجم الآثار التي كان يتوقع وجودها في مدينة مثل بنغازي شهدت العديد من الأحداث المهمة في التاريخ, ومر عليها عشرات الغزاة والمقامرين والفاتحين، واختيرت مركزاً للحكم ونقطة ارتكاز مهمة في معظم العصور.

وعلى الرغم من أن معظم المدن التي كانت ساحة مفتوحة لحروب القادمين وغزواتهم في الزمن القديم تظل مبقية على الكثير من الشواهد، إلا أن بنغازي تبدو مغايرة

لتلك العادة، ولعلنا حين قطعنا شوارعها وأسواقها – ما قدم منها وما استحدث – لم تنفذ إلى أنوفنا رائحة ذلك العبق العتيق الذي يغلف الكثير من المدن، فقد كانت مظاهر الحداثة هي الغالبة, اللهم إلا في عدد من الأماكن منها الأسواق القديمة كسوق (الظلام) الذي كان قبل سنوات غير بعيدة يغلق أبوابه فور غياب ضوء الشمس، فيما كان سقفه المغطى، والذي لا يزال كذلك حتى الآن، كافياً لحجب أي ضوء خارجه، لكننا حين دخلناه في الواحدة ظهراً، عابرين حارته الطويلة غير المتسعة بتفريعاتها الأشد ضيقاً، لاحظنا أن الأضواء الصادرة من مصابيح الإنارة الكهربائية، قد انتشرت في كل مكان، حتى أن الظلام لم يعد ظلاماً، وبات السوق الذي كان يغلق أبوابه عقب اتخاذ الشمس طريق الرحيل اليومي، مستمراً في استقبال زبائنه حتى وقت أطول.

ليبيا ليست مجرد دولة لديها ثراء هائل في الآثار القديمة فقط، بل إنها شديدة الغنى في ذلك التنوع الذي تحتويه أراضيها من شواهد تنتمي إلى حضارات متعاقبة منها الفينيقية والإغريقية والرومانية إلى جانب الحضارة العربية والإسلامية

ومع أننا شاهدنا في بنغازي ثلاثة أسواق عامة حديثة تضمها مجمعات بني الواحد منها على مساحة 25 ألف متر مربع، وامتد علواً إلى خمسة طوابق مكيفة مركزياً وتتصل معاً عن طريق مصاعد كهربائية، فإن سوق الظلام الذي ظل محتفظاً حتى الآن باسمه، رغم أنه لم يعد كذلك، لا يزال له رواد اعتادوه، واستهوتهم بضائعه التي تتميز بسعرها المعقول، ولعل ما كان لافتاً في ليبيا هو تلك الميزة المهمة، حيث لا مغالاة في أسعار السلع ولا الخدمات. حتى إن أهالي بنغازي لم يكتفوا بسوق ظلام واحد، فأنشأوا آخر أكثر حداثة.

جسر البط

كان عرض سوق (الجريد) لا يزيد على المترين على الرغم من أن شارعاً طويلاً يخترقه حتى بدا وكأن لانهاية له، وكانت البضائع التقليدية التي تراصت على جانبيه تزيد عرضه انحساراً، ملابس وأقمشة شعبية وأغذية، ومحلات في داخلها أنوال يدوية لصنع أقمشة العروس، باعة عرب وأفارقة يعرضون بضائعهم وينادون على المارة (كل حاجة بدينار).

اكتسب هذا السوق اسمه من سقفه المصنوع من جريد النخيل، قبل ان يزال ويستبدل به الصفيح.

خرجنا من ذلك الازدحام لكنه أدى بنا إلى سوق صغير لبيع وتصنيع المشغولات الجلدية لكن مطر نهاية الصيف كان لنا بالمرصاد، ولعل غضبنا من تلك الزخات التي منعتنا من تصوير المكان لبعض الوقت، قد زال مع عبارات الليبيين الفرحة وتهانيهم بنزول (الخير).

وقد اكتشفنا فوائد المطر بعد ذلك حين خرجنا من ضيق الأماكن القديمة إلى شوارع المدينة التي كانت المياه الهابطة من السحب قد غسلتها، ومنحت طرقها

التفاح الذهبي

(بنغازي) التي كان يطلق عليها في الأسطورة (حديقة التفاح الذهبي) بعد أن أهدتها الأرض إلى الإلهة (هيرا) في مناسبة زواجها من كبير الآلهة (زيوس)، عرفت عبر تاريخها بأسماء عدة من بينها (يوسبريدس)، كواحدة من أوائل المدن اليونانية القديمة قبل أن يتحول اسمها في العصر البطلمي إلى (برنيكي) عقب زواج بطليموس الثالث من أميرة البلاد في ذلك الوقت (برنيكي) ابنة ماجاس ووريثة عرشه والتي قام ابنها فيما بعد باغتيالها، لكنها أصبحت برنيق) في الفترة الإسلامية، حتى أطلق عليها (بنغازي) اعتباراً من القرن الخامس عشر الميلادي نسبة إلى مقبرة الشيخ المدفون فيها.

وكان تاريخ بنغازي مع الإسلام قد بدأ اعتباراً من العام 642م، حين قاد عمرو بن العاص جيوش الفتح الإسلامي إلى ليبيا متخذاً من مدينة (باركي) عاصمة، بعد تحوير الاسم إلى (برقة) وإطلاقه على الإقليم الذي كان في السابق يسمى (كورينايكا) نسبة إلى مدينة (كوريني)، ويتقاطع تاريخ تلك المدينة وتختفي الكثير من أحداثه عبر سنوات طويلة مجهولة, إلى أن يسجل أنه عقب الفتح الإسلامي بنحو أربعمائة عام تشهد المدينة هجرات (بني هلال) و(بني سليم) وتعرضها لما وصف بالاضمحلال، ثم تضيع أربعمائة سنة أخرى من الوقائع التاريخية للمدينة, ليسجل بعد ذلك أن إطلاق اسم (ابن غازي) تم في العام 1450م، وهو الرجل الذي تقول بعض الروايات إنه قاد عدداً من التجار قدموا من مدن (مصراته، تاجوراء، زليتن، مسلاتة) ووفدوا على بنغازي التي سميت (ابن غازي)، ثم: (بني غازي) وهو الاسم الحالي.

أطلق عليها (بنغازي) اعتباراً من القرن الخامس عشر الميلادي نسبة إلى مقبرة الشيخ المدفون فيها

وما إن قام الأتراك في العام 1517م باحتلال القاهرة ثم طرابلس حتى أدخلوا بنغازي تحت سيطرتهم، غير أن خضوع الإقليم الذي كان يطلق عليه (برقة) للحكم التركي لم يتم إلا بعد قرن من الزمان عندما أرسل باشا طرابلس محمد الساقزلي خليفته عثمان بك في العام 1638م لاحتلال ذلك الإقليم وإنشاء قلعة تركية بمدينة بنغازي، أصبحت فيما بعد مقراً لحامية تركية، وقد قام الأتراك في أعقاب ذلك بإنشاء ثلاث قلاع أخرى على غرار قلعة (بنغازي) في كل من درنة والقيقب والمرج، وقد اندثرت هذه القلاع عدا (القيقب) التي تم تحويلها في الوقت الحالي إلى متحف، وقام الأتراك فيما بعد باختيار مدينة بنغازي عاصمة إدارية لمنطقة برقة.

ومن الأحداث الغريبة الشبيهة بمذبحة القلعة في مصر ما يرويه الرحالة القادم من جنوة الإيطالية باولو ديلاتشيلا الذي زار بنغازي مرافقاً لجيش باشا طرابلس في حملته على برقة، فقد وصف مذبحة قبيلة الجوازي التي ارتكبها باي بنغازي انتقاماً من الثورة التي اندلعت ضد حكم (القره مانلي)، بعد أن ادعى مهادنة تلك القبيلة، ودعا 45 فرداً من أعيانها ومشايخها إلى قلعة بنغازي، لتكريمهم بالإنعام عليهم ببرانس حمراء، وكان أن رابطت القبيلة بأكملها خارج المدينة، فيما دخل أعيانها الذين مدت لهم الموائد، ولكن ما إن جلسوا إليها حتى هجم الحرس الخاص للباي وذبحوهم عن بكرة أبيهم، فيما هوجم أفراد القبيلة وتم ذبح أعداد كبيرة من نسائهم وأطفالهم.

مع انعكاس خيوط الشمس، التماعات رائعة، مررنا عندئذ في شارع جمال عبدالناصر وهو الشارع الأطول في المدينة يمتد من شمالها إلى جنوبها، وفيه نلمح ما يدل على مبنى مميز الشكل هو مركز لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ارتسمت على أحد جدرانه صورة طولية ضخمة لعبدالناصر وهو يلقي خطابه الشهير في المدينة الرياضية الذي أطلق فيه على العقيد القذافي لقب (أمين القومية العربية).

تنحرف السيارة بنا قليلاً لتصعد فوق (جسر إفريقيا) الذي يطلق عليه أهل بنغازي (جسر البط) لأن النساء السمينات أعتدن السير عليه في محاولة لانقاص أوزانهن، ومن هناك ندخل إلى أحد المطاعم فنتناول (البازين) الأشبه بالعصيدة و(الكسكسي) أشهر الأكلات الشعبية في منطقة المغرب العربي فيما توجد أكلات أخرى أشبه بالعصيدة، مثل (العصبان) المصنوع من أمعاء الخروف المحشية بالأرز والكبدة، و(المصير) وهي عبارة عن متبلات تصاحب الأكل. ونستمع لرواد المطعم وهم يتبادلون كلمات (باهي) بمعنى (تمام), و(ياسر) وتعنى يكفي وهي كلمة تقابلها في تونس (برشة).

الغروب الساحر

ولا شيء في بنغازي يعلو جمالاً على مشهد غروب الشمس فيها، حين تنعكس الخيوط الذهبية ساعة الأصيل على مياه بحرها الصافي، فلا يرى المرء أروع منه مشهداً.

هكذا اقتنصنا لحظات بديعة، واقتربنا من تلك اللوحة المذهبة حين كنا قادمين مع مرافقينا من (منتجع بو دزيرة) عائدين إلى فندق تبتسي الذي كنا نقطن، دارت بنا السيارة صاعدة فوق جسر (الشهيد محمد جمال الدرة)، لنلمح على البعد ذلك المشهد منعكساً على سطح المياه، فيما تنتصب على الجانب الآخر منه فنادق ذات أشكال وأنواع كأنها هي الأخرى رسمت بدقة واختير مكانها بعناية إلى جوار الماء، لتكون في مجملها أجزاء من لوحة لمدينة ساحرة.

قبل أن نصل إلى المكان الذي قصدناه، كنا قد مررنا بفندق (أوزو) ثم مسلة لتخليد معركة (جليانة)، ليقترب بنا الطريق من مبنى مركز الدعوة الإسلامية الجميل ذي الفراغات المتدرجة.

قاضيات وطيارات

أدهشنا بالفعل أن نعلم أن هناك قاضيات ليبيات، بل وطيارات، وقد كانت (رفيعة العبيدى) مثلاً هي أول قاضية في ليبيا، ومنذ أن فتحت تلك السيدة الباب الذي كان مغلقاً أمام نظيراتها فإن بلادها أصبحت تضم قاضيات عديدات.

أما قائدات الطائرات فإن منهن (عائشة قمو) وهي من مدينة زليتن، وقد قامت بقيادة رحلة الطائرة التي أوصلت الحجاج الليبيين إلى الأراضي المقدسة في العام 2000.

وتضم ليبيا إلى جانب ذلك المئات من المحاميات والطبيبات والمهندسات والإعلاميات، لكن بها أيضاً عشرات الفتيات اللواتي يقمن بأشق المهام العسكرية ومنها القفز بالمظلات, وبينهن أيضاً من وصلن إلى الرتب العالية في سلك الجيش وقوات الأمن الداخلي، ومن أصبحن ضابطات مقاتلات في أسلحة الصواريخ والمدفعية.

وحين كنا في ليبيا، كانت هناك تجربة جديدة تخوضها المرأة هي ما أطلق عليه بـ (المديرات المساعدات) حيث لكل أمين عام (مدير عام) في أي مصلحة حكومية خدمية (نائبة)، وفي نظام الشعبيات أو الحكم الشعبي الذي تعتمده ليبيا فإن أمين اللجنة الشعبية العامة في الجماهيرية سيدة، وكذلك أمين اللجنة العامة للثقافة والإعلام (وزيرة) وكانت تشغل حقيبتها حتى وقت قريب السيدة (فوزية الشلابي)، وهناك أيضاً منصب أمين اللجنة الشعبية للتعليم لمؤتمر الشعب العام (فاطمة عبدالحفيظ)، إضافة إلى ذلك فإن هناك سيدة هي (سالمين العريبي) تقلدت منصب مساعد الأمين العام لمؤتمر الشعب العام (ما يعادل نائب رئيس البرلمان) وهناك أيضاً سيدة أخرى (د.سلمى عبدالجبار) شغلت منصب الأمين المساعد لمؤتمر الشعب العام للشئون الاجتماعية.

أدهشتنا بالفعل أن نعلم أن هناك قاضيات ليبيات، بل وطيارات.. والمسرح الليبي هو الأكثر انتشاراً ثم الفنون الشعبية، لكن السينما الليبية قليلة الإنتاج

وعن خريطة الفن هناك وهو بالمناسبة ليس (جماهيريا) بمعنى أنه لا يوجد فيه احتراف، فإن المسرح الليبي هو الأكثر انتشاراً ثم الفنون الشعبية، لكن السينما الليبية قليلة الإنتاج إذ إن شركة (الخيالة)، تنتج في العادة فيلما كل ثلاث سنوات، وتشارك الأفلام الليبية الروائية القصيرة والطويلة في جميع المهرجانات، ومن بين الجوائز التي حازتها، واحدة في مهرجان كوريا الشمالية عام 1996 عن فيلم (أحلام صغيرة) ومن قبلها جائزة في مهرجان قرطاج عام1994 عن فيلم (معزوفة المطر) إخراج عبدالله زرد.

وفيما توجد مخرجات ليبيات في السينما والتلفزيون أمثال كريمان جبر وسعاد الحداد وهنية رحيم وسعاد جهاني، فإن خدوجة صبري التي كرمت قبل سنوات قليلة في مهرجان القاهرة للإذاعة والتلفزيون والتي يطلق عليها في ليبيا (فراشة الفن) وهي ممثلة شاملة عملت منذ 19 عاماً في المسرح قبل أن تنتقل للدراما التلفزيونية والسينمائية تؤكد لنا أن النظرة للفن قد اختلفت لدى أسر الفنانات الليبيات فبعد أن كانت مزاولة هذا التمثيل ممنوعة بشدة، تحول المنع إلى تشجيع.

عش الحمامة

اندهشت حين استضافنا في (دارته) البديعة الفنان الليبي المعروف فتحي العريبي، قبل زيارته كنت قد زرت لمرات متفرقة موقعه على شبكة الإنترنت الذي أسماه (عش الحمامة)، وقد قفز هذا الاسم فوراً إلى الذهن وأنا أرى هذا العدد الكبير من اللوحات التي صورها للحمام وقد زينت مدخل المنزل ودرجه الصاعد إلى طابق كامل خصصه لفنه ومكتبته، تحيط بها أعشاش علوية مصنوعة بدقة وجمال لحمامات ذات ألوان بديعة وقفت تلتقط حباتها وتتطلع للقادمين الغرباء.

سألته عن هذا (التفاني) في عشق

على الرغم من أن معظم المدن التي كانت ساحة مفتوحة لحروب القادمين وغزواتهم في الزمن القديم تظل مبقية على الكثير من الشواهد، إلا أن بنغازي تبدو مغايرة لتلك العادة،

الحمام، ابتسم قبل أن يقول إن (لكل فنان رمزاً معيناً أو شعاراً، ولكن لي مع الحمام قصة بدت منذ الطفولة، حتى أصبحت الحمامة هي المستهدف الفني الأثير لدي).

لكن فتحي العريبي لا يكتفي بالتصوير، فلديه مجموعة هوايات تنطلق من هذا الفن، منها الرسم والموسيقى، لكنه يعتبر نفسه محباً للتصوير لا مصوراً محترفاً، وعلى الرغم من حصوله على جوائز عدة على المستويات العربية والدولية اضافة إلى التكريم العالي في بلده فإن العريبي ظل يردد أمامنا إنه (بحاجة ماسة إلى 60 عاماً أخرى لكي يتعلم فن التصوير).

لكن ليبيا بطولها وعرضها مكتظة بفنانين في معظم مجالات الإبداع، وفي فن الرسم كثيراً ما يحدثون زائريهم عن رسام كاريكاتير عالمي هو محمد الزواوي الذي يتوارى عن الضوء لخجل مفرط وزهد في أي دعاية، ويشيرون إلى رئيس مجمع الموسيقى العربية السابق (حسن العريبي)، وإلى (العلويين الثلاثة) وهم علي العبابي وعلى المنتصر وعلي الزويك والثلاثة فنانون تشكيليون كبار كانوا قد شاركوا لتوهم – وقت أن قمنا بجولتنا في ليبيا – في معرض (اليورهارت) الدولي الشهير.

لكن الأغرب من ذلك، إنه رغم هذه الوفرة الكبيرة في عدد الفنانين التشكيليين في ذلك البلد، والذين قدرهم لنا مسئول عن جهة متخصصة في الفنون التشكيلية بثمانمائة فنان، فإن اقتناء اللوحات في ليبيا ضئيل للغاية، في الوقت الذي يتيح فيه سعر اللوحة شبه الرمزي استنساخ الكثير منها وبيعها للجمهور.

ظلت ليبيا غامضة في ذاكرتنا، لكنه الغموض الذي ظل مثيراً للتساؤل، دافعاً للبحث عما يمكنه اختراق تلك الغلالات وعدم التسليم بمراوغاتها، وحين حاولنا، تبدّت لنا ليبيا أخرى أكثر سحراً وأشد جمالاً.

في بنغازي ثلاثة أسواق عامة حديثة تضمها مجمعات بني الواحد منها على مساحة 25 ألف متر مربع، وامتد علواً إلى خمسة طوابق مكيفة مركزياً وتتصل معاً عن طريق مصاعد كهربائية، فإن سوق الظلام الذي ظل محتفظاً حتى الآن باسمه، رغم أنه لم يعد كذلك، لا يزال له رواد اعتادوه، واستهوتهم بضائعه التي تتميز بسعرها المعقول

المرأة الحرة

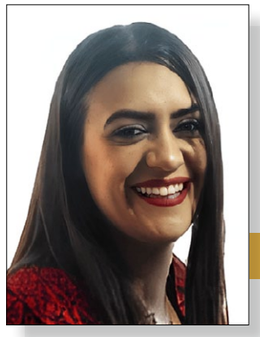

حنان مبروك

نحن باختصار نريد مجتمعات حرة يطيب فيها العيش، ترتقي بمستوياتنا الاقتصادية والثقافية والفكرية وتلحق بركب الحضارة، لا نريد مجتمعات تعامل المرأة كسلعة.

وصلنا الصراع بين «لباس المرأة المسلمة» و«لباس المرأة الحرة» الذي انطلقت شرارته في سوريا بعد فترة قصيرة من سقوط النظام السابق وأثار جدلاً على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث بدأت صفحات موجهة تتداول صور الحملتين المتنافستين، مع ميول الغالبية نحو «لباس المرأة المسلمة».

ملصقات دعائية هنا وهناك ألصقت على حيطان سورية وعلى حيطان افتراضية، لا يعرف من وراءها، لكن المرجّح أن لباس المرأة المسلمة وراءه أحزاب أو منظمات وجهات إسلامية بينما الحملة المضادة التي جاءت كرد على الأولى هي لمنظمات أو جهات تناصر حرية المرأة أو ربما هي منظمات نسوية.

تدعو الملصقات الأولى النساء إلى الالتزام باللباس المحتشم وتحدد شروطه، ومنها أن يكون ساتراً لجميع البدن وأن لا يشبه لباس الرجال وأن يكون واسعاً غير ضيق وأن لا يكون معطراً. أما الملصقات "المنافسة" فمن بين شروطها أن لا يكون اللباس مفروضاً على المرأة وأن يعجبها وأن يشعرها بالثقة والراحة ويعبّر عن شخصيتها.

صراع أيديولوجي تجاوز حدود سوريا لينتقل نحو دول عربية، وكأن كل مشاكلنا قد حلت ولم يجد صنّاع القرار مشاكل غير لباس المرأة ليبحثوا له عن حل. من ماذا يشكو لباس المرأة السورية أو العربية طوال العقود الماضية كي نعود اليوم للحديث عن ماذا يجب أن تلبس ونحدده لها؟ أليست المرأة حرة، من حقها أن تختار لباسها المناسب وفق ضوابط مجتمعها، ومن ثمة تتحمل مسؤوليتها كاملة؟

لماذا كلما تحرر مجتمع عربي من نظام سياسي ديكتاتوري سارع إلى التفكير في لباس النساء؟ لقد عشنا الأمر ذاته في تونس طوال العقد الماضي، وكذلك عاشت مصر. ألهذا الحد يرى الرجال أن الكون خلق من أجلهم والنساء مجرد متاع أم أنهم – حتى وإن قادوا العالم – لم يرتقوا إلى درجة التحكم في غرائزهم وتثيرهم بعض خصيلات شعر متناثرة مع الريح؟

يذكرني هذا الحال بالمثل الشعبي المغربي "السلهام والعمامة وقلة الفهامة"، ترى الرجل منهم يرتدي زياً محترماً لكنه قليل الفهم وفكره منحصر في كل ما يتعلق بالنساء فقط.

أسئلة كثيرة قد تخطر في عقل أي امرأة ترى أنها مسؤولة عن نفسها، فحتى الإسلام لم يحرمها حقها في أن تكون مسؤولة عن ذاتها وأفكارها وأفعالها.

واحترام المرأة لنفسها يبدو جلياً في لباسها، لا يعني ذلك أن تتشح بالسواد ولا أن تعري جسدها، والزيّ الذي تختاره المرأة لنفسها دليل واضح على الدور الذي تريد تمثيله في المجتمع وتمثله، كما يقول المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي.

واليوم هناك شيفرة لكل لباس "dress code" تعلمنا أن لكل مقام مقال، وتراعي اختلافات الأذواق والأديان، لكن مثل هذه النقاشات رغم ما بلّغته المرأة من علم وتعلم وإثبات للذات يعيدها إلى خانة العورة والمتاع، وتؤكد أننا وكما يقول بن نبي لا زلنا نتوارث أفكاراً "ميتة" وأخرى "مميتة"، فالأولى فقدت مبررات استمرارها ولا تصلح لزماننا أما الثانية فهي تسعى لهدم البناء الاجتماعي وتعميق للصراعات الفكرية والاجتماعية، هي أفكار تبعدنا عن قضايانا الإنسانية الأهم.

من حق أي مجتمع أن يضع ضوابط للباس تمنع العري الفاضح وكذلك التخفي المبالغ فيه، لكن ليس من حق أحد أن يفرض على الآخر ماذا يرتدي أو يخاطبه باسم الله.

نحن باختصار نريد مجتمعات حرة يطيب فيها العيش، ترتقي بمستوياتنا الاقتصادية والثقافية والفكرية، وتلحق بركب الحضارة، لا نريد مجتمعات تعامل المرأة كسلعة، كل "مستثمر" يبيعها ويشتريها كما يشاء. نريد الحرية في الاختيار، انطلاقاً من أن الحرية شأن أساسي يميز الإنسان عن الحيوان، وهي كما يقول جان جاك روسو "حق غير قابل للتفاوض، فإذا تخلى الإنسان عن حريته فقد تخلى عن إنسانيته وعن حقوقه كإنسان".

صحافية من تونس

رشيد

مدينة المليون نخلة وحاضنة التاريخ

أحمد سليم عوض

على أطراف الدلتا المصرية، التي تزدان بالنضارة والحيوية، تقع مدينة التاريخ «رشيد»، التابعة لمحافظة البحيرة، إحدى محافظات جمهورية مصر العربية. إنها جوهرة خالدة عبر الزمن، حيث يلتقي النهر بالبحر، والشرق بالغرب.

تستقبلك المدينة بأشجار النخيل الباسقة، وكأنها تخترق عناء السماء لتُطلق عليها بحق لقب «مدينة المليون نخلة».

تمتاز رشيد بموقعها المميز، الذي جعلها شاهدة على جميع الفتوحات التي دخلت مصر، ولأهلها تاريخ مشرّف على مر العصور.

يعود اسمها إلى الكلمة المصرية القديمة «رخيت»، والتي أصبحت «رشيت» في العصر القبطي.

عندما زرت المدينة، تجولت في شوارعها وتأملت مساجدها وبيوتها المزخرفة بجمال وإبداع. أبحرت في نيلها الذي زادها بهاءً ورونقاً. إنها واحدة من أبرز مدن مصر التاريخية، إذ تجمع بين عبق التاريخ وعمق الحضارة الإسلامية. تُعرف رشيد بموقعها الاستراتيجي بين البحر الأبيض المتوسط ونهر النيل، مما جعلها مركزاً حيوياً عبر العصور، خاصة في العصر العثماني.

تضم المدينة معالم معمارية وأثرية فريدة، مثل القلاع والمساجد والمنازل الإسلامية المزخرفة، مما يجعلها متحفاً مفتوحاً يعكس التراث المصري.

ما أجمل هذا المشهد العظيم الذي رأته عيناي في بداية زيارتي للمدينة، حيث تتجلى عظمة الله عز وجل وآياته الخالدة عند ملتقى نهر النيل بالبحر المتوسط في رشيد، مصداقاً لقوله تعالى:

(وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا) [الفرقان: 53].

في هذا المشهد، تتحقق القوانين الفيزيائية التي تحكم حركة السوائل، مثل اختلاف الكثافة، والملوحة، ودرجات الحرارة. هذه القوانين تضمن عدم طغيان أحد المائين على الآخر رغم

حكايات التاريخ والمعمار على ضفاف النيل

التقائهما

المباشر. سبحان الله الذي وصف لنا هذا المشهد العلمي الدقيق قبل 14 قرناً.

كان هدفي الأساسي خلال زيارتي هو البحث عن موقع اكتشاف حجر رشيد، خاصة مع مرور 225 عاماً على اكتشافه يوم 15 يوليو عام 1799. الحجر اكتُشف داخل قلعة السلطان المملوكي الأشرف أبو النصر قايتباي، التي تقع على الشاطئ الغربي لفرع رشيد شمال المدينة بحوالي 6 كيلومترات.

بناها السلطان الأشرف قايتباي عام 886 هـ (1482م)، وهي نموذج مصغر لقلعة قايتباي بالإسكندرية.

بُنيت القلعة على شاطئ النيل لصد الهجمات بعد مرورها من البحر الأبيض المتوسط وصولاً إلى القاهرة.

داخل هذه القلعة، تم العثور على حجر

ملتقى الشرق والغرب وجوهرة التراث المصري

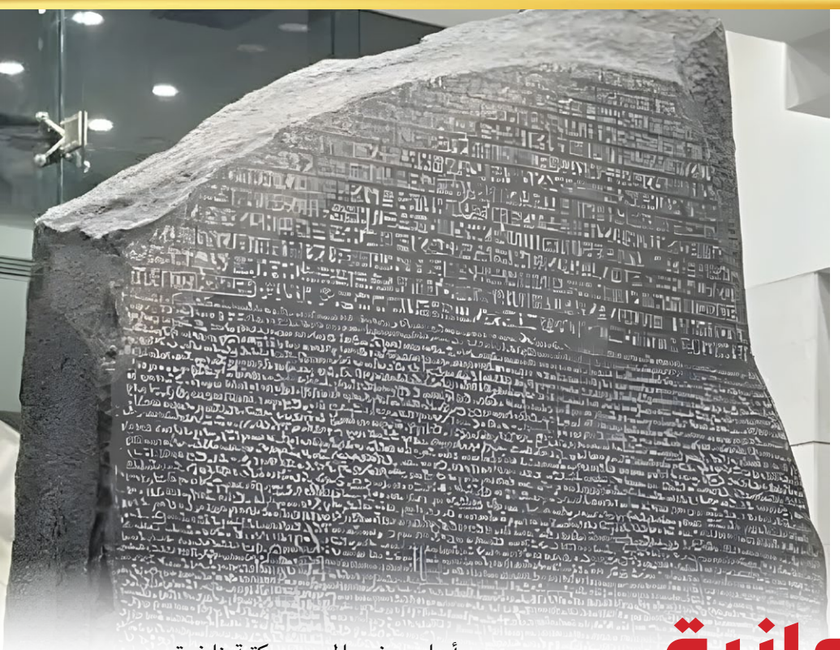

معالم أثرية وسحر العمارة العثمانية

رشيد الذي ساهم في فك رموز الحضارة المصرية القديمة أثناء الحملة الفرنسية.

تجدر الإشارة إلى أن بعض أحجار القلعة جلبت من معابدٍ مصرية قديمة، ما أضفى عليها طابعاً فريداً يجمع بين الأصالة والحداثة.

حيث تم الكشف عنه في جدار قديم داخل القلعة أثناء وجود الحملة الفرنسية في مصر، وهو محفوظ الآن بالمتحف البريطاني بلندن. يبلغ طول الحجر 112 سم، وعرضه 75 سم، وسمكه 28 سم، ووزنه 762 كجم. الحجر مصنوع من البازلت الأسود، ومكتوب بثلاث لغات من أعلى إلى أسفل: الهيروغليفية، والديموطيقية، واليونانية. يعود تاريخ الحجر إلى عام 196 ق.م، في عهد الملك بطليموس الخامس، الذي حكم مصر بين عامي 203 و181 ق.م.

وقد نجح العالم الفرنسي شامبليون في فك رموزه وكشف أسرار الحضارة المصرية القديمة، ليصبح الحجر نافذة مضيئة أطل منها العالم بأسره على سحر لغة مصر القديمة.

ومن أجمل متاحفها التي استمتعت بزيارتها، متحف رشيد الوطني، الذي يخلد تاريخ المدينة وتراثها. يقع المتحف في «منزل عرب كلي حسين بك»، الذي كان محافظاً للمدينة خلال العصر العثماني. افتتح المنزل كمتحف حربي في عام 1959م خلال زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لرشيد. يضم المتحف مقتنيات ونماذج تبرز كفاح شعب رشيد والمعارك التي خاضها ضد المستعمر الفرنسي والإنجليزي، وتشمل نماذج وصوراً للمعارك، والحياة الأسرية في رشيد، والصناعات الحرفية الشعبية، إلى جانب المخطوطات وأدوات الحياة اليومية.

وفي زيارتك للمدينة، تجد متحفًا مفتوحاً للعمارة الإسلامية، فهي ثاني أكبر المدن بعد القاهرة من حيث عدد الآثار الإسلامية، وجميعها يعود إلى العصر العثماني. يتمثل هذا التراث في روعة الفن الإسلامي الظاهر في المنشآت المدنية والدينية. من أبرز المنشآت المدنية المنازل الأثرية، التي تعود إلى القرن 12 هـ/ 18 م، ولم يتبقَّ منها سوى 22 منزلاً فقط، جميعها شُيدت بالطوب المنجور الأسود والأحمر.

أما المنشآت الدينية الأثرية، فتشمل:

مسجد زغلول: أُنشئ عام 985 هـ، ومنه انطلقت إشارة البدء للمقاومة الشعبية ضد حملة فريزر، التي انتقمت بتحطيم إحدى مآذنه.

مسجد أبو مندور: يقع على شبه جزيرة تُسمى «تل أبو مندور»، وهي ربوة عالية على نيل رشيد. يُعرف المسجد باسم العارف بالله أبو النضر، وهو من كربلاء ومن نسل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

مسجد العباسي: أنشأه محمد بك طبوزاده عام 1224 هـ، ويقع على شاطئ النيل جنوب رشيد. بُني المسجد بالطوب المزركش، وله مئذنة وقبة رائعة الجمال.

مسجد المحلي: ثاني أكبر مساجد رشيد بعد مسجد زغلول. يتميز ضريحه بكسوته بالقيشاني الملوّن والخشب المخروط بأشكال متعددة، ويقوم على 99 عموداً مختلفة الأشكال، وله 6 أبواب. يضم المسجد مكتبة زاخرة بالكتب الإسلامية والمخطوطات، وينسب إلى السيد علي المحلي، الذي توفي برشيد ودُفن بها عام 90 هـ.

طاحونة أبو شاهين: شُيدت في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي. بناها عثمان أغا الطوبجي، وخصصت لطحن الغلال، وكانت تُدار بواسطة الدواب. الطاحونة مزدوجة ولها تروس خشبية.

بوابة أبي الريش: وغيرها من الآثار التي تجعل من رشيد متحفاً مفتوحاً.

في أغسطس 2018م، أعلن قطاع الآثار الإسلامية والقبطية واليهودية بوزارة الآثار المصرية أن مدينة رشيد موضوعة على القائمة التمهيدية لمنظمة اليونسكو للتراث العالمي منذ عام 2003م. تعمل الوزارة على إعداد ملف خاص بالمدينة بالتوازي مع ترميم آثارها؛ لإدراجها ضمن القائمة الأساسية للمنظمة.

إضافة إلى تراثها المعماري والتاريخي، تتميز المدينة بظهير أخضر يمتد غرباً إلى مشارف مدينة إدكو. هذه المساحات الكبيرة مزروعة بأشجار النخيل، مما منحها لقب «مدينة المليون نخلة». إلى جانب النخيل، تنتشر زراعات الفواكه والموالح، والأرز، والقمح في مساحات شاسعة تمتد جنوباً موازية لنهر النيل حتى قرية إدفينا الشهيرة.

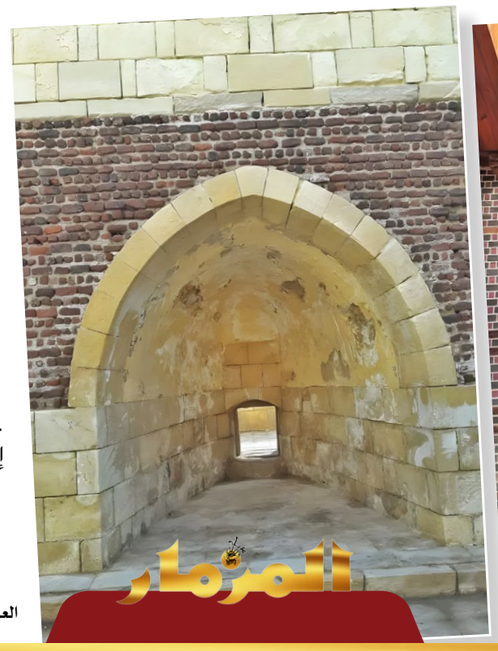

خنشلة..

عبق التاريخ وشموخ الجبال

المزمار حسينة بوغندور

اليوم نعرّج على أوراسنا الأشم، مهد الثورة الجزائرية، حيث دوَّت أولى رصاصات التحرير في ليلة نوفمبرية مجيدة، مُعلنة انطلاق الكفاح المسلح ضد المستعمر الغاشم.

نصل إلى مدينة خنشلة، تلك الجوهرة الرابضة عند سفوح جبال الأوراس الشامخة، شموخ الجزائر نفسها، والتي تتربع فوق تلة من تلال هذه السلسلة الجبلية العريقة. هنا يتجلى جمال الطبيعة وسحر التاريخ في لوحة فريدة تجمع بين العراقة والأصالة.

تتميز خنشلة بكونها منطقة أمازيغية أصيلة، حيث لا يزال سكانها متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم التي تعود لقرون طويلة. يتحدث أغلب سكانها اللهجة الأمازيغية بلهجتها «الشاوية»، ويظهر هذا التمسك بوضوح في احتفالاتهم وأزيائهم، وحتى في حياتهم اليومية. ومع ذلك، تأثرت المنطقة قليلاً بالتداخل الثقافي مع العرب عبر التزاوج والاختلاط على مر العصور، ما أضفى تنوعاً ثقافياً فريداً.

ترتبط خنشلة بتاريخ ملكتها الأسطورية ديهيا، التي اشتهرت باسم «الكاهنة». هذا اللقب الذي أطلقه الناس عليها لم يكن مبنياً على السحر أو الشعوذة، بل نتيجة ذكائها ودهائها الاستثنائيين، حيث أثبتت أنها قائدة بارعة وشخصية ذات رؤية ثاقبة. اسم «ديهيا» يعني «الداهية»، وهو انعكاس لقدراتها الفكرية، التي جعلت منها رمزاً للمرأة الأمازيغية القوية.

رمز الأناقة والأصالة

الزي التقليدي في خنشلة يعكس روح المنطقة وارتباطها بجذورها التاريخية. ترتدي النساء الملحفة الشاوية، التي تشبه إلى حد بعيد اللباس الروماني القديم،

الزي التقليدي في خنشلة يعكس روح المنطقة وارتباطها بجذورها التاريخية

تم تسجيل اللباس ضمن قائمة التراث الثقافي غير المادي لليونسكو، ما يعكس قيمته التاريخية والثقافية

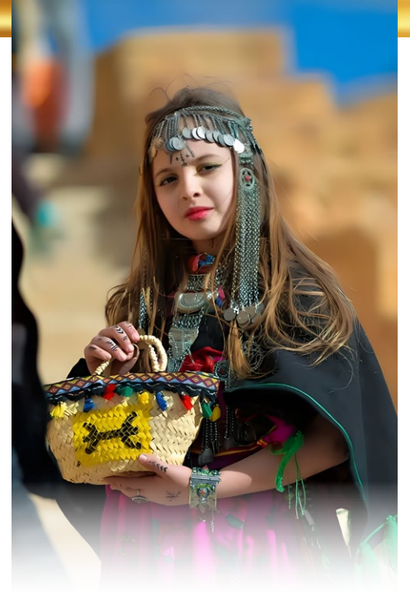

كما يظهر في المنحوتات الأثرية. غالباً ما تكون هذه الملحفة سوداء اللون، لكنها تتحول إلى لوحة زاهية في المناسبات السعيدة، حيث تُضاف إليها ألوان مبهجة. وقد تم تسجيل هذا اللباس ضمن قائمة التراث الثقافي غير المادي لليونسكو، ما يعكس قيمته التاريخية والثقافية.

تتميز المجوهرات التقليدية لأهل خنشلة بأنها مصنوعة من الفضة الخالصة، بدون ألوان أو زخارف إضافية، إلا في حالات نادرة يتم تزيينها بقطع صغيرة من المرجان. هذه البساطة تضفي عليها طابعاً أصيلاً ينسجم مع الطبيعة المحيطة وسكانها.

لا يمكن زيارة خنشلة دون تذوق أطباقها الشهية، التي تتميز بتنوعها ومذاقها الفريد. تُعد العجائن بأنواعها المختلفة من أشهر ما يقدمه المطبخ المحلي، وهي أطباق سجلت في قائمة التراث العالمي لليونسكو.

الكسكس: الطبق الوطني الذي يُحضَّر بأساليب ونكهات متنوعة.

الشخشوخة (الثريد): مزيج من خبز مفتت يُغمر بمرق غني ولحم شهي.

العيش (المفتول): يُطهى مع القديد (اللحم المجفف)، الذي يُضفي طعماً مميزاً لا يُقاوم.

أما الحلويات التقليدية، فهي تجسد البساطة والابتكار:

الرفيس المحمّص: يتكون من دقيق القمح المحمّص، يُضاف إليه الزبدة والتمر، ما يمنحه نكهة أصيلة تعكس روح المنطقة.

الرفيس بالثريد: يتم تحضيره بنفس المكونات، لكنه يختلف في طريقة التقديم، ليكون مزيجاً غنياً بالطعم والملمس.

تراث الجزائر العريق

يعتمد سكان المنطقة على التمر والزبدة بشكل أساسي في تحضير أطباقهم، وهو انعكاس للطبيعة الجبلية القاسية التي تتطلب وجبات تمنح الطاقة والدفء.

تُعد خنشلة واحدة من أجمل مناطق الجزائر الطبيعية. في فصل الشتاء، تُغطى قمم جبال الأوراس المحيطة بها بالثلوج البيضاء، ما يمنح المنطقة منظراً ساحراً أشبه بلوحة فنية. الطبيعة هنا ليست مجرد مشهد عابر، بل جزء من هوية السكان وثقافتهم، كما تمتاز خنشلة بوجود حمام روماني يعد الأقدم إفريقيا عمره 2000 عام يقع بين جبال الأوراس . مدينة خنشلة ليست مجرد مكان يزوره الناس، بل هي تجربة تعيدك إلى أعماق التاريخ وتجعلك تعيش تفاصيل الأصالة اليومية. إنها رمزٌ للثقافة الأمازيغية وتراث الجزائر العريق، حيث يلتقي عبق الماضي مع الحاضر في تناغم فريد. زيارة خنشلة ليست فقط جولة سياحية، بل دعوة لاكتشاف الجزائر بكل ما تحمله من تنوع وجمال.

لا يمكن زيارة خنشلة دون تذوق أطباقها الشهية، التي تتميز بتنوعها ومذاقها الفريد

تُعد خنشلة واحدة من أجمل مناطق الجزائر الطبيعية. في فصل الشتاء، تُغطى قمم جبال الأوراس المحيطة بها بالثلوج البيضاء، ما يمنح المنطقة منظراً ساحراً أشبه بلوحة فنية

يعتمد سكان المنطقة على التمر والزبدة بشكل أساسي في تحضير أطباقهم، وهو انعكاس للطبيعة الجبلية القاسية التي تتطلب وجبات تمنح الطاقة والدفء

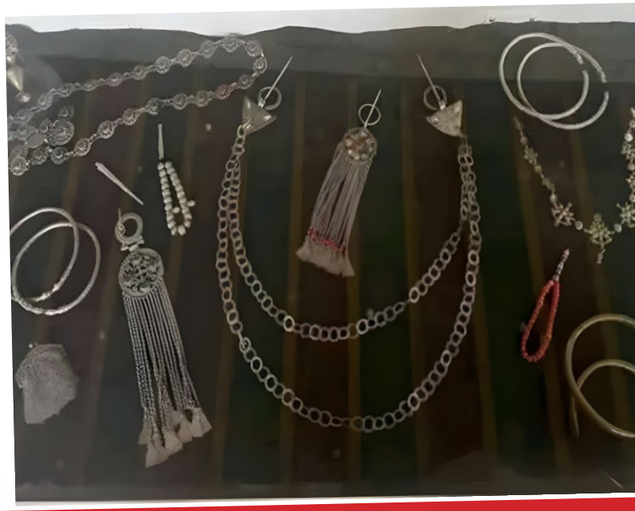

تتميز المجوهرات التقليدية لأهل خنشلة بأنها مصنوعة من الفضة الخالصة، بدون ألوان أو زخارف إضافية، إلا في حالات نادرة يتم تزيينها بقطع صغيرة من المرجان.. هذه البساطة تضفي عليها طابعاً أصيلاً ينسجم مع الطبيعة المحيطة وسكانها

التشكيلية اللبنانية زينة الخليل.. الألم خطّاً المسار

المرمار | بيروت: فاطمة عبد الله

كانت على الدوام فنانة، تتمدَّد كمَن يُراقب الكون، وتحلم. ألحَّ شعورُ بالانسلاخ عن العالم والبحث المرير عن شيء مفقود تُطارده ويهرُب. فضَّلت التشكيلية اللبنانية زينة الخليل العزلة. طَرْحُ الأسئلة الصعبة نَبَت منذ الصغر: «مَن أنا وما معنى الحياة؟». تعجَّبت لانشغال رفاق الصفّ باللعب دون سيطرة الهَمّ. «لِمَ يلهون ولا ألهو؟»، تساءلت. تأمَّلت من دون أن تدري ماهية التأمُّل، وفكَّرت في الوجود من دون علمها بأنها الفلسفة.

ولمَّا رسمت؛ فوجئت: «آه، إنني أرسم! لا أدري كيف ولكنني أرسم! أستطيع نقل الأشياء إلى الورق. ذلك يُشعرني ببهجة». الرسم ضمَّد جراح العقل. وجَّه طاقتها نحو شيء آخر غير البحث المنهك عن شرح. ومن هنا بدأت.

تُخبر الفنانة زينة الخليل المقيمة في لندن أنّ نشأتها في أفريقيا أتاحت الوقت الكافي للتفكير. شدَّتها الطبيعة، وراحت تشعر برابط بين الجسد الإنساني والأرض. وبالصلة بين جبّارين: الروح والتراب. تقول: «عبر النجوم والأشجار، حدث اتصالي مع الوجود. بالتأمّل والرسم، كتبتُ الفصل الأول من حياتي».

مدافع الحرب الأهلية في لبنان عام 1994 تسببت بعطوب وبرك دم

عام 1994 عادت إلى لبنان. كانت مدافع الحرب الأهلية قد هدأت، مُتسبِّبةً بعطوب وبرك دم: «كنتُ في الـ18 حين شعرتُ بأنّ شيئاً يجرُّني للعودة ويقذفني نحو بلدي المُثقل. أتيتُ وحيدةً، وعائلتي في نيجيريا. اليوم أتفهّم عمق العلاقة بالأرض والطاقة. تلك التي لاحت في الطفولة ولم أستقرّ على تعريف لها. جسَّدها شعور تجاه صخرة أو شجرة

أرادت لفنّها التصدّي للعنف، فوظّفت رماد النار التي أقامتها للمراسم مادةً للرسم. أنجزت مجموعات بتلك المادة السوداء ومن الحبر. وبدل الفرشاة، فضّلت الأقمشة. بالكوفية مثلاً، لمست وحدة الشعوب، فأدخلتها في لوحاتها

أو ورقة تتساقط. الصوت الذي ناداني للعودة، سمعتُه جيداً. لم أقوَ على صدِّه. ورغم هواجس العيش على أرض هشَّمتها الحرب، اخترتُ المجيء».

الفنّ عند زينة الخليل ليس للنفس فقط، وإنما للآخرين. وفي وقت واجهت التجارب القاسية في بلد شهد عقدين من احتدام المعارك، شعرت، بكونها امرأة، بالاعتداء المستمرّ عليها. مسلّحون يتجوّلون ومظاهر تفلُّت. ذلك يفسِّر ميل أعمالها المبكرة إلى «النسوية المُفرطة»: «أردتُ إيجاد مكاني بوصفي امرأة والنضال للشعور بالأمان. لم أجسِّد الحركة النسوية المألوفة التي شهدتها أوروبا وأميركا آنذاك. مواجهة الميليشيا والإحساس بالخطر الفردي جعلا نسويتي تتجاوز حيّزها. راحت أعمالي تنتقد الحرب والأسلحة. وضعتُ فنّي بمواجهة هذه الإشكالية: هل حقاً يحتاج الإنسان إلى سلاح لإثبات نفسه؟».

ولمحت مُحرِّك العنف ومؤجِّجه: «البشر والدول يتقاتلون حول الموارد والثروات. العناوين الأخرى، منها الأديان، ذريعة. أدخلتُ مادة البلاستيك في أعمالي لإدراكي قوة العلاقة بين المستهلك والمعركة. البلاستيك مصنوع من النفط، والنفط يُشعل الحروب. تجرَّد الإنسان من الحسِّ وأصبح العالم مُجمَّعاً تجارياً ضخماً. بتبنّي (الكيتش) في الرسم، سجّلتُ موقفي ضدّ تغليب القوة والحلول السريعة على وَضع استراتيجيات السلام. طغى اللون الزهريّ على رسومي مُجسِّداً البلاستيك والعلكة واللامعنى. شكّل فنّي محاكاة للعبة الباربي بصورتها النمطية وما مثّلته من سطحية وانعدام العمق».

تسلّل السخرية إلى الموضوع الجدّي محاولةٌ لجعْل النقاش أقل غرابة. لسنوات واصلت الفنانة تبنّي هذا الأسلوب وبه عرفت. وباندلاع حرب 2006 في لبنان، تحوَّلت إلى تدوين الأحداث، وإنما الرغبة بمواصلة الرسم تأجَّجت: «دوري ناشطة ومدوّنة لم يُشبع نهمي. وذات يوم، عشتُ تجربة صوفية لا أملك شرحها. كأنني عدتُ إلى زينة في أفريقيا والرابط بين الوجود والإنسان. البعض يسمّيه النداء الروحي. فجأة، لم يعُد عالم المادة مهماً، وشعرتُ بحبل في داخلي يُقطَع. غمرني الشعور بألم الأرض، فلم أجد منزلاً لي.

مسقطا أمي وأبي، كلاهما تألّم بتداعيات الحروب. سمعتُ نداء الأرض: (تعالي لنُشفى معاً!). كأنني كنتُ أتعرّف إلى وجعي من أوجاعها. كان نداء عميقاً. أمضيتُ الوقت في تلمُّس التراب. شعوري بأنني لستُ في منزل؛ لا أنتمي، ولا أعرف مَن أنا، جرَّ فنّي إلى مكان آخر. رسمتُ ولم أدرك ماذا أرسم. أجريتُ مراسم لشفاء الأرض، فأشعلتُ النار من أجلها ورفعتُ الصلاة. سألتُ الطاقة أن تتبدَّل. والأشياء العالقة في الكون أن تتّخذ مجراها. مثل مَن ماتوا بلا دفن لائق، وبلا جنازة ووداعات. طاقة هؤلاء ظلَّت عالقة. لم تحدُث المصالحة بعد الحرب. بزيارتي الأماكن حيث حلّت مجازر، وإشعالي النار، حَدَث التواصل. كأنني أقول للموتى الذين أرسم أرواحهم بأنني هنا؛ أراكم وأعترف بكم. أنتم منسيّون بجميع الطرق. الدولة لم تعترف بكم، لم تؤبِّنوا. أنا هنا لأراكم وأكون شاهدة. بهذا بنيتُ اتصالاً فريداً مع لبنان».

أرادت لفنّها التصدّي للعنف، فوظّفت رماد النار التي أقامتها للمراسم مادةً للرسم. أنجزت مجموعات بتلك المادة السوداء ومن الحبر. وبدل الفرشاة، فضّلت الأقمشة. بالكوفية مثلاً، لمست وحدة الشعوب، فأدخلتها في لوحاتها: «كل حفل شفاء أردتُه لنفسي وللبنان وللشرق الأوسط والكون. غمّستُها بالحبر ورسمتُ بها لنحو 10 سنوات. في الهند، درستُ الروحانيات ولمستُ اختفائي. الرسوم تتحوّل انعكاساً لروحي، كما أنّ روحي تُغذّي فنّي، فيتكاملان تماماً».

يأتي الألم بوعي مختلف لم يُعهَد من قبل ويتيح النموّ الداخلي. الألم أحياناً يختار المرء؛ يتعرّف إليه. ولا ينتظره. يُناديه ليخطّ مساره. تقول: «بعد انفجار بيروت عام 2020، شاهدتُ الدخان والتصدُّع. سرتُ على شوارع يفترشها الزجاج. في تلك اللحظة، تجمَّد الزمن كأنه سينما. بحركة بطيئة، رأيتُ انهيار جانب ضخم من سقف منزل، ووجوهاً مُدمَّاة، وهلعاً. فكّرتُ أنها الحياة. كفَّ الوقت عن التحلّي بأي معنى. لمحتُ التقبّل المريع لفكرة أنّ العنف جزء من الوعي الإنساني. هنا شعرتُ بأنني فكرة تأتي وتعبُر. أو لحظة ونَفَس. جسدٌ مُعرَّض لانتهاء تاريخ الصلاحية، وجوهر واحد يُعبِّر عن نفسه بمليارات الطرق. فنّي إعلان للسلام الداخلي ولحقيقة أننا مُنتقلون. ألم الانسلاخ هو الأقسى. في موضع إحساسنا بالانفصال عن الكون، عن الهوية، وعن الفردية؛ تبدأ رحلة الشفاء».

ألم الانسلاخ هو الأقسى في موضع إحساسنا بالانفصال عن الكون و الهوية

وجوه الراحلين

بدءاً من هذا العدد، نستعرض ما سبق أن دونه الأديب الراحل عبد السلام العجيلي من مقالات في كتابه «وجوه الراحلين»، حيث توقف عند عدد من الرجال الذين ربطته بهم علاقات صداقة وصحبة، وانضموا إلى قوافل الراحلين. كما تناول بالحديث البعض الآخر ممن كانوا، حينها، لا يزالون على قيد الحياة.

المرمار

مقدمة

هذه كلمات كنتُ كتبتها في الصحف أو ألقيتها على المنابر في مناسبات مختلفة من تكريم أو تذكر أو رثاء، تحدثت فيها عن عدد من الرجال ربطتني بهم علاقات تتراوح بين المخالطة البسيطة والصداقة الحميمة، مروراً بالصحبة والتتلمذ. لقد انضم هؤلاء النفر من المعارف والأصدقاء إلى قافلة الراحلين من الدنيا ولقوا وجه بارئهم، بعضهم بعد أن تحدثت عنه، وأكثرهم قبل أن أتحدث. وكنت كلما رجعت إلى أقوالي فيهم فكرت بأن جمع تلك الأقوال في كتاب لن يكون أمراً عديم الجدوى. فعدا عن تسجيل ذلك الكتاب لبعض إنتاجي الفكري، فإنه جدير بأن يزود قارئه بمعرفة من لم تتح له معرفته من هؤلاء الذين تحدثت عنهم، أو يذكره بمن عَرف أو سمع به منهم وأبعدته عن ذكراهم الأيام والأحداث.

وأذكر أني طرحت عزمي على إخراج هذا الكتاب مرة في حلقة من المعارف، فقال لي أحدهم: بلا شك سيكون كل ما يرد فيه ثناءً ومدحاً لأولئك الرجال! قلت: هذا صحيح... إلا أن معناه غير ما تظن، من أني ألقي الكلام على عواهنه وأنني أثني على من يستحق ومن لا يستحق. فأنا في طبعي بعيد عن أن أضع كلمة في غير موضعها الحقيقي. ولكن أمرين يكمنان وراء العبارة الطيبة التي سيجد قارئ الكتاب أني قلتها فيمن تحدثت عنهم. أول هذين الأمرين أني لا أتصدى بالكلام إلّا عمن يرضيني الحديث عنه. وثانيهما أني مطبوع على تغليب جانب الطيبة في من أعرفه على جانب السوء، وعلى اصطفائي خلال الخير فيمن أخالطه، وضربي الصفح عمّا كان فيه من شر.

والواقع أني طالما امتنعت عن إجابة دعوات توجه إليّ كي أتحدث في تكريم رجال مبرّزين أو في ذكرى رجال مبرّزين، واعتذرت لذلك بأعذار مختلفة، أحياناً لقلة

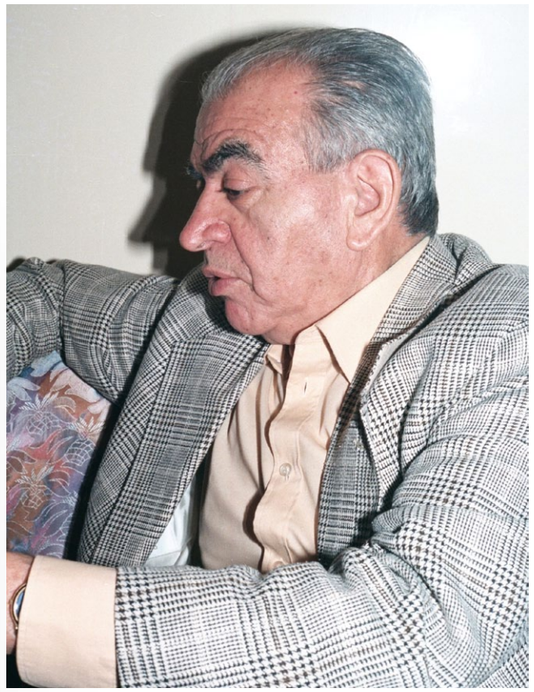

اتصالي بأولئك المبرّزين وضعف معرفتي بمناقبهم، وأحياناً لقناعتي بأن المجالات التي برزوا فيها لا تستحق أن أهدر فيها كلماتي. ولهذا قلت إنني لا أتحدث إلا عمن أجد الحديث عنه يرضيني. ومن ناحية أخرى، أجدني كثيراً ما أثير عجب أصحابي لاستخفافي ظلّ بعض الناس وقبولي معاشرتهم على ما فيهم من مآخذ معروفة. وأنا أرد على ذلك العجب بقولي إنني قلّ أن أجد إنساناً خالياً مما يثير اهتمام من هو مثلي.

فإذا كان لهذا الإنسان خلاله المنتقدة، فإني لا أقاربه من ناحيتها، وإنما أقتصر في مخالطته على ما هو صالح فيه ومهم. هذا وذاك يفسران كون ما يجده القارئ في كتابي هذا كلاماً خيراً وطيباً. لولا ذلك ما كنت قلت هذا الكلام.

فإني من متبعي الحكمة المأثورة: قل الخير وإلا فاصمت.

على أن القارئ الفطن سيدرك دون كبير عناء أن فصول هذا الكتاب ليست مجرد إطراء ومديح لمن عقدت عليهم. إنها في الواقع صفحات أدبية يتجاور فيها تاريخ الأحداث وتصوير النفسيات، وتتضمن آراء شخصية لي في السياسة والعلم والاجتماع في ثنايا كلامي على من تحدثت عنهم. وهذا دأبي في كل ما أكتبه أو ألقيه، أن أجعل من أي مناسبة تعرض لي أو ملتقى أشارك فيه مجالاً للتعبير عن أفكاري وأحاسيسي ووسيلة لنقلها إلى من يقرأني أو يستمع إلي.

بقي أن أقول إن كتبي الأخرى، وصفحات كثيرة من دوريات متعددة، قد احتوت فصولاً غير هذه عقدتها على راحلين آخرين ممن كان لي بهم صلة ومعرفة. فإذا كنت قد اقتصرت على من أوردت ذكرهم في هذا الكتاب، فقد فعلت ذلك تجنباً للتكرار من ناحية، وتداركاً لما فات علي تسجيله من ناحية أخرى. وسواء أكان أنانية إقدامي على تسجيل ما قلته في هؤلاء الراحلين، أو كان غيرية ووفاءً وحرصاً على تثبيت الإشادة بهم في هذه الصفحات، فإني أرجو أن يحمل كتابي إلى القارئ العادي وإلى الباحث الدارس شيئاً من متعة وبعضاً من فائدة، باطلاعه هذا وذاك على جوانب خفية أو تفصيلات مهملة من سير رجال رحلوا عنا، وكان لهم، قبل رحيلهم، في جوانب متباينة من حياتنا أثر وجهد ومآثر.

الرقة - سورية
تموز - يوليو 1982

عبد السلام العجيلي

وجوه الراحلين

نجيب الريس
جهاد في ميدان الأخلاق

بقلم
عبد السلام العجيلي

كيف كانت الحال في سورية في الأعوام الثلاثة 1926، 1927، 1928؟ ... كان المحتل ينفض عطفيه خيلاءً بعد خمود ثورتنا الكبرى ويدير بينه وبين نفسه صور الانتقام لتلك الضربات القاسية التي كالها له هذا الشعب الصغير الباسل. أما البلاد فقد كانت تداوي جراحاتها العميقة وتتهيأ للجولات القادمة. وكان الناس يرون، والحق معهم فيما كانوا يرون، أن الحرية أم الفضائل. ولذلك كانوا يرون، وما كان كل الحق معهم في هذا، أنه لا جهاد إلّا في ميدان الحرية وفي سبيلها. لذلك كانوا يتهاونون فيما دون الحرية من الفضائل ويعتقدون أننا يوم نصبح مستقلين سيأتينا في ركاب الحرية كل الفضائل من نزاهة وعدل وإيثار وإعطاء كل مواطن حقه. إلا أن واحداً من الناس، ولعله ما كان وحده في ذلك، واحداً من الناس من المكافحين في سبيل الحرية المجاهدين في ميدانها، كان يرى أنّ الأخلاق الفاضلة دعامة الحرية، وأن الجهاد في ميدان الأخلاق هو بعض الجهاد في سبيل الاستقلال، فصاول في هذا الميدان وناضل مثل صياله ونضاله في ذاك غير مقصِّر ولا متخاذل. ذلك الواحد هو نجيب الريس.
وماذا كانت الرَّقة، بلدي، في الأعوام الثلاثة 1926 / 1927 / 1928؟... كانت سورية، في عُرف غالبية المعنيين بالأمور الوطنية، هي المدن الأربع: دمشق وحلب وحمص وحماة. أما الساحل والجبل فكانا تحت حكم شبه مباشر، وأما ما وراء حلب من بادية وجزيرة فكان متروكاً، من ناحية التنظيم الوطني، إقطاعاً لضباط الاستخبارات يحكمون فيه هم وتراجمتهم وأعوانهم دون رقابة أو معارضة. وكانت كل حركة وطنية وكل مقاومة للأجنبي وكل معارضة لحكمه تلد وتموت في هذه المنطقة الضائعة دون رعاية أو معاضدة أو التفات من مراكز النضال في الداخل.
وكانت الرّقة قرية صغيرة، ولعلها لا تزال قرية وإن كبرت، في هذا المحيط المجهول. فلا عجب إذا طغى في الرّقة ضباط الاستخبارات وأفسد في الحكم أعوانهم، وتعرّض المواطنون للجور والضغط واضطُهد ذوو الفكرة القومية دون أن يدري بهم أحد أو يأخذ بناصرهم أحد.
ولكن رجلاً واحداً كان يرى إلى أبعد مما كان يرى كثيرون غيره، ويدرك أن الوطن واحد مهما تباعدت رقاعه، فجاء إلى الرّقة في تلك الأيام ليحمل مع أهلها قسطاً من عبئهم، وليكون لسانهم الناطق أمام المحتل الغاشم وفي ميادين الحق، وليتعرّض مثلهم لجور ذلك المحتل وطغيانه. ذلك الرجل هو نجيب الريس.
إني لا أزال أرى بعيني الصبي الصغير الذي كنته في تلك الأيام المجلس الذي عقده شيوخ أهلي ليجتمعوا فيه بهذا الشاب الذي جاء إليهم من دمشق، وما كان أبعد دمشق في تلك الأيام، ليتدبّر معهم خطة المعركة المشتركة.
لقد شُنت هذه المعركة على صفحات القبس، ثم أصبح ميدانها ساحات القضاء وأروقة الوزارات، وتناولت نارها ضباط الاستخبارات والمندوبين فوقهم، والقائمقامين والمتصرفين ومن فوقهم الوزراء، ودامت أربع سنين بل امتدت ذيولها إلى أكثر من ذلك.
كان يحكم الرّقة حينذاك قائمقام بارز الشخصية، قوي الشكيمة، شديد الذكاء. سخّر كل عناصر قوته ليوطّد حكم السلطة المنتدبة، وليجرّ المغانم المادية لنفسه ولحماته: ضباط الاستخبارات وأعوانهم. الخيانة هي البضاعة الرائجة، والرشوة هي الوسيلة الفعّالة. وأصبح لكل مختارية ثمن، بل مزايدة على الثمن، ولكل التزام حكاية وقصة. أما غرامات البنادق فكان المستشارون يبادرون إلى فرضها كلما آنسوا تذمّراً أو أحسّوا ببادرة احتجاج على هذا الأسلوب البديع الذي تجري عليه أمور الناس.
وظل كل شيء سائراً على ما كان يرومه القائمقام وحلفاؤه، أو سادته، ضباط الاستخبارات، حتى بلغت بهم الاستهانة كل مبلغ، فلم يحذروا في ابتزازهم المال الحرام عدواً ولا صديقاً. وهكذا أقدم القائمقام في ذات يوم على أن يساوم الملتزم لسفن العبور فلا يسمح للبدو بعبور الفرات على سفن هذا الملتزم إلا إذا دفع للقائمقام وشريكه المستشار مبلغاً مقطوعاً قدره خمسون ليرة عثمانية ذهباً. وكانت الاستهانة أن الملتزم كان واحداً منا، من الذين يؤمنون بأن المستشار وأعوانه هم أعداء الدين والوطن والحرية. فكانت تلك نقطة الضعف والفرصة المتحيّنة لبدء المعركة.
لن أسمّي أسماء، ولن أذكر أشخاصاً بعينهم في هذه الكلمة، فقد ذهب الانتداب وسلطانه وانتقل كثير ممن اشتركوا في هذه المعركة إلى رحمة الله، وتبدلت المقاييس، بل انعكست في بعض الأحيان، فتصدّر خونة وخُوّنَ مُجاهدون، وأصبح ذكر الماضي كلاماً معاداً تضيق به الأسماع حيناً أو يُتاجر به العاجزون أحياناً.
ولكني حين أذكر تلك الحملة التي شنها نجيب الريس على فساد الحكم، وحين أذكر تلك الضجّة وذلك الاضطراب اللذين شاعا في قضاء الرّقة كذيول لتلك الحملة، وحين أذكر تلك اللجان التي كانت تروح وتجيء والتهديد والوعيد اللذين انصبّا على أهلي الذين أثاروا تلك الحملة، ثم أذكر موقف نجيب الريس الذي لا يتزحزح عما نادى به أنه حق، حين أذكر كل ذلك تتبادر إلى ذهني صور الأفذاذ من الرجال الذين قرأنا سيرهم والذين يواجهون الدنيا جميعها انتصاراً لحق ضعيف استحله قوي.
جرّد نجيب الريس قلمه في تلك الافتتاحيات الرائعة التي تكون بمجموعها جزءاً مهماً من سجل الجهاد في سبيل الاستقلال، فمرّغ في التراب حكم المنتدب الفرنسي حين حمل على الطريقة التي يُحكم بها جزء من الوطن السوري وجزء من الشعب السوري في قضاء الرّقة وباديته. وكان سلاح السلطة المنتدبة التعطيل لـ القبس وإحالة صاحبها إلى المحاكم بتهم التحقير والافتراء، ووراء كل ذلك سلطة ضباط الاستخبارات العسكرية وسلطة المفوضية العليا المهددة بما يشين كرامة قدس أقداسها.
وكانت مهزلة رائعة حين أدان القضاء ذلك القائمقام بالرشوة ولكنه لم يعتزل منصبه، لأن أسياده ما كانوا يريدون أن يشهد الملأ انتصار نجيب الريس على الحكم الفاسد في تلك المعركة التي دارت رحاها في ميدان الأخلاق. إلا أن الحق الذي يُنافح عنه نجيب الريس لقمة شائكة لا تستطيع، وإن لاكتها طويلاً، أن تستسيغها أفواه أهل الباطل. ففي خلال أعوام أربعة ملأتها هذه القضية لم تقوَ لجنة إدارية، أو هيئة تفتيش، أو محكمة من المحاكم، أن تنصر باطل السلطة على حق المواطنين، حتى اضطرت تلك السلطة، سلطة الانتداب، أن تطامن من كبريائها وتنزل صاغرة عن مركب الظلم الذي ركبته.
وكان ذلك انتصاراً لنجيب الريس، انتصاراً رائعاً لم يقف نجيب عنده لأن معارك أخرى في ميادين أخرى كانت في انتظاره. ولكن الذين دارت بين ظهرانيهم المعركة التي انتهت بهذا الانتصار ما برحوا يذكرون ذاك الذي شاركهم محنتهم في أكثر الأيام سواداً وقاوم معهم، متجرداً من كل رغبة أو مطمع، قاوم معهم طغاة ما كانوا يظنون أنهم يقاومون. إنهم يذكرونه ويتأسّون بذكراه كلما استفحل ظلم حتى قيل إنه لن يُرفع، وكلما أعوزتهم في الجهاد المجرّد في ميدان الأخلاق أسوة حيّة حسنة.

13 شباط 1955

استراحة المزمار

نعيش الواقع بصدق بعيد عن أي رتوش.. ونحاول كسر حاجز الصمت في الإدلاء بما يمكن أن يُحكى عنه بكل صراحة، لا سيما أننا بحاجة إلى معرفة آراء من يعيش الواقع بالرغم من مؤسياته، وما الإنسان إلّا خلاصة ما استوعب من تجارب، فضلاً عن أنها تسلط الضوء على حياتنا الخاصة، ما يمكن أن تفيض به ذاكرتنا وما يحيط بنا من صور مفرحة وحزينة تلامس حكاياتنا النابضة بالحياة وما أكثرها.
استراحة "المزمار" تُعنى بعشاقه وبجماهيره ومحبيه.. وبالحالمين بغدٍ أجمل..

عبد الكريم البليخ

المباهاة في إصدارات الكتب

تزايدت في الفترات الأخيرة إصدارات الكتب دون إضافة قيمة أو إثراء حقيقي .. وكل هذا وفي أغلبه رغبة من أصحابها في المباهاة والمكانة الثقافية، شأنها في ذلك شأن الشهادات العليا التي يتوهم أصحابها أنه بامتلاك واحدة منها فسوف تعزز من حضورهم ومكانتهم الاجتماعية!.
أي هدف نجنيه من كل تلك المظاهر الخداعة؟
الكتب بلا شك له مكانته ودوره في الحياة عندما يصدر عن جهة لها مكانتها، وترك أثر في المجتمع.
ما رأي الأصدقاء بالكتب التي نجدها تعرض في معارض للكتب. و موزعة على رفوف المكتبات، أو من خلال ما نشاهده عبر النت؟
هل تحقق الرغبة؟ وهل يمكن ان نعتبر تلك الكتب التي تصدر يمكنها أن تشبع حاجة القارئ؟

لماذا نكتب؟

لماذا نكتب؟ ألنقل أفكارنا للآخرين بوضوح؟ أم لنستعرض مهاراتنا بأساليب معقدة لا تخدم القارئ ولا الفكرة؟ هل هدفنا من الكتابة أن نقدم كلمات تستقر في عقول الناس، تلامس وجدانهم، وتدعوهم للتأمل؟ أم أننا نكتب لنغرق القارئ في دوامة من الغموض، حيث تضيع الرسالة بين جمل مبهمة وصور غير مفهومة، فقط ليثني علينا الآخرون بأننا كتّاب بارعون؟
الكتابة الحقيقية هي تلك التي تخاطب الجميع: القارئ البسيط والمثقف على حد سواء. هي الكتابة التي تجعل الفكرة واضحة وسهلة الوصول، بعيداً عن الاستعراض والتفاخر الفارغ. فالكاتب الذي يلجأ إلى التعقيد ويغلف نصوصه بغموض متعمد لا يخدم القارئ، بل ينفّره ويدفعه للبحث عن نصوص أكثر وضوحًا وصدقًا، نصوصًا تلامس روحه وتعكس واقعه وآماله.
إنّ الكتابة مسؤولية، وهي ليست فرصة لإظهار المهارات اللغوية فقط، بل وسيلة لنقل المعنى، لإحداث تأثير حقيقي. فالكاتب الماهر هو من يختار كلماته بعناية ليبني جسرًا من التفاهم بينه وبين قارئه، وليس من يغلق الأبواب أمامه بجمل متكلفة أو غامضة.
اللغة العربية، بثرائها وجمالها، هي أداة تعبيرية استثنائية. إنها لغة تحمل كل أدوات الوضوح والإبداع في آن واحد. لكن هذا الثراء اللغوي لا يعني أن نغرق في الزخرفة والاستعراض، بل أن نستخدمها لنقل أفكارنا بأقوى وأبسط صورة ممكنة.
علينا ككتّاب أن نكون صادقين مع أنفسنا ومع قارئنا. أن نكتب لنشارك الفكرة، لننير العقول، لا لنستعرض براعتنا. الوضوح هو ما يربط القارئ بالنص، وهو ما يجعله يثق في الكاتب ويعود إلى كلماته مرة بعد أخرى.

الموت مثل الثعبان الذي يختفي في زوايا الحياة ليلدغ الزهور الجميلة ويقضي عليها وهي في روعة شبابها السحري العميق..

تصرف الزوجة بمال زوجها؟

هل تشتري المرأة كرامتها بالمال؟. المال دائماً يُذكّرها بأنه أهم شيء في الدنيا، وإن كان ذلك من قبل زوجها! وهل من حقها التصرف في مال زوجها متى أرادت وكيف ما تشاء؟
إنَّ الزوج، في الحال السويِّ العادي، هو الكاسب. وتطلب منه الزوجة نفقة الطعام، فيدفع. وتطلب نفقة الكساء فيدفع، إن استطاع. الزوجة هي دائماً السائلة. وهي تسأل ولا تدري ما الجواب. حتى إذا كان الجواب، دائماً بنعم، فهي لا تزال هي السائلة. هي ذات اليد الدنيا، والزوج ذو اليد العليا. وقد تفتح كفّها ولا يُسقط فيه درهم.
إنَّ الزوجة التي يخلو جيبها من كلِ درهم، وهي دائماً في طلب الدرهم من الزوج، تحس بأنّها لا تملك في الحياة شيئاً.
إنّ الحرية في الحياة صنوف. وأوّلها حرية المال. وقد قالت زوجة صديق في ذات مرة: «لقد ازداد احساسي بهذا أنّي كنت قبل الزواج أعمل، وأكسب. فلما رضيت بالزواج، اشترط زوجي أن لا أعمل. أراد أن يكون له هو وحده شرف الكسب. انقطعت عن عملي، فانقطع كسبي، وصفّرت يدي، إلّا أن يملأها زوجي». وهذا هيّن على الفتاة التي تنتقل من تحت سقف أبيها وحمايته، إلى حماية زوجها وكسبه.
حاول أن يُفهمها أنّها تعمل في البيت، في حين أنّه هو يعمل خارج البيت. وأن لكل عمل أجراً. وأن المرأة الزوجة لها عن عمل بيتها أجر. فلها في كسب زوجها النصف تماماً. وهي عندما تطلب لنفسها فإنّها تطلب من بعض نصيبها.
العقدة هنا في أنّها تطلب، وفي أنّها قد لا تجاب. والزوج لا يطلب، ولا يَستأذن. وهو يعلم ما في الجيب، وهي لا تعلم. وابتسم زوجها واقتنع، وما أسعد المرأة التي يكون لها زوج يبتسم عند اقتناع. وعقدتها انحلت، من يوم عادت إلى الكسب. وسعادة البيت خلتُ أنها زادت.
بقي أمر الزوجة التي لا تعمل، أو لا تستطيع عملاً. يحلُّ عقدتَها، أن تكن عقدة، بأن يجعل لها الزوج نصيباً راتباً من كسبه، ولو صغيراً، تحسّ أنّه لها، فتتصرّف فيه كما تشاء، وبلا استئذان، يعيد إليها شيئاً من كرامتها.
وأعلم أنّه شاع اليوم بين النساء، وشاع بين الرجال، أن لكل عامل أجراً، وأن الزوجة عاملة، فلها على زوجها أجر عمل البيت.
ولكن لا أحبذ أن تطالب الزوجة بأجر، أحبذ الفكرة أن تشييع، لأنها الحق، ولأنها العدل، ولأنها تحفظ للزوجة كرامتها، ومن حقها التصرف في المال متى وكيف ما تشاء.
أحَبذ الفكرة أن تشيع، ليدرك الرجال أن عمل البيت مرهق كعمل المكتب والمصنع والسوق.
وأحبذ الفكرة أن تشيع، ليحسّ الرجال عندما يعطون الزوجة مالاً فإنما هم يعطونها من بعض نصيبها.

الذي يأكل مع العميان يأكل بإنصاف

كاتب يبحث عن ورقة

عندما يخط القلم حروفه على الورقة، يتردد صريره كأنين متوجع، كأن الألم يتسلل إليه من عمق الروح. يصرخ القلم وكأنه على وشك الانكسار، فتتحطم معه قلوب سامعيه. لكنه، رغم هذا العذاب، يواصل تدوين كلماته التي تحمل في طياتها حزناً يفيض كالنهر المتدفق.
الحزن هنا ليس مجرد شعور، بل هو جسد مقطع أشلاءً. كلمات القلم تترجم ذلك الألم إلى دموع تُسكب على الورق. ومع كل حرف يكتبه، يمتلئ القلم والكاتب معاً بثقل المشاعر، حتى تنتهي الورقة، وتعلن عن استسلامها. عندها يبدأ الكاتب رحلَة البحث عن قطعة أخرى من الورق، ليكمل تفريغ أوجاعه التي تبدو بلا نهاية.
الكاتب والقلم يسيران معاً، كجسد وروح، يبحثان عن ملاذ جديد. الورق بالنسبة لهما ليس مجرد سطح أبيض، بل هو مستودع لكل الآلام والأحلام المحطمة.
ومع كل كلمة تُكتب، يصبح الكاتب أقرب إلى كتلة جسدية حزينة، مثقلة بالألم، كأرض أثقلتها الأحزان، وكصمتٍ يُطبق على مكان بلا حياة.
وفي نهاية البحث المضني، يعود الكاتب إلى قلمه، يتأمل تفاصيله الصغيرة في ظلام الليل. يحدثه بملل وكأنما يخاطب رفيقاً شاركه المعاناة: «لو وجدت ورقة، لسكبت عليها ما يعتصر قلبي، ولجعلتها شاهدة على معاناتي». ينظر إلى قلمه، يتأمّله بتمعن، فيرى ألواناً تختزل الذكريات والآلام. الأخضر يعيده إلى أحضان أمه، إلى وطنه سورية الغالية، بينما الأحمر يذكره بتضحيات الشهداء الذين قدموا دماءهم بسخاء. أما الأسود، فهو لون الحزن الكامن في أعماقه، ذلك الظل الثقيل الذي لا يغادره. وحين يعود إلى اللون الأبيض، الأبيض الناصع، تبتسم روحه للحظة، وكأنه وجد بصيص أمل وسط عتمة اليأس.
لكن تلك الابتسامة سرعان ما تتلاشى، فيودع قلمه بشهقة أخيرة، شهقة توديع للحياة التي غمرها الألم. في تلك اللحظة، تنفجر مشاعره، وتتساقط دموعه الغزيرة كالمطر، لتروي قصة قلب أرهقه الحزن، وكاتب أفناه التعب.

نور عبد الكريم البليخ

أحييك يا صديقي

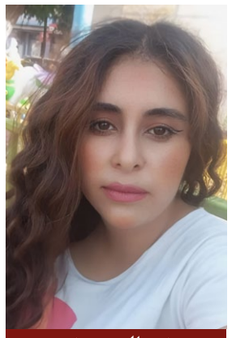

نور اليوسف

عندما ألححت عليك بكتابة نص غزلي كباقي العشاق، لوّحتَ لي بيديك المدماة، فعرفت حينها أنك تحبني أكثر منهم جميعاً.
وحين ألمحت إليك أن تلاطفني بقصيدة قديمة، أدرت ظهرك المنحني لي، فعلمت أن الشعر قد شاب فيك، بعد أن ألقى بداخلي قصيدته الوحيدة...
وعندما قلت لك: «لا بأس، لا مانع من الابتسام»، ضحكت لي عيناك، تلك العينان اللتان لم تعودا تريان سوى طريق العمل منذ عام ونصف.
أدركت وقتها أن ابتسامتك لا تبرق إلا وأنت بجانبي.
أنا وأنت يا قمري وجهان لعملة واحدة، أحدنا يكمل الآخر.
أنا أكتب الشعر وبعض نصوص الحب الرقيق.
وأنت تحيلها، بمعولك، يديك المدماة، ظهرك المنحني، وعينيك التي لم تعد ترى سوى طريق العمل، إلى منزلنا الدافئ.

حرارة الشوق

هل سألت نفسك يوماً: ما الذي يُبكيك؟ ما الذي يُحرِّك في نفسك الحزن والشجن، فتفعل الغدد الدمعية فعلها؟
لقد حاولت أن أفك هذا اللغز ففشلت؛ لأنني أبكي أحياناً من الفرح، وقد أبكي لذكرى عزيز رحل، لذلك وسَّعت دائرة البحث، وفتَّشت في ذاكرتي عن مواقف أبكت غيري، لعلّ هذا القدر من الحياد يوصلني إلى الإجابة التي أبحث عنها. وليتني ما فعلت.
فقد تمثَّل أمامي وجه أبي، الذي لم أره باكياً إلا مرة واحدة، وكان ذلك يوم سفري من الوطن للعمل في الخارج.
ولا أنكر أن لتلك الذكرى لسعة مثل لسعة عقرب سام، إن لم تُسرع بعلاجها قتلتك. ففيها خليط من سمّ الإحساس بالذنب؛ لأنك تسبَّبت في فرض هذا الأسى على أبيك، وفيها إدراك بأن هذا الأب رحل عن عالمنا، وفيها نظرة شمولية إلى واقعك تفضي إلى سؤال تطرحه على نفسك: لو عاد الزمن إلى الوراء، هل كنتَ تفارق من تحبُّ بحثاً عن مستقبل أفضل؟
أسئلة تتقاطع، وأخرى تدور حول نفسها في حركة لا تنتهي. وفي النهاية، أستخلص من الذكرى إجابة تفيد بأن اشتياق الوالد للمولود أعمق بكثير من اشتياق المولود للوالد.

تأملات في الإبداع المفقود

أصبح «فيسبوك» اليوم ملجأً للكثيرين للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، وللبوح بما يجول في خواطرهم من هموم وشكاوى. هذه الظاهرة، التي قد تبدو إيجابية وتستحق التشجيع، تحمل في طياتها مشكلة كبيرة. فالكثير مما نقرأه على صفحات الأصدقاء ليس سوى محتوى منقول، أو منسوخ، أو مقتبس من مواقع وصفحات أخرى، سواء عبر «فيسبوك»، «تويتر»، أو حتى «جوجل».
هذا السلوك، الذي قد يغني البعض عن الإبداع، يعتمد ببساطة على النسخ واللصق، ومن ثم نسب جهد الآخرين لأنفسهم. هؤلاء الذين يدّعون أنهم أصحاب الأفكار يكتفون بتزيين صفحاتهم بنتاج عقول غيرهم، بينما هم في الحقيقة لا يعرفون أبجديات الكتابة أو التعبير. في وضح النهار، يتحايلون على المتابعين ويخفون عجزهم وراء كلمات ليست لهم، ويتغنون بها على أنها من إبداعهم الخاص.
يا له من أمر محزن ومثير للتساؤل! لماذا لا يجتهد هؤلاء في تقديم أنفسهم بصدق؟ لماذا لا يبتعدون عن انتهاك حقوق الآخرين الفكرية؟ أليس من الأفضل أن يُظهروا بوجهم الحقيقي، مهما كان بسيطاً، بدلاً من الادعاء بامتلاك أفكار لا تخصهم؟
كان الأمل أن تكون المشاركات التي نقرأها على وسائل التواصل الاجتماعي نابعة من بنات أفكار أصحابها، وأن تعبّر عن جهودهم الشخصية. لكن الواقع مختلف تماماً. أغلب المنشورات التي نراها اليوم هي نسخ من مقالات وأفكار تعود لعلماء، أدباء، وكتّاب مرموقين، يتم اقتباسها دون أدنى تقدير لأصحابها، ودون الإشارة إلى مصدرها.
إنّ الإبداع ليس في تزوير الحقائق أو الادعاء بامتلاك أفكار الغير، بل في تقديم ما يميّزنا، وما يعبر عن ذواتنا بصدق. علينا أن نفيق، وأن نعيد النظر في الطريقة التي نتفاعل بها مع هذا الفضاء الرقمي، وأن نحترم جهود الآخرين ونبتعد عن نسخها وسرقتها.
لعلّ المستقبل يحمل تغييراً في هذه العادة المقلقة، ولعلّنا ندرك يوماً أن الإبداع الحقيقي يكمن في الصدق والعمل الجاد، لا في الادعاء والنسخ واللصق.

أب أم وابن.. وروابط هامشية!

هل يكفي الأب أن يكون قريباً إلى ابنه، ويتابع وعن كثب أنشطته المدرسية، ويوجّه اعوجاجه، ويستمع إلى مشاكله وهمومه والوقوف عليها؟.
بالتأكيد، أنَّ ذلك ليس كافياً، وهذا لا يعني أن الابن يقف مطلبه عند هذه الحاجة، أو تلك، وإنما هناك مطالب ورغبات أخرى، من الواجب أن يأخذ بها الأب، وأن يقوم على توفيرها، وأوّلها القرب من ابنه أكثر والاهتمام به، والأخذ بيده، والتواصل معه، وبصورة دائمة، وتلبية احتياجاته ورغباته وتشجيعه على الأعمال التي يقدِّم عليها، بدلاً من زجره وترهيبه، عن هذا النشاط أو غيره، وتجديد الثقة به ودفعه إلى أكثر من ذلك، وهذا ما نراه بعيداً عن اهتمام أغلب الآباء العرب المقيمين على أرضِ الولايات المتحدة، أو في أوربا وغيرها، حيث نراهم مشغولين جل وقتهم في العمل، على أن يكون نصيبهم من الحياة غير ذلك.
وفي المقابل، نجد أنَّ حالات الطلاق، المعني بها أولاً وأخراً الزوج، راعي الأسرة، غير الملتزم حيال أسرته، والسبب في ذلك ساعات العمل الطويلة التي يقضيها في العمل، وتستهلك كل وقته، وعلى مدار الأسبوع غير مبالياً بأسرته، على الرغم من شكوى الزوجات العربيات للمشايخ، خطباء المساجد، مطالبات أن يلتفت الزوج إلى عائلته، ويهتم بها، ولو ليوم واحد، أقلها، في الأسبوع.
والمطلوب منه أن يسايرها، وأن «تفضفض» ما تخزّنه في داخلها من هموم. يخرجون معاً إلى المطعم، ويقف على تلبية مطالب أسرته، ويشعرهم بالأنس معه، حتى تعرف الأسرة، ومعها الأبناء، بأنَّ والدهم حريصٌ كل الحرص على مشاعرهم، وتلبية رغباتهم. ولكنهم، وللأسف، استمروا في غيّهم وتعنّتهم، واهتمامهم في عملهم، وساعاته الطوال المتواصلة، ناهيك عن غياب الأبناء، ما خلق شرخاً واسعاً في الأسرة، وهذا ما يعني شتاتها واضطرار الكثير من الزوجات العربيات إلى طلب الطلاق باللجوء إلى المحاكم، ورفع دعاوى قضائية على أزواجهن الذين لم يبالوا بهن، بل تركوهن عرضة للعلاقة الهامشية، والالتفات للهمّ الأكبر، ملاحقة الدولار واليورو، وهذا ما يسعون إليه!

عن الزواج والجنس

الزواج هو المكون الرئيسي للأسرة وإنجاب الأطفال، والجنس في حدٍ ذاته يُعد مصدراً من مصادر السعادة والمتعة.
إن سوء استخدام الجنس قد يؤدي إلى أشد العقوبات وأقسى الجزاءات!
إن عدم الوفاء أو الإخلاص من قبل الزوج أو الزوجة قد يؤدي إلى تقليل فرص استمرار العلاقة الزوجية أو بقاء الشريك في الحياة. فالتاريخ الإنساني يعجُّ بالكثير من الأمثلة على عنف الانفعالات الإنسانية التي تسببها قلة الإخلاص وعدم الوفاء.
إن الشعور بالذنب يُعد عقاباً في حد ذاته، أما الغيرة والانتقام فهما من أبشع الشرور، إذ لا يمكن للمرء التنبؤ بوقت اندلاع هذه المشاعر السلبية. فمن السهل التحدث عن كوننا أناساً متحضرين ومتحررين ومتفهمين، ولكن الكلام وحده لن يُصلح حياةً منهارة.
فالشعور بالذنب لا يُقاس بطعنة خنجر في الظهر أو بوجبة حساء مسمومة يُقدم عليها شخصٌ أعمته نار الانتقام!
أضف إلى ذلك، وهو الأهم، موضوع الصحة؛ لذا عليك الوفاء للشريك لتجنب الإصابة بالأمراض. نحن نعيش في عصر يصعب فيه التحكم بالأمراض الجنسية، إذ إن هناك أمراضاً لا يمكن علاجها على الإطلاق.
إن المشاكل التي يخلقها الانحراف الجنسي قديمة قِدَم الزمن. فالروابط الأسرية مصيرها التفكك بسبب عدم الإخلاص، مهما كان الحوار بين أفراد الأسرة حضارياً.
إن نزوةً مؤقتةً عابرةً قد تصبح همّاً وقلقاً يُرافقك طوال حياتك. لذلك، عليك أن تزرع الصدق والإخلاص بين أصدقائك ومعارفك، وأن تحمي صحتك وسعادتك. نستخلص من كل ذلك أنّ الجنس يُمثل خطوة كبيرة على طريق السعادة والبهجة، شريطة أن يكون متوَّجاً بالإخلاص والوفاء لشريك الحياة.

مفتاح السعادة

الأشخاص الماديون، بصورةٍ عامة، أقل سعادة وأكثر اكتئاباً، حتى اولئك الذين يطمحون إلى امتلاك المزيد من المال يعانون مشاكل في الصحة العقلية، كما أنهم يشكون من أمراض جسدية أكثر، كالتهاب الحلق وآلام الظهر والصداع، ويزيد احتمال افراطهم في شرب الكحول، وتعاطيهم المخدرات. فالسعي وراء النجاح المالي يترك الناس، وكما يبدو، في حالة يرثى لها.
فحب المال أصل لكل شر، وهذا يعني أنَّ الوحدة العائلية لا تُشترى بالمال، فهي لا تتحقّق الا بقضاء الوقت مع عائلتك ومنحهم ما يكفي من المحبة والاهتمام .

نحر
أعرابيّ ناقة وقال لزوجته: أعطي أمي الفخذ.
قالت: كثيرة لحم!
قال: أعطيها الكتف.
قالت: لذيذة طعم، بل أعطيها الرقبة.
قال: خذي الرقبة لأهلك، وطلقها.
صدق من قال:
المرأة إذا طال لسانها، قصرت أيّامها مع زوجها.

النرجيلة ومضارها الصحية

يقول أحد الأطباء أنَّ مخاطر النرجيلة عديدة وخطيرة، حيث يؤدي تدخينها إلى مشاكل صحية خطيرة كالسرطان، كما أنها لا تضر المدخن فقط، بل إنها تسبب خطراً على الأشخاص الذين يستنشقون دخانها، وتعاطيها يسبب سرطان الرئة والمثانة والحنجرة وسرطانات الفم المختلفة.

ودخّانها يحتوي على العديد من العوامل السامة التي يمكن أن تسبب انسداد الشرايين وأمراض القلب، وقد تنتقل العدوى للمدخنين الآخرين من خلال مشاركة النرجيلة نفسها.

كما أن الأطفال المولودين أكثر عرضة للإصابة بأمراض الجهاز التنفسي.. كالربو والسعال المزمن ونقص الأكسجة وأمراض اللثة، والتهاب الأنف المزمن، والعقم عند الذكور، ومرض الجزر الارتجاعي المعدي المريئي، وضعف الصحة العقلية.

عن مواقع التواصل وسحرها!

إلى أي مدى يمكن أن تكون العلاقة بين الزوج وزوجته صادقة في ظل التأثير المتزايد لمواقع التواصل الاجتماعي؟ وهل يمكن لهذه المواقع أن تخلق صوراً ومظاهر قد تبدو ظاهرياً مشبعة بالحب، التقدير، التفاهم، الطاعة، والروح المرحة، لكنها في جوهرها تحمل عدم الرضا، الأنانية، الخمول، وافتعال الأعذار مثل المرض والتعب؟

للأسف، قد تلجأ الزوجة أحياناً إلى استغلال هذه المظاهر السلبية لتبتعد عن زوجها، وتتركه غارقاً في بحر من التساؤلات والحيرة. في كثير من الحالات، قد يشير هذا التصرف إلى وجود طرف آخر في حياتها، منافس يمنحها وعوداً كاذبة ويُظهر لها الاحترام والتقدير بغرض جذبها إليه.

في هذا السياق، قد تجد الزوجة في هذا "العاشق الجديد" ما يطفئ رغبتها ويشبع احتياجاتها النفسية من خلال حوارات سرية على مواقع التواصل، محمية بأرقام سرية مخفية لا يمكن لأحد أن يصل إليها. وقد يتطور الأمر إلى لقاءات سرية تُشبع رغبات الطرفين في ظل رغبة متبادلة وتفاعل خفي لا يمكن لأحد أن يكشفه بسهولة.

هذه الديناميكية التي تُغذيها مواقع التواصل تُظهر كيف يمكن لهذه الوسائل أن تفتح أبواباً جديدة للتواصل، لكنها في ذات الوقت تحمل مخاطر كبيرة إذا ما استُخدمت لتحقيق أهداف شخصية على حساب القيم والعلاقات الأسرية.

سلاح التجاهل

يجب علينا أن ندرك ما يدور حولنا ولا نسقط في فخاخ المُخادعين الماكرين. ورغم أن الأصل في علاقاتنا الإنسانية أن تكون الثقة حاضرة في تعاملاتنا، إلا أن الحذر والحيطة ضرورية. ويكفيك العلاقات السطحية لإصدار الأحكام في حق الآخرين.. فأنت في حاجة ماسة لأن تراهم وقت غضبهم وثوراتهم التي تفضحهم فيها زلات ألسنتهم وعما يكنّون في صدروهم. تحتاج أيضاً إلى ميزان المعاملات المالية. هذا الميزان الحساس الذي ينهار أمامه الكثيرون ويتساقط أمام بريقه وسحره الطامعون، أنت في حاجة إلى مُفترق الطرقات حين تتعارض المصالح وتختلف الأطماع والطموحات.

لا تكفي الابتسامات البراقة لتكون دليلاً على أن الجميع يحبك ويتمنى لك الخير. ففي حياتنا فئات من البشر أقربُ ما يكونون أشبه بأسطورة مصاصي الدماء.. لكنهم أسوأ وأشد فتكاً. فهم موهوبون جداً في امتصاص الطاقة الإيجابية وتبديد هالات النور بحياتنا. ثقوب سوداء نحتاج للانفلات من خطرها الكثير والكثير من الحظر والانتباه، الخلاص منهم ليس بالأمر السهل. ولعل من أنجع الطرق لتجنبهم والتخلص من أذاهم سلاح التجاهل.

دموع مرهونة بالحزن

قرأتُ في عينيها دموعاً حزينة، تحمل بين طياتها آلاماً أثقلت نبض قلبها وأسرتها في طوق الحزن. دموعها كانت مناشدة صامتة، تُعلن عن حاجة ملحّة إلى حل ينقذها مما تعانيه.

نعم، هكذا دوّت صرخاتها المفاجئة، حيث وجدت نفسها هدفاً لعداء الكثيرين. كانت تلك الصرخات بوادر أمل تاه وسط الظلام، بوادر تحلم بالخلاص، رغم أن الجملة الأخيرة التي أدمتها الدماء المستباحة لم تكن سوى إعلان للرضا بالمقسوم والاستسلام للقدر.

صراخها كان شاهداً على يأس عميق من حالٍ أصابها في الصميم، طعنة قاتلة هزت كيانها وأثارت لعنات من حولها، ممنّ نظروا إليها بعيون ملؤها الخبث واللؤم. هؤلاء لم يدركوا أن تلك الطعنة كانت أكبر من قدرتها على المواجهة، إذ مثلت تلك التحديات المتتالية حزاماً ناسفاً أحاط بحياتها. ولم تجد بداً من اتخاذ القرار الحاسم، مُعلنة لحظة الصفر.

آلمها ذاك المجهول، الذي رغم أنها كانت تُدرك مفرداته وتحاول الإحاطة بكل معانيه، إلا أن وقعه كان أقسى مما يحتمل قلبها. بكت دموعاً تحرق المقل، وهي التي كانت تحمل في داخلها طيبة نادرة تُسعد من حولها. طيبة بعيدة عن كل ما يوحي بالخذلان والأسى، لكنها لم تسلم من سهام الخداع التي أصابتها في الصميم، ووضعتها وجهاً لوجه مع آلام وأحقادٍ أشعلها الحسد في نفوس من حولها.

فجأة، وجدت نفسها تواجه صدمة فقدان لم تكن تتوقعه يوماً. هذا الفقد جعلها تخرّ صريعة أمام حدث لم يكن في حسبانها، وهي التي كانت دائماً تحافظ على بيتها قوياً ومتماسكاً، رافضةً أن يعبث به أي طامع.

هكذا، كان قدرها المحتوم، وهي التي كانت تسير بخطوات واثقة ورائدة في كل ما تقوم به. لكن الأقدار لم ترحمها، فحطمت أجنحتها التي كانت تعتمد عليها في التحليق. وجدت نفسها تُحارب السوداوية والحقد الذي فرض عليها حصاراً أعمى، هدم كل الأبنية المتينة التي كانت تستظل بها يوماً.

كل تلك المشاهد المؤلمة، التي عايشتها، لم تُطفئ شعلة الحب الذي حملته في قلبها. الحب الذي ناشدته يوماً ليغمر أحبّتها بأريجه، ولم يغادر وجدانها رغم الآلام. برأته وثقتها بنفسها ظلتا تاجاً يزين شخصيتها، حتى في أوج لحظات الألم والمَسي.

تلك الطيبة وذلك الحب هما ما جعلها تتحمل على مضض كل ما أصابها من آلام عميقة أرّقت لياليها وأثقلت أيامها. لكنها، في النهاية، طوت تلك الصفحة المريرة التي ارتبطت بما عُرف بـ"الربيع الدموي"، الذي لم يسلم منه أحد، وألقى ظلاله الشؤم على الجميع.

كان من نصيبها أن تفقد وردةً من بستان حياتها، بستانٍ أينع يوماً بثمار الحب والعطاء. لكنها، رغم كل ما مرّت به، ظلت تحمل في قلبها بذار الخَير التي لفتت الأنظار يوماً، وما زال عبقها شاهداً على نقاء روحها وصبرها.

إيّـاك أن تقطع وعداً لا تستطيع الوفاء به

نبض الكلمة

أختلف بشدّة مع زميل صحافي يكتب ألف صفحة في موضوع يستحق صفحتين، لأن الكلمة لا بد أن تكون نبضة وليس افراز معدة.. لكني مع ذلك أحترم كل الآراء.

أنا أؤمن أنَّ في ساعة الحائط ثلاثة عقارب ولن أتحدث عن عقرب الثواني المجنون، إنما أعرفُ أن عقرب الساعة الصغير عندما يدور دورة واحدة، 12 ساعة، يكون عقرب الدقائق قد لفّ 720 مرّة.. وفي هذا لا بد من وجود العقارب الثلاثة لتشتغل الساعة، مع العلم أن الساعات الحديثة استغنت أغلبها عن حمار العقارب ـ عقرب الثواني!!.

الإحساس بالمسؤولية

الإحساس بالمسؤولية هو إحساس ضروري ونبيل، ولكننا عندما نترك هذا الإحساس يزيد على حده المعقول فإنه يملأ الإنسان بالهواجس والشكوك، ويؤدي إلى التعطيل والشلل، وإن الإحساس بالمسؤولية يجب أن يكون متوازناً، وأن يكون مرتبطاً بالقدرة على وضع هذا الإحساس في موضعه الصحيح، حتى لا يتحول الإحساس بالمسؤولية إلى عجز وتردد ومخاوف كثيرة لا تؤدي إلا إلى الجمود.

رجاء النقاش

أفراح مسرات وأحزان

انظر حولك ستجد أن هناك الكثير من عاش بيننا ومات وما زالت ذكراه بأرجاء قلوبنا، وهناك من عاش ومات ولم نعرف عنه شيئاً، وها نحن نعيش حياتنا بما فيها من أفراح ومسرات وأحزان، ومع ذلك لا نعرف أنفسنا حقّ المعرفة، فإذا سألت أحدهم ما مميزاتك؟ وما عيوبك؟ سيصمت قليلاً ثم يجيبك، أو ربما يجيب إجابة سريعة لا تفي بالمطلوب، أو ربما سيقول لك لا أعلم، بل سأسألك أنت هل سألت نفسك يوماً من أنت؟ وما مميزات شخصيتك، وما عيوبك التي تودّ تغييرها، فإذا كنت تعرف الإجابة دوّنها بورقة واحتفظ بها، ومع كل مرحلة تمر بها اكتب ما اكتسبته من صفات مميزة، وما تركته من عيوب حتى تصل إلى الشخصية التي تريدها.

ولكي تحيا حياة سعيدة في الدنيا والآخرة عليك أن تعرف نفسك، وتميز شخصيتك وتطورها للأفضل حتى تصل إلى برّ الأمان، وتحظى بمكانة عالية أمام نفسك وأمام الآخرين.

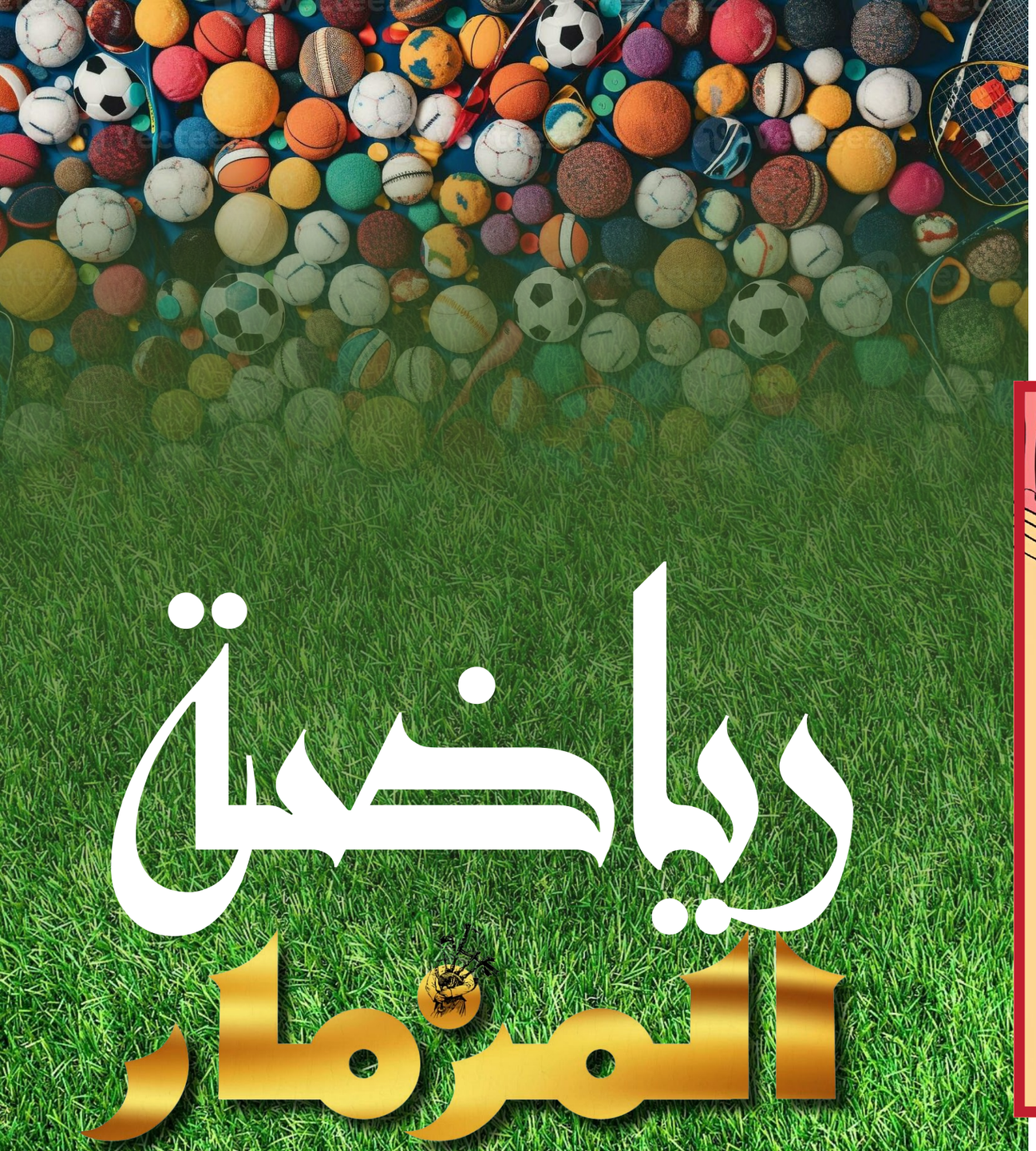

علي فرزات

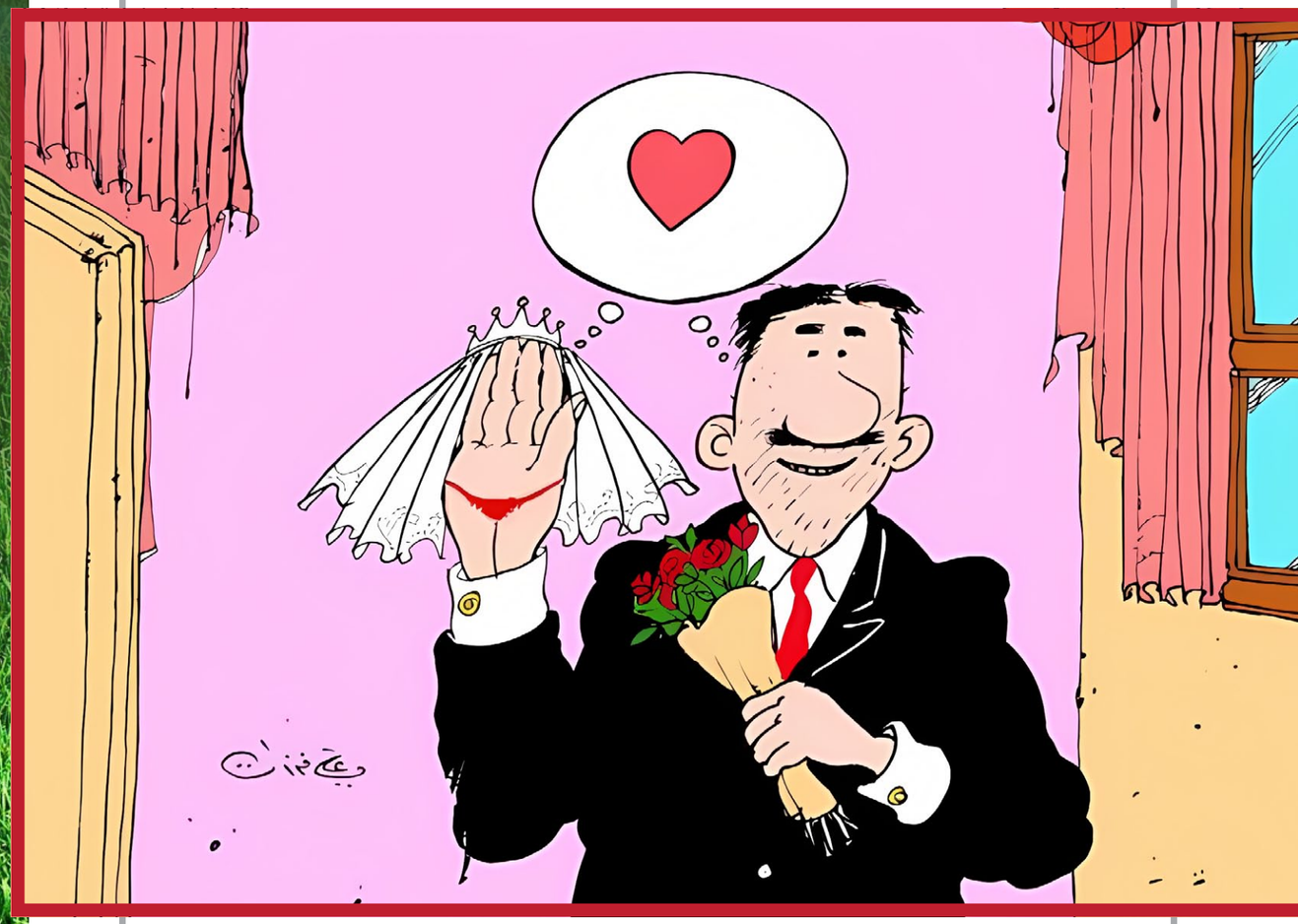

كاريكاتير

في الشبكة

كلاسيكو السوبر الإسباني

عبد الكريم البليخ

في ليلة لا تُنسى من تاريخ كرة القدم الإسبانية، حقق برشلونة فوزاً كبيراً على غريمه التقليدي ريال مدريد بنتيجة 5-2، في نهائي كأس السوبر الإسباني الذي أقيم على ملعب الجوهرة بمدينة جدة. كانت المباراة بمثابة عُرس رياضي حقيقي، حيث اجتمع عشاق كرة القدم لمشاهدة إحدى أمتع نسخ «كلاسيكو الأرض»، التي توّجت برشلونة باللقب الخامس عشر في تاريخه، بينما بقي رصيد ريال مدريد عند 13 لقبا.

بدأت المباراة باندفاع هجومي من ريال مدريد، حيث افتتح الفرنسي كيليان مبابي التسجيل في الدقيقة الخامسة، عبر تسديدة رائعة أظهرت مهارته العالية. لكن هذا الهدف كان الشرارة التي أشعلت حماس لاعبي برشلونة، الذين عادوا بسرعة إلى أجواء اللقاء. لم يستغرق برشلونة كثيراً للرد، إذ تعادل النجم الشاب لامين يامال في الدقيقة 22 بلمسة ساحرة أظهرت موهبته الكبيرة.

ولم يكتف برشلونة بالتعادل، بل واصل هجومه الشرس، حيث تقدّم البولندي روبرت ليفاندوفسكي عبر ركلة جزاء ناجمة عن تدخل غير محسوب من كاماڤينغا على غافي. وسرعان ما عزز رافينيا النتيجة بهدف ثالث برأسية رائعة بعد عرضية متقنة من جول كوندي. قبل أن يضيف المدافع الشاب بالدي الهدف الرابع، منهياً الشوط الأول بأداء كتالوني مثالي، وسط تراجع ملحوظ لريال مدريد الذي فقد شخصيته بالكامل.

في الشوط الثاني، أكد برشلونة تفوقه بإضافة الهدف الخامس عبر رافينيا، الذي كان نجم المباراة بلا منازع. وعلى الرغم من طرد حارس برشلونة، فويتشيك تشيزني، في الدقيقة 56، إلا أن ريال مدريد لم يتمكن من استغلال النقص العددي. اكتفى الملكي بهدف شرفي عبر رودريغو من ركلة حرة مباشرة، إلا أن محاولاته لتقليص الفارق أو العودة للمباراة باءت بالفشل، في ظل تفوق برشلونة الواضح من حيث التنظيم والمهارة.

هذا الفوز الكبير حمل العديد من الرسائل، خاصة لمدرب برشلونة، الألماني هانسي فليك، الذي نجح في كسب ثقة الجماهير والرد على منتقديه. ورغم الصعوبات التي مر بها الفريق في بداية الموسم، بما في ذلك الخسائر المحلية وحملات التشكيك، إلا أن هذا الانتصار أثبت أن برشلونة يمتلك القدرة على المنافسة بقوة واستعادة أمجاده.

على الجانب الآخر، يواجه الإيطالي كارلو أنشيلوتي تحديات كبيرة مع ريال مدريد. فالأخطاء الدفاعية، وسوء أداء عدد من النجوم، مثل فينيسيوس جونيور وبلينغهام، كانت واضحة في هذه المباراة، مما يتطلب إعادة نظر جذرية في الاستراتيجية. الملكي، الذي توّج بألقاب كبرى الموسم الماضي، يبدو الآن بحاجة ماسة إلى إعادة ترتيب أوراقه لاستعادة بريقه.

هذا الكلاسيكو لم يكن مجرد مباراة، بل محطة فارقة أعادت برشلونة إلى واجهة المنافسة، ليس فقط في السوبر الإسباني، بل أيضاً في الدوري الإسباني ودوري أبطال أوروبا. ومع هذا الأداء المذهل، يبدو أن الفريق الكتالوني مستعد لمواصلة القتال على جميع الجبهات، بينما يبقى السؤال الأكبر: هل يستطيع ريال مدريد النهوض من كبوته والعودة بقوة؟

عيد فؤاد

حرية زائفة أم تشويه للهوية؟

ع . الهادي

بداية، أعتذر عزيزي القارئ إن اخترت أن أبتعد قليلاً هذه المرة عن مجال تخصصي في النقد الرياضي، لأتحدث عن موضوع يتعلق بمجتمعنا الشرقي. فقد لفت انتباهي مؤخراً، كما لفت انتباه الكثيرين، بعض المشاهد الغريبة والتقاليع التي انتشرت بصورة مثيرة ومزعجة، وأصبحت تفرض نفسها علينا سواء قدراً أو إجبارياً، خاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يتم تداولها بشكل مستفز يثير التساؤل.

للأسف، لعبت السوشيال ميديا دوراً كبيراً وسلبياً في غزو عقول الشباب بمثل هذه المظاهر الغريبة التي يعتقد البعض أنها تمثل «الروشنة» أو مواكبة العصر. وقد تفننت شركات التسويق والدعاية في الترويج لمثل هذه «المنتجات الثقافية»، حتى وإن كانت لا تتناسب مع قيمنا وأذواقنا.

في ظل انحدار الذوق العام، صُدم الكثيرون بما فعله المطرب أحمد سعد، الذي ظهر مؤخراً في مهرجان «Joy Awards» واضعاً حلقاً في إحدى أذنيه وطوقاً حول عنقه. هذا المظهر أثار دهشة واشمئزاز كل من شاهده عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة. لم يكن أحمد سعد الوحيد في هذا المسار؛ فقد سبقه الفنان أحمد الفيشاوي الذي أقدم على وضع الوشم في مختلف أنحاء جسده، متباهياً به علناً، معتبراً ذلك حرية شخصية.

مثل هذه المظاهر ليست مجرد اختيارات فردية، بل لها تأثير سلبي كبير على الشباب، حيث يعتبرون الفنانين والمشاهير قدوة لهم، فيسارعون إلى تقليدهم دون وعي أو تفكير. وهنا يتحمل هؤلاء الفنانون مسؤولية التأثير السلبي الذي يتركونه على الأجيال الشابة.

إذا كان الفنانون يقدمون أمثلة سيئة بمثل هذه التصرفات، فإن الرياضيين لم يكونوا بعيدين عن هذه الظواهر. فقد أصبح بعض اللاعبين يتباهون بتصفيفات شعر غريبة مثل "الضفيرة"، التي لا تليق بالرجال وتُشبه تسريحات النساء. هذه الظاهرة أثارت استياءً واسعاً، لما فيها من خروج عن المألوف وتشويه لصورة القدوة التي يمثلها الرياضيون.

من أمثلة هؤلاء اللاعبين، إبراهيم سعيد، لاعب الأهلي والزمالك الأسبق، والمثير للجدل دائماً، وكذلك رامي صبري، لاعب نادي فاركو الحالي.

وقد نهى الحديث الشريف عما يفعله هؤلاء الرياضيون وغيرهم، على الرغم من أنهم قد يسارعون للدفاع عن أنفسهم بحجة أنها "حرية شخصية". وعلى الرغم من أن هذا الادعاء قد يبدو صحيحاً في ظاهره، إلا أنه في الحقيقة "حرية" محفوفة بالمخاطر، لأنها تؤذي مشاعر الآخرين. وقد برهن الحديث الشريف على ذلك بقوله: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال" (رواه البخاري).

أين نحن كإعلام – سواء مرئي، مسموع، أو مقروء – مما يحدث؟

أين دور الأزهر الشريف، الذي يُعد منارة للعلم والعلماء، من هذه الظواهر المتفشية؟

أين علماء الدين؟ وأين خبراء علم النفس والاجتماع لتوعية الشباب من الجيل الجديد، جيل الإنترنت والكافيهات (المقاهي سابقاً)، وإرشادهم إلى القيم الأصيلة التي تمثل أخلاق الأجيال السابقة؟

هذه الأخلاق لم تكن مجرد تعاملات عابرة، بل كانت تشمل معاني أعمق، مثل:

احترام الصغير للكبير والعكس.

احترام الآخرين وتقدير الذوق العام.

ويصدق في ذلك المثل القائل: "كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس". فالأكل شهوة شخصية، تشبع فيها نفسك دون التأثير على غيرك، بينما الملابس والمظهر الخارجي هما انعكاس لاحترام الذوق العام والمجتمع. إن الإقدام على ارتداء أي شيء مثير أو غريب عن مجتمعنا الشرقي، أو الظهور بمظاهر خادعة لا تعكس الواقع، يؤذي مشاعرنا جميعاً ويُسيء إلى قيمنا، حتى وإن جاء ذلك قدراً لا خيار لنا فيه.

أتمنى أن تختفي مثل هذه المظاهر الغريبة السيئة من بلاد العرب كافة، لأننا كشرقيين نملك ثقافة وقيماً تختلف عن الغرب. ما يناسب الغرب ليس بالضرورة أن يناسبنا، ولا ينبغي أن نقبل بكل مساوئه تحت ذريعة الحرية أو التقدم.

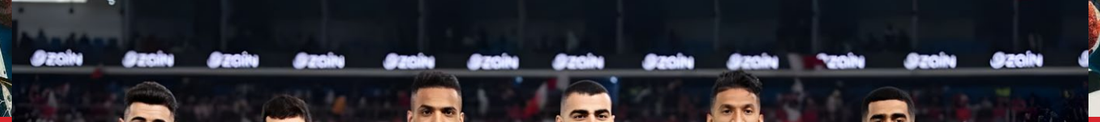

البحرين تتوّج بـ «خليجي 26»

المرزمار سمير السعد

في ليلة كرويّة لا تُنسى، خطف منتخب البحرين لقب خليجي 26 بعد فوزه على عُمان بنتيجة 2–1 في مباراة دراماتيكيّة جرت على ملعب "جابر الأحمد الدولي" وشهدت تقلّبات مثيرة وأداءً بطولياً في الشوط الثاني.

أطلق الحكم القطري عبدالرحمن الجاسم صفارة البداية، ليُظهر المنتخب العُماني تفوّقه الواضح في الشوط الأوّل، وسيطر العُمانيون على مجريات اللعب بفضل اختراقاتهم المُتقنة وضغطهم الفعّال على الأطراف، وتُوّجت هذه الهيمنة برأسيّة اللاعب عبدالرحمن المشيفري في الدقيقة 17 التي استقرّت في شباك البحرين لتعلن عن تقدم مستحق لعُمان.

في المقابل، اكتفى المنتخب البحريني بدفاع المنطقة، ولم يُظهر أي خطورة تُذكر على مرمى عُمان، ممّا جعل الشوط الأوّل يميل بشكل كامل لصالح "الأحمر العُماني".

شهدت البطولة تنافساً شرساً ومفاجآت مثيرة

انتفاضة بحرينيّة

بدأ الشوط الثاني بسيطرة واضحة من عُمان، حيث واصل الفريق الضغط والهجمات المرتدّة الخطيرة، إلا أن دفاع البحرين صمد أمام تلك المحاولات.

وفي الدقيقة 78، انقلبت الموازين بعدما احتسب الحكم ركلة جزاء لصالح البحرين، نفذها بنجاح اللاعب محمد مرهون ليعيد المباراة إلى نقطة البداية. بعدها بدقيقتين فقط (80) كانت الصدمة لعُمان حينما سجّل اللاعب محمد المسلمي هدفاً بالخطأ في مرمى فريقه، مانحاً البحرين التقدّم، هذا الهدف قلب اللقاء رأساً على عقب وأشعل الحماسة في المدرّجات البحرينيّة.

لحظات حبس الأنفاس

شهدت الدقائق الأخيرة ضغطًا عُمانيًا قويًا لمحاولة إدراك التعادل، بينما أظهر المنتخب البحريني انضباطًا دفاعيًا وهجمات مرتدّة خطيرة، ومع إعلان الحكم عن 14 دقيقة وقتاً بدلاً عن الضائع، ازداد التوتر داخل الملعب، لكن البحرين نجحت في الحفاظ على تقدّمها لتنهي المباراة بفوز ثمين وتُتوّج بطلة لخليجي 26.

ختام البطولة

بهذا الفوز، أكّد المنتخب البحريني عزيمته وقوّته، مُحققاً اللقب الثاني في تأريخه ببطولة كأس الخليج العربي.

أما عُمان، فرغم الخسارة، قدّمت أداءً قويًا يُحسب لها طوال البطولة، ليبقى خليجي 26 شاهداً على الإثارة والتنافس الكبير بين الأشقاء.

فرحة بحرينيّة وحُزن عُماني

مع صفارة النهاية، انفجرت المدرّجات البحرينيّة بالفرح الكبير، حيث احتفل اللاعبون والجماهير بتحقيق اللقب الغالي الذي جاء بعد انتظار طويل وجهد كبير، وعلى الجانب الآخر، بدا الحزن واضحاً على وجوه لاعبي وجماهير عُمان، الذين كانوا قريبين من تحقيق اللقب، إلا أن الحظ لم يكن حليفهم في هذه الليلة المليئة بالتحوّلات.

دروس مستفادة

المنتخب البحريني أثبت مرّة أخرى أن الصبر والعمل الجماعي قادران على تحقيق الإنجازات، حتى في أصعب اللحظات! التبديلات الناجحة والانضباط التكتيكي كانا مفتاح الفوز في هذه المباراة الصعبة. أما المنتخب العُماني، برغم خسارته، أظهر قوّة هجوميّة وتنظيماً عالياً طوال البطولة، مما يُبشّر بمستقبل مشرق لهذا الفريق الذي يمتلك عناصر شابّة وموهوبة.

البطولة الخليجية حدث يجمع الشعوب ويوحّدها في حُب كرة القدم

وداعاً خليجي 26

ستبقى هذه النسخة من كأس الخليج في ذاكرة الجماهير لما شهدته من تنافس شرس، مفاجآت مثيرة، ومباريات غير مضمونة النتائج! بطولة الخليج العربي ليست مجرّد منافسة رياضيّة، بل هي حدث يجمع الشعوب ويوحّدها في حُب كرة القدم.

يثبت خليجي 26 مرّة أخرى أن روح التحدّي والإصرار لا تعرف المستحيل، وأن كرة القدم قادرة على أن تمنحنا لحظات لا تُنسى، كتلك التي عاشتها البحرين وشقيقتها عُمان في قمّة نهائي "الأحمران" الكبيرة.

هل محمد صلاح أفضل لاعب في العالم الآن؟

منذ الموسم الأول الاستثنائي للنجم المصري محمد صلاح في ليفربول في 2017–18، عندما حقق رقماً قياسياً بتسجيله 32 هدفاً في الدوري الإنجليزي الممتاز، أدرك الجميع أننا أمام لاعب يمكن وصفه بـ«الظاهرة». ومع ذلك، كان هناك شعور لدى البعض في ذلك الوقت بأن هذا اللاعب، الذي يمتلك أسلوباً متفرداً من حيث الركض السريع وإنهاء الهجمات بطريقة بسيطة، قد وصل لقمة عطائه الكروي، وأن هذا التألق اللافت قد يكون لمدة موسم واحد فقط وسوف يتراجع مستواه بعد ذلك.

لكن بحلول نهاية موسم 2018–19، قاد صلاح ليفربول للفوز بلقب دوري أبطال أوروبا وأصبح نجماً حقيقياً. وفي موسم 2019–20، كان هداف ليفربول الأول وقاد الريدز للفوز بلقب الدوري الإنجليزي الممتاز بعد سنوات طويلة.

وبحلول نهاية موسم 2022–21، انضم النجم المصري إلى قائمة اللاعبين الذين سجلوا 100 هدف في الدوري الإنجليزي الممتاز. وبعد عامين ونصف العام، يواصل صلاح تحطيم الأرقام القياسية ويقود فريقه للاقتراب من الفوز بلقب الدوري الإنجليزي الممتاز للمرة الثانية، ويتصدر قائمة هدافي الدوري ويسعى للحصول على جائزة «الحذاء الذهبي» للمرة الرابعة، بل وربما، حسب أليكس كيبلي على الموقع الرسمي للدوري الإنجليزي الممتاز، حتى جائزة الكرة الذهبية لأفضل لاعب في العالم.

لقد أصبح صلاح أسطورةً من أساطير الدوري الإنجليزي الممتاز، وأحد أعظم لاعبي كرة القدم الذين لعبوا في إنجلترا على الإطلاق، وبالتأكيد أحد أفضل اللاعبين في العالم. ويمكن القول إن صلاح قد انتقل إلى مستوى جديد تماماً في عام 2024 وأصبح يحقق أرقاماً يمكن مقارنتها بالنجم الأرجنتيني ليونيل ميسي. وعلى مدار العام الميلادي الماضي، كان صلاح الأكثر تسجيلاً للأهداف (29 هدفاً) والأكثر صناعةً للأهداف (23 تمريرة حاسمة) في جميع المسابقات في الدوريات الخمس الكبرى في أوروبا. ولا يتفوق صلاح على جميع المتنافسين الآخرين على جائزة أفضل لاعب في العالم فحسب، بل يتفوق عليهم بفارق كبير، إذ يسجل أو يصنع بمعدل هدف واحد كل 64 دقيقة، أي أكثر بكثير من هاري كين (73 دقيقة)، وفينيسيوس جونيور (81 دقيقة)، وكيليان مبابي (83 دقيقة).

بالتركيز على موسم 2024–25، فإن معدل مساهمة صلاح في إحراز الأهداف في الدوري الإنجليزي الممتاز بمعدل 1.7 هدف لكل 90 دقيقة هو أفضل معدل له منذ ارتدائه قميص ليفربول. وعلى الرغم من أننا لا نزال في منتصف الموسم تقريباً، فإن صلاح قد تجاوز بالفعل إجمالي مساهماته التهديفية للموسم الماضي بأكمله. وبالمقارنة بلاعبين آخرين في الدوريات الخمس الكبرى في أوروبا، فإن إجمالي مساهمات صلاح التهديفية البالغ 30 هدفاً يزيد بنسبة 50 في المائة عن اللاعب التالي له في هذه الإحصائية، وهو هاري كين الذي ساهم في إحراز 20 هدفاً، وهو ما يعد دليلاً قوياً على أن صلاح أفضل لاعب في العالم هذا الموسم.

لكن الأمر يصبح أكثر وضوحاً عندما نقوم بتحليل مساهمات صلاح في الأهداف، إذ وصل معدل أهدافه إلى ذروة جديدة، كما تُظهر تمريراته الحاسمة أنه وصل إلى مستويات جديدة تماماً من الإبداع، وهو في الثانية والثلاثين من عمره. أحرز الفرعون المصري 17 هدفاً في 18 مباراة هذا الموسم، أي بمعدل 0.97 هدف لكل 90 دقيقة، وهو أقل بقليل من الـ0.99 هدف لكل 90 دقيقة في موسمه الأول مع الريدز في 2017–18،

عندما سجل 32 هدفاً، وهو رقم قياسي آنذاك لأكبر عدد من الأهداف في موسم من 38 مباراة في الدوري الإنجليزي الممتاز.

في الحقيقة، لم يتوقع أحدٌ أن يكرر صلاح هذه الأرقام بعد مرور 7 سنوات، لكنه فعل ذلك مرة أخرى، بل ويسير على الطريق الصحيح لمعادلة الرقم القياسي المسجل باسم المهاجم النرويجي إيرلينغ هالاند بـ36 هدفاً قبل عامين. قد لا ينجح صلاح في كسر الأرقام القياسية الأوروبية (لا شك أن أهداف ميسي الـ50 في الدوري الإسباني الممتاز في موسم 2011–2012 لا يمكن الاقتراب منها)، لكن بالمعدل الحالي فإن صلاح لديه الفرصة لتحطيم الرقم القياسي لأكبر عدد من الأهداف في موسم واحد في الدوري الإنجليزي الممتاز، بل والانتقال إلى المركز الرابع في قائمة أفضل هدافي المسابقة عبر التاريخ.

يحتل صلاح حالياً المرتبة الثامنة برصيد 174 هدفاً، وإذا استمر في التسجيل بمعدل 0.97 هدف لكل 90 دقيقة، فسوف ينهي موسم 2024–25 برصيد 193 هدفاً، وهو ما سيجعله يتفوق على تييري هنري وفرانك لامبارد وسيرخيو أغويرو وأندرو كول. وهذا يعني أن صلاح سيكون بحاجة إلى 68 هدفاً إضافياً لتجاوز آلان شيرار، أو بعبارة أخرى سيكون بحاجة إلى موسمين آخرين يسجل في كل منهما 34 هدفاً مع ليفربول.

قد يبدو هذا بعيد المنال، لكن يتعين علينا أن نفكر في عدد المرات التي خالف فيها صلاح كل التوقعات بتسجيله الأهداف، وينبغي أن نضع في الاعتبار أيضاً أنه أصبح أكثر هدوءاً أمام المرمى مع تقدمه في السن. وتشير الأرقام والإحصاءات أيضاً إلى أن معدل تسديداته على المرمى قد بلغ أعلى مستوى على الإطلاق بنسبة 50 في المائة هذا الموسم، ففي كل مرة يسدد فيها على المرمى يبدو أنه سيهز الشباك. وفي كل مرة يحصل فيها على الكرة، بغض النظر عن مكانه داخل الملعب، تشعر أن شيئاً استثنائياً على وشك الحدوث. إنه شعور جديد نسبياً مع صلاح، الذي كان معتاداً على تشكيل خطورة كبيرة من داخل منطقة الجزاء فقط، أما الآن فيشكل خطورة من أي مكان داخل المستطيل الأخضر. وخلال الموسم الحالي، أصبح صلاح يتميز بتمريراته العرضية المتقنة، وكذلك تمريراته الطويلة بوجه القدم من الناحية اليمنى. ونتيجة لذلك، أصبح صلاح هو الأكثر صناعة للأهداف (13 تمريرة حاسمة) هذا الموسم في الدوريات الخمس الكبرى في أوروبا.

وعلى الرغم من أن النجم المصري كان دائماً ما يقدم التمريرات الحاسمة لزملائه بهدوء – قفز مؤخراً إلى المركز العاشر في قائمة أكثر اللاعبين صناعة للأهداف في تاريخ الدوري الإنجليزي الممتاز، متجاوزاً حتى ديفيد بيكهام – فإنه تطور بشكل مذهل من حيث الإبداع وثبات المستوى.

وخلال الموسم الحالي، عادل صلاح بالفعل أفضل حصيلة شخصية له من التمريرات الحاسمة في الدوري الإنجليزي الممتاز (13 تمريرة حاسمة في موسم 2021–22)، وإذا واصل العمل بالمعدل نفسه، فإنه سيكون في طريقه إلى الوصول إلى 27 تمريرة حاسمة هذا الموسم، وهو ما من شأنه أن يكسر الرقم القياسي لأكبر عدد من التمريرات الحاسمة في موسم واحد، الذي يبلغ 20 تمريرة حاسمة والمسجل باسم كل من تييري هنري وكيفن دي بروين. وبالتالي، عندما يكون صلاح أفضل هداف في أوروبا، وأحد أعظم اللاعبين على الإطلاق في تاريخ الدوري الإنجليزي الممتاز، فإن هذا يكفي لأن ينافس على جائزة أفضل لاعب في العالم. ليس هذا فحسب، بل يُعد صلاح اللاعب الأكثر إبداعاً في الدوريات الأوروبية، واللاعب الوحيد في الدوريات الخمس الكبرى في أوروبا الذي يسير على الطريق الصحيح لتصدر قائمتي إحراز وصناعة الأهداف في الوقت نفسه.

لم يحدث هذا إلا أربع مرات من قبل في تاريخ الدوري الإنجليزي الممتاز، عن طريق كول (موسم 93–94)، وجيمي فلويد هاسلبانك (موسم 98–99)، وهاري كين (موسم 20–21)، وصلاح نفسه (موسم 21–22). ولم يسبق لأي لاعب أن فعل هذا الأمر مرتين من قبل. وكلما تعمقنا في تحليل الأرقام، أدركنا أن الأمر مثير للإعجاب بشكل أكبر، فمعدل صلاح الحالي البالغ 1.7 هدف وتمريرة حاسمة لكل 90 دقيقة هو الأعلى في تاريخ الدوري الإنجليزي الممتاز، في حين يأتي هالاند في موسم 2022–23 (1.43 لكل 90 دقيقة) في المرتبة الثانية.

ويسير النجم المصري بخطى ثابتة للوصول إلى 64 مساهمة تهديفية في موسم واحد في الدوري الإنجليزي الممتاز، وهو ما من شأنه أن يحطم الرقم القياسي الحالي المسجل باسم شيرار وكول (47 مساهمة تهديفية). وقد حطم صلاح بالفعل أرقام الدوري الإنجليزي الممتاز المتعلقة بالوصول إلى 30 مساهمة تهديفية في موسم واحد (18 مباراة)، كما حطم الرقم القياسي المتعلق بتسجيل وصناعة الأهداف في أكبر عدد من المباريات المتتالية (8 مباريات). ومن المؤكد أن الملك المصري سيواصل تحطيم المزيد من الأرقام القياسية.

وإذا استمر صلاح على هذا المنوال، فسوف يقدم لنا أفضل أداء فردي للاعب في تاريخ الدوري الإنجليزي الممتاز، وسيصبح بلا شك أعظم لاعب في تاريخ المسابقة على الإطلاق. أما بالنسبة لتاريخ كرة القدم العالمية، فإن معدل صلاح البالغ 1.7 هدف وتمريرة حاسمة لكل 90 دقيقة ليس بعيداً كثيراً عن سنوات الذروة لميسي (1.94 هدف وتمريرة حاسمة لكل 90 دقيقة في موسم 2012–2013) أو كريستيانو رونالدو (1.86 في موسم 2014–2015). في النهاية، هناك الكثير من الأدلة الكافية التي تجعلنا نصل إلى الاستنتاج التالي: محمد صلاح هو أفضل لاعب كرة قدم على هذا الكوكب في الوقت الحالي!

النجم المصري يقترب من الوصول إلى مستويات ميسي ورونالدو ويقدم أداءً مذهلاً

ثروات المشاهير..
مفارقات مذهلة

المزمار | عبد الكريم البليخ

في عصرنا الحالي، لم تعد الثروات حكراً على رجال الأعمال أو الصناعيين الكبار، بل دخلت قطاعات جديدة إلى هذا السباق المحموم نحو الثراء. الرياضة والفن، على سبيل المثال، أصبحا منصتين بارزتين لتحقيق أرباح خرافية، بفضل الشعبية الجماهيرية الكبيرة، وتأثير وسائل الإعلام والتسويق الحديث.

في الرياضة، تحولت الأندية الكبرى إلى شركات تجارية ضخمة، تتهافت على التعاقد مع نجومها المفضلين بأرقام قياسية. وفي مجال الفن، تبرز معايير الشهرة والجاذبية في توجيه الأموال إلى أولئك الذين يستقطبون الأضواء، بغض النظر عن القيمة الفنية أحياناً.

ومع هذا، فإن هذه التحولات تكشف عن تباينات صارخة بين أولئك الذين يجنون ملايين الدولارات في وقت قياسي، وبين العاملين في مجالات مثل الثقافة والصحافة، الذين يظلون بعيدين عن أضواء الشهرة والثراء. هذا المقال يتناول ثروات نجوم الرياضة والفن.

وإذا ما وقفنا عند الرياضة وما حصده نجومها الكبار في هذا الاطارفاق كل التوقعات، فهي أحد أكبر مصادر جمع الثروات، وخصوصاً كرة القدم، التي شهدت ارتفاعاً خيالياً في أسعار اللاعبين. في السنوات الأخيرة، أصبح اللاعبون بمثابة أيقونات تجارية تتهافت الأندية للحصول عليهم بأرقام فلكية. ومن بين أبرز نجوم الرياضة، نذكر كيليان مبابي، نجم باريس سان جيرمان، الذي يُعتبر واحداً من الأغلى عالمياً بفضل مهاراته وقيمته التسويقية. أما ليونيل ميسي، فقد انتقل إلى إنتر ميامي الأمريكي بصفقة استثنائية، حيث يتقاضى بجانب راتبه عقوداً مربحة من شركات عملاقة مثل «أديداس» و«آبل».

صنف كريستيان رونالدو مهاجم النصر السعودي من الرياضيين الأعلى أجراً في العالم، بما في ذلك عقود الرعاية، في حين جاء الفرنسي كيليان مبابي في المركز السادس.

ويهيمن البرتغالي رونالدو على لائحة الرياضيين الأعلى أجراً بـ 260 مليون دولار، منها 200 مليون دولار من عقده الكروي مع نادي النصر.

وجاء لاعب الغولف الإسباني جون رام - الذي انضم إلى "ليف غولف" بتمويل من صندوق الاستثمارات العامة في المملكة العربية السعودية – في المركز الثاني بـ218 مليون دولار، في حين احتل ليونيل ميسي نجم فريق إنتر ميامي الأميركي المرتبة الثالثة برصيد 135 مليون دولار.

وعزز مبابي – الذي أعلن رحيله عن باريس سان جيرمان ويلعب حالياً في صفوف نادي ريال مدريد مكانته في المراكز العشرة الأولى التي دخلها العام الماضي، ليصبح سادس أعلى رياضي أجراً في العالم.

ويقدر إجمالي إيرادات المهاجم الدولي الفرنسي بـ110 ملايين دولار، إذ يقدر دخله السنوي المرتبط بعقده الكروي بـ90 مليونا، بالإضافة إلى عقود الرعاية التي تقدر بـ20 مليون دولار.

ومبابي هو اللاعب الفرنسي الأعلى تصنيفاً متقدماً على مهاجم الاتحاد السعودي كريم بنزيمة في المركز الثامن بمبلغ 106 ملايين دولار.

وفي ميركاتو الصيف الماضي، شهدت كرة القدم العالمية انتقالات قياسية. على سبيل المثال:

جود بيلينغهام، اللاعب الإنجليزي الشاب، انتقل إلى ريال مدريد الإسباني مقابل 103 ملايين يورو، ليصبح من الأغلى في الميركاتو.

ديكلان رايس، نجم وسط منتخب إنجلترا، انتقل إلى آرسنال بصفقة بلغت 116 مليون يورو، كأغلى لاعب في تاريخ النادي.

هاري كين، هداف توتنهام السابق، انتقل إلى بايرن ميونيخ الألماني في صفقة تجاوزت 100 مليون يورو.

على الصعيد العربي، أصبحت الدوريات الخليجية محط أنظار العالم، حيث انضم العديد من النجوم إلى أندية مثل الهلال، الاتحاد، والنصر، مما يعكس ثراء هذه الأندية وقدرتها على المنافسة عالمياً.

في مجال الفن، تتجلى الفوارق بشكل واضح. نجوم الدراما والطرب الذين يقدمون أعمالاً ذات قيمة فنية وثقافية يستحقون الأجور المرتفعة التي يحصلون عليها. لكن في المقابل، خدم هبوط الذائقة العامة عدداً من الفنانين، حيث أصبح المعيار الأساسي للشهرة والجماهيرية هو الشكل والجاذبية.

من بين هؤلاء، الفنانة هيفاء وهبي، التي رغم تصنيف النقاد الجادين لصوتها بأنه ضمن الدرجات العادية، تمكنت من جمع ثروة هائلة خلال سنوات قليلة، وأصبحت محبوبة الملايين. هذا يعكس مدى تأثير التسويق والجمال الخارجي على المعايير الفنية في العصر الحالي.

ربما يكون العاملون في مجال الثقافة والصحافة هم الأقل حظاً في جمع الثروات. فبينما يتقاضى نجوم الفن أرقاماً خيالية، نجد المفكرين والكتاب العرب يعانون من ضعف الدخل. أجر فنانة مثل هيفاء وهبي في أحد البرامج قد يعادل ما يحصل عليه عشرات الكتاب والمثقفين لقاء كتب استغرق إعدادها سنوات من البحث.

أما الصحفيون، فيعانون من الظروف ذاتها، حيث أن غالبية العاملين في هذا المجال يصنَّفون ضمن الفقراء. وقد يكون الأستاذ محمد حسنين هيكل استثناءً لقاعدتهم، حيث جمع ثروة معتبرة من كتبه وبرامجه التلفزيونية. ويُقال إن ثروة نجليه "علي وأحمد" تقدَّر بعشرة مليارات دولار.

خلال زيارة عابرة لأحد متاجر الملابس، لفتني جاكيت يتجاوز سعره 3500 يورو. شعرت بالدهشة وسألت البائعة عن السعر، فأكدت أنه حقيقي. لم أستطع مقاومة تجربة ارتدائه والتقاط صورة تذكارية، لكنه ظل مجرد حلم بعيد المنال. المفارقة هنا أن نسخة مشابهة يمكن شراؤها من "البالة" مقابل عشرين دولاراً فقط.

هذا الواقع يوضح الفجوة بين عالم الأغنياء وعالم الفقراء. فبينما تحقق أشهر الشركات والمصممين أرباحاً خرافية، يبقى الفقراء في معاناتهم، لا يملكون سوى صبرهم على قسوة الحياة.

يهيمن البرتغالي رونالدو على لائحة الرياضيين الأعلى أجراً بـ 260 مليون دولار، منها 200 مليون دولار من عقده الكروي مع نادي النصر

احتل ليونيل ميسي نجم فريق إنتر ميامي الأميركي المرتبة الثالثة برصيد 135 مليون دولار.

ريال مدريد يكتسح برشلونة ويتوج بكأس السوبر الإسباني

توج ريال مدريد بلقب كأس السوبر الإسباني لكرة القدم للمرة الـ13 في تاريخه، عقب فوزه الكاسح 4-1 على غريمه التقليدي برشلونة، في نهائي المسابقة التي استضافتها السعودية.

ولعب النجم البرازيلي فينيسيوس جونيور دور البطولة في المباراة، التي أقيمت على ملعب "الأول بارك" في العاصمة السعودية الرياض، بعدما أحرز أهداف الريال الأول والثاني في الدقيقتين "7 و10" والثالث من ركلة جزاء في الدقيقة الـ39، في حين أضاف مواطنه رودريغو الهدف الرابع في الدقيقة الـ64.

في المقابل، تكفل المهاجم البولندي روبرت ليفاندوفسكي بتسجيل هدف برشلونة الوحيد في الدقيقة الـ33، قبل أن يلعب الفريق الكتالوني بـ10 لاعبين عقب طرد لاعبه رونالدو أراوخو في الدقيقة الـ71 لحصوله على الإنذار الثاني.

وكان الريال، الذي يشارك في المسابقة إثر تتويجه بلقب كأس ملك إسبانيا الموسم الماضي، صعد للمباراة النهائية لكأس السوبر عقب فوزه 5-3 على جاره اللدود أتلتيكو مدريد بعد التمديد للوقت الإضافي، في نصف النهائي.

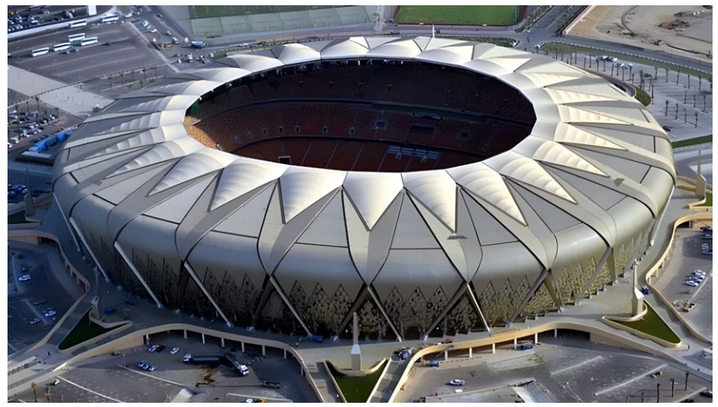

في المقابل، تأهل برشلونة، الذي أحرز لقب الدوري الإسباني الموسم الماضي ليشارك على إثره في السوبر الإسباني، إلى المباراة النهائية، بعد فوزه على أوساسونا بهدفين بدون رد في مباراة المربع الذهبي الأخرى، الخميس الماضي.

وهذا هو الانتصار الثاني لريال مدريد على برشلونة بمختلف المسابقات هذا الموسم، بعدما سبق أن تغلب عليه 2-1 في لقاء الفريقين بالدوري الإسباني هذا الموسم، في أكتوبر/تشرين الأول الماضي.

كما قلص الريال الفارق الذي يفصله عن برشلونة، صاحب الرقم القياسي في عدد مرات الفوز بالسوبر الإسباني، إلى لقب وحيد فقط.

أنشيلوتي نافياً رحيله:

سأبقى مع بيريز أربعة أعوام مقبلة

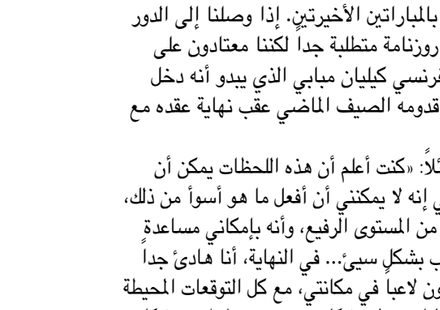

نفى المدرب الإيطالي الفذ كارلو أنشيلوتي، عشية لقاء سالزبورغ النمساوي في دوري أبطال أوروبا لكرة القدم، ما يُشاع عن مغادرته ريال مدريد الإسباني في نهاية الموسم، معرباً عن أمله بالبقاء مع النادي الملكي لـ«أربعة أعوام إضافية».

وقال أنشيلوتي المرتبط بعقد حتى صيف 2026: «أريد أن أكون واضحاً جداً، لن أحدد موعد رحيلي عن هذا النادي أبداً في حياتي. سيأتي ذلك اليوم، لكنني لا أعرف متى. الأمر لا يعود لي لاتخاذ القرار. يمكن أن يأتي في أي وقت».

وتابع مع ابتسامة على محياه أن الرحيل «قد يحصل غداً، بعد بضع مباريات، في غضون عام، في غضون خمسة أعوام... سيستمر فلورنتينو (رئيس النادي) لمدة أربعة أعوام أخرى وهدفي هو البقاء لمدة أربعة أعوام أخرى إلى جانبه. أتمنى أن نحظى بحفل وداع رائع معاً».

ويشكل كلام أنشيلوتي رداً واضحاً على الشائعات التي انتشرت في الصحافة الإسبانية هذا الأسبوع عن رحيله في نهاية الموسم، وعن رغبة الريال في التعاقد مع لاعب وسطه السابق شابي ألونسو الذي يقوم بعمل رائع مع فريقه الحالي باير ليفركوزن الألماني.

وتطرق أنشيلوتي الذي عاد إلى الريال في 2021 بعد تجربة أولى بين 2013 و2015، إلى المباراة المهمة التي تنتظر فريقه الأربعاء ضد سالزبورغ في الجولة السابعة قبل الأخيرة من منافسات المجموعة الموحدة، قائلاً: «إنها مباراة مهمة لأن المرحلة الأولى لهذه النسخة من دوري الأبطال أشرفت على النهاية. يجب أن نحصل على أكبر قدر ممكن من النقاط، وسنرى أين سيكون موقعنا في الترتيب».

وستكون الجولتان الأخيرتان مصيريتين بالنسبة للريال حامل اللقب، إذ يحتل الريال المركز العشرين من أصل 36 بعد فوزه بثلاث مباريات وخسارته مثلها، لكن بفارق 4 نقاط عن التأهل المباشر الذي يناله أصحاب المراكز الثمانية الأولى.

وبعد استضافته لسالزبورغ، يتواجه الريال الأسبوع المقبل مع مضيفه بريست الفرنسي الذي يحتل المركز السابع بـ13 نقطة.

ورأى أنشيلوتي أن «الأمل الوحيد لنا هو الفوز بالمباراتين الأخيرتين. إذا وصلنا إلى الدور الإقصائي، فسوف نخوضه بكل ما نملكه. إنها روزنامة متطلبة جداً لكننا معتادون على ذلك». ويعول الريال بشكل خاص على النجم الفرنسي كيليان مبابي الذي يبدو أنه دخل تماماً في أجواء النادي الملكي بعد معاناته منذ قدومه الصيف الماضي عقب نهاية عقده مع باريس سان جيرمان.

وتطرق مبابي إلى الفترة الصعبة التي مر بها، قائلاً: «كنت أعلم أن هذه اللحظات يمكن أن تحدث وفي النهاية غيرت عقليتي، لأني قلت لنفسي إنه لا يمكنني أن أفعل ما هو أسوأ من ذلك، بل أفضل فقط، وإنه يتوجب علي إثبات أني لاعب من المستوى الرفيع، وأنه بإمكاني مساعدة هذا الفريق». وشدّد: «لم آت إلى ريال مدريد لألعب بشكلٍ سيئ... في النهاية، أنا هادئ جداً لأنه من الطبيعي أن أتعرض للانتقادات عندما أكون لاعباً في مكانتي، مع كل التوقعات المحيطة بي. لعبت بشكل سيئ، ومن الطبيعي أن يتحدث الناس عنك بشكل سيئ، وعندما تلعب بشكل جيد، يتحدثون عنك بشكل جيد. لكني كنت أعلم أني قادر على قلب الأمور، وهذا ما فعلته».

وعندما سئل عن غيابه عن المنتخب الفرنسي في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي، قال: «لا توجد مشكلة. حبي للمنتخب لم يتغير...»، مؤكداً: «أتطلع فقط إلى العودة في مارس (آذار) ومحاولة مساعدة الفريق في الوصول إلى نصف نهائي دوري الأمم الأوروبية».

قصة نجاح رياضي استثنائي من الملاعب إلى الإدارة

رعد حمودي

جدار العراق الصلب وملهم الأجيال

المرمار عبد الكريم البليخ

في تاريخ كرة القدم العراقية، قلما يُذكر اسم دون أن تصاحبه أمجاد وتاريخ يمتد لجيل بأكمله. وعندما يتعلق الأمر بحراسة المرمى، فإن اسم رعد حمودي يتصدر المشهد بلا منازع. ذلك اللاعب المخضرم الذي لم يكن مجرد حارس للمرمى، بل كان أيقونة ملهمة، وصانع مجد لمنتخب العراق في حقبة اعتُبرت من أزهى فتراته الكروية.

رعد حمودي، الحارس الذي جمع بين المهارة الفطرية والروح القتالية العالية، جسّد قوة كرة القدم العراقية وتألقها في السبعينيات والثمانينيات. برشاقته، ودقته، وردة فعله السريعة التي أذهلت الخصوم، استطاع أن يجعل المرمى العراقي حصناً منيعاً في وجه أقوى الهجمات. لم يكن مجرد لاعب ضمن التشكيلة، بل كان قائداً فوق العشب الأخضر، يُلهم زملاءه، ويمنحهم الثقة في أحلك اللحظات، ليصبح اسمه مرادفاً للشجاعة والإصرار.

ورغم اعتزاله الملاعب، لم يتوقف تأثير رعد حمودي عند حدود الميدان. فقد ظل هذا الاسم الكبير رمزاً من رموز كرة القدم العراقية، حيث واصل خدمة الرياضة من خلال دوره الإداري في تطوير اللعبة، وإرساء الأسس لنهضة جديدة تتكئ على إرث عريق صنعه جيله الذهبي. اليوم، عندما نسترجع أمجاد الكرة العراقية، لا يمكننا إلا أن نقف بإجلال أمام ما حققه هذا الحارس العملاق. رعد

رعد حمودي ليس مجرد لاعب عابر في تاريخ اللعبة، بل هو أيقونة خالدة تروي سيرته تاريخاً مليئاً بالعزيمة والتفاني والإنجازات التي لا تزال مصدر فخر للأجيال

إرث لا ينسى وتاريخ ورحلة عطاء لا ينضب

حمودي ليس مجرد لاعب عابر في تاريخ ... ة خالدة تروي سيرته ... يئاً بالعزيمة والتفاني ... ازات التي لا ... ل مصدر فخر ... للأجيال. في زمن ... كان المنتخب العراقي يتألق في المحافل الدولية والإقليمية، كان رعد حمودي الحارس الذي حمل آمال شعب بأسره، وجسد الروح القتالية التي لا تعرف المستحيل، ليصبح بحق أسطورة لن تنساها كرة القدم العراقية.

رعد حمودي، أحد أعظم حراس المرمى في تاريخ كرة القدم العراقية، وأيقونة خالدة في ذاكرة عشاق اللعبة على المستويين المحلي والدولي. جسّد حمودي بإبداعه ومهاراته التميز والصلابة، ليصبح رمزاً لكرة القدم العراقية، حيث ارتبط اسمه بالإنجازات الكبرى التي حققها المنتخب العراقي خلال فترة تميزه في الملاعب. لقد كان حضوره المؤثر عاملاً حاسماً في صناعة تاريخ مشرف لكرة القدم العراقية، واستمر تأثيره حتى بعد اعتزاله، حيث ساهم بفعالية في تطوير اللعبة وإدارتها.

البداية ومسيرة التألق

وُلد رعد حمودي في بغداد عام 1953، وبدأ مشواره مع كرة القدم منذ صغره. شغفه بالرياضة قاده إلى التخصص في مركز حراسة المرمى، وهو مركز يتطلب مهارات استثنائية وقدرة كبيرة على التحمل والتركيز. انضم إلى نادي الشرطة، حيث قدّم أداءً مبهرًا أهّله ليصبح الحارس الأساسي للفريق ومن ثم المنتخب العراقي.

على مدار أكثر من عقد من الزمان، فرض رعد حمودي نفسه كأحد أفضل حراس المرمى في آسيا، حيث تميّز بمرونته وردة فعله السريعة، وقدرته على التصدي لأصعب الكرات. بفضل موهبته الفريدة، ساهم في تحقيق نتائج استثنائية مع المنتخب الوطني العراقي، وكان سداً منيعاً أمام أقوى المنتخبات في مختلف البطولات.

عاصر حمودي فترة ذهبية لكرة القدم العراقية، حيث شكّل وجوده في حراسة المرمى أحد أهم عوامل النجاح التي حققها المنتخب. كان حمودي جزءاً من جيل ذهبي ضم أسماء كبيرة مثل حسين سعيد، فلاح حسن، وعدنان درجال، الذين تركوا بصمة لا تُنسى في تاريخ اللعبة.

الإنجازات الدولية

يُعد رعد حمودي أحد أعمدة الإنجازات العراقية في بطولات كأس الخليج. لعب دوراً بارزاً في فوز العراق بالبطولة ثلاث مرات في أعوام 1979، 1984، و1988. كانت تلك الانتصارات مصدر فخر لكل عراقي، حيث أظهرت قوة المنتخب العراقي وقدرته على المنافسة الإقليمية، كما ساهم حمودي في تحقيق الميدالية الذهبية للعراق في دورة الألعاب الآسيوية عام 1982 في الهند، عندما تفوق المنتخب العراقي على فرق قوية وأثبت أنه من أفضل المنتخبات في القارة. وفي التصفيات الأولمبية شارك رعد حمودي في قيادة المنتخب العراقي إلى التأهل لدورة الألعاب الأولمبية 1980 في موسكو، حيث قدّم أداءً رائعاً أثبت فيه جدارته كواحد من أبرز حراس المرمى في العالم في ذلك الوقت.

تميز رعد حمودي بحضوره المميز في البطولات الكبرى، حيث أظهر شجاعة وإصراراً في مواجهة الفرق العالمية. كان أداؤه البطولي مصدر إلهام لجيله، حيث وقف كحائط صد أمام الهجمات القوية للفرق المنافسة، مما عزّز ثقة زملائه في الملعب.

لم يتوقف تأثير رعد حمودي على كرة القدم العراقية بعد اعتزاله اللعب. فقد اتجه للعمل الإداري وساهم بشكل كبير في تطوير اللعبة من خلال دوره كرئيس لنادي الشرطة ولاحقاً في مواقع إدارية بارزة في الاتحاد العراقي لكرة القدم. استخدم خبرته الواسعة في الملاعب

لم يتوقف تأثير رعد حمودي على كرة القدم العراقية بعد اعتزاله اللعب. فقد اتجه للعمل الإداري وساهم بشكل كبير في تطوير اللعبة من خلال دوره كرئيس لنادي الشرطة ولاحقاً في مواقع إدارية بارزة في الاتحاد العراقي لكرة القدم

لتقديم رؤى استراتيجية تهدف إلى النهوض بكرة القدم العراقية على مختلف المستويات.

رؤية إدارية متجددة

كان رعد حمودي داعماً دائماً لتطوير المواهب الشابة في العراق، مؤمناً بأن الاستثمار في الأجيال الصاعدة هو المفتاح لإعادة أمجاد الكرة العراقية. لعب دوراً رئيسياً في تحسين البنية التحتية لكرة القدم، من خلال دعم إنشاء الأكاديميات الرياضية وتوفير الموارد اللازمة لتطوير الفرق المحلية.

عمل حمودي على تعزيز التعاون بين اللاعبين والمدربين الكبار في العراق، مشدداً على أهمية التوازن بين الجوانب الفنية والإدارية لتحقيق النجاح. ساهم في إعداد بيئة تنافسية صحية ساعدت الفرق العراقية على تحقيق نتائج إيجابية في البطولات القارية والدولية.

تجاوز تأثير رعد حمودي حدود الملاعب، حيث أصبح رمزاً للوطنية والالتزام، وملهماً لجيل جديد من اللاعبين. يعتبره الكثيرون أحد أعظم حراس المرمى في تاريخ آسيا، ورمزاً خالداً لكرة القدم العراقية. ترك بصمة واضحة في ذاكرة الجماهير، ليس فقط بسبب إنجازاته الرياضية، بل أيضاً لما مثّله من قيم نبيلة مثل الإصرار والتفاني والعمل الجماعي.

رعد حمودي ليس مجرد لاعب كرة قدم عادي، بل هو جزء من ذاكرة الكرة العراقية وتاريخها. قدّم نموذجاً يُحتذى به في الأخلاق الرياضية والإصرار على تحقيق النجاح. في الوقت الذي أصبحت فيه كرة القدم أكثر تنافسية وتعقيداً، يظل إرث حمودي مصدر إلهام لأولئك الذين يسعون لتحقيق المجد في الملاعب العراقية.

رعد حمودي سيظل علامة فارقة في تاريخ كرة القدم العراقية. إن ما قدّمه من أداء استثنائي في الملعب، وما ساهم به في إدارة اللعبة بعد اعتزاله، يجعله قدوة يُحتذى بها للأجيال القادمة. لقد كتب اسمه بحروف من ذهب في صفحات المجد الرياضي العراقي، وظل مثالاً يحتذى به في الالتزام والإبداع. ومن خلال إنجازاته كلاعب وإسهاماته كإداري، يواصل حمودي دوره كأحد أعظم رموز الكرة العراقية الذين لن تنساهم ذاكرة الوطن.

وداعاً صلاح.. أهلا مرموش!

خلدون الشيخ

لن تخلو منافسات الدوري الإنكليزي الممتاز من المواهب المصرية في السنوات المقبلة، رغم أن الاسطورة محمد صلاح على وشك الرحيل، إلا أن موهبة جديدة لا تقل روعة وألقاً ستغزو مباريات البريميرليغ، وهو زميل صلاح في منتخب «الفراعنة» عمر مرموش.

الجدل بشأن مستقبل صلاح مع ليفربول، إن كان بالبقاء والتمديد، أو الرحيل بنهاية الموسم الحالي، لن ينتهي قريباً، وسيبقى الأمر عالقاً حتى لو مدد «مو» بقاءه مع «الريدز»، أي أن التوقيع على عقد لموسمين جديدين لن يمنع كبار الأندية السعودية من تقديم عرض كبير في الصيف، يصعب على ليفربول رفضه، لكن الأكيد، أنه مهما حصل مع صلاح سيكون مرموش الموهبة الجديدة التي تبقي المصريين متسمّرين أمام منافسات البريميرليغ.

صحيح أنّ صلاح يجمع الكثيرون، على أنه من أفضل المواهب التي لعبت في الدوري الإنكليزي، بل يصر البعض على أنه الأفضل على الاطلاق، كونه حطم الكثير من الأرقام القياسية، ان كان بعدد تسجيل الاهداف أو صنعها، لكن الأهم انه فعل ذلك في كل موسم من المواسم السبعة الماضية، باستمرار وتألق دائم، حتى مع تقدمه في السن، ودخوله عامه الثالث والثلاثين في يونيو/ حزيران المقبل، فان خريف العمر المفترض أنه يصيب لاعبي كرة القدم لم يظهر مطلقاً على النجم المصري، والسبب محافظته على لياقته وجسده المثالي، الى جانب انه لا يدخن ولا يشرب الكحول وربما الغازيات، ما يساهم بشكل أساسي بالحفاظ على لياقته العالية.

في المقابل، سيكون مرموش، صاحب الـ25 عاماً، محل أنظار الإعلام الإنكليزي مباشرة، كونه سيأتي إلى مانشستر سيتي على خلفية عام من التألق في الدوري الألماني مع انتراخت فرانكفورت، حيث سجل 15 هدفاً في البوندسليغا حتى الآن، ولا يتفوق عليه سوى سوى هدف السيتي القديم قائد منتخب انكلترا هاري كاين، هداف بايرن ميونيخ، والذي كان من المفترض أن ينضم الى ملعب «الاتحاد» لولا تعنت واصرار رئيس توتنهام دانييل ليفي على عدم بيع نجمه كاين الى فريق منافس له في الدوري الانكليزي. ويحتل مرموش المركز الثاني في الدوريات الخمسة الكبرى على صعيد المساهمات التهديفية بـ25 هدفاً، خلف مواطنه وقائد منتخب بلاده محمد صلاح مهاجم ليفربول، الذي لعب ثلاث مباريات إضافية وفي رصيده 31 مساهمة تهديفية.

لكن مرموش لن يأتي إلى السيتي في مقابل بخس، بل سيكلف النادي الانكليزي نحو 80 مليون يورو، حيث أصر فرانكفورت على مبلغ كبير كون الصفقة ستنجز في الشتاء، أي في منتصف الموسم، حيث تكون القدرة على تعويضه بضم بديل له أصعب بكثير منها من أسابيع الصيف، حيث كان يمكن للسيتي انجاز الصفقة بنصف القيمة، لكن الحاجة الماسة للسيتي لموهبة اشتهرت بتسجيل الأهداف وصنعها في ظل تخبّط موسمه حتى الآن، بسبب معاناة من الاصابات لنجومه المتألقين على غرار دي بروين وروبن دياز وجاك غريليش ورودري وجون ستونز، وانخفاض مستوى عدد من النجوم مثل برناردو سيلفا وغندوغان وكايل ووكر والحارس ايدرسون وغيرهم، وأيضاً عدم تعويض رحيل لاعبين مثل خوليان ألفاريز، هذا كله ترك أثره الكبير على نتائج الفريق ومعاناته في الحفاظ على ألقه المعتاد بادارة «الفلتة» بيب غواردیولا، علماً أن السيتي سينجز نحو 4 صفقات في هذا الشهر في محاولة لاستدراك الموقف وتعديل مساره، فإلى جانب ضم مرموش، فانه اتفق مع باليراس البرازيلي على ضم الموهبة الصاعدة فيتور رييس في مقابل نحو 30 مليون يورو، وأيضاً ضم قلب الدفاع «الفلتة» الأوزبكي عبدالقدير خوسانوف من لنس الفرنسي، وأيضاً يتفاوض مع يوفنتوس الايطالي على ضم الظهير أندريا كامبياسو ليحل مكان المخضرم كايل ووكر المرشح له الرحيل الى أحد عملاقي مدينة ميلانو.

وفي حين يحذر البعض من عقلية المدرب الإسباني، وماضيه مع اللاعبين الافارقة والعرب، فأنا أعتبر أن مرموش سيكون محظوظاً بأن يأتي الى البريميرليغ تحت ادارة هذا العبقري، لأن ما سيتعلم منه خلال سنة سيكون له الأثر الكبير على كامل مسيرة النجم المصري، الذي يحمل الجنسية الكندية أيضا، والذي كانت بدايته بطيئة في عالم كرة القدم، حيث لعب مع وادي دجلة في الدوري المصري للمرة الاولى في 2016، قبل أن ينتقل بعدها بعام الى الدوري الألماني مع فولفسبورغ الذي فشل خلال 6 سنوات في أن يستخرج الأفضل من موهبة النجم المصري، الذي وبعد تجارب اعارة مع سانت باولي وشتوتغارت، انتقل بالمجان في 2023 الى انتراخت فرانكفورت، حيث سجل معه هذا الموسم 27 هدفاً في كل المسابقات، وأصبح حديث الساعة في كل القارة الاوروبية. مرموش لاعب الوسط المهاجم وصانع الألعاب، والذي يجيد اللعب في كل خطوط الهجوم، أي بلغة التكتيك فانه رقم 10 او 9 ونصف، وربما يلعب كرقم 7 و11، أي كل ما يطلبه غواردیولا ليجد حلاً لأزماته، وكل ما يطلبه المتابعون العرب ليجدوا «فخراً» جديداً بشكل فرعون متجدد أسمه عمر خالد محمد عبدالسلام مرموش.

بريق الملايين

رحلة مع أبرز لاعبي الكرة العرب وأجورهم الفلكية

المرمار رضوان علي الحسن

في عالم كرة القدم الواسع، حيث يلتقي الشغف بالمهارة، يبرز اللاعبون العرب كنجوم ساطعة في سماء المستديرة. هؤلاء النجوم يحملون الراية بفخر، ليس فقط بأدائهم المتميز داخل الملعب، بل أيضاً بالأجور الباهظة التي تعكس قيمتهم الفريدة ومكانتهم على الساحة الكروية العالمية. كأنهم قصائد تُكتب بحروف من ذهب، ينثرون سحرهم على المستطيل الأخضر، ما يجعل الجماهير تهتف بأسمائهم بحب وإعجاب. دعونا نستعرض رحلة هؤلاء النجوم وأضواء شهرتهم، وكيف اقتحم الإبداع العربي عالم كرة القدم ليصبح رمزاً للفخر والتميز. سنلقي الضوء على الأجور الفلكية التي تُبرز نجاحهم، وتجسد أن الطموح لا حدود له، وأن المجد يمكن أن يحلق عالياً في سماء الإنجاز.

أعلى 10 لاعبين عرب أجراً في كرة القدم

رياض محرز
(الأهلي السعودي)

يتصدر النجم الجزائري رياض محرز قائمة اللاعبين العرب الأعلى أجراً، براتب سنوي ضخم يصل إلى 43 مليون يورو مع النادي الأهلي السعودي. يعكس هذا الراتب مكانته كأحد أفضل اللاعبين في العالم.

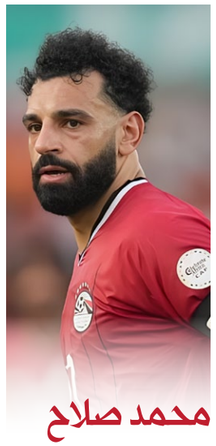

محمد صلاح
(ليفربول الإنجليزي)

النجم المصري محمد صلاح، هداف الدوري الإنجليزي ونجم نادي ليفربول، يتقاضى 18.2 مليون يورو سنوياً. قد يرتفع راتبه مع تجديد عقده أو انتقاله إلى نادٍ آخر، مما يبرز تأثيره الكبير على الساحة العالمية.

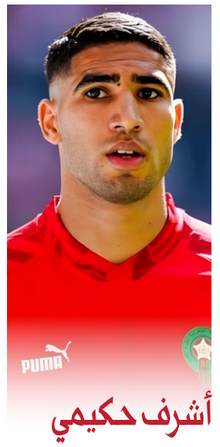

أشرف حكيمي
(باريس سان جيرمان الفرنسي)

النجم المغربي أشرف حكيمي يحتل المركز الثالث، براتب سنوي يبلغ 11.9 مليون يورو. حكيمي يتميز بأدائه المتوازن بين الدفاع والهجوم، ما يجعله أحد أبرز الأسماء في مركز الظهير الأيمن.

عمر مرموش
(مانشستر سيتي الإنجليزي)

النجم المصري عمر مرموش، المتوقع انتقاله من آينتراخت فرانكفورت الألماني إلى مانشستر سيتي، سيحصل على راتب سنوي يبلغ 10 ملايين يورو. يعكس هذا الانتقال تقدير النادي الإنجليزي لموهبته.

ياسين بونو
(الهلال السعودي)

الحارس المغربي ياسين بونو يتقاضى 8.2 مليون يورو سنوياً من الهلال السعودي، ليصبح أحد أفضل الحراس في العالم بفضل قدراته الفريدة على التصدي للكرات الصعبة.

نصير مزراوي
(مانشستر يونايتد الإنجليزي)

النجم المغربي نصير مزراوي انضم حديثاً إلى مانشستر يونايتد، براتب سنوي قدره 7 ملايين يورو. يتميز بمساهماته الفعالة في الهجوم والدفاع.

إبراهيم دياز
(ريال مدريد الإسباني)

النجم المغربي إبراهيم دياز، الذي عاد إلى ريال مدريد بعد تألقه مع ميلان الإيطالي، يتقاضى 6 ملايين يورو سنوياً. دياز يُعتبر أحد أبرز المواهب الشابة في أوروبا.

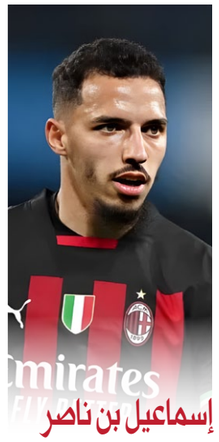

إسماعيل بن ناصر
(ميلان الإيطالي)

النجم الجزائري إسماعيل بن ناصر يتقاضى 5.8 ملايين يورو سنوياً مع ميلان الإيطالي. يتميز بإدارته المتازة لخط الوسط وتحكمه الكبير في إيقاع اللعب.

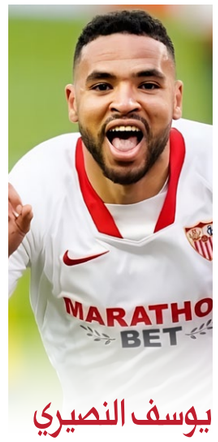

يوسف النصيري
(فنربخشة التركي)

المغربي يوسف النصيري يحصل على راتب سنوي قدره 5.4 ملايين يورو من نادي فنربخشة التركي. النصيري يُعرف بقدرته على تسجيل الأهداف الحاسمة.

حسام عوار
(الاتحاد السعودي)

النجم الجزائري حسام عوار، لاعب نادي الاتحاد السعودي، يتقاضى 5 ملايين يورو سنوياً. عوار يتميز برؤيته للملعب وتمريراته الدقيقة، مما يجعله إضافة قوية لفريقه. هذه القائمة تعكس التأثير المتزايد للاعبين العرب في عالم كرة القدم.

لقد استطاع هؤلاء النجوم ترسيخ أقدامهم بين نخبة اللاعبين العالميين، وأثبتوا أن المهارة والطموح قادران على كسر الحدود وفتح الأبواب نحو المجد.

كرة القدم ليست مجرد رياضة؛ بل هي منصة يُظهر فيها اللاعبون العرب للعالم مهاراتهم وشغفهم. أجورهم الفلكية لا تعكس فقط قيمتهم الكروية، بل أيضاً تمثل حكايات نجاح ملهمة تشجع الأجيال القادمة على أن الحلم لا مستحيل أمامه.

بين مقال ومستقيل...

رحيل المدربين ظاهرة تنخر جسد أندية الدوري الجزائري

المرمار أشرف شكري

يعيش الدوري الجزائري لكرة القدم في هذا الموسم 2024-2025 على وقع عدد من القرارات المتخبطة التي أثرت حتى على النتائج الفنية، رغم كل الوسائل المادية واللوجستية التي وضعتها السلطات وبالخصوص هذا الموسم، تحت تصرف الأندية المحلية عبر شركات وطنية راعية من أجل رفع المستوى وتقديم وجه مشرّف للكرة المحلية خاصة على المستوى القاري.

لكن في المقابل يبقى الوضع غير مستقر في سيناريو متكرر منذ سنوات، وهي قلة الصبر على المدربين، مثلما هو الحال في الموسم الحالي الذي شهد رقماً قياسياً في عدد المدربين المغادرين والذي بلغ 17 مدرباً بين إطار فني مقال وآخر مستقيل، وكل هذا بعد مرحلة الذهاب فقط والمكونة من 15 أسبوعاً.

ويُعتبر نادي شباب بلوزداد بطل الدوري الجزائري أربع مرات في آخر خمسة مواسم، أحد أكثر الأندية تغييراً للمدربين في الموسم الكروي الحالي، حيث إن هذا النادي، ورغم كل الدعم المادي والبشري الذي يتلقاه من قبل مسؤوليه، يتميز بعدم استقرار جهازه الفني منذ سنوات، مثلما هو الحال هذا الموسم، حيث كان قد بدأ موسمه مع المدرب الفرنسي كورتين مارتينز (55 عاماً) الذي سبق له وأن درب منتخبي موريتانيا وليبيا، وكان يُعوّل عليه تقديم الإضافة لأبناء العقيبة خاصة على المستوى القاري، لكن ذلك لم يحدث بعدما قرّر الرئيس مهدي رابحي إقالته من منصبه في أكتوبر/ تشرين الأول الماضي أي بعد ست مباريات فقط، ثم تعاقد بعد أسابيع قليلة من ذلك مع المدرب عبد القادر عمراني (69 عاماً)، الذي بدوره غادر رسمياً منصبه مؤخراً، بسبب سوء التفاهم الذي حدث له مع مجلس الإدارة، خاصة منذ فشل الفريق في تجاوز دور المجموعات لمسابقة دوري أبطال أفريقيا لكرة القدم.

كما لم يبقَ كثيراً المدرب التونسي راضي الجعايدي (49 عاماً) مع نادي بارادو الذي استلم زمام تدريبه منذ بداية الموسم الجاري، حيث غادره في أكتوبر/ تشرين الأول وبعد ست مباريات فقط ضمن منافسات الدوري الجزائري حصد منها خمس نقاط. وبدأت المشاكل بين الطرفين لاختلاف وجهات النظر حول الأهداف المسطرة مع النادي المشهود عليه بأنه يُركز أكثر على تكوين اللاعبين وإعادة تسويقهم لمختلف الدوريات الأوروبية، ما دفعه للتعاقد مع المدرب ونجم الكرة الجزائرية السابق دزيري بلال (53 عاما)، المعروف بدوره من خلال تجاربه السابقة باعتماده الكبير على اللاعبين الشباب، كما هو بصدد تحقيق نتائج مميزة مع الفريق في الدوري حيث قفز معه إلى المركز الرابع في جدول الترتيب، ومتأخراً بثلاث نقاط عن المتصدر شبيبة القبائل، إضافة إلى مباراة ناقصة تنتظره ضد اتحاد العاصمة.

وشهد شهر نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، كذلك فسخ نادي اتحاد بسكرة لعقده مع المدرب منير زغدود (54 عاماً)، بسبب فشل الفريق في تحقيق الفوز خلال أربع جولات من الموسم الكروي الحالي، وخلفه بعد ذلك الطاهر الشريف الوزاني (58 عاماً) الذي بدوره فشل في تحقيق النتائج الإيجابية وأقيل من منصبه قبل أسبوعين من الآن، وتعيين الحارس الدولي السابق ليامين بوغرارة (54 عاماً) بديلاً له، وبعدما أقيل هو الآخر من نجم مقرة.

وقبل كل هذا كان نادي مولودية وهران قد أعلن فسخ عقد المدرب الراحل يوسف بوزيدي الذي توفي في ديسمبر/ كانون الأول الماضي عن عمر ناهز 67 عاماً، وبديله كان متمثلاً في المدرب المالي إريك شيل (47 عاماً) الذي قاد فريق «الحمراوة» في 13 لقاء، لكنه قرر في الأيام الماضية وبشكل مفاجئ الرحيل لقيادة منتخب نيجيريا، وهو ما أثار غضب إدارة النادي التي تواصل رحلة البحث عن مدرب جديد لإعادة تعيينه في هذا المنصب.

وقرّر ترجي مستغانم الصاعد الجديد إلى الدوري الجزائري لكرة القدم فسخ عقد مدربه الشريف حجار (59 عاماً) بسبب

النتائج السيئة، وخلفه الظهير الأيمن والدولي السابق مع منتخب «الخضر»، سليمان رحو (49 عاماً)، هذا الأخير لم يُعمر طويلاً وجرى تعيين المدرب الحالي نذير لكناوي (52 عاماً) بديلاً له، والذي ستكون مهمته انتشال الفريق من المركز الأخير في جدول ترتيب الدوري المحلي والبقاء ضمن دوري الأضواء، وهو نفس هدف نادي مولودية البيض الذي كان قد أقال شهر نوفمبر الماضي مدربه فؤاد بوعلي (64 عاما) وعيّن مكانه كريم بختي (55 عاماً).

ولم يختلف كذلك الوضع في نادي أقبو، الذي أقال خلال مرحلة الذهاب المدرب التونسي معز بوعكاز (58 عاماً) ثم تعيين المدافع الدولي السابق منير زغدود بديلاً لأسابيع قليلة فقط، حيث جرى فسخ عقده هو الآخر وتعيين المدرب الفرنسي، دينيس لافاني (60 عاماً) الذي سيقود الفريق في مرحلة الإياب من الموسم الحالي.

وبعدما غادر المدرب التونسي حاتم الميساوي (54 عاماً) الجهاز الفني لنادي اتحاد خنشلة، كان الموعد كذلك مع مغادرة اسم آخر مهم في الدوري الجزائري، ويتعلق الأمر بالمدرب عبد الحق بن شيخة (61 عاماً) الذي فاجأ جماهير شبيبة القبائل بإعلانه الاستقالة من منصبه بعد مباراة ترجي قالمة ضمن مسابقة كأس الجزائر، رغم أنه كان الاسم الذي المعول عليه كثيراً عند جماهير الكناري من أجل تكرار النجاحات التي حققها سابقاً، على غرار ما كان عليه الأمر مع اتحاد العاصمة الذي فاز معه بلقب كأس الكونفيدرالية الأفريقية وكذلك السوبر الأفريقي ضد الأهلي المصري، إلا أن هذا لم يحدث لتقرر إدارة الهادي ولد علي الاستنجاد بخدمات الألماني جوزيف زينباور (54 عاماً).

كما أن إدارة نادي مولودية الجزائر قرّرت التخلي عن المدرب الفرنسي باتريس أمير بوميل (46 عاماً) بسبب تراجع النتائج والاستنجاد مرّة أخرى بالمدرب التونسي خالد بن يحيى (65 عاماً)، الذي أعاد الهدوء لبيت النادي العاصمي بنتائج إيجابية منها الفوز الكبير في ديربي أمام الغريم اتحاد العاصمة (3–0)، وقبله التأهل للدور

منير زغرود
مدرب اتحاد بسكرة الجزائري

يوسف بوزيدي
مدرب مولودية وهران

كورتين مارتينز

راضي الجعايدي

الربع النهائي لمسابقة دوري أبطال أفريقيا، فيما عاش نادي وفاق سطيف نفس السيناريو تقريباً بتخليه في الأيام القليلة الماضية عن خدمات مدربه رضا بن دريس (48 عاماً) وإعادة تعيين التونسي، نبيل الكوكي، الذي سبق وأن خاض تجربة مع «النسر الأسود» من 2019 إلى 2022.

ومن بين جميع هؤلاء المدربين الـ17 الحاملين لوصف الإقالة أو الاستقالة، هناك ثلاثة مدربين فقط حافظوا على مناصبهم منذ بداية الدوري الجزائري لكرة القدم الموسم الحالي، وهم التونسي نبيل معلول (62 عاماً) الذي قاد اتحاد العاصمة لربع نهائي كأس الكونفيدرالية الأفريقية، وهو حال خير الدين مضوي (47 عاماً) مع شباب قسنطينة الذي يحلم بقيادة فريق السياسي لتحقيق لقب قاري هو الأول في تاريخ هذا النادي، فيما وضع نادي أولمبي الشلف منذ بداية الموسم الجاري ثقته في المدافع السابق للفريق سمير زاوي (48 عاماً) بهدف تحقيق الاستقرار والبقاء ضمن دائرة الكبار.

جهل القانون الرياضي للعبة كرة القدم

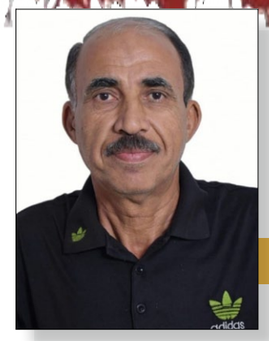

نجم عبد كريدي

في الدقيقة 83 من مباراة القوة الجوية والطلبة، التي أقيمت في النصف الأول من الشهر الماضي ضمن مباريات الدوري للموسم الحالي وانتهت بالتعادل 1-1، شهدت المباراة حالة تحكيمية أثارت نقاشاً واسعاً. احتسب الحكم مهند قاسم ركلة جزاء لصالح القوة الجوية، تقدم لتنفيذها اللاعب علاء عباس. تصدى حارس مرمى الطلبة فهد طالب للكرة، لكنها ارتدت مرة أخرى أمام علاء عباس الذي أكملها في الشباك. هذا الهدف أثار اعتراض الحارس فهد، الذي توجه إلى الحكم معترضاً، معتقداً أن القانون يمنع اللاعب المنفذ لركلة الجزاء من لعب الكرة المرتدة إليه مباشرة.

لكن الحكم أوضح للحارس أن القانون يجيز للاعب المنفذ تسديد الكرة مرة أخرى إذا ارتدت من الحارس، ما دامت لم تلمس أي جزء من القائمين أو العارضة. هذا التوضيح جاء استناداً إلى المادة 14 من قانون كرة القدم، التي تنص بوضوح على السماح للاعب المنفذ بلعب الكرة المرتدة من الحارس، بينما تمنع ذلك إذا ارتدت من القائمين أو العارضة إلا بعد أن يلمسها لاعب آخر.

ما حدث في هذه المباراة ليس حالة استثنائية، بل هو مثال على ظاهرة متكررة في ملاعب كرة القدم. من المدهش أن نجد عدداً كبيراً من اللاعبين، حتى على المستوى الدولي، يجهلون الكثير من مواد وقواعد اللعبة. على الرغم من أن كرة القدم هي مصدر رزقهم وسبب شهرتهم، إلا أن جهلهم بالقوانين ينعكس سلباً على أدائهم داخل الملعب.

بحكم تجربتنا الطويلة في التحكيم وقربنا من الحكام، نجد أن الاحتجاجات الناتجة عن سوء الفهم أو الجهل بالقانون أصبحت أمراً معتاداً. ليس فقط اللاعبون، بل حتى المدربون، والإداريون، ورؤساء الأندية المحترفة وغير المحترفة، غالباً ما يفتقرون إلى الفهم الدقيق للقوانين. هذه الاحتجاجات المتكررة تضيف ضغطاً إضافياً على الحكام، الذين يضطرون إلى شرح القوانين أثناء المباراة، مما يعطل سير اللعب ويثير التوتر.

منذ عام 2014، أجرى الاتحاد الدولي لكرة القدم (FIFA) تعديلات جوهرية على قوانين اللعبة لتواكب التطور المستمر في عالم كرة القدم. بدأت هذه التعديلات بالظهور في مونديال البرازيل 2014، مروراً بمونديالي روسيا 2018 وقطر 2022. من أبرز هذه التعديلات كانت تلك المتعلقة بلمس الكرة باليد داخل منطقة الجزاء. القانون السابق كان يضع الحكام تحت ضغط هائل، حيث كان القرار يعتمد على عوامل متعددة، مثل المسافة بين الكرة ويد اللاعب، وسرعة الكرة، واتجاهها نحو اليد أو العكس. هذا النهج ترك مساحة واسعة للاجتهاد الشخصي للحكام، ما جعلهم عرضة للانتقادات.

لكن في التعديلات الحديثة، أقر الاتحاد الدولي مجموعة من القواعد التي وضعت حداً لهذا الجدل. أصبح القرار يعتمد على عوامل أكثر وضوحاً، مثل تكبير الجسم بحركة اليد، ووجود حركة إضافية تشير إلى تعمد لمس الكرة. هذه التعديلات تهدف إلى تقليل مساحة الاجتهاد الشخصي للحكام وضمان تطبيق القانون بشكل عادل.

مع تطور التكنولوجيا، أصبح دور تقنية الفيديو المساعد (VAR) محورياً في مراجعة القرارات الحاسمة والمفصلية. أصبحت التقنية تلعب دوراً مهماً في تحديد صحة القرارات المتعلقة بأربع حالات رئيسية، هي:

ركلات الجزاء.

التسلل.

حالات الطرد.

تحديد هوية اللاعب المرتكب للمخالفة.

تقنية الـ(VAR) ليست مجرد وسيلة لتصحيح الأخطاء، بل هي أداة لضمان العدالة وتقليل الجدل. الحكام الآن يعتمدون بشكل كبير على هذه التقنية لمراجعة القرارات الدقيقة والمهمة، مما ساهم في تحسين جودة التحكيم وتقليل الأخطاء المؤثرة على نتائج المباريات.

على الرغم من التقدم الكبير في تحديث القوانين وتوفير تقنيات حديثة لدعم الحكام، إلا أن المشكلة الأساسية تبقى في ضعف التوعية بين اللاعبين والمدربين والمسؤولين. يجب أن تكون هناك برامج تعليمية وتدريبية موجهة لجميع الأطراف في عالم كرة القدم، تشمل شرحاً واضحاً للتعديلات الجديدة وتطبيقاتها.

على الأندية والاتحادات المحلية أن تلعب دوراً أكبر في توعية لاعبيها بالقوانين. يمكن تنظيم ورش عمل منتظمة بالتعاون مع خبراء التحكيم، بحيث يصبح اللاعبون أكثر دراية بالقوانين، ما يقلل من الاحتجاجات غير المبررة ويخلق بيئة تنافسية أكثر احترافية.

ما حدث في مباراة القوة الجوية والطلبة يلقي الضوء على أهمية فهم القوانين من قبل جميع الأطراف المشاركة في اللعبة. كرة القدم ليست مجرد مهارات وأهداف، بل هي أيضاً التزام واحترام للقوانين التي تضمن عدالة المنافسة. مع استمرار تحديث القوانين وتطبيق التقنيات الحديثة مثل الـ(VAR)، يبقى التحدي الأكبر هو توعية اللاعبين والمدربين بهذه القوانين لضمان تطور اللعبة بشكل إيجابي.

العراق

إنريكي

العقلية التكتيكية التي لم تنصفها الأندية

المرمار | آية جبر

يقدّم المدرب الإسباني لويس إنريكي أداءً مميزاً مع باريس سان جيرمان في الدوري الفرنسي، تجلّى بتصدّر الفريق جدول الترتيب برصيد 47 نقطة، مع تحقيق سجل مثاليّ من دون أيّ هزائم حتى الآن. ومع ذلك، لم تكن نتائجه في دوري أبطال أوروبا على قدر مستوى التوقّعات، ممّا يشكّل خيبة أمل.

في الوقت الذي ينشغل فيه كثيرون بتسليط الأضواء على نتائج أبرز المدرّبين في الدوريات الخمسة الكبرى، يبرز إنريكي كمدرب يتمتع بعقلية تكتيكية متميّزة، لكنه لم يلقَ التقدير الذي يستحقّه من الأندية بشكل كامل.

يُعدّ إنريكي من بين أكثر المدرّبين الذين تعرّضوا لـ«الظلم» بسبب خيارات غير موفقة في مسيرته التدريبية، باستثناء فترته الذهبية مع برشلونة الإسباني التي شهدت تحقيقه طفرة نوعية تُوّجت بحصد تسعة ألقاب محلية ودولية.

وما يزيد من ضغوط تلك الفترة أنّ قراراته المتعلّقة بتدريب أندية لم تكن مناسبة في كثير من الأحيان مع طموحاته الكبيرة، الأمر الذي أثّر سلباً على مساره المهنيّ بشكل عام.

في باريس سان جيرمان، أثار إنريكي الجدل باختياراته لبعض اللاعبين خلال المواجهات الحاسمة، ومنها الاعتماد على الكوري «لي كانغ إن» كمهاجم وهميّ. ورغم مشاركة اللاعب في 29 مباراة هذا الموسم في مختلف البطولات، فإنّ تأثيره الهجوميّ ظلّ محدوداً، حيث ساهم فقط بـ 9 أهداف.

كذلك، أثارت تبديلات إنريكي خلال المباريات التساؤلات، في أغلب الأحيان، وافتقرت إلى الوضوح في بعض الأحيان.

ومع ذلك، ينجح المدرب الإسباني بتقديم أسلوب لعب يعتمد على السيطرة والاستحواذ الممزوج بالتمريرات القصيرة كنهج أساسيّ، مما يمنح الفريق هويّة تكتيكية واضحة.

في المقابل، يواجه الفريق الباريسي تحت قيادته أزمة مقلقة تتعلق بإهدار الفرص المحققة، وهي مشكلة لا تتناسب مع جودة العناصر التي يمتلكها الفريق.

وتفاقمت هذه السّمة السلبية في مواجهات عديدة، كانت أبرزها الخسارة الثقيلة برباعية نظيفة أمام أتلتيكو مدريد في دوري أبطال أوروبا. أثّر هذا السقوط بشكل كبير على وضع الفريق في دور المجموعات في ما بعد، حيث قلّص فرصه للتأهل إلى الدور التالي بعد احتلاله المركز الـ22 برصيد 10 نقاط فقط من 3 انتصارات، و3 هزائم وتعادل وحيد.

منذ الموسم الماضي، يعاني باريس سان جيرمان من انخفاض معدل تسجيل الأهداف مقارنة بحجم الفرص المهيّأة أمام لاعبيه. ويعود ذلك إمّا إلى ضعف استغلال تلك الفرص في داخل منطقة الجزاء وإما إلى سوء الحظ الذي بات يلازم الفريق.

وأبرز مثال على ذلك، ظهر بوضوح في مواجهة سابقة ضد بوروسيا دورتموند الألماني عندما ارتطمت الكرة بالعارضة 6 مرات خلال هذا اللقاء، مما يكشف الحظ السيّئ الذي يُلاحق إنريكي رغم كل ما يتمتع به من إمكانيات وخبرة تكتيكية.

رغم الإخفاقات القارية هذا الموسم، يبقى لويس إنريكي من بين المدربين الأكثر كفاءة في مجال التدريب. كل ما يحتاجه الآن هو اختيار فريق قادر على مواكبة طموحاته الكبيرة ودعمه في تطبيق أفكاره التكتيكية بأفضل شكل ممكن، ليحجز مكانة مستحقة بين عمالقة التدريب في كرة القدم الأوروبية.

ميسي وأمل الألقاب الخمس

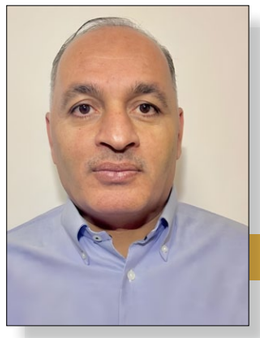

رضوان علي الحسن

في عام 2025، يقف النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي، لاعب إنتر ميامي الأمريكي، على أعتاب إنجاز تاريخي جديد في مسيرته الكروية الحافلة بالألقاب والإنجازات. ميسي، الذي تألق على مدى سنوات طويلة، ليس أمامه سوى خمس بطولات ليصل إلى رقم قياسي جديد في عالم كرة القدم، وهو تحقيق 50 بطولة خلال مسيرته.

حتى اللحظة، حقق ميسي 45 بطولة مع منتخب الأرجنتين والأندية التي مثّلها، وهي برشلونة الإسباني، باريس سان جيرمان الفرنسي، وإنتر ميامي الأمريكي.

«البرغوث» يمكنه تحقيق هذا الرقم القياسي خلال العام الحالي 2025، حيث ينافس على 6 بطولات محتملة مع إنتر ميامي ومنتخب الأرجنتين.

في الدوري الأمريكي، يستعد إنتر ميامي للمنافسة على لقب الدوري الأمريكي للمحترفين، الذي ينطلق موسمه الجديد في فبراير/ شباط المقبل. وفي درع المشجعين، هذا اللقب يُمنح سنوياً للفريق الذي يحقق أكبر عدد من النقاط في موسم الدوري، بقسميه الشرقي والغربي، قبل المرحلة النهائية.

أضف إلى ذلك كأس الدوريات، وهي بطولة تُقام سنوياً تجمع بين أندية النخبة في الولايات المتحدة، المكسيك، وكندا.

أما في دوري أبطال الكونكاكاف، التي تعد البطولة القارية للأندية في منطقة أمريكا الشمالية والوسطى والكاريبي، يطمح إنتر ميامي للتتويج بلقبها.

في كأس العالم للأندية، التي من المقرر أن تستضيفها الولايات المتحدة في صيف العام الحالي، سيكون إنتر ميامي أحد المشاركين. وكذلك كأس السوبر الأوروبي اللاتيني (فينالي‌سيما).

على الصعيد الدولي، يواجه منتخب الأرجنتين، بطل كوبا أميركا 2024، منتخب إسبانيا، بطل أوروبا 2024، على لقب كأس السوبر الأوروبي اللاتيني، المعروف باسم «فينالي‌سيما». ولكن بسبب الجدول المزدحم، قد يتم تأجيل هذه المباراة إلى عام 2026.

ومن أبرز بطولات ميسي الـ45 مشاركته مع منتخب الأرجنتين في 5 بطولات: كأس العالم، وكوبا أميركا (2)، وفينالي‌سيما (1)، وكأس العالم للشباب تحت 20 عاماً (1).

مع برشلونة الإسباني، نال ميسي 35 بطولة: الدوري الإسباني (10 بطولات)، كأس ملك إسبانيا (7)، كأس السوبر الإسباني (8 مرات)، دوري أبطال أوروبا (4 مرات)، كأس السوبر الأوروبي (3 مرات)، وكأس العالم للأندية (3 مرات).

مع باريس سان جيرمان الفرنسي، أحرز ميسي 3 بطولات: الدوري الفرنسي (مرتان)، كأس السوبر الفرنسي (مرة واحدة).

مع إنتر ميامي الأمريكي، حقق بطولتين: كأس الدوريات (مرة واحدة)، درع المشجعين (مرة واحدة أيضاً).

تحقيق 5 ألقاب في عام واحد يمثل تحدياً كبيراً، حتى بالنسبة لأسطورة بحجم ليونيل ميسي. ولكن إذا كان هناك لاعب يمكنه كسر الحدود وتحقيق المستحيل، فهو ميسي. هذا اللاعب الذي فاز بالكرة الذهبية 8 مرات، وهو رقم قياسي، أضاء سماء كرة القدم بموهبته الفذة وشغفه الذي لا ينتهي.

رحلة ميسي نحو 50 بطولة ليست مجرد أرقام، بل هي قصة ملهمة عن الشغف، الطموح، والإصرار على النجاح. فهل يستطيع «البرغوث» الأرجنتيني تحقيق هذا الحلم التاريخي في عام 2025؟ الإجابة في الأيام القادمة، ولكن المؤكد أن العالم بأسره يترقب بشغف رؤية المزيد من الإبداع لهذا النجم الأسطوري، الذي يواصل كتابة تاريخ كرة القدم بحروف من ذهب.

الأهلي وبيراميدز ..

أسواق الوشاية

■ بقلم: محمد رضوان

قدم الأهلي وبيراميدز مباراة من العيار الثقيل، اجتمعت فيها كل صنوف كرة القدم، واشتملت على كل الأحداث التي يمكن أن تضيف إليها التشويق والزخم. ورغم أن الفريقين خرجا مقتسمين لنقاط اللقاء، إلا أن الجماهير لم تخرج راضية عما آلت إليه المباراة، وأقصد هنا جماهير النادي الأهلي، بعد أن كان الفوز قاب قوسين أو أدنى من نادي القرن الأفريقي، لولا إهدار إمام عاشور لركلة الجزاء التي احتسبها الحكم محمود البنا قبل نهاية اللقاء بدقائق قليلة.

الملفت في الأمر أن جماهير نادي الزمالك كانت أشد أثراً في هذا، رغم أن المباراة جمعت الأهلي وبيراميدز، وأن نتيجة اللقاء تصب كلية في مصلحة نادي الزمالك. إلا أن جماهير الزمالك خرجت – كعادتها – لتتهم حكام اللقاء بمحاباة النادي الأهلي وعدم الاعتدال، متناسية تماماً مصلحة ناديها الذي اعتلى القمة بعد أقل من 24 ساعة. فعادت هذه الجماهير للاحتفال والمكايدة بتصدر المسابقة، وهو أمر يدعو للدهشة. لكني بحق أتساءل عن السبب الذي يجعل النادي الأهلي ومسؤوليه، وحتى جماهيره، يرتضون الوقوف دائماً في قفص الاتهام وفي موقف الدفاع عن النفس، رغم أنها نفس التهم الطائشة ونفس النهج غير المدروس. الحقيقة أن الأمر زاد عن حده، ووصل إلى حد السفه والسخف.

إن سير المباراة وأحداثها المثيرة وما بها من لقطات أخذ وعطاء جعلت جماهير مصر قاطبة تتناطح حول هذه الكرة وتلك. وربما نختلف أنا وأنت عند واحدة، وكثيراً ما نتفق عند أخرى. لكن أن يظل نهجك الدائم هو الشك والريبة، الذي يصل بك على الدوام إلى القدح والاتهام، فهذا أمر بحق غير سوي وغير مقبول! فمثلما أنك ترى أن محمود البنا قد جامل الأهلي في لقطات، فإن جماهير الأهلي أيضاً ترى أنه قد تحامل على فريقهم في لقطات أخرى. قرارات الحكام دائماً عليها اختلاف، قابلة للرفض والقبول، وأصبح لكل لعبة مثيلتها التي يمكن الاعتماد عليها كحجة وبيان، ولذات اللعبة هناك النقيض أيضاً الذي يمكن أن ترتكز عليه وجهة النظر المخالفة. وهكذا الحال في كل مرة ومع كل الحكام، وليس البنا فحسب، حتى الأجنبي منهم. وهو الأمر الذي يحدث في كل ربوع الأرض وليس مقصوراً على مصر. لكن غير المقبول هو اتهام الحكم ورميه بالزور والعمالة، وهو أمر مرفوض تماماً.

الحقيقة أن الجماهير أساءت إلى مباراة الأهلي وبيراميدز رغم جمالها وإثارتها. فبدلاً من الاحتفال بما قدم الفريقان، والزهو بكرة القدم المصرية وما تقدمه، راح بعض الغوغائيين يفسدون جمال اللقاء، ويتهمون ويقذفون الأخضر واليابس. المدهش أن ذات الأمر يتكرر من نفس الأشخاص وبنفس الطريقة دونما حساب أو مراقبة.

من عادتي الدائمة أن أتكلم عن مجريات اللقاء وأحداثه، وأن أضع النقاط فوق الحروف حول ما وقع فوق المستطيل الأخضر. لكن ما حدث عقب اللقاء، من حالة هياج وثورة من جماهير الزمالك بالأخص، جعل الحديث عن كرة القدم يذوب، والتكلم عن فنون اللعبة غير مجدٍ، بعد كم الاتهامات الخرقاء التي كالها هؤلاء للحكم وطاقمه.

الحقيقة أن ممارسة كرة القدم في هذا الجو المشحون بالزيف والبهتان، ومشاهدتها مع مثل هؤلاء تُعد أمراً عصيباً. هؤلاء الذين يقذفون بأبشع التهم، ويلقون بأقذع المزاعم، ليس لشيء سوى الضغط على الخصم وكبح جماحه، غاضين الطرف متعمدين عن خيبات فريقهم وزلاته، وأقربها الخسارة من نادي مودرن فيوتشر. هذه الخسارة التي تناسوها من أجل بيراميدز، أو بالأحرى من أجل القدح في الأهلي وإيقاف مسيرته.

كنت دائماً أعف عن الخوض في مثل هذه الأحداث، وأنأى بنفسي عنها، ولا أجاري الطاعنين في الذمم والقادحين في النوايا. لكن الأمر هذه المرة زاد بشكل مقيت، حتى طفح الكيل، وصار السكوت عنه من المستحيلات. وصار هذا التأجيج المتزايد والإضرام المستمر نذير شؤم على الكرة المصرية برمتها.

الحكاية ليست في الأهلي أو الزمالك أو حتى بيراميدز. وكثيراً ما أخطأ الحكام ضد هذا الفريق أو ذاك. فالأمر ليس مقصوراً على نادٍ، والخطأ غير مرهون بفريق بعينه.

لقد صعدت فرنسا يوماً ما إلى كأس العالم بلمسة يد بواسطة تيري هنري. ومع ذلك، لم يخرج الأيرلنديون المتضررون ويتهموا ويدينوا ويسبوا، رغم أن النتيجة كانت إقصاءهم من عرس الأرض، وهو كأس العالم.

إلى متى يبقى هذا الوضع المقيت؟ وإلى متى تظل الجماهير البيضاء تلقي الاتهامات واحداً تلو الآخر دون رادع؟ لقد اكتوت الكرة المصرية من قبل بسبب تأجيج الأوضاع المبالغ فيه، ولا مجال لإضافة المزيد من الصفحات السوداء في تاريخ اللعبة.

إن معظم النار من مستصغر الشرر، وما نراه اليوم صغيراً، غداً سيكون ناراً تأكل الأخضر واليابس. لذا أقول بملء الفم وبتمام العقل: إننا إن لم نَعِ خطر هذا الأمر وقبح عاقبته، فلنترك اللعبة سريعاً، ولندع من يعي الرياضة جيداً ويفهم ما ترمي إليه.

● أديب الرياضة

أسود الأطلس يتطلعون للقب..

قرعة متوازنة لأمم أفريقيا 2025

أسفرت قرعة بطولة أمم إفريقيا 2025 في المغرب بنسختها الـ 35 عن مجموعات متوازنة، مع مواجهات قوية في الدور الأول أبرزها لمصر أمام جنوب أفريقيا، وتونس أمام نيجيريا. مدرب أسود الأطلس لم يخف طموح منتخبه في الحصول على اللقب.

أوقعت القرعة (27 يناير/ كانون الثاني 2025) منتخب «الفراعنة» صاحب الرقم القياسي في عدد ألقاب البطولة (7)، في المجموعة الثانية «الحذرة» بجانب جنوب أفريقيا الذي وصل إلى نصف نهائي النسخة الأخيرة قبل عامين، فضلاً عن منتخب أنغولا الذي بلغ ربع نهائي في تلك النسخة وزيمبابوي

ويواجه منتخب كوت ديفوار (ساحل العاج) حامل اللقب نظيره الكاميروني الفائز بالكأس خمس مرات في المجموعة السادسة. وفي مواجهة أخرى قوية تلاقي تونس، بطلة نسخة العام 2004، نيجيريا في المجموعة الثالثة التي تضم ايضا أوغندا وتنزانيا.

ويفتتح المغرب البطولة بمواجهة منتخب جزر القمر، في مجموعة أولى تضم ايضاً مالي وزامبيا. ويواجه أسود الأطلس ضغوطا كبيرة للظفر باللقب على أرضهم.

وكان المغرب مرشحاً للظفر باللقب في النسخة الأخيرة بعد بلوغه نصف نهائي مونديال قطر 2022، لكنه خيب آمال جماهيره بخروجه من الدور الثاني على يد جنوب إفريقيا وبأداء متذبذب.

ووقعت الجزائر في مجموعة بمتناول اليد على الورق الى جانب بوركينا فاسو، غينيا الاستوائية والسودان.

وقال مدرب أسود الأطلس وليد الركراكي قبيل سحب القرعة «أكيد أننا نطمح طبعاً للحصول على هذه البطولة، سنعمل كل ما بجهدنا خصوصا أننا لم نحصل عليها سوى مرة واحدة والأمر لم يكن سهلا، سنبذل كل المجهود لكيلا نضيع هذه الفرصة».

وبعد القرعة تحدث الركراكي عن «الضغوط» التي يتعرض لها معرباً عن أمله في أن تكون «إيجابية».

يواجه منتخب كوت ديفوار (ساحل العاج) حامل اللقب نظيره الكاميروني الفائز بالكأس خمس مرات في المجموعة السادسة.

من جهته أكد مدرب منتخب كوت ديفوار عزمه «القتال» للحفاظ على اللقب، قائلاً «إذا أردت الفوز بكأس أفريقيا يجب أن تكون مستعداً لمواجهة أي فريق، يجب أن نكون مستعدين للقتال».

وأثناء حفل سحب القرعة، الذي احتضنه مسرح محمد الخامس وسط العاصمة، أعرب مدرب الفراعنة حسام حسن عن طموحه في الحفاظ على هيمنة مصر التاريخية.

حسن أكد قائلاً «نطمح في أن نحصل على البطولة للمرة الثامنة، لدينا الشرف أننا حصلنا عليها لسبع مرات»، مراهناً على النجم محمد صلاح «أنا محظوظ أن لديناً لاعب من أعظم الموجودين في العالم حالياً».

كما لم ينس الإشارة أيضاً إلى نجم مانشستر سيتي الانكليزي عمر مرموش المنضم حديثاً من أينتراخت فرانكفورت بصفقة كبيرة مضيفاً «أضف الى ذلك أن مصر لديها طبعاً طوال الوقت مواهب كبيرة مثل عمر مرموش».

مدرب الفراعنة يُراهن على النجم محمد صلاح قائلاً: «أنا محظوظ أن لدينا لاعب من أعظم الموجودين في العالم حالياً».

وتقام البطولة، في نسختها الخامسة والثلاثين، بين 21 كانون الأول/ديسمبر 2025 و18 كانون الثاني/يناير 2026 بمشاركة 24 منتخباً.

وتلعب المباريات في ست مدن هي الدار

القرعة الكاملة

المجموعة الأولى: المغرب، مالي، زامبيا، جزر القمر

المجموعة الثانية: مصر، جنوب إفريقيا، أنغولا، زيمبابوي

المجموعة الثالثة: نيجيريا، تونس، أوغندا، تنزانيا

المجموعة الرابعة: السنغال، الكونغو الديمقراطية، بنين، بوتسوانا

المجموعة الخامسة: الجزائر، بوركينا فاسو، غينيا الاستوائية، السودان

المجموعة السادسة: ساحل العاج، الكاميرون، الغابون، موزمبيق

البيضاء، طنجة، مراكش، الرباط، أكادير وفاس.

وأعرب رئيس الاتحاد الإفريقي لكرة القدم باتريس موتسيبي عن ثقته في نجاح هذه الدورة لتكون «أفضل نسخة في تاريخ البطولة».

للمرة السادسة

المغرب يستضيف البطولة للمرة الثانية بعد 37 سنة من آخر استضافة، وبالتحديد نسخة 1988. تقام البطولة الـ 35 خلال الفترة الممتدة بين 21 ديسمبر/ كانون الأول 2025 و18 يناير/ كانون الثاني 2026 بمشاركة 24 منتخباً، من بينها ستة منتخبات عربية، هي المغرب البلد المستضيف ومصر والجزائر وتونس والسودان وجُزر القمر، التي نجحت في حصد تأشيرات التأهل إلى البطولة القارية، عبر تصفيات دامت ست جولات في عام 2024.

ويتوقع الخبراء نسخة قارية مثيرة في المغرب 2025 في ظل تأهل المنتخبات الكبرى والقوى التقليدية في القارة السمراء، مثل منتخبات الكاميرون ونيجيريا وساحل العاج (حامل اللقب) والسنغال وجنوب أفريقيا، إلى جانب المنتخبات العربية المرشحة للتتويج، مثل المغرب ومصر والجزائر وتونس.

ووزعت المنتخبات المشاركة على ست مجموعات في الدور الأول، بواقع أربعة منتخبات لكل مجموعة، حيث يتأهل الأول والثاني من كل مجموعةٍ مع أربعة منتخبات، هي أفضل ثوالث، وفقاً لنظام البطولة القارية فيما بعد إلى الدور ثمن النهائي، لتبدأ مرحلة الأدوار الإقصائية بخروج المغلوب حتى المباراة النهائية للبطولة، وهو النظام الذي يجرى تطبيقه منذ أن رفع عدد المنتخبات المشاركة في بطولة كأس الأمم الأفريقية إلى 24 منتخباً في نسخة 2019.

ويخوض منافسات كأس الأمم الأفريقية 2025 بالمغرب كلٌ من المغرب ومصر والجزائر وتونس والسودان وجُزر القُمر وبوركينا فاسو والكاميرون والكونغو الديمقراطية والسنغال وأنغولا وغينيا الاستوائية وساحل العاج وأوغندا وجنوب أفريقيا والغابون ونيجيريا وزامبيا ومالي وزيمبابوي وبنين وتنزانيا وبتسوانا وموزامبيق، وهي المنتخبات التي حازت بطاقات التأهل لهذه النسخة.

أربعة مستويات

وجرى تقسيم المشاركين على أربعة مستويات، يضم كلّ مستوى ستة منتخبات في إدارة القرعة المرتقبة، حيث ضم المستوى الأول ثلاثة منتخبات عربية، وهي مصر والجزائر والمغرب، ليبتعد بذلك الثلاثي الكبير عن المواجهة المباشرة في الدور الأول ويترأس مجموعة، إلى جانب ثلاثة منتخبات أخرى، هي ساحل العاج (بطل نسخة 2023) ونيجيريا (وصيف 2023) وأخيراً السنغال (بطل نسخة 2021). وفي المستوى الثاني، يبرز منتخب عربي كبير هو منتخب تونس، الذي يأمل الابتعاد عن طريق الثلاثي مصر والمغرب والجزائر في الدور الأول، ويوجد برفقته في المستوى نفسه كل من منتخبات الكاميرون ومالي وبوركينا فاسو والكونغو الديمقراطية وجنوب أفريقيا، وهي منتخبات قوية، ومنها المرشح بقوة للمنافسة على اللقب.

وفي المستوى الثالث، يغيب المنتخب العربي، حيث يضم المستوى ستة منتخبات هي أنغولا والغابون وأوغندا وبنين وغينيا الاستوائية وزامبيا، وهي منتخبات مرشحة لأداء دور الحصان الأسود في كأس أمم أفريقيا 2025. وفي المستوى الرابع، يعود الظهور العربي عبر منتخبين، الأول هو منتخب السودان الذي يرجع مجدداً في عالم «الكان» بعد غياب، والثاني منتخب جزر القُمر صاحب التطور اللافت في القارة السمراء خلال السنوات الأخيرة، وكلاهما (السودان وجزر القمر) يأمل الابتعاد التام عن المجموعات العربية، ويضم المستوى الرابع أيضاً أربعة منتخبات أخرى، هي زيمبابوي وتنزانيا وموزامبيق وبتسوانا، إلى جانب السودان وجزر القمر.

وحدد المغرب ملاعب بطولة كأس الأمم الأفريقية 2025، المنتظر أن تقام في ملاعب محمد الخامس، وهو الملعب الأول في البطولة القارية، وكذلك ملاعب مولاي عبد الله وملعب ابن بطوطة في طنجة وملعب أدرار في أغادير وملعب مراكش وملعب فاس، وهي ستة ملاعب جرى اختيارها من جانب اللجنة المنظمة وتضمّنها ملف المغرب الخاص باستضافة البطولة القارية.

كلمة حرة مباشرة

ورحل الشربيني كروان التعليق العربي

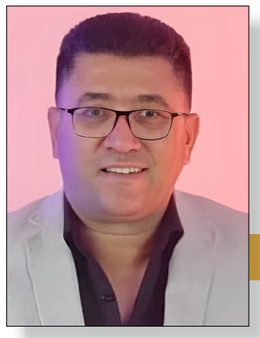

محمد رضوان

أصحاب الأدوار الأولى في ملاعب كرة القدم هم اللاعبون، ثم يأتي من ورائهم رتلاً عريضاً من بقية عناصر العرض الكروي، ونجمنا اليوم لا يرضى بالأدوار الثانوية ولا يقبل بالوصافة، ويهوى أن يرى اسمه بالأبناط العريضة، فأخذ بعد اعتزاله في مزاحمة اللاعبين، وصار ينازعهم الصدارة بأسلوب غير ذي التواء، وبالفعل نال مأربه في خلب عقول المتابعين وخطف قلوبهم من وراء الكواليس..!!

هو واحد من نبوءات عم عبد المنعم حسن الشهير بـ (عبده البقال)، وإصدار من إصداراته الهامة، بل يكاد يكون أحد طبعاته النادرة غير المنسوخة، نجمنا هذا لديه من العند الكروي ما جعله لا ينحني لنكسة 67 الكروية، وظل يفرد أجنحته تحت برج الجزيرة رغم قساوة النكسة وشدة صنيعها.

اصطبغ أسلوبه بمناهج الصحف العالمية، و تكدست في عقله عناوينها الرئيسية، إذا ما أصغيت إليه شعرت بأنك أمام تخت شرقي أصيل يُقدم فناً مزيجاً من السيكا والنهاوند والبياتي، إنه يقدم فناً أندلسياً راقياً لا نشاز فيه، وإذا أعطيت عقلك فرصة للتفكر فيما يقول تجد أنك أمام وجبة دسمة عالية الكوليسترول المعرفي الكروي.

هو مُغرد بلا أوركسترا، ومدرسة في فن استخدام العبارات وكناياتها، هو فخر الصناعة التلفازية، لا يتذوق طعم رواياته إلا الحالمون كروياً، ويتذوق هو كرة القدم لا يشاهدها، هو حصة في فن معالجة الكلمات وإعمار التشبيهات الساحرة، هو أشهى ما في عنقود الموهوبين كما يصف، فهو من مواليد منطقة ماسبيرو كما يقول.

يتحدث كما لو كان شاعراً يُغازل قصيدته، أو فناناً يُداعب ريشته، إنه ببساطة ميمي الشربيني.

محمد عبد اللطيف الشربيني، إكسترا كرة قدم، عرفته مزيجاً خالصاً من عفوية محمد لطيف، ورُقي علي زيوار، وحرفية الجويني، لكنه بقي بتفرده واحد من أجمل ممن وقفوا خلف الميكروفون، حينما تمر لمحة صغيرة من مونديال المكسيك أشعر بصوته ينساب إلي أذناي، ويأخذني الحنين إلى انفعالاته وإسقاطاته، وأصبو شوقاً لشلال المعلومات الهادر المختبئ في عباراته عبر الأثير مخترقاً كل بيوت المحروسة.

الشربيني اللاعب تعلق بكرة القدم حتي الرمق الأخير، واستمر الوحيد من جيله إلى عقد السبعينات، الشربيني المعلق تزوج كرة القدم، فأعطته الشهرة والمجد والسيرة العطرة، يعرف كيف يَعجن المعلومة في حديثه لتمر إلى عقول الناس بكل سلاسة ويسر، الخلاصة أنه احترم جمهوره فنال ذروة التقدير والتبجيل.

وداعاً لكروان التعليق العربي، وداعاً لابن مصر البار، ورمز الأهلي الخالد.

● أديب الرياضة

من مقهى صغير إلى العالمية

الترجي التونسي

قصة «دولــة» لا تــكف عن إسعاد عشاقها

المرمار كريمة دغراش

يحتفل نادي الترجي الرياضي التونسي هذه الأيام بالذكرى السادسة بعد المئة لتأسيسه، ليكون بذلك أكبر ناد رياضي تونسي، ما يمنحه لقب «شيخ الأندية التونسية» كما يحلو لعشاقه أن ينادوه.

ولم تكن الأعوام الـ106 التي مضت منذ تأسيس أعرق نادي في تونس شاهداً على مختلف التقلبات الرياضية في البلد فحسب، بل كانت أيضاً وفق العديد من المؤرخين، شاهداً على أحداث اجتماعية وسياسية كبرى عاشتها تونس منذ حقبة الاستعمار مروراً بمرحلة الاستقلال وصولاً الى تاريخها الحديث.

ويخوض الترجي التونسي في فرع كرة القدم هذه الأيام مغامرة السعي الى نيل الكأس الإفريقية الخامسة في تاريخه، بعدما ضمن في الشهر الماضي ترشحه لربع نهائي المسابقة، بينما تنتظره هذا العام مشاركة استثنائية في كأس العالم للأندية بأميركا في نسختها الأولى.

وترجي تونس ليس مجرد ناد رياضي، فالفريق الذي ينافس على ألقاب عدة محلية وقارية في مختلف الاختصاصات، ويعتبر من أبرز مرشحيها، أصبح أيضاً أول ناد رياضي تونسي يسعى للدخول الى بورصة تونس عبر مجمع «الترجي القابضة» الذي تقدم رسمياً في نهاية كانون الأول الماضي بطلب لإدراجه في البورصة، ليكون بذلك «أول ناد عربي وإفريقي يتداول أسهمه في بورصة الأوراق المالية»، بحسب ما أكده مدير عام «الترجي القابضة» طارق السويسي.

عشق يسري في العروق

في قلب «باب السويقة» المنطقة الشعبية بالعاصمة تونس التي يعشق كل سكانها «الأحمر والأصفر» لونا الترجي التونسي، يجلس الصادق العلوي كل يوم في المقهى نفسه «مقهى الترجي»، ليتبادل أخبار «الجمعية» مع البعض من رفاقه الذين يجمعه بهم حب «الجمعية» قبل أن يقفل عائداً لبيته.

يقول: إنّ هذه العادة ورثها عن والده وأعمامه، «هنا الكل يعشق الدولة»، لذلك «فإن المرور بمقهاه طقس يومي لا نستغني عنه» يؤكد المحب، «والدولة» هو الاسم الذي يطلقه «الترجيون» أو «المكشخة» كما يسمون في تونس على ناديهم ،في إشارة إلى قوته فهو الفريق التونسي الأكثر تتويجاً بالبطولات المحلية وبالألقاب الإفريقية في مختلف الاختصاصات وفق الأرقام الرسمية.

وفي ذلك الحي القديم الذي لا مكان فيه الا للونين الأصفر والأحمر اللذين قد تراهما في راية كبيرة معلقة تطل من نافذة احدى الشقق، أو في قبعات أو لباس الشباب الجالسين بالمقاهي التي تتزين مداخلها بدورها بالألوان ذاتها، أو في رسم كبير على أحد الجدران التي يشهد تهالكها على قدم عشق سكان المنطقة لهذا النادي.

وفي كرة القدم الرياضة الشعبية الأولى في تونس، توّج الترجي بلقب البطولة التونسية 32 مرة، وهو أيضاً الأكثر تتويجاً بلقب الكأس برصيد 15 لقباً، وفي رصيده كذلك 6 ألقاب سوبر تونسي، كذلك توّج في أربع مناسبات ببطولة دوري أبطال إفريقيا، كما شارك في مناسبات عديدة في كأس العالم للأندية.

وبكثير من الفخر، يستحضر إسكندر الشاب الصغير الذي كان يجلس إلى جانب صديقه الصادق» المكشخ»، أمجاد

عرف عن الترجي وفاء جمهوره له، حتى أنه دائماً ما يكون حاضراً في كل تنقلاته الخارجية. كما أنه يعتبر من الفرق التونسية القليلة التي لها «خلايا أحباء» في غالب مناطق تونس ومدنها

الترجي التونسي ليس مجرد ناد رياضي قوي في تونس فحسب، فالفريق عايش مختلف المحطات التاريخية والسياسية في البلاد بدءاً من حقبة الاستعمار وصولاً إلى المرحلة الحديثة

النادي مذكراً بأشهر «ملاحمه المحلية والإفريقية»، كما يسميها، وكيف أنه استطاع «أن يغلب الكل»، يقول: «دمنا أحمر وأصفر وحب الترجي نتوارثه ويسري في عروقنا».

وفي يوم 15 كانون الثاني/ يناير من كل سنة، يتوجه عشاق «المكشخة» إلى منطقة «باب سويقة» معقل الفريق التاريخي، حيث تقام الاحتفالات بذكرى تأسيس ناديهم الذي يطلق عليه اسم «شيخ الأندية»، وهناك يقوم المحبون بإشعال الشماريخ وحمل رايات عملاقة لفريقهم متغنين بأشهر أهازيجه التي دائما ما يرددونها في مدارج الملاعب داخل تونس وخارجها.

وعرف عن الترجي وفاء جمهوره له، حتى أنه دائماً ما يكون حاضراً في كل تنقلاته الخارجية. كما أنه يعتبر من الفرق التونسية القليلة التي لها «خلايا أحباء» في غالب مناطق تونس ومدنها.

جزء من تاريخ تونس

لكن الترجي التونسي ليس مجرد ناد رياضي قوي في تونس فحسب، فالفريق عايش مختلف المحطات التاريخية والسياسية في البلاد بدءاً من حقبة الاستعمار وصولا إلى المرحلة الحديثة.

وبدأت فكرة تأسيس الترجي الرياضي التونسي عام 1919 في مقهى «باب سويقة» الذي لا يزال إلى اليوم يحمل الاسم نفسه. وكانت تونس حينها تحت الاستعمار الفرنسي عندما اجتمع عدد من التونسيين وقرروا تأسيس أول ناد رياضي تونسي يديره تونسيون.

وفي تلك الحقبة، تحولت منطقة «باب سويقة» و«الحلفاوين» المجاورة لها إلى مقر لرجالات الحركة الوطنية، ما أحدث تداخلا بين الرياضة والسياسة، وبعد الاستقلال كان الرئيس بورقيبة أول لرئيس للنادي.

وتقول الباحثة في علم الاجتماع سيرين بالحاج إن علاقة المشجعين بناديهم الترجي التونسي ليست مجرد علاقة محب بفريقه المفضل فحسب، بل هي علاقة انتماء، وتضيف أنه «صار يمنح هوية لهم، لذلك يتفاخرون بلقب «مكشخ» حتى أن البعض منهم يعرّف نفسه على مواقع التواصل الاجتماعي بهذا اللقب رغم أنه قد يكون طبيباً أو مهندساً».

و في ظل الأزمات الكبيرة التي تعيشها تونس منذ أكثر من عقد ونصف عقد تحولت الفرق الرياضية ملاذاً لكثير من التونسيين، و «في حالة الترجي الذي واصل تحقيق نتائج تعتبر جيدة، مثل ذلك لأحبائه نوعاً من التعويض. لذلك يقولون «ما تزهينا (تسعدنا) الا الترجي»، وهذا ما يفسر تلقيبهم لفريقهم بـ «الدولة» في إشارة إلى أنه عوّض خيبات بلدهم «، وفق تعبيرهم.

كلام بالعقل

جواردیولا بین ارتباط وانفصال

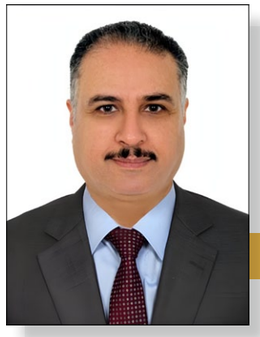

مجدي جادو

بيب جواردیولا، أحد أبرز مدربي كرة القدم عالمياً في السنوات العشر الأخيرة، بفضل إنجازاته التي حققها مع ثلاثة من أعظم أندية العالم: برشلونة، بايرن ميونيخ، ومانشستر سيتي. يُعد جواردیولا واحداً من المبدعين في عالم التدريب والمؤثرين في مسيرة كرة القدم، التي شهدت تطورات كبيرة على مدى مائة وخمسين عاماً منذ ظهورها بشكلها الحديث في إنجلترا.

كرة القدم تطورت بفضل مدربين أمثال جواردیولا، بدءاً من اللعب الممتع في عهد المنتخب البرازيلي الرائع الذي ضم بيليه، وجارنيشيا، وكارلوس ألبرتو، مروراً بأجيال المدربين العظام أمثال زاجالو وتيلي سانتانا. كما أبدعت هولندا وقدمت لنا الكرة الشاملة التي كانت بمثابة ثورة في عالم كرة القدم مطلع السبعينيات في عصر الطائر يوهان كرويف. أما إيطاليا، فقدمت كرة الكاتاناتشيو بأسلوبها الدفاعي المغلق والعنيف، بينما اخترعت فرنسا على يد ميشيل هيدالجو ما يسمى بانفجار الوسط، حيث قاد ميشيل بلاتيني حقبة ذهبية للكرة الفرنسية.

أما جواردیولا، فقد أمتعنا لسنوات مع برشلونة حين قدم رائعته «تيكي تاكا»، التي تعتمد على الاستحواذ والتمرير الدقيق وصولاً إلى مرمى الخصم خطوة بخطوة. هذا المدرب الإسباني (53 عاما) انتقل بانتصاراته من كتالونيا إلى بافاريا، حيث قاد بايرن ميونيخ، ثم استقر به المقام منذ عشر سنوات في مانشستر سيتي، ليقدم للعالم فريقاً جديداً حفر اسمه في سجل الفرق العملاقة كروياً في أوروبا والعالم.

إن نجاح مانشستر سيتي لم يتحقق بفضل المال الإماراتي فقط، بل أيضاً بالحرية المطلقة التي يتمتع بها بيب في النادي، حيث يعمل وكأنه «المالك والملك» في فريق تجاوزت قيمته التسويقية ملياري دولار.

ورغم الانتكاسة التي يمر بها الفريق السماوي في الموسم الحالي، يسعى جواردیولا لترميم الخلل ومعالجة الجراح من خلال عدة صفقات في الشتاء الحالي. وما زال مستمراً على رأس القيادة الفنية للنادي، مع تجديد عقده حتى عام 2027.

قرار تجديد عقده كان له أثر كبير على حياته الشخصية، إذ أدى إلى انفصاله عن زوجته كريستينا سيرا (52 عاماً)، التي كانت تنتظر إقالته أو استقالته وعودته إلى إسبانيا، حيث تعمل هي وتقيم مع أطفالهما الثلاثة في برشلونة.

كريستينا التي أقامت مع جواردیولا في مانشستر منذ قدومه عام 2016 حتى 2019، طلبت منه الاكتفاء والعودة إلى إسبانيا، لكنه رفض واستمر في مانشستر. وكانت تلك بداية الانفصال الظاهري بينهما. وفي كل عام، كانت تنتظر عودته، لكن ذلك لم يحدث. وبعد نهاية الموسم الماضي، طلبت منه ألا يجدد عقده مع مانشستر سيتي ليعود إلى وطنه ويودّع إنجلترا، لكنه رفض ذلك أيضاً، مفضلاً البقاء لمحاولة إنقاذ الفريق في الموسم الحالي.

بعد ثلاثين عاماً من الزواج، وصلت العلاقة بينهما إلى طريق مسدود، وتم الإعلان رسمياً عن الانفصال. وشرحت كريستينا الأسباب في كلمات موجزة:

«انفصلنا لأنه مدمن. نعم، زوجي مدمن لكرة القدم ولا يعرف سوى عمله. النادي، الفريق، والبطولات هي كل ما يهمه. إنه يركز على مشروعه الاحترافي بشكل مبالغ فيه».

وأضافت:

«قرار تجديد عقده مع مانشستر سيتي كان يعني انفصالنا كزوجين. عشنا أياماً رائعة كنت خلالها أصمم له ملابسه وأختار ما يظهر به في الملاعب والمؤتمرات».

لم يتمكن جواردیولا من اتخاذ قرار مماثل لصديقه يورجن كلوب، مدرب ليفربول السابق، الذي رحل عن الفريق وعاد إلى ألمانيا من أجل عائلته وحياته الخاصة. جواردیولا، في المقابل، فضل الاستمرار في ملاحقة البطولات رغم أنه يعيش أسوأ فتراته كمدرب، رافضاً المغادرة والفريق يعاني بعد سنوات من الإنجازات والصعود إلى منصات التتويج.

مرموش التاسع عشر يغزو مانشستر

المرمار
مجدي جادو

الدولي المصري عمر مرموش دخل بلاد الإنجليز برجله اليمين ما يعني حسب الموروث الثقافي المصري أنه فأل خير عليه بمشواره الكروي الذي بدأ في نادي الذوات وعلية القوم وادي دجلة الذي يملكه ماجد سامي صاحب نادي ليرس البلجيكي، وسوف يربح وادي دجلة نحو مليوني دولار من صفقة انتقال مرموش التي دفع فيها مانشستر سيتي نحو 75 مليون يورو لانتراخت فرانكفورت في إطار حق رعاية اللاعب في مراحل الناشئين بينما سيرتفع راتب مرموش من مليوني يورو سنوياً في فرانكفورت إلى اثني عشر مليون يورو مع السيتيزن .

عمر خالد محمد مرموش المولود في حي المعادي الراقي سيحتفل بعيد ميلاده السادس والعشرين في السابع من فبراير القادم قال عنه الكاتب محمد نجيب رئيس مجلس إدارة موقع تليجراف مصر الصحفي إن مرموش كسر النمط السائد عن لاعب كرة القدم الموهوب القادم من مجتمع فقير ويريد تعويض الفقر بالنجاح والشهرة والمال في عالم الكرة لأن عمر من أسرة عريقة وثرية ولكنه محظوظ لأن الأغنياء يوجهون أولادهم إلى التنس والاسكواش والسباحة والفروسية وسلاح المبارزة ويبتعدون بهم عن ملاعب كرة القدم التي تشهد الكثير من الكوارث والأزمات، ويتعرض لاعبوها لانتقادات وربما انتهاكات أخلاقية من بعض الجماهير بينما أسرة مرموش دعمت الصبي عمر وساندته، كما أن والده شخصية مستنيرة حرص معه على استكمال دراسته وتخرجه من أرقى المدارس التي تمنح الشاب قدرات ومهارات شخصية وعلمية، ولم يسمح الأب بالاحتراف الخارجي إلا عام 2022 حيث انتقل الابن عمر إلى فولسفبورج الألماني وفي العام التالي انتقل إلى انتراخت فرانكفورت وفي الموسم الحالي تألق وسجل معه 19 هدف في نصف موسم منافساً لكبار الهدافين وعلى رأسهم

19

يعتبر عمر مرموش هو اللاعب المصري التاسع عشر الذي يلعب في الدوري الإنجليزي

الإنجليزي هاري كين نجم بايرن ميونيخ وكان ذلك دافعا كبيرا لحصول مانشستر سيتي على توقيعه بعد مفاوضات طويلة ضغط فيها الألمان للحصول على أعلى سعر من نادي البترودولار كما يطلقون عليه في انجلترا .

عمر تألق في أول لقاء مع السماوي ولعب 72 دقيقة ضد تشيلسي بعد وصوله بخمسة أيام للعب الاتحاد قادماً بأحلامه الكبيرة مع أكبر الأندية الأوربية بطل إنجلترا.

ومدربه العملاق بيب جواردیولا الذي أكد أن مرموش قدم مباراة كبيرة وساهم في انتصار كبير على تشيلسي بثلاثة أهداف مقابل هدف وهي بداية تليق به كلاعب يملك مقومات هائلة.

وقد تأقلم مرموش سريعاً مع الفريق وأبدى سعادته بالدعم الكبير الذي يقدمه له هداف الفريق هالاند.

احتفى اعلام مانشستر سيتي بالنجم المصري بشكل هائل منذ وصوله معلناً وصول فرعون جديد للدوري الإنجليزي ومؤكداً أن سيتي لديه ملك مصري آخر وأنه سيحقق انجازات مع النادي الذي تعاقد معه حتى 2029.

وقال الموقع الرسمي للنادي إننا ننظر للقاء القادم مع ليفربول في الثالث والعشرين من فبراير. لنستمتع بلقاء صلاح ومرموش.

ويعتبر عمر مرموش هو اللاعب المصري التاسع عشر الذي يلعب في الدوري الإنجليزي. القصة بدأت عام 1911 بانتقال حسين حجازي كابتن منتخب مصر والنادي الأهلي إلى نادي فولهام الإنجليزي ولم يدخل المصريون بعد ذلك الملاعب الإنجليزية إلا في عام 2004 بانتقال إبراهيم سعيد إلى ايفرتون ولكنه عاد إلى مصر دون أن يلعب مباراة واحدة بينما لعب أحمد حسام ميدو 94 مباراة مع اندية توتنهام ويجان ..وستهام.. ميدلسبرو وبارنسلي وتوالت الأسماء فيما بعد وكان أبرزهم محمد شوقي، ثم أحمد المحمدي الذي لعب 197 مباراة في هال سيتي واستون فيلا، وحسام غالي وعمرو زكي ورامي شعبان ودودو الجباس وسام مرسي حالياً قائد ايبسويتش، ومحمد النني مع ارسنال، ومضان صبحي الذي لعب مع ستوك سيتي، أحمد حجازي ومحمود حسن تريزيجيه مع أستون فيلا، محمد صلاح مع تشيلسي وليفربول .

عمر مرموش أحد الدوليين الذين يشكلون دعامة أساسية للمنتخب الوطني المصري مع محمد صلاح و محمود تريزيجيه ومصطفى محمد، لاعب نانت الفرنسي، ومحمد عبد المنعم لاعب نيس الفرنسي أيضاً.

لا شك أن تألق محمد صلاح مع ليفربول قد فتح الباب أمام اللاعب المصري ووجه أنظار واهتمام الأندية الأوروبية إلى المواهب المصرية.

لا شك أن تألق محمد صلاح مع ليفربول قد فتح الباب أمام اللاعب المصري ووجه أنظار واهتمام الأندية الأوروبية إلى المواهب المصرية

أغلى لاعب عربي

عمر مرموش في السيتي

ترميم إخفاقات غواردیولا

حسم مانشستر سيتي الإنجليزي تعاقده مع المهاجم المصري عمر مرموش من فريق آينتراخت فرانكفورت الألماني.

ووقع مرموش (25 عاما) على عقد مدته أربعة أعوام ونصف العام مع مانشستر سيتي بعدما انتقل إليه في صفقة يعتقد أن قيمتها وصلت إلى 59.1 مليون جنيه إسترليني (72.7 مليون دولار) بالإضافة إلى 4.2 مليون جنيه إسترليني محتملة كمبالغ إضافية.

أتم مانشستر سيتي الإنجليزي تعاقده مع المهاجم الدولي المصري عمر مرموش قادماً من أينتراخت فرانكفورت الألماني، بعقد يمتد حتّى عام 2029، وفقا لما أعلنه بطل الدوري الممتاز لكرة القدم في المواسم الأربعة الماضية .

وقال النادي الإنجليزي "يسعد مانشستر سيتي الإعلان عن التعاقد مع عمر مرموش قادماً من أينتراخت فرانكفورت. يستمر عقد المهاجم المصري البالغ 25 عاماً لمدة أربع سنوات ونصف السنة، أي سيبقى في الاتحاد حتى صيف 2029،" بصفقة تقدر بـ72.6 مليون دولار إلى جانب 5.1 مليون دولار كإضافات محتملة.

وسيكون مرموش قد تخطى المغربي أشرف حكيمي ظهير باريس سان جرمان الفرنسي، كأغلى لاعب عربي في التاريخ، بفارق نحو 2.5 مليون دولار، بعد انتقال الأول من إنتر الإيطالي إلى النادي الباريسي عام 2021، فيما يصبح الجزائري رياض محرز ثالث أغلى لاعب عربي بانتقاله من ليستر سيتي إلى مانشستر سيتي مقابل 69 مليون دولار في 2018.

وأضاف سيتي "يعد مرموش أحد أكثر المهاجمين الشباب المطلوبين في أوروبا، كما أنه قادر على اللعب على أي من الجناحين الهجوميين." بدوره، أعرب مرموش عن سعادته بالانضمام إلى بطل إنجلترا قائلاً «هذا يوم لن أنساه أبداً. التوقيع مع مانشستر سيتي الذي يعد أحد أفضل الفرق في العالم هو شعور مذهل، أنا سعيد وعائلتي فخورة جداً بوجودنا هنا في مانشستر».

وأضاف «مع (الإسباني) بيب (غواردیولا)، جهازه الفني والمرافق العالمية هنا، يجد اللاعبون كل ما يحتاجونه للتطور. كان ذلك مغرياً جداً بالنسبة إلي عندما أتيحت لي الفرصة للانضمام." وتابع "لا يمكنني أن أنكر أنني أريد الفوز بالألقاب. سيتي كان النادي الأنجح في إنجلترا لسنوات عديدة. لذا أعلم أنني أنضم إلى بيئة وثقافة الفوز». من جانبه قال النادي الألماني عبر موقعه «توصل أينتراخت فرانكفورت ومانشستر سيتي إلى اتفاق بشأن انتقال فوري لعمر مرموش».

وصافة الهدافين

التحق مرموش بفرانكفورت في صيف 2023 قادما من فولفسبورغ في صفقة انتقال حر، وشارك في 41 مباراة في موسمه الأول حيث سجّل 17 هدفاً وقدّم ست تمريرات حاسمة. لكن تألقه هذا الموسم بتسجيله 20 هدفاً وتمريره 14 كرة حاسمة في 26 مباراة في مختلف المسابقات، وقيادته فرانكفورت إلى المركز الثالث راهنا في الدوري الألماني في إنجاز غير مسبوق منذ موسم 1992 – 1993، جذب الأنظار إليه وجعل فريق المدرب الإسباني بيب غواردیولا يتعاقد معه في سوق الانتقالات الشتوية.

ويحتل ابن الخامسة والعشرين وصافة ترتيب هدافي البوندسليغا برصيد 15

هدفاً، متأخراً بفارق هدف عن الإنجليزي هاري كاين مهاجم بايرن ميونخ ومتصدر ترتيب الهدافين، وفي رصيده 25 مساهمة تهديفية في الدوري (سجل 15 هدفاً ومرر 10 كرات حاسمة).

وغاب مرموش عن مباراة فرانكفورت الأخيرة في الدوري والتي فاز بها على دورتموند 2 – 0 في افتتاح المرحلة الثامنة عشرة، تمهيداً لانتقاله إلى سيتي، علماً أنه نزل من المدرجات بعد نهايتها واحتفل مع زملائه بمن فيهم الدولي السابق ماريو غوتسه الذي قال في تصريح صحفي «نعلم ما كنا نملكه في عمر لاعب رائع وشخصية كبيرة». ويأتي انتقال مرموش إلى سيتي والأخير يعاني هذا الموسم، إذ يتأخر بـ12 نقطة عن ليفربول المتصدر في الدوري والذي يملك مباراة مؤجلة أيضاً، كما قد يودّع دوري الأبطال مبكراً بعد خسارته أمام باريس سان جرمان الفرنسي 2 – 4 في الجولة السابعة ما قبل الأخيرة.

وفي بداياته برز النجم المصري المولود في القاهرة في فبراير 1999، مبكراً في أكاديمية وادي دجلة. وقال عنه علي أبوجريشة، أسطورة النادي الإسماعيلي السابق ومدير قطاع الناشئين في وادي دجلة وقتذاك «برزت موهبته بصورة مبكرة وبدأ يترقى في فرق الناشئين في فئة سنية أكبر من تلك الخاصة به بسبب موهبته». لكن مسيرته كادت تتعرض لنهاية مبكرة بسبب رغبة والده، الذي يحمل الجنسية الكندية كذلك، في أن يركز ابنه على دراسته.

وقال أبو جريشة «فوجئت بوالده يخبرني أن مرموش سيغيب عن التدريبات أثناء العام الدراسي بسبب تعارض موعد المران مع يومه الدراسي. كان عمر رافضاً لهذا القرار، فقررت بالاتفاق مع والده وإدارة النادي تخصيص مدرب ليقوم بتدريبه بشكل منفرد حتى لا نفقد هذه الموهبة مبكراً». وفي عام 2016 رُفّع مرموش في سن السابعة عشرة إلى الفريق الأول لوادي دجلة تحت قيادة المدرب الفرنسي باتريس كارتيرون، ثم التحق في صيف 2017 بريديف فولفسبورغ الذي استمر معه حتى تصعيده إلى الفريق الأول في يناير 2021.

صعوبات لافتة

غير أنه واجه صعوبات في التأقلم مع الحياة في ألمانيا بداية لكونه لم يكن يجيد اللغة الألمانية، ما أعاق تقدمه بسرعة، إلى جانب دقائق اللعب القليلة التي حظي بها، فأعاره فولفسبورغ إلى سانت باولي ولاحقاً شتوتغارت. وكونه لم يكن يجيد اللغة الألمانية، يتذكر مرموش وقوفه بالقرب من المنضدة في المقاهي والانتظار حتى يرى الطلب الذي يريده، قبل أن يشير إلى النادل بأنه يريد الشيء عينه.

وقال أحمد عبدون وكيل أعماله لوكالة فرانس برس إن هذه الصعوبات الأولية كانت أساسا لإنجازاته. وأضاف "إتقان مرموش للغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية ساهم بشكل كبير في نجاحه. إنه يزدهر في أينتراخت فرانكفورت».

وحظي مرموش بفرصة الدفاع عن ألوان منتخب مصر للمرة الأولى في أكتوبر 2021 تحت قيادة البرتغالي كارلوس كيروش، مباشرة بعد حصوله على لقب أفضل لاعب شاب في البوندسليغا في سبتمبر، قبل أن يترك بصمة في مباراته الدولية الأولى بتسجيله هدفاً في مرمى ليبيا في تصفيات كأس أمم أفريقيا.

وساهم تألقه الكبير في وضعه بمقارنة مع مواطنه وزميله في منتخب «الفراعنة» نجم ليفربول محمد صلاح، غير أنه يرفض هذه المقارنة قائلاً «أنا وصلاح صديقان مقربان ويساعدني دائما بخبراته وأتعلّم منه وأتشرّف بوجودي معه في قائمة أكثر اللاعبين تسجيلاً في الدوريات الخمسة الكبرى، لكن في الوقت عينه أريد تحقيق أشياء خاصة بي. لا أريد أن أكون محمد صلاح الثاني. أرغب في أن أكون عمر مرموش».

وتابع «نصحني صلاح بالعمل على عقليتي. كنت أعتقد أن هذا الأمر غير هام، لكن عندما قمت به صنع لي الفارق كثيراً».

فخر العرب الجديد في البريميرليغ

هالاند يوقع عقدا طويل الأمد مع مانشستر سيتي

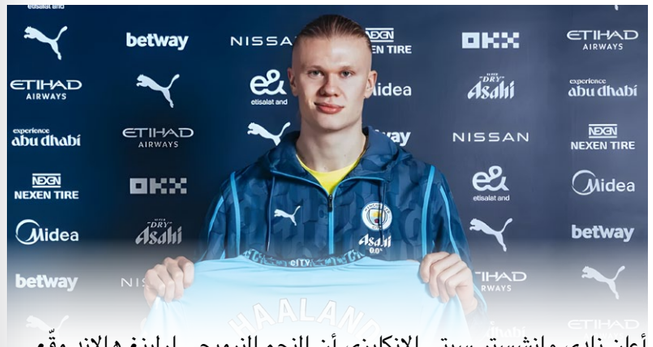

أعلن نادي مانشستر سيتي الإنكليزي أن النجم النرويجي إرلينغ هالاند وقّع عقداً جديداً مع النادي لمدة تسعة أعوام ونصف.

كان من المقرر أن ينتهي عقد هالاند في يونيو/ حزيران 2027، لكنه الآن ملتزم بمستقبله مع النادي حتى موسم 2033 / 2034.

وجاء في منشور على حساب مانشستر سيتي بموقع إكس للتواصل الاجتماعي: "إرلينغ هنا ليبقى! يسعدنا أن نعلن أن إرلينغ هالاند مدد عقده في سيتي حتى عام 2034".

وحقق هالاند (24 عاما) تأثيرا فوريا في مانشستر سيتي، منذ انضمامه للفريق عام 2022، قادما من بوروسيا دورتموند الألماني، حيث سجل 52 هدفا في جميع المسابقات، ليسهم في تتويج النادي السماوي بدوري أبطال أوروبا والدوري الإنكليزي الممتاز وكأس الاتحاد الإنكليزي في موسمه.

وأحرز هالاند 38 هدفا آخر في الموسم الماضي، الذي شهد تتويج مانشستر سيتي بلقب الدوري الإنكليزي للموسم الرابع على التوالي في إنجاز غير مسبوق.

وقال هالاند فور الإعلان عن تمديد عقده: "أنا سعيد حقاً بتوقيع عقدي الجديد وأن اتمكن من التطلع إلى قضاء المزيد من الوقت في هذا النادي العظيم".

وأكد هالاند في تصريحاته، التي أوردتها وكالة الأنباء البريطانية: "مانشستر سيتي ناد خاص، مليء بالأشخاص الرائعين والمشجعين المذهلين، وهو نوع البيئة التي تساعد في إخراج أفضل ما لدى الجميع".

وتابع: "أود أيضا أن أشكر غواردیولا وطاقمه التدريبي والزملاء في الفريق وكل شخص في النادي لأنهم جميعا ساعدوني كثيرا في العامين الماضيين. لقد جعلوا مانشستر سيتي مكانا مميزا للغاية بالنسبة لي والآن أنا مع الفريق بغض النظر عما سيحدث".

ويأتي تمديد عقد هالاند الطويل الأمد ليشكل دفعة كبيرة لمانشستر سيتي في موسم عانى فيه بشكل غير متوقع على أرض الملعب، حيث يحتل الفريق المركز السادس بترتيب الدوري الإنكليزي الممتاز حاليا، بفارق 12 نقطة خلف ليفربول (المتصدر)، الذي ما زال يمتلك مباراة مؤجلة.

الوجه الأسود في مسابقة دوري أبطال أوروبا لكرة القدم..

تحطم طائرة يونايتد ومجزرة ملعب هيسيل

المرمار
يحيى السويد

لا شك أن مسابقة دوري أبطال أوروبا لكرة القدم تُعدُّ أقوى وأشهر وأغنى مسابقة على مستوى الأندية في العالم. تحظى هذه المسابقة باهتمام كبير من محبي ومتابعي الساحرة المستديرة في مختلف قارات العالم، حيث تضم أعرق الأندية التي تزخر بأشهر اللاعبين العالميين.

منذ انطلاقها لأول مرة في موسم 1955/1956، حظيت المسابقة بشغف ومتابعة كبيرة، وهي متابعة زادت بشكل لافت في السنوات الأخيرة مع تطور التقنيات التي سمحت للمشاهدين حول العالم بمتابعة المباريات بسهولة، مما جعل العالم أشبه بقرية صغيرة.

رغم ذلك، فإن تاريخ المسابقة لم يخل من أحداث مأساوية وسلبية، كانت بمثابة الوجه الأسود لهذه البطولة. ومن أبرز هذه الأحداث: كارثة تحطم طائرة مانشستر يونايتد عام 1958، مجزرة ملعب هيسيل في بلجيكا، وتورط نادي مارسيليا الفرنسي في فضائح رشوة ومنشطات عام 1993.

طائرة مانشستر يونايتد

في السادس من فبراير 1958، كانت بعثة نادي مانشستر يونايتد الإنجليزي عائدة من العاصمة اليوغوسلافية بلغراد بعد التأهل إلى الدور نصف النهائي لدوري أبطال أوروبا، إثر الفوز على النجم الأحمر اليوغوسلافي بنتيجة 2–1 بعد التعادل في مباراة الذهاب 3–3.

نظراً لعدم قدرة الطائرة آنذاك على الطيران لمسافات طويلة دون توقف، اتجهت البعثة إلى مدينة ميونخ الألمانية في رحلة توقف قبل استكمال طريقها إلى مانشستر. لكن الأحوال الجوية السيئة والثلوج الكثيفة المتراكمة على مدارج مطار ميونخ تسببت في انحراف الطائرة عن مسارها الصحيح، ما أدى إلى اصطدامها بأحد الأسوار وبعض الأشجار، وانتهى الأمر بتحطم الطائرة.

أودت الكارثة بحياة 21 شخصاً كانوا على متن الطائرة فور وقوع الحادث، بالإضافة إلى قائد الطائرة وأحد أفراد طاقمها، اللذين توفيا لاحقاً متأثرين

● فريق مانشستر قبل إقلاع الطائرة

بجراحهما.
ومن بين الضحايا، فقد مانشستر يونايتد ثمانية من لاعبيه الأساسيين، وهم: روجر بيرني، يدي كولان، مارك جونز، ديفيد بيج، تومي تايلور، جوف بينت، ليام ويلان، دنكن إدواردز.
كما لقي سكرتير النادي وولتر كريكمر، المدرب توم كوري، ومساعد المدير الفني بيرت والي مصرعهم. بالإضافة إلى ذلك، توفي ثمانية صحفيين كانوا يرافقون البعثة لتغطية الحدث.
ورغم الكارثة، نجا عدد من لاعبي الفريق، أبرزهم النجم الدولي السير بوبي تشارلتون، وحارس المرمى هاري جريج، بالإضافة إلى اللاعبين جوني بيري، جاكي بلانشفلوار، دينيس فيوليت، راي وود، كيني مورجيز، وبيلي فوكس.
رغم الفاجعة، استطاع مانشستر يونايتد خوض مباراتي الدور نصف النهائي. ففي الأول من مارس 1958، استضاف الفريق نادي ميلان الإيطالي على ملعب «أولد ترافورد»، وتمكن من الفوز بنتيجة 2–1. لكن الفريق لم يتمكن من الحفاظ على الزخم في مباراة الإياب، حيث خسر أمام ميلان برباعية نظيفة، لتتوقف مسيرته عند هذا الدور. وانتظر الشياطين الحمر عقداً كاملاً ليحققوا أول ألقابهم في المسابقة، عندما تغلبوا على بنفيكا البرتغالي في نهائي نسخة موسم 1968/1967.

كارثة ملعب هيسيل

كان كل شيء على ما يرام في العاصمة البلجيكية بروكسل، التي كانت تتأهب لاستضافة المباراة النهائية الثلاثين في تاريخ مسابقة دوري أبطال أوروبا، حيث كانت المواجهة المرتقبة تجمع بين فريقين كبيرين: ليفربول الإنجليزي ويوفنتوس الإيطالي. تم اختيار ملعب هيسيل في بروكسل لاستضافة هذا النهائي المرتقب.

● كارثة ملعب هيسيل في المباراة التي جمعت بين ليفربول ويوفنتوس وتوفي على اثرها 39 مشجع واصابة 600

قبل يومين من المباراة، تدفق الآلاف من مشجعي الفريقين إلى العاصمة البلجيكية، حيث عمّت أجواء ودية تخللتها تبادل الهدايا التذكارية بين المشجعين. لكن الأمور أخذت منحى مأساوياً قبل انطلاق المباراة بأكثر من ساعة.
قامت مجموعة من مشجعي ليفربول، وهم في حالة سكر، بكسر السياج الفاصل بين جمهور الفريقين. دفعت هذه الفوضى جماهير يوفنتوس إلى الركض نحو جدار إسمنتي بحثاً عن ملاذ آمن، في حين كانت جماهير أخرى تقف بالفعل عند الجدار. نتيجة للضغط الكبير والفوضى العارمة، انهار جزء من الجدار، ما أدى إلى وقوع كارثة إنسانية.
حاول الكثيرون التسلق للأعلى هرباً من الموت، لكن النتيجة كانت مأساوية، حيث لقي 39 مشجعاً حتفهم على الفور، من بينهم 32 إيطالياً، وأصيب أكثر من 600 شخص بجروح متفاوتة.
ورغم الكارثة، أصرت قوات الأمن على إقامة المباراة تجنباً لاندلاع أعمال شغب قد يقوم بها مشجعو ليفربول المعروفون باسم «الهوليغنز». أقيمت المباراة بعد تأخيرها ساعة عن موعدها الأصلي، وانتهت بفوز يوفنتوس بهدف سجله النجم الفرنسي ميشيل بلاتيني من ركلة جزاء.
على خلفية هذه الكارثة، أصدر الاتحاد الأوروبي قراراً بحرمان الأندية الإنجليزية من المشاركة في المسابقات الأوروبية لمدة خمس سنوات، وتحديداً حتى موسم 1991/1990، فيما حُرم نادي ليفربول من المشاركة لمدة سنة إضافية. كما حوكم عدد من مشجعي ليفربول بتهمة القتل غير العمد، واعتُقل آخرون بتهمة الاشتباه في التسبب بالقتل.
وبعد محاكمة استمرت خمسة أشهر، صدر حكم بالسجن لثلاث سنوات بحق 14 مشجعاً إنجليزياً بتهمة القتل غير العمد.
ووصفت هذه الحادثة بأنها «الساعة الأحلك» في تاريخ منافسات الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (UEFA).

رشاوي ومنشطات مارسيليا هي الأبرز

فضيحة .. رشاوى ومنشطات

ربما لا يعلم الكثيرون أن وراء تتويج نادي أولمبيك مرسيليا الفرنسي بلقب النسخة الثامنة والثلاثين من دوري أبطال أوروبا عام 1993، وهو اللقب الوحيد حتى الآن للأندية الفرنسية في هذه المسابقة، فضيحة مدوية تورط فيها مسؤولون ولاعبون من النادي.
هذه الفضيحة، التي هزّت أركان كرة القدم الفرنسية والأوروبية، أدت إلى هبوط نادي مرسيليا إلى دوري الدرجة الثانية الفرنسي وحرمانه من الدفاع عن لقبه في النسخة التالية من دوري الأبطال.
بدأت التحقيقات عندما عثرت الشرطة على مبلغ 250 ألف فرنك فرنسي في حديقة منزل عمة اللاعب جان جاك إيديلي، الذي اعترف لاحقاً بتلقي رشوة. كما شملت التحقيقات اللاعبين خورخي بورتشاغا وإيديلي، وتم إيقافهما من قبل الاتحاد الفرنسي لكرة القدم.
الأمر لم يتوقف عند الرشاوى فقط؛ فقد اعترف اللاعب إيديلي بأن بعض لاعبي مرسيليا تناولوا منشطات قبل المباراة النهائية.
العواقب كانت وخيمة على نادي مرسيليا. سحب الاتحاد الفرنسي لكرة القدم لقب الدوري المحلي من الفريق، وقرر هبوطه إلى دوري الدرجة الثانية. كما حرم الاتحاد الأوروبي الفريق من المشاركة في النسخة التالية من دوري أبطال أوروبا موسم 1993/1994، وحرمه كذلك من خوض كأس السوبر الأوروبي، ليُمنح فريق ميلان الإيطالي، وصيف دوري الأبطال، حق المشاركة بدلاً منه.
خسر ميلان كأس السوبر أمام مواطنه نادي بارما. ومع هبوط مرسيليا، فقد الفريق العديد من نجومه، مثل: ديديه ديشامب (نجم المنتخب الفرنسي ومدربه الحالي)، مارسيل دوساييي (المدافع الشهير)، رودي فولر (النجم الألماني)، عبيدي بيليه (اللاعب الغاني الشهير)، ألين بوكسيتش (النجم الكرواتي).
في عام 1995، صدر حكم بالسجن على رئيس نادي مرسيليا، رجل الأعمال الشهير برنار تابي، كما حُكم على بورتشاغا وإيديلي وروبرت بالسجن مع وقف التنفيذ.
ورغم أن أولمبيك مرسيليا جُرّد من لقب الدوري الفرنسي وحُرم من خوض كأس السوبر وبطولة العالم للأندية، إلا أن اسمه بقي محفوراً في تاريخ دوري أبطال أوروبا كأول فريق فرنسي يحقق اللقب الأهم في القارة.

● حرمان مارسيليا الفرنسي من خوض كأس السوبر الاوروبي موسم 1993 - 1994

عبد الكريم البليخ

فساد الأطفال

تلعب الأبوة دوراً بالغ الأهمية في حياة الأبناء، فهي واحدة من أصعب وأخطر المهام التي تقع على عاتق الإنسان، ورغم أنه لا توجد مدارس تُعدّ الشخص ليكون أباً أو أماً مثاليين، إلا أن المسؤولية تجاه الأبناء تبقى من أكثر الوظائف حساسية وأهمية في المجتمع. قد يكون من السهل على الفرد أن يصبح طبيباً أو مهندساً أو حتى عاملاً ماهراً، ولكنه ليس بالأمر الهيّن أن يكون أباً ناجحاً.

الطفل عند ولادته يكون كائناً ضعيفاً، يعتمد بشكل كامل على والديه لتلبية احتياجاته الأساسية مثل الحماية، النظافة، والتغذية. خلال السنوات الأولى من عمر الطفل، والتي تعد الأهم في حياته، يتشكل وعيه بذاته، ويكتسب خلالها العديد من العادات والمهارات. خلال هذه الفترة، تكون غالبية تفاعلات الطفل محصورة بينه وبين والديه وإخوته، ما يجعل دور الأسرة أساسياً في نموه العقلي والجسدي والانفعالي والاجتماعي.

طريقة تعامل الوالدين مع أطفالهم، والعلاقة بينهما كزوجين، لهما تأثير كبير على الصحة النفسية ونمو الطفل بشكل سليم. ومع ذلك، فإن الكثير من الآباء يرتكبون أخطاء تربوية، وغالباً ما تكون هذه الأخطاء نابعة من حسن نية أو بسبب دوافع لا شعورية.

في بعض الحالات، يؤدي حب الوالدين الشديد لأطفالهم إلى استجابة مفرطة لجميع مطالبهم، ما قد يفسد حياتهم. إذ يعتاد الطفل على الحصول على كل ما يريد دون عناء، ليجد نفسه لاحقاً غير قادر على مواجهة تحديات الحياة العملية. يصبح ضعيف الشخصية، وغير مستعد لتحمّل المسؤوليات أو التغلب على العقبات، لأنه لم يَختبر الحياة الواقعية التي لا تقدم نفس مستوى الحب والرعاية التي اعتاد عليها داخل المنزل.

حرص الوالدين الشديد على نجاح أبنائهم قد يدفعهم أحياناً إلى إجبارهم على تخصصات دراسية لا تناسب ميولهم أو قدراتهم. هذا الضغط غالباً ما يؤدي إلى فشل الأبناء دراسياً، ما يسبب شعوراً بالعجز، فقدان الثقة بالنفس، والإحباط.

من نتائج التربية غير السليمة أن ينشأ الأبناء بضعف في الثقة بالنفس، مع شعور بعدم الكفاءة والأمان. يصبحون غير قادرين على حل المشكلات التي تواجههم، وغير مستعدين لتحمل أي مستوى من المسؤولية.

كلما زاد الآباء فهماً لأنفسهم ولمسؤولياتهم، زاد فهمهم لأبنائهم. ومن المعروف أنَّ العديد من مشكلات الأبناء تعود جذورها إلى طريقة تربية الوالدين، على الرغم من أن الآباء غالباً ما يلقون باللوم على أطفالهم.

عندما يتمكن الآباء من إدراك احتياجات أطفالهم الحقيقية والتفاعل معهم بوعي وتفهم، يصبحون أكثر قدرة على حل مشكلاتهم وتنشئتهم بطريقة صحيحة وسليمة.

الحب والرعاية أمران جوهريان في تربية الأبناء، لكن الإفراط في الحب أو الحماية قد تكون له عواقب سلبية على نموهم واستقلاليتهم. النجاح في التربية يتطلب توازناً بين الدعم والتوجيه، مع منح الطفل المساحة لتجربة الحياة وتعلم المهارات الضرورية لمواجهة تحدياتها.

لماذا ندعم المزمار؟

«المزمار» مجلة ثقافية رياضية جامعة، تصدر عن المركز العربي للإعلام والثقافة في العاصمة النمساوية فيينا، لتصل إلى عالمنا العربي بنبض متجدد وشغف لا يهدأ. من أجل استمراريتها، ومنعاً لانطفاء جذوتها، نؤمن بأهمية دعمها لتظل على عرش الصحافة الثقافية التي تلبي تطلعات القراء، مع الحرص على تقديم كل ما هو جديد ومثير.

هذا الدعم هو امتنان للزملاء الذين يبذلون قصارى جهدهم، ويقضون أوقاتاً طويلة لإعداد مواد صحفية دسمة وسط ظروف قاسية، حتى تصلنا في مطلع كل شهر بما تحمله من ثراء فكري ومتعة للقراء.

لماذا ندعم «المزمار»؟

- **لدعم استمراريتها وتألقها:** «المزمار» ليست مجرد مجلة؛ إنها مشروع ثقافي يضيء عوالمنا، ويستحق أن نسانده ليبقى منارة صحفية.
- **لشغفنا بهذا الاسم:** اسم «المزمار» له سحر خاص وهالة تجذب العشاق، فهو يعبر عن أصالة لا يمكن التفريط بها.
- **لأنها تعيدنا للزمن الجميل:** «المزمار» تحملنا إلى الماضي العريق، حيث النجوم الكبار الذين خلدهم التاريخ، وتذكرنا بقيمتهم التي لا تغيب عن الذاكرة.
- **لما تقدمه من محتوى حيّ ومميز:** ما يقدمه فريق العمل من مواد صحفية غنية ومبتكرة يطرب النفوس ويشبع العقول، بفضل إبداع الزملاء المنتشرين حول العالم.
- **لأنها رمز العشق الأبدي:** «المزمار» ليست مجرد مجلة، بل هي قصة حب مع جمهورها، نسعى لضمان استمرارها وإعلاء شأنها حرصًا على مكانتها وتاريخها الكبير.
- **لتحقيق استقلاليتها:** ندعم «المزمار» كي تبقى مستقلة عن أي ضغوط أو إملاءات، مما يعزز قدرتها على تحقيق أهدافها والطموحات المشتركة.
- **لأنها تجسد الالتزام المهني:**
نريد أن تظل «المزمار» متألقة، محافظة على صدق رسالتها وأصالتها بعيداً عن أي مغريات قد تؤثر على مسارها.

كيف يمكنكم المساهمة؟

ندعوكم لدعم «المزمار» عبر منصاتها الرسمية، لضمان بقائها مصدراً للإلهام والإبداع، وحفاظاً على رسالتها الثقافية التي تخاطب كل محبي الكلمة الصادقة والفن الراقي.

بإمكانكم الدعم عبر منصتي

patreon https://www.patreon.com/user?u=120256199

PayPal https://paypal.me/Alsa8ar?country.x=DE&locale.x=de_DE

المزمار

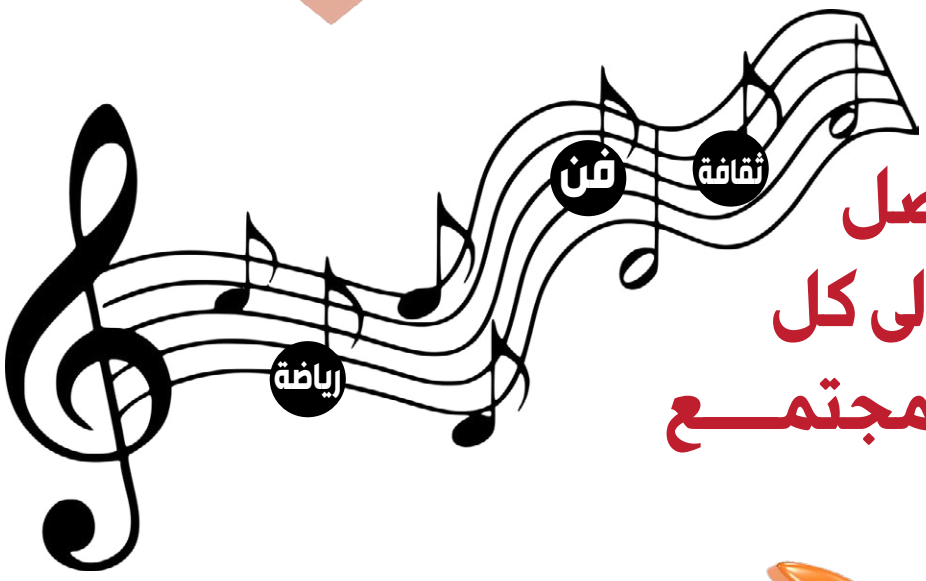

نافذتك لتصل
بإعــلانك إلى كل
شــرائح المجتمـــع

بداية كل شهر.. توزع بكل أنحاء العالم

مجلة.. وموقع الإلكتروني.. ووسائل التواصل الاجتماعي

ثقافية رياضية
جامعة تصدر عن
«المركز العربي للإعلام والثقافة»
فيينا- النمسا

المركز العربي للإعلام والثقافة
Arabisches Zentrum für Medien und Kultur
فيينا - النمسا

البريد الإلكتروني:
Almizmar024@gmail.com

00436763901842

موقع المجلة على فيسبوك:
https://www.facebook.com/groups/arabischeszentrumfrmedienundkultur

موقع المجلة على انستغرام:
https://www.instagram.com/almizmarmagazin/